العدد الأول
السنة ٢٨ • المحرم ١٣٩٠ • مارس ١٩٧٠

منبر الإسلام

الثمن ١٠ قروش

مع العدد هديتان

تفسير "من أول سورة المجادلة إلى آخر سورة نوح"

"الفردوس" مجلة الطفل المسلم

منبر الإسلام

مجلة الثقافة الإسلامية

يصدرها
المجلس
الأعلى
للشئون
الإسلامية
في غرة كل شهر عربي

العدد الأول • السنة ٢٨ • المحرم ١٣٩٠

رئيس
التحرير

محمد توفيق عويضة

بسم الله الرحمن الرحيم

« ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله ، أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم »

« صدق الله العظيم »

الاشتراكات عن سنة

١٠٠ قرش فى الجمهورية العربية المتحدة

٨٠ قرشا للعمال والطلبة

يضاف الى هذا قيمة البريد خارج الجمهورية العربية المتحدة وما يساوى قيمة هذه العملة فى البلاد الاخرى

تقبل كوبونات البريد الدولى ذات القرشين

الاشتراكات تدفع مقدما

العنوان
٣ شارع الامير قدادار
المتفرع من ميدان التحرير
القاهرة - تليفون ٢٨١٥٦

من محتويات العدد

- نص الخطاب الذى ألقاه السيد الرئيس جمال عبد الناصر فى مأدبة العشاء التى أقامها تكريما للرئيس اليوجوسلافى تيتو ١٩٧٠/٢/٢٣
- حديث عن حريق المسجد الاقصى للسيد حسين الشافعى
- حديث مع السيد محمد هاشم المجددى والسيد عنايت الله ابلاغ مندوبى أفغانستان فى المؤتمر البرلمانى الدولى وضيفى المجلس الاعلى للشئون الاسلامية
- اشارات علمية فى القرآن الكريم .. تقرير لجنة الخبراء بالمجلس الاعلى للشئون الاسلامية ..
- رأى العلم فى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .. الاستاذ أحمد حسين
- الكاسيات العاريات بين الحلال والحرام.. الدكتور أحمد الحوفى
- انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون .. فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى
- من قصص السنة المحمدية .. فضيلة الشيخ محمود أحمد هاشم
- من أحكام الشريعة الاسلامية وآدابها .. فضيلة المستشار محمد خاطر
- براعة الاستهلال وروعة الاساليب .. فضيلة الدكتور عبد الغنى الراجحى
- قطوف الاستاذ على الجندى
- الطريق الى الله الاستاذ أحمد زين
- الخمر الدكتور جمال الدين مهران
- دراسات فى فقه الحديث الدكتور عبد المجيد محمود
- الهجرة النبوية . . . فضيلة الشيخ ابراهيم الدسوقى
- من كفاح الرسول . . . فضيلة الشيخ عبد الحكيم سرور
- هجرة الجهاد والفتح . . . الاستاذ محمد دياب
- ماذا تعرف عن العالم الاسلامى . . . الدكتورة عنايات الطحاوى
- القناص « قصة العدد » . . . الاستاذ حسين القبانى

معالم الطريق

نص الخطاب الذى ألقاه السيد الرئيس

جمال عبد الناصر

فى مأدبة العشاء التى أقامها تكريما للرئيس اليوجوسلافى

تيتو

٢٣ فبراير ١٩٧٠

الصديق والاخ العزيز الرئيس جوزيب بروز تيتو

من دواعى سعادتى البالغة أن تتاح لى هذه الفرصة للترحيب بكم مناضلا عظيما فى الطليعة من مناضلى عصرنا ، وتعبيرا حيا عن دور شعوب يوجوسلافيا وأهمية هذا الدور ، ورمزا فى نفس الوقت للصداقة العميقة والوثيقة التى تربط ما بين هذه الشعوب العظيمة والامة العربية ، والشركة بين الاثنين فى العمل من أجل الحرية والسلام .

ان رحلتكم الطويلة التى حملتكم الى قلب القارة الافريقية والتى جاءت بكم فى نفس الوقت الى هذا المكان ، وأعطتنا مناسبة أخرى للقاء مثمر بيننا قد حولت الكثير من هذه المعانى ، وأشارت اليها اشارات واضحة .

ان الحفاوة التى قوبلتم بها فى كل مكان ذهبتم اليه ، كانت تحية لنضالكم ، وكانت أهمية هذه الرحلة جزءا من بروز الدور اليوجوسلافى وظهوره ، فى نفس الوقت فان هذه الرحلة كانت فى ناحية من نواحيها أشبه ماتكون بسفارة ممتازة من أجل الحق العربى المشروع ، وتأييدا له أهميته لجميع المناضلين فى سبيل هذا الحق والدفاع عنه . ولقد تتبعنا أيها الصديق العظيم رحلتك الى كل مكان ذهبت اليه ، وكان تقديرنا كبيرا لاصراركم على التعريف بنضال العرب مع كل من تحدثت اليه من قادة أفريقيا وزعمائها ، ولم يخل بيان صدر عن محادثاتك فى أى عاصمة من موقف محدد ازاء أزمة الشرق الاوسط وخطورتها ، وضرورة الوصول فيها الى سلام يقوم على العدل والادراك العميق لحقيقة أنه بدون العدل لا يكون هناك سلام .

وفى الحقيقة فان ذلك كله كان اتساما منطقيا مع كل المبادىء التى آمنا بها ، والتى عملنا من اجلها سويا، والتى كرسنا لها كل الفكر والجهد من طاقاتنا والتى جعلتنا الشدائد أكثر ايمانا بها ، ومنحتنا الازمات اصرارا متزايدا على ضرورة واهمية الدفاع عنها — ليس لسلامتنا فحسب — ولكن لسلامة العالم الذى نعيش فيه ، ومن أجل مستقبله ، ان موقف يوجوسلافيا من أزمة الشرق الاوسط ، ومنذ اللحظات الاولى لتفجر هذه الازمة بفعل ضراوة العدوان الاسرائيلى المعزز والمؤيد بقوى الاستعمار والرجعية العالمية ، كان موقفا قاطعا ، تجلت فيه الحكمة والشجاعة معا، لقد جئتم الينا فى الايام العصيبة التى تلت المحنة مباشرة — جئتم الينا بالتأييد الصادق وباحساس المشاركة المصيرية وبكل جهد تصل اليه طاقتكم — ومنذ ذلك الوقت فان التأييد اليوجوسلافى العام لنضال الامة العربية لم تشبه شائبة تردد ولم يتعثر فى منزلق أية دعاوى مزيفة ، مما يحاول العدوان به تغطية موقفه أمام الرأى العام العالمى .

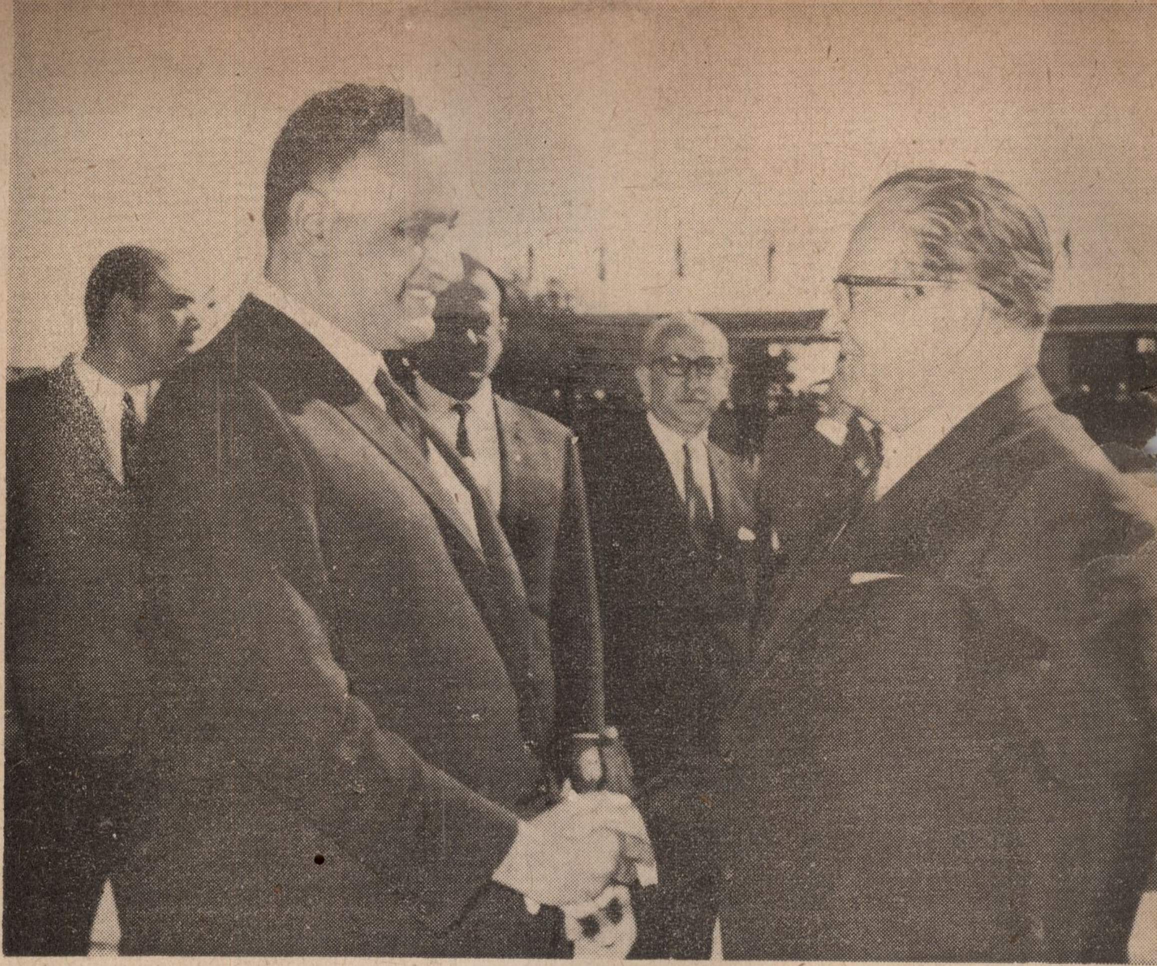

الرئيس جمال عبد الناصر يصافح الرئيس تيتو مودعا قبل أن يغادر مطار أسوان الى طرابلس فى ختام جولته الى الدول الافريقية

نحن نقبل التحدى وعلى استعداد لكل تكاليف النصر

والدليل المؤكد على ذلك أن الموقف اليوجوسلافى ، فضلا عن تصوره الصحيح للازمة كلها خطا خطوات نقدرها حق قدرها ، ومنها بالذات موقفان :

الاول : تأييد يوجوسلافيا لحق المقاومة الفلسطينية وشرعية عملها .

الثانى : ادراك يوجوسلافيا الواعى بأن صميم المسألة ليس هو الحديث عن حل سلمى ، ولكن صميم المسألة هو تحرير الارض سلما اذا كانت للسلم فرصة ، وبالحرب اذا لم يكن للحرب بديل لتحقيق هدف التحرير .

أيها الصديق العزيز ..

أنك خير من يعرف جوهر نضالنا وطبيعة هذا النضال ومقاصده ، أنك خير من يعرف كم بذل هذا الشعب المصرى من أجل السلام والحرية لجميع الشعوب وليس هناك أكثر من هذا المكان الذى نجتمع فيه وهو مدينة اسوان دليلا على ايمان هذا الشعب بالعمل من اجل السلام والحرية .

هنا فى بلد السد العالى الذى تم بناؤه أكبر معنى لمفهوم السلام والحرية فى تقديرنا ـ هنا حلم من أعظم أحلام السلام والحرية ، فى العالم النامى كله ، وهنا

العدوان علينا هو شهادة لقيمة عملنا ....

عمل من أضخم الاعمال تحقيقا لهذا الحلم - وهنا شواهد كفاح تحمل بأكبر المسئوليات وأخطر التضحيات لكى يصل وينجز ، وحتى تحت ظروف الحرب فانك ترى ان العمل البنـاء مستمر بأقصى طاقته ، ذلك بأن شعبنا يدرك بأصالة وبعد نظر ان العمل الايجابى هو الحقيقة الباقية ، وهو الاسهام الفعال فى دفع التطور ٠

لكنك تعلم كما نعلم أن ذلك بالذات هو ما يأخذه أعداء السلام والحرية على المناضلين من أجلها - انهم يحسبون عليهم نجاحهم فى العمل من أجلهـا - ويفعلون كل ما تقدر عليه وسائل الشر وأساليبه العرقلة والتعويق ٠

ومن هنا فاننا بصرف النظر عن أية حجه وتعلات نعتبر أن العدوان علينا هو شهادة لقيمة عملنا ، ولحجم ما أنجزنا ، وعلى هذا الاساس فنحن نقبل التحدى ، وعلى هذا الاساس فنحن نتحمل تبعة المقاومة ٠ وعلى هذا الاساس فنحن على استعداد لكل تكاليف النصر ، لا توقفنا دونه حملات حرب نفسية ، ولا تصرفنا عنه ضربات ارهاب جنونى ٠ كذلك الذى تعرض له مصنع مدنى قرب القاهرة ٠

ان هناك ايها الاخ العزيز امة عربية بأسرها تعرف حقوقها ، وتعرف قدراتها - وتعرف السبيل الى تحقيق ما هو ضرورى لقضايا السلام والحرية - ومن حسن الحظ أنك خلال هذه الرحلة الافريقية قادم من الخرطوم الثورة ٠ مارا بأسوان الثورة - ذاهبا الى طرابلس الثورة ، وبذلك انك تعبر طريقا طويلا على ارض الامة العربية يتيـح لك ان تلمس عن قـرب صلابة ايمانها وحسن استعدادها لمقابلة مسئولياتها

ايها الاخ العزيز

اننا ندرك ان قضية السلام والحرية لا تتجزأ ، ولا يمكن أن ينجح العمل من أجلها فى مكان بمعزل عن العمل من أجلها فى كل مكان ٠

ومن هنا فاننا نعتقد فى ضرورة العمل الجماعى على مستوى المجتمع الدولى ، وكان ذلك ايماننا فى كل الظروف ٠

ومن هذا المنطلق فان محادثاتنا الحالية كان لابد لها أن تتناول أمرين لهما كل الاهمية من وجهة نظرنا ،

أولهما : العمل بكل الوسائل على عقد المؤتمر الذى فكرنا فيه وأعددنا من أجله للدول غير المنحازة - ان ذلك المؤتمر له أهمية قصوى فى هذه الظروف التى عادت فيه سياسات القوة تمارس ضغطها بكل ما تملك من أدوات العنف ٠

وثانيهما : العمل بكل الوسائل لاعطاء فاعلية لقرارات الامم المتحدة ٠

اننا لا نتصور أن ما نراه الان أمام عيوننا من اهدار لقرارات الامم المتحدة ، ومن استهتار بها ، ومن استهانة تصل الى حد السخرية العلنية بقرارات تمثل ارادة المجتمع الدولى كله - على أننا ندرك فى هذا الصدد أمرين :

١ - ان تحدى اسرائيل لكل قرارات الامم المتحدة لم يكن ليحدث لولا مساندة الولايات المتحدة الامريكية المطلقة لاسرائيل سياسيا وعسكريا ٠

٢ - ان المسألة لا تهمنا وحدنا ، وانما المسألة مسألة القيم التى تسود المجتمع الدولى كله وبالدرجة الاولى ٠ تهم كل الشعوب المتطلعة الى عالم تحكمه مبادىء السلام والحرية ٠

ومن جانبنا أيها الصديق العزيز فاننا نعطى الاحترام الواجب كله لقرارات الامم المتحدة - باعتبارها تمثيلا لارادة المجتمع الدولى ٠

وفى أزمة الشرق الاوسط ، وكما تعلم فان لنا مطلبين لاثالث لهما وكلاهما متسق مع قرارات الامم المتحدة الممثلة لارادة المجتمع الدولى : الانسحاب الكامل من الاراضى العربية المحتلة ، حقوق الشعب الفلسطينى كاملة ٠

ايها الصديق العزيز والاخ الكريم

أهلا بك ومرحبا فى هذه الزيارة صديقا بين أصدقاء ٠ وأهلا بك ومرحبا رمزا للصداقة العربية اليوجوسلافية وأهلا ومرحبا بهذا الوفد الممتاز الذى صاحبك الى هنا - ثم أرجوكم أيها الاصدقاء والاخوة فى الوقوف معى تحية للاخ الرئيس جوزيب بروزتيتو وللسيدة الكريمة قرينته ، وللشعب اليـوجوسلافى وللصداقة العربية اليوجوسلافية ، ولجميع أنصار الكفاح من أجل السلام والحرية ٠

نحن نقدر تأييد يوجوسلافيا لحق المقاومة وادراكها الواعى بأن صميم المسألة هو تحرير الأرض ....

حديث عن حريق المسجد الاقصى

للسيد حسين الشافعى

قصدت اليه سعيا وراء الحلقة الرابعة من حديثه عن حريق المسجد الاقصى ، قبيل حلول عيد الاضحى ، وكان عائدا من زيارته لمصنع أبى زعبل بعد مواساته لاسر الشهداء ، وزيارته للجرحى ، عقب الغارة الاسرو أمريكية ٠٠ فبادرنى بقوله : **النار ماتزال مشتعلة ٠٠ ان لهيب حريق المسجد الاقصى توزعه طائرات الفانتوم الامريكية على العرب ٠٠**

وفى هذه الغارة تجاوز العدوان العسكريين الى المدنيين ٠٠ ولا تدرى أمريكا بمساعدتها للعدوان ، أنها تساعد فى مضاعفة ردود الفعل بكل مافيها من مرارة لا يحسمها الا الثأر ٠

قلت : هل يمكن أن تعتبر مشاركة أمريكا فى العدوان علينا بتقديم الطائرات والاسلحة لاسرائيل هى المقابل العادل لاستغلال البترول العربى والعمال العرب ؟

قال : بل هى طبيعة الشخصية التى تكونت بالتفرقة العنصرية ٠٠ هذه التفرقة التى وصلت الى أبادة الهنود الحمر حين بدأت أقدام المهاجرين المغامرين تطأ الارض الامريكية ٠٠ ان هذه الابادة ربما تكون قد أورثتهم نوعا من التفكير بدأنا ندركه نحن العرب ٠٠ فهم حينما يساندون أسرائيل فى العنف العدوانى ، قد يتصورون أنهم يستطيعون أن يصنعوا بالعرب ما صنعوا بالهنود الحمر ٠٠ ولكن السؤال هنا هو : هذا الاسلوب الذى نجح فى أمريكا . . هل يمكن ان ينجح مع العرب ؟

انهم ولا شك يجهلون أننا أمة ذات رسالة انسانية وهذا العنف العدوانى لا يبعث فينا الشعور بالخطر على حياتنا ، فما أرخصها فى سبيل العقيدة ولكنه الحرص على رسالتنا ٠٠ فهى وجودنا ٠٠ عندما يلتقى ويتجمع الشعور بالخطر ، ويتحرك الحرص على هذه الرسالة ، فلن تقف أمام العرب قوة ٠

قلت : ان هذه السياسة الامريكية لا تدرك هذا ولا تعقله .

قال : بل ان هذه التصرفات الهوجاء تزيدنى يقينا بأن أمريكا أيضا مسخرة لاحياء الامة العربية ودفعها الى مكانها الطبيعى والشرعى تحت الشمس ٠٠

« ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض » ٠٠

ان على كل عربى أن يدرك أن أسرائيل **بوجودها المصطنع** ، ماهى الا تسخير من الله عزوجل لوسائل أحياء هذه الامة ٠٠ **ويكفى أن تكون ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، رد الفعل الاول ، لهذا الوجود المصطنع ٠٠**

وقد اكرمنا الله بأن نعيش هذه المرحلة من ردود الفعل التى ستنتهى حتما بمولد أمة عظمى ، تحركها الشدائد ، وتصقلها المحن ، وتطهرها المعارك ، دفاعا عن رسالتها قبل حياتها ، فتقوم بعد ذلك قوية قادرة على ان تصل ماضيها بمستقبلها ، بارادتها الحرة ، وعقيدتها السمحة .. هذه العقيدة المؤمنة بأن « **القوة فى طلب الحق المشروع أمانة وطنية تتحملها الشعوب مهما كانت تكاليفها** »

قلت : ولكن المحير حقا هـو : هل أمريكا هى التى تستخدم أسرائيل للعدوان على العرب فى أرضهم وحريتهم ومقدساتهم ٠٠ أم أن الصهيونية هى التى أستطاعت أن تستدرج أمريكا ٠٠ بعد أن نضب معين بريطانيا ؟ ٠٠

اعداد
عبد العليم المهدى

قال : ان الصهيونية هى قمة الاستعمار دون جدال .. فقد أستطاعت هذه الحركة العنصرية المتعصبة منذ عصر النهضة والثورة الصناعية وقيام البنوك والنظم المصرفية ، استطاعت هذه الحركة الارهابية أن تجد فى تلك الفترة فرصة سانحة لكى تتحكم فى المقدرات الاقتصادية عن هذا الطريق ، تحكم اليهود فى دولتخلت عن مصانرها لتضعها فى أيدى الاحتكارات وسيطرة رأس المال .. ثم تجد هذه الدول نفسها آخر الامر بلا حول ولا قوة .. وليس لها من الامرشىء !. خلاصة القول **انالصهيونيه العالميه حيث توجد لابد أن تسير دفة الامور لصالحها ..** وتغيير هذا الوضع يحتاج الى ثورة كتلك التى حدثت فى مصر فى يوليو ١٩٥٢ ، لكى يحرر كل شعب ارادته ، ويحطم القيود التى يفرضها عليه تحكم رأس المال .. والا فمن فى المجتمع الامريكى الان يستطيع أن يجاهر بموقفه من هذه الاحتكارات وذلك الاستغلال وتلك التفرقه العنصرية ، ثم لا يقع تحت طائلة التشريد الذى يصل الى حد الجوع والموت احيانا ؟ ..

ونحن اذا نظرنا الى الاتحاد السوفييتى ، والى كل المجتمعات الاشتراكية ، لا نجد لليهود قوة ولا مكانه ولا سيطرة .. لماذا ؟ .. لانه لا مجال للاحتكار أو تحكم راس المال أو استغلال الانسان

قلت : أليست محنة كبرى لدولة عظمى أن تجد نفسها مسلوبة الارادة .. يتحكم فيها غيرها بهوية مزدوجة ؟ .

قال : ان شفاء هذه المحنة أمر يحتاج الى تغيير .. والامر الذى يعنينا نحن العرب هو أننا نخوض معركة دفاع عن النفس وعن الارض وعن رسالة أمتنا ومقدساتها .. والصهيونية تحاربنا لتثبيت ما أمكنها اغتصابه من أرضنا .. وسبيلنا فى معركتنا المصيرية هو سبيل أصحاب الرسالات .. انهم لا يتعجلون النتائج ، ولكن يؤدون واجبهم نحو انفسهم ، ونحو عقيدتهم ، ونحو حقهم فى الحياة .. ملتزمين فى ذلك بما امرهم به الله من صبر وصلاة .. صبر على الجهاد حتى النصر أو الاستشهاد .. وصلاة هى الصلة بالله .. نستمد منها الامل والرجاء .. بعد أن نعد لاعدائنا أقصى ما نستطيع من قوة .. والله كفيل بعد ذلك بالنصر على أنه الوعد الحق .. ونحن لا نتعجل وعد الله ، ولكننا على يقين راسخ بانه ات لا ريب فيه . **فانه سبحانه القادر على ان يأتى هؤلاء الاعداء من حيث لم يحتسبوا ..** ليس بالخوارق ولا بالمعجزات ، ولكنها ارادة من اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون .

هو القادر على أنيسخر الاصدقاء لمساندة العرب والوقوف الى جانبهم .. هو القادر على أن يسخر الاعداء ليدفعوا العرب الى اكتمال الشعور بالخطر ، والمبادرة الى استكمال النقص ، وبناء القوة من أجل الحق المشروع .

هو القادر على أن يكشف نفاق المنافقين الذين يتنافسون على ارضاء اسرائيل تحت الضغط الصهيونى ..

هو القادر على أن يحدث هذا الانشقاق بين أصدقاء الامس ، وحلفاء الاستعمار ، فاذا فريق منهم يساند الحق العربى ، ويجاهر بالوقوف بجانبه ..

هو القادر على أن يأتى أعداءنا من حيث لم يحتسبوا ..

وعند ذلك لن تنفع الصهيونية الهوية المزدوجة .. ولا الاحتكارات الضاغطة .. وسيتخلى عنهم من يقفون بجانبهم .. وسيتركون الصهيونية لمصيرها الذى تسعى اليه .

قلت : السنا اليوم أحوج مانكون الىخطة اعلامية تكشف حقائق الصهيونية وأعوانها وأهدافها الدموية بالنسبة الى كل شعب وكل انسان ؟ ..

قال : يكفينا مرحليا أن نلتزم بالبيان الذى افتتح به الرئيس القائد جمال عبد الناصر المؤتمر الدولى للبرلمانيين ، وقد عقد فى القاهرة يوم ٢ - ٢ - ١٩٧٠ ، فهو انصع الحقائق عن أبعاد المعركة .. أنه المنطق المجسم الذى يجب أن يفهمه العالم عن حقيقة معركتنا مع الصهيونية .. وما هو دور الحكومة الامريكية فى ضرب الامة العربية .

لقد أحكم الرئيس القائد التعبير عندما قال فى هذا البيان :

« ان الامة العربية تواجه أزمة لا نظن أمة غيرها تواجهها فى عصرنا الحديث .. هذا العصر الذى استطاع فيه الانسان ، بعد رحلة ساعات فى الفضاء ، أن يصل الى الوقوف على سطح القمر .. ومع ذلك بقى عاجزا - بعد رحلة ملايين السنين فى مراحل التطور البشرى - عن أنيصل الى تحقيق العدل على أرضه » .

والسؤال بعد هذا : كيف تواجه الامة العربية هذه الازمة ؟ ..

انها تنظر فى رسالتها ، فتجد الخطة المثلى للاعلام بحقيقة موقفنا .. هذه الخطة قد تحددت فى عناصر خمسة تتمثل فى هذه الحقائق :

١ - الوعد الحق بنصر المؤمنين .. وعلى هؤلاء الاعداء بالذات .. تأكيدا لما وقع فى صدر الرسالة :

« هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا . وقذف فى قلوبهم الرعب يخربون

بيوتهم بايديهم وأيدى المؤمنين فاعتبروا يا أولى الابصار » .. وأول الحشر كان فى المدينة ، وقد خرجوا منه بقوة الحق المشروع .. قوة المؤمنين الذين تحقق نصرهم بايمانهم .. فكان الله معهم يأتى أعداءهم من حيث لم يحتسبوا .. والتاريخ الان يعيد نفسه .

٢ – ان الذين يساندون الصهيونية يكرهونها فى أعماقهم .. وما هذه المساندة سوى ضرب من النفاق .. واية خطة اعلامية ينبغى تلتزم بابراز هذه الحقيقة :

« ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد أنهم لكاذبون . لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون » .

ولا شك عندى فى أن ذلك اليوم غير بعيد .. يوم تدرك أمريكا أن نفاقها للصهيونيه سوف يفقدها أغلى ما يمكن ان يحققه التقدم الحضارى وهو احترام ومحبة الشعوب .. أنها الان تزرع الشوك والحقد والكراهية لها فى كل أرجاء العالم .. بسبب ارتباطها بالعجلة الصهيونية .. وعند مواجهة النفس الامريكية بالحقيقة ، ستجد الصهيونية نفسها عارية وحيدة .. لن يخرج معها أحد ، ولن يقاتل معها أحد ، لان أعوانها سيجدونها تولى الادبار ، فكيف ينافقون الهاربين من الميدان .

٣ – « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » . دعوة الى التعبئة العربية العامة ، لمواجهة هؤلاء الاعداء ، تعبئة مادية على احدث الوسائل العلمية ، وتعبئة روحية يفتقر اليها اعداؤنا كل الفقر ، وبالقوتين معا يقذف الله الرعب فى قلوبهم ، فيزيدهم جبنا على الجبن الموروث .. لا يقاتلونكم جميعا الا فى قرى محصنة او من وراء جدر .. والحصون والجدران التى تحتمى فيها اسرائيل الان هى قوة امريكا التى تعتدى بها اسرائيل على العرب .

٤ – وقد لا تعلم امريكا واعوان اسرائيل من المنافقين اى مجتمع ممزق ملىء بالتناقضات يساندون : بأسهم بينهم شديد . تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى . لا قدرة لهم على مواجهة أمة قضى الله أن تكون أمة واحدة ولن تستطيع قوة فى الارض تفريق وحدتها .

٥ – ان هذه الامة الواحدة تعرف طريقها الى الدفاع عن وجودها والى حماية رسالتها .. وهى فى قلب المعركة تدرك أن العدو الذى يريد لها الموت ، مسخر لدفعها الى الحياة .. وتدرك الحكمة الالهية فى القتال على أنه ركن من أركان العقيدة « **كتب عليكم القتال** » ..

ان العرب اليوم قد اتضحت أمامهم الرؤية ، فأدركوا ان المعركة حتمية ، وانها معركة لابديل فيها عن النصر .. **لكنها تعتمد اولا وقبل كل شىء على العلم ، وعلى البناء الحقيقى فى مجال التقدم الاقتصادى والاجتماعى ، فليس اشق على اعدائنا من ان نبنى ونحن نحارب** .. لقد هوجمت مصر فى عام ١٩٥٦ لانها بدأت بناء الدولة النموذج .. وكانت حرب السويس كما ثبت بالحقائق التاريخية ، ثمرة مؤامرة صهيونية استعمارية ضد حركة التقدم العربية .. وكذلك كان عدوان ١٩٦٧ .. وان الامة العربيه اليوم مسئولة عن صنع التقدم فى بلادها . كل بلد عربى مسئول عن تحمل نصيبه من اعباء المعركة ، ولا يكون ثقلا على اكتاف المناضلين من أجل تحرير الارض وتحقيق النصر

الحرب عند الامه العربية اليوم هى رد الفعل الطبيعى ازاء هذا العنف الارهابى المدعم بقوى الاستعمار الاقتصادى .. ان كل فرد فى الامة العربية اليوم يوطد نفسه على أن الحق الاعزل مسلوب ، وان القوه فى سبيل الحق المشروع امانة واجبة الاداء .. مهما طال امد الحرب .. ومهما بلغت التكاليف .

قلت : انهم يشترطون للجلاء عن الاراضى العربية المفاوضات المباشرة مع العرب . فهل يمكن ان يحدث هذا ؟

قال : لقد أجابهم الرئيس القائد بقوله على مسمع من ممثلى برلمانات العالم : « **لم يحدث فى التاريخ ان تفاوض شعب فى ظل احتلال اراضيه** » .

قلت : ولكن اللص المسلح يريد عقدا مكتوبا مع صاحب البيت ليشاركه الحياة فيه .. اى منطق هذا ؟

قال : منطق توجيه الطائرات الامريكية الى ضرب مصنع مدنى ينتج للبناء بالقنابل المحرقة المدمرة .. وهذا التخريب دليل مادى آخر على انهم يحاربون التقدم العربى .. ثم يقولون ان ذلك حدث نتيجة خطأ فنى .

قلت : تماما كما حدث مع الفتى اورهان الذى كلفوه باشعال النار فى المسجد الاقصى .. ثم قالوا انه مصاب بخلل عقلى .. وحكموا عليه بأنه يستحق العلاج ولا يستحق العقاب !

قال : لن يخطىء العرب ولن يخطىء المسلمون ولن يخطىء العالم معرفة اليد التى أعطت اورهان الوقود والثقاب ..

للحديث بقية

ضيوف القاهرة

السيد عنايت الله ابلاغ

السيد محمد هاشم المجددى

اعداد : نرجس كامل
ليلى عبد الباقى

كان لقاء مجلة منبر الاسلام هذا الشهر مع ضيفين من ضيوف المجلس الاعلى للشئون الاسلامية هما السيد - محمد هاشم المجددى والسيد - عنايت الله ابلاغ عضوا مجلس النواب فى أفغانستان ومندوبا أفغانستان فى المؤتمر البرلمانى الدولى الذى عقد بالقاهرة فى ٢-٢-١٩٧٠ وقد ألقى سيادة الرئيس جمال عبد الناصر خطابا تاريخيا فى هذا المؤتمر أوضح فيه « ان الامة العربية تواجه أزمة لايظنننى أن أمة غيرها تواجهها فى العصر الحديث ، ولعل هذه الازمة نفسها أن تكون هى وبذاتها أزمة الضمير الانسانى فى هذا العصر الحديث - هذا العصر الذى استطاع فيه الانسان أن يصل برحلة ساعات فى الفضاء الى الوقوف على سطح القمر ، ومع ذلك بقى عجزه بعد رحلة ملايين السنين فى مراحل التطور البشرى أن يصل الى تحقيق العدل على أرضه » .

كما تضمن الخطاب بيان « أن الصديق الحق ليس هو الذى يزور صديقه أو يلازمه ويؤيده ظالما أو مظلوما ، وانما الصديق الحق هو الذى يعيش مع صديقه فى فكره وشواغله يبحث معه ويناقشه يخلص القول ويخلصه النصيحة مصداقا لقول النبى محمد - عليه الصلاة والسلام - صديقك من صدقك لا من صدقك .. »

وانطلاقا من هذه المعانى الانسانية الخالدة كان لقاء مجلة منبر الاسلام مع السيدين محمد هاشم المجددى وعنايت الله ابلاغ .

وبعد أن رحبت بهما المجلة فى القاهرة قلب الامة الاسلامية النابض ودار معهما الحديث التالى :

— ما هى انطباعات سيادتكم نحو الجمهورية العربيه المتحدة ؟

فأجاب السيد عانيت الله : انطباع اعزاز واكرام الاخ حينما يزور أخاه يشعر بالاعزاز والاكرام ولا يحس أبدا بانه غريب بعيد عن وطنه وأهله .

— ما هو شعور سيادتكم بالنسبة لفلسطين والقضيه العربيه والعدوان الاسرائيلى على الدول العربية ؟

وتفضل السيد محمد هاشم المجددى قائلا :

يحز فى النفس والظروف الحاضرة التى يعيش فيها اخواننا فى الجمهورية العربية المتحدة فى الجبهة ونشعر بها نحن فى أفغانستان بعيدين بأجسامنا ومعهم بقلوبنا وعواطفنا ونرجو من الله عز وجل النصر على الاعداء .

وقد حضرنا المؤتمر البرلمانى الدولى بخصوص قضية الشرق الاوسط أنا وزميلى الاستاذ عنايت الله ابلاغ مندوبى أفغانستان فى هذا المؤتمر الدولى وأفغانستان تعلم تمام العلم بكل ما يجرى فى هذه المنطقة ولاشك أن أفغانستان كانت دائما تحارب الاستعمار ولا ترضى بالاستعمار لاراضيها ولا لاراضى الدول العربية .

وأهم ما نسعى اليه هو ازالة آثار العدوان .

— ما هو أهم موضوع طرح فى المؤتمر البرلمانى وما هو رأى أفغانستان ؟

فأجاب السيد عنايت الله ابلاغ تحدثنا فى المؤتمر البرلمانى عن رأى أفغانستان فى الموضوعات التى اقترحت فى المؤتمر وكان أهم موضوع ادانة اسرائيل فى الاعتداء الذى قامت به على الدول العربية فى هذه المنطقة ورأى أفغانستان معروف فى أن القدس عربية اسلامية ولا يمكن لاى مسلم أن يفرط فى القبلة الاولى والحرم الثالث للمسلمين وهناك اعتراف بالكيان الفلسطينى وشرعية المقاومة الفلسطينية السياسية والمسلحة وأفغانستان تشعر بما يشعر به اى عربى فى هذه القضية لان الاسلام يوحد بين الشعب الافغانى والشعوب العربية كلها .

— هل هناك خطوات ترون عرضها لتاخذ طريقها الى التنفيذ من أجل تدعيم المنظمات الفلسطينية والفدائية ؟

قال سيادته

أفغانستان تؤيد هذه المنظمات وهى مع الدول العربية فى تقديم أى عون لهذه المنظمات ونرجو أن يتم الاتحاد بين هذه المنظمات كلها ويدوم هذا الاتحاد حتى تكون جبهة واحدة تحت قيادة موحدة ليسهل القيام بالاعمال الواجبة ولنصل الى الهدف المنشود .

— ما هى عادات المسلمين فى أفغانستان فى شهر رمضان والاعياد الاسلامية ؟

فأجاب السيد محمد هاشم المجددى :

عادات المسلمين فى العالم الاسلامى قريبة من بعضها ومتشابهة ولكن هناك عادة فى رمضان فى أفغانستان غير موجودة فى العالم وهو ختم القرآن الكريم فى صلاة التراويح فى مدة أسبوع أو عشرة أيام .

يؤم القارىء ويأتم به المصلون ويقرأ القارىء القرآن من أوله ويقسمه على سبع ليال او عشر ليال يقرأ كل القرآن فى التراويح .

وتهتم بهذا الموضوع رئاسة البلديات فى المحافظات والشعب الافغانى ولا توجد أكلات معينة لشهر رمضان .

— ماهى الاثار الاسلامية الموجودة فى أفغانستان ؟

فأجاب السيد عنايت الله : هناك آثار عديدة فى أفغانستان من عهد السلطان محمود الغزنوى فى غزنة وفى فندهار وتوجد الخرقة الشريفة للرسول صلى الله عليه وسلم وتوجد آثار كثيرة فى هرات من عهد الخوازمين ومن عهد السلاجقة ومن العهود الاخرى الاسلامية التى أسست فى أفغانستان وتوسعت الى الهند وايران .

وهناك آثار من العهد المغولى الاسلامى ويوجد فى هرات ضريح الامام عبد الله الانصارى الهروى وعبد الرحمن الجامى شارح الكافية فى علم النحو لابن الحاجب وهناك ضريح المفسر المشهور الامام فخر الدين الرازى وكثيرين غيرهم .

— ما مدى نشاط أجهزة الاعلام فى نشر الدعوة الاسلامية ؟

فقال السيد محمد هاشم : تقوم الاذاعة ووزارة الاعلام والندوات الشعبية فى جامعة كابل فى كلية الشريعة والمعاهد الدينية والمساجد تقوم بنشر الوعى الاسلامى بمختلف الوسائل .

— ما مدى النشاط الثقافى بين الجمهورية العربية المتحدة وأفغانستان ؟

فأجاب سيادته هناك اساتذة معارون من الجمهورية العربية المتحدة للتدريس فى جامعات كابل والمعاهد الدينية وأساتذة للتدريس فى مدرسة الزراعة الثانوية ويوجد طلبة فى أفغانستان من الجمهورية العربية المتحدة فى كابل كما يوجد أفغانيون فى جامعات الجمهورية العربية المتحدة .

يهمنا رأى سيادتكم فى نشر الدعوة الاسلامية ؟

فقال سيادته واجب على المسلمين نشر الدعوة الاسلامية فى العالم والدعوة للاسلام الصحيح الدين السمح الذى ارتضاه الله آخر دين للبشر وهذه مهمة كبيرة يجب أن يتعاون فيها المسلمون فى كل العالم ومع هذا أشعر بأن تعليم المسلمين أنفسهم التعليم الصحيح أهم شىء يجب أن نقوم به وخصوصا فى الشعوب التى كانت تحت الاستعمار .

ـ ما مدى نشاط المرأة فى افغانستان وتمسكها بالتقاليد الاسلامية ؟

ـ فقال السيد عنايت الله ابلاغ المرأة الافغانية امرأة مسلمة ومتمسكة بالتقاليد الاسلامية وتشعر بالعزة لانها مسلمة ومطبقة لتعاليم الدين الاسلامى تسعى وراء العلم لان العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة .

ـ هل توجد جمعيات نسائية فى أفغانستان وهل دخلت المرأة ميدان السياسة ؟

ـ فأجاب سيادته : توجد فى افغانستان جمعية نسائية هى الرائدة فى النهضة النسائية والجمعية تقوم بتربية الامهات وتوجيههن التوجيه العصرى و التوجيه الصحيح فى تربيتها لاولادها وهى قد انشأت مدارس للبنات وفصولا لمحو الامية للسيدات الكبار . وايضا فصولا أخرى لتعليم الاشغال اليدوية للتطريز وما شابه ذلك .

وقد دخلت المرأة فى أفغانستان فى ميدان السياسة والان منهن عضوتان فى مجلس الشيوخ .

.. هل هناك مجلات اسلامية ؟

ـ فأجاب السيد محمد هاشم المجددى توجد مجلات اسلامية كثيرة اهمها مجلة (بيام حق) أى (رسالة الحق) تصدرها وزارة الاعلام وهناك مجلة القضاء من قبل المحكمة العليا .

والمحاكم فى أفغانستان تطبق الشريعة الاسلامية ولذلك هذه المجلة تعتبر مجلة دينية .

وهناك مجلة أسبوعية اسمها (كهيج) أى (الفجر)

هذه مجلة أسبوعية لنشر الوعى الاسلامى لدى الشباب ومجلة ترد على الدعايات المضادة للاسلام .

وننتهز هذه الفرصة لنقدم شكرنا العميق للمجلس الاعلى للشئون الاسلامية برئاسة سيادة الاستاذ الاخ السيد محمد توفيق عويضه ونشكره على نشاطه الكبير النابع من اخلاصه واعتقاده السليم بالدين الاسلامى . ونرجو له ولزملائه التوفيق فى ميدان نشر الدعوة الاسلامية وتقوية الوعى الاسلامى عند المسلمين وقد زارنا فى أفغانستان فى العام الماضى ونحن لا نكتفى بزيارة واحدة فان الزيارات تكثر العلائق والمحبة وتدعم الاخوة والاستشارات تؤدى الى اتباع الطرق السليمة فى أداء العمل الواجب على المسلمين ونشكره على ما أحاطنا به من رعاية وحفاوة أثناء اقامتنا فى الجمهورية العربية المتحدة .

وننتهز هذه الفرصة الطيبة لنقدم تحيات وأخوة الشعب الافغانى للشعب العربى وخصوصا شعب الجمهورية العربية المتحدة ونرجو أن نسمع قريبا عن النصر على الاعداء .

التشريع

الفقه

الأبحاث

الدراسات الصوفية

في

الإسلام

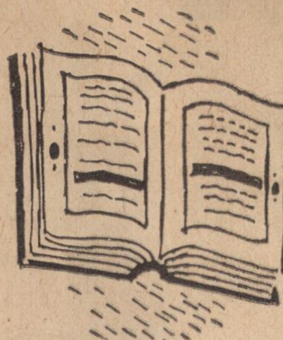

تقرير لجنة الخبراء بالمجلس الاعلى للشئون الاسلامية ردا على ماجاء برسالة الاستاذ الفاضل ـ قاسم بن جمعة بن خميس ـ دار السلام عاصمة تانزانيا ـ عن استيضاح رأى الدين فى التطورات العلمية الحديثة وخاصة هبوط الانسان على سطح القمر ..

وفيما يلى نص التقرير

إشارات علمية فى القرآن

فى القرآن آيات كثيرة جدا تحث على العلم والتأمل والتدبر فى النفس وفى خارجها من كل ما خلق الله حولها من قريب ومن بعيد ، ويتبين ذلك فى هذه الامثلة من الايات :

« وفى أنفسكم أفلا تبصرون » ـ الذاريات

« فلينظر الانسان مم خلق » ـ الطارق

« فلينظر الانسان الى طعامه » ـ عبس

« قل سيروا فى الارض فانظروا كيف بدأ الخلق » ـ العنكبوت

« أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج » (ق)

وهذه الايات أمثلة قليلة من فيض من الايات تحث على العلم والنظر وردت فى القرآن فى أساليب مختلفة من القول **على العبارة العربية** فى التنويع وفى موضوعات شتى تكاد تكون كلها موجهة الى العظة والاعتبار والاقرار بوحدانية العليم القدير .

ولم يترك القرآن أدوات النظر والعلم فذكر السمع والبصر والفؤاد وذكر القلم والمداد والسطور والحساب وذلك فى مثل قوله تعالى :

« قل انظروا ماذا فى السموات والارض » ـ يونس

« هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » ـ الزمر

« ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » ـ الاسراء

« الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم » ـ العلق

« قل لو كان البحر مدادا لكمات ربى » ـ الكهف

« ن والقلم وما يسطرون » القلم

« ولتعلموا عدد السنين والحساب » ـ الاسراء

وفى كل ذلك حرص القرآن على أن يلقى على العقل والبحث كل عبء ومسئولية اذ العقل مدار التكليف وبه يتوصل الى الدليل والبرهان المؤديين الى معرفة الحقائق والاسرار ، بل ان القرآن ليسخر من الذين يعطلون هبة العقل والنظر فلا يبصرون ما وراء المرئيات من أدلة على قدرة الله فيقول « **لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون** « الاعراف » .

ولعله فى قصة ابراهيم عليه السلام فى القرآن والبحث عن الاله الحق حين لاح له النجم والقمر والشمس ثم أفلت والجدل البرهانى الذى جاءت به الايات فى هذه القصة فى سورة الانعام لعل فيها ما يدل على وجوب الاحتكام للعقل والنظر والقاء الامر عليهما .

ومن أجل ذلك ذهب فلاسفة المسلمين وكثير من أئمتهم الى أن يوكل الى العقل تفهم الشرع والاستدلال له وتاويل المشكل حتى يصير الى المحكم ، ومن هؤلاء ابن رشد قديما ومحمد عبده حديثا ، وما كان ذلك منهم الا اتباعا لما حض عليه القرآن ومدارس الحديث .

وبالتجريب الذى دلت عليه كلمة السير فى القرآن وبالتفكير والحساب الذى دلت عليهما كلمة النظر فيه جمع القرآن ناحيتى العلم التجريبى و البحث للوصول الى حقائق النفس وما يحيط بها من قريب ومن بعيد حتى أقصى السموات متى أمكنت الانسان ظروف الوصول ٠

والى كل علم من العلوم النافعة دعا القرآن وحث المسلمين بل كل الناس عليها ثم أشار الى امكان أن يحدث فى الازمنة الاتية ما لم يكن حادثا فى الازمنة السابقة وكان اكتفاؤه بالاشارة ، لان العقول والعصور التى لم تظهر فيها هذه الكشوف التى أشار اليها القرآن لم تكن تحتمل حقيقة الصدق فيها ٠

وفى مثل سورة النمل كثير من هذه الاشارات ففى قصة بلقيس اشارات الى نقل الصور والاجسام عبر الهواء فى سرعة خارقة ، وقد جاءت هذه الاشارات فى سياق أخبار عن ماض وقع وظلت الغرابة فيه تملا النفوس فلما حدث اليوم فيما نرى فى الراديو والتليفزيون والطيران وانتقال الصوت لم يعد غريبا وصدقت فى ذلك اشارات القرآن ٠

ـ ٠٠٠ فاذا انتقلنا الى العلوم الطبيعية والتطبيقية وارتياد العلماء للفضاء والسفر الى سطح القمر ثم محاولة السفر الى كواكب أخرى فهل فى القرآن ما يوصى بذلك أو ما يدل عليه ٠

والجواب ٠٠ نعم ، ففى القرآن ما يدل وما يوصى به ٠٠ وآية الرحمن التى اتخذها بعض المفسرين دليلا على حجز الانسان والجن قاطبة عن التنقل فيما بين اقطار السموات والارض هى نفسها التى نتخذها دليلا على قدرة الانسان على هذا التنقل ٠

ولئلا نكون قد اخترعنا القول فاننا نعتمد على أقوال بعض المفسرين بل على ابن عباس ترجمان القرآن، فقد فسر النفوذ والسلطان فى الآية بالعلم والبينة وكأنما رأى الاية تحض على السعى للحصول على العلم بما فى السموات والارض متى أمكن ٠

فابن عباس يفسر قوله تعالى .. « **يامعشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان** » بقوله.. ان استطعتم أن تعلموا بما فى السموات وما فى الارض فاعلموه ولن تعلموه الا ببينة من الله تعالى رواه القرطبى بهذا اللفظ لاغيره ٠

فمن الممكن اعتبار هذه البادرة المضيئة من ابن عباس دون نظر الى ما أضافه بعض المفسرين الى قول ابن عباس فى روايات أخرى مما يفسده ، اذ نسبوا اليه أنه قال بعد هذا القول (ولن يعلموا) ٠

ويبقى بعد ذلك اتساق معنى هذه الاية مع الاية التى تليها وهى قوله تعالى : « **يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران** » ومن الممكن فهمها بأنه ما لم يتخذ الجن والانس البينة والقوة العلمية القاهرة التى توصلهما الى التنقل بين اقطار السموات والارض والعلم بما فيهما فانهما لن يصلا بل تتولاهما أشوظة النار والنحاس التى كشف العلم عن كنه بعضها بأنه الاشعة **الكونية والشهب والحواجز والاحزمة فلا يصلان ، أما اذا توقياها بسلطان العلم فانهما يصلان الى ما رآه ابن عباس فى تفسير الاية ٠**

وذلك مانراه اليوم حادثا فانه ما لم يتدرع المسافر فى سفينة الفضاء بكل الدروع الواقية التى ابتدعها العلم والحساب فان الموت ملاقيه لا محالة ، وليس ذلك بالنسبة لهذا الانسان الظاهر لنا هو وعلمه ولكن أيضا لذلك المخلوق المستتر عنا هو وعلمه أيضا ٠

والتعجيز فى الآيات مع ذلك يظل قائما بغير العلم الدقيق والطاقات الهائلة التى استخدمتها العقول البشرية والعقول الصناعية والوقود والتمرن والفطنة والاموال فان الانسان لا يستطيع اتقاء ما يدهمه لو جاوز طبقة الهواء الدنيا الصالحة للحياة بل لم يكن قادرا على أن يخطو فى ذلك أقل الخطوات ٠

وكما تنصرف الايات الى التعجيز لغير العلماء تنصرف الى تعجيز العلماء والبشر والجن عن الانطلاق من حدود ملك الله وتجاوز أقطار السموات والارض جملة لانه لا ملك غير ملك الله وفى ذلك أيضا ما يقضى على الغرور الذى قد يستشعره العلماء فيدفعهم الى الكفر والضلالة ويهوى بهم الى الهلاك والدمار ٠

ومما سبق يتبين لنا أنه من غير المستطاع كشف اشارات القرآن العلمية الا بعد أن يقع ما تشير اليه هذه الاشارات ويكشف أمام الابحاث والانظار

واننـــا لعلى يقيـن من ان القرآن لم يتكلم علما عن النـاس لا هـو ولا الرســول المبلغ الكريم وانما جعله القرآن اشارات الى ما تكلفت العقول والجهود والايام أن تفصلها حين يشاء الله ليكون ما تصل اليه من الحقائق والاسرار تصديقا لله ورسوله ولكلم الله وهدى نبيه ٠

رأى العلم .. فى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

الأستاذ أحمد حسين

● ما من باحث يتعرض لسيرة سيدنا محمد ، من غير المسلمين قبل المسلمين ، سواء كان هذا الباحث مؤرخا ، او رجل دين او اجتماع ، الا يروعه ويذهله عظم الاثر الذى أحدثه فى التاريخ ومازال الذين اقر لهم العالم بالاستاذية من غير المسلمين ، واخترنا لك ما تقوله دائرة المعارف البريطانية باعتبارها من أهم المصادر العلمية المعترف بها فى العصر الحديث ، حيث يتلقى ما تقوله بالتجلة والاحترام لانه خلاصة قول العلماء المتخصصين .

دائرة المعارف البريطانية

تقول دائرة المعارف تحت مادة محمد :

« محمد بن عبد الله مؤسس الدين الاسلامى ـ ولد فى مكة عام ٥٧٠ ميلادية ومات عام ٦٣٢

وقليلون هم الرجال الذين أحدثوا فى البشرية الاثر العميق الدائم الذى أحدثه محمد . لقد أحدث أثرا دينيا عميقا لايزال منذ دعا اليه حتى الان هو الايمان الحق والشريعة المتبعة لاكثر من سبع سكان العالم

على أن أثره التاريخى يبدو بالاكثر عندما نذكر أنه فى أقل من عشرين سنة منذ بدأ دعوته قوض دعائم امبراطوريتين عقيدتين وهما الامبراطورية البيزنطية والامبراطورية الفارسية ، مؤسسا على أنقاضهما حضارة جديدة .

ولقد أرسى مذ جاء بدعوته التى هى عقيدة وشريعة قواعد بناء المجتمع الاجتماعية والسياسية ، وقد أعقب موته ، أن سجل خلفاؤه الاحاديث التى رويت عنه ، وأدق التصرفات والافعال التى قام بها ، فاتخذ المؤمنون من هذه الاحاديث نبراسا ومثلا أعلى يحتذونه فى حياتهم اليومية جيلا بعد جيل »

هـ . ج . ويلز

أما المؤرخ والفيلسوف الانجليزى العظيم هـ . ج . ويلز ، فيقول فى كتابه « مختصر تاريخ الانسانية » .

كان يمكن لاى متنبىء تاريخى يستعرض حياة البشر فى مستهل القرن السابع الميلادى ، أن يتوقع بحق أنه لن تمضى بضعة قرون حتى تقع كل أوربا وآسيا تحت سيادة المغول والتتار ، فلم يكن فى أوربا الغربية أى اشارة تدل على امكان قيام النظام فضلا عن الوحدة والامبراطوريتان البيزنطية والفارسية كانتا فى طريقهما نحو الانحلال والدمار (١)

ولكن هذا المتنبىء كان سيخطىء فى تقديره ، فقد اشتعلت دنيا الصحراء والبدو بمائةعام من المجد عندما بسط العرب سلطانهم ومواد حكمهم ولغتهم من اسبانيا الى حدود الصين ، مقدمين للعالم ثقافة جديدة ، ومنشئين دينا لايزال حتى اليوم احد القوى الحيوية فى العالم .

وكان محمد بن عبد الله هو الذى أشعل الجزيرة العربية ودفعها لتحقيق ذلك كله والذى ظل حتى سن الاربعين لا يميز نفسه بشىء غير عادى عن بقية معاصرية » ·

ول دورانت

ويقول ول دورانت العالم الامريكى مؤلف موسوعة تاريخ الحضارة الانسانية :

توفى جوستنيان فى عام ٥٦٥م وهو سيد امبراطورية عظيمة ، وبعد خمس سنين من وفاته ولد محمد فى أسرة فقيرة ، فى اقليم ثلاثة أرباعه صحراء مجدبة قليلة السكان ، أهله من قبائل البدو الرحل، اذا جمعت ثروتهم كلها ، فانها لا تكاد تكفى لانشاء كنيسة أيا صوفيا ، ولم يكن أحد فى ذلك الوقت يحلم أنه لن يمضى قرن من الزمان حتى يكون أولئك البدو قد فتحوا نصف أملاك الدولة البيزنطية فى آسيا وجميع بلاد الفرس ومصر ومعظم شمال افريقيا ، وساروا فى طريقهم الى أسبانيا ·

والحق أن هذا الحادث الجلل الذى تمخضت عنه جزيرة العرب ، والذى أعقبه استيلاؤها على نصف عالم البحر الابيض المتوسط ونشر دينها الجديد فى ربوعه ، لهو أعجب الظواهر الاجتماعية فى العصور الوسطى ·

وبعد أن يستعرض ول دورانت تاريخ سيدنا محمد يقول :

« واذا حكمنا على العظمة بما كان للعظيم من أثر فى الناس ، قلنا ان محمدا من أعظم عظماء التاريخ فقد أخذ على نفسه أن يرفع المستوى الروحى والاخلاقى لشعب القت به فى دياجير الهمجية وحرارة الجو وجدب الصحراء ، وقد نجح فى تحقيق هذا الغرض نجاحا لم يدانه فيه أى مصلح آخر فى التاريخ كله ، وقل أن نجد انسانا غيره حقق كل ما كان يحلم به واستطاع فى جيل واحد أن ينشىء دولة عظيمة وأن يبقى الى يومنا هذا قوة ذات خطر عظيم فى نصف العالم ·

ارنولد توينبى

أما أرنولد توينبى امام مؤرخى العالم فى العصر الحديث ، والذى درس الاسلام وحضارته فى موسوعته التاريخية ، وافرد للاسلام — كعقيدة دينية — مكانا بارزا فى كتابه « مدخل تاريخى للدين فهو يشهد أن الاسلام :

اكثر العقائد الدينية اتفاقا مع المنطق وأشدها صرامة فى الايمان بمبدأ الوحدانية الجليل وأعظمها وضوحا فى ادراك الاستشراق الالهى وتسامى الذات الالهية ·

أعظم عظماء التاريخ

وحسبنا هذا القدر الذى اقتبسناه من أقوال علماء التاريخ والمفكرين ، لنرى كيف أن سيدنا محمدا عند البعض لا مثيل له الاعدد قليل من الرجال عبر التاريخ كله (دائرة المعارف البريطانية) والمفاجأة التى أذهلت التاريخ (هـ · ج ويلز) وأعظم عظماء التاريخ (ول دورانت) وهو عبقرية سياسية فوق كونه صاحب رسالة دينية عظمى (توينبى) وأخيرا وليس آخرا ، هو فيلسوف وخطيب ومشرع وهادى الانسان الى العقل ، ورسول وقد أدرك من العظمة الانسانية وبلغ من مراتب الكمال مالم يبلغه انسان آخر على ما يقول لامارتين ·

وليس هذا الذى اقتبسناه الا عينة وعلى سبيل المثال ، مما أصبح الباحثون من غير المسلمين يرددونه فى هذه الاونة الاخيرة ، من حيث عظم تأثير سيدنا محمد على البشرية مذ ولد حتى اليوم ، مما يؤكد فى نهاية أى تحليل علمى أنه ينطوى على سر يستعصى على التحليل العلمى ·

ول دورانت والقرآن

يقول ول دورانت فى كتابة قصة الحضارة ليصف القرآن لبنى الانسان :

« ولغة القرآن هى اللغة العربية الفصحى الخالصة ، وهو يتميز بالتشبيهات والاستعارات القوية الواضحة والعبارات الخلابة (١) ، وهو باجمـــاع خير كتاب وأول كتاب فى الادب النثرى العربى ·

ويقول السير وليم موير المستشرق الانجليزى :

والارجح أن العالم كله ليس فيه كتاب غير القرآن ظل اثنى عشر قرنا كاملة بنصه هذا مبلغ صفائه ودقته ·

فالقرآن فى قول غير المسلمين ، هو أول كتاب وخير كتاب فى اللغة العربية باجماع الاراء ·

ولا يوجد فى العالم كله كتاب آخر غير القرآن ظل بنصه هذا مبلغ صفائه ودقته .

والذين يقولون بهذا القول ليسوا مسلمين، ولا هم يؤمنون برسالة سيدنا محمد ، ولكن البحث العلمى البحت قد اضطرهم للاعتراف بهذه الحقائق ، ولنذكر لك بعض الوقائع التى تؤدى الى هذه النتائج ، بل الى ما هو أبعد منها ، وهو أنه وحى من رب العالمين ·

تحدى القرآن للعرب وعجزهم عن محاكاته

أول ما يطالعنا من دراسة القرآن هو تحديه للعرب ، عندما أنكروا أن يكون وحيا من رب العالمين

وأنه من تأليف سيدنا محمد ، فتحداهم القرآن بأن يؤلفوا كتابا مثله ٠

ثم قطع وجرم ان ذلك مستحيل ولو اتحدت قوى الانس والجن :

ـ قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا (الاسراء ٨٨)

وعلى الرغم من أن العرب كانوا شديدى اللهفة والرغبه فى ان يكذبوا سيدنامحمدا ، وان يسفهوه ، ويثبتو بطلان دعوته ، وعلى الرغم من انهم لم يدعوا وسيله مشروعة او غير مشروعه، لمحاربته والقضاء عليه ، وعلى الرغم من أنهم كانوا اهل فصاحه وبيان وصل الى ذروته فى هذه الفترة التى نزل فيها القرآن ، حيث حفظ لنا التاريخ من اشعارهم ما تحقق له الخلود ٠ ومع ذلك فان تحدى القرآن ظل قائما بغير استجابه ، وسط اقوام اشتهروا فى أحوالهم العاديه ، بأن الشاعر العربى لا يكاد يفرغ من القاء قصيدته حتى ينهض شاعر آخر ، معارضــا اياه بقصيدة مماثله ، ولا يكاد الخطيب يفرغ من خطبته ، حتى يناهضه خطيب بخطبة معارضة وهكذا ٠

فما أعجب ، أن يتحداهم القرآن ، فتنعقد السنتهم ، وتجمد قرائحهم وتحصر عقولهم ، ويعلنوا عجزهم ، ويقروا به ويتواصوا فيما بينهم ، ان يضعوا أصابعهم فى اذانهم حتي لا يستمعوا اليه ، وان يشوشروا عليه ليحولوا بين الاخرين والاستماع اليه حتى لا يفتنوا بما فيه من سحر وبلاغة ، وقد سجل عليهم القرآن هذا الموقف :

ـ وقال الذين كفروا لاتسمعوا لهـذا القرآن والغوا فيه (فصلت)

التحدى بعشر سور

ومضى القرآن فى تحدى سامعيه ومنكريه مـن العرب ، فاذا كانوا لا يستطيعون أن يأتوا بمثل القرآن فى مجموعه، فليأتوا بعشر سور من مثل سوره التى يدعون انها من تاليف سيدنا محمد

ـ أم يقولون افتراه ، قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات ، وادعوا من استطعتم من دون الله أن كنتم صادقين (هود ١٢)

وازداد العرب الفصحاء البلغاء بكل خطبائهم وشعرائهم وحكمائهم عجزا وقصورا ، ونكولا عن مواجهة التحدى ٠

سورة واحدة

ومضى القرآن فى تحدية خطوة أبعد من كل ما يتصور الانسان ، فقد طالب مستمعيه ومنكريه ، أن يأتوا بسورة واحدة من سوره :

ـ وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ، وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين ، فان لم تفعلوا ولن تفعلوا ، فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين (البقرة ٢٣ـ٢٤)

ولن نستطيع أن ندرك مدى هذا التحدى وأبعاده الا اذا استحضرنا الحقائق التالية :

ـ ان هذا التحدى ورد فى سورة البقرة أى بعد هجرة النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة ، أى بعد انقضاء اكثر من ثلاثة عشر عاما على بدء الدعوة وهو عمر طويل ٠

ـ ان التحدى اصبح بسورة من سور القرآن والتى لا تزيد آيات بعضها عن أربع ، ولا تزيد كلماتها عن بضع وثلاثين كلمة ٠

ومع ذلك فقد عجز العـرب واليهود الناطقون بالعربيه من سكان المدينة على الاتيان ببضع كلمات وآيات من نوع القرآن ، فدل ذلك على وجه القطع واليقين ، أن القرآن لم يكن مجرد كلام من صنع انسان والا لقلده انسان آخر وانما كان روحا من الله ووحيا من رب العالمين ٠

الصرفة

ولقد حيرت هذه الظاهرة بعض المسلمين ممن بحثوا فى سر اعجاز القرآن ، فلم يستطيعوا ان يتصوروا عجز العرب بالفعل عن تقليد بعض آيات القرآن ، وانما الذى أعجزهم هو الله عز وجل فصرفهم عن المحاولة ، ومن هنا قالوا بما اسموه « الصرفة » كسبب لعدم محاولة تقليد القرآن. ونحن فى هـذا الاسـتعراض لاسرار القـرآن ، مـن ان له شـأنا يختلف عـن شـأن أى كتـاب عـرفه البشر ، فقـد نزل بلغـة قـوم اشتهروا بالفصاحة ، فلما أنكروه تحداهم أن ينسجوا على منواله ، فعجزوا واقروا بعجزهم . وتلك خصوصية ينفرد بها القرآن من بين سائر كتب العالم ، فما من كتاب الا وله مقلدون ومنافسون ،حتى ولو لم يتحد ماعدا القرآن الكريم ، وتلك هـى خصوصيته الاولى ٠

حفظه عن الضياع وسلامة نصوصه من التحريف

أما ثانى خصوصيات هذا الكتاب الكريم ، فهو حفظه من الضياع وسلامة نصوصه من التحريف ، وأنه لا يوجـد كتـاب على ظهـر الارض الا ويظهر الخلاف بين نسخه المختـلفة بالزيادة فى بعضها والحذف فى البعض الاخر عـلاوة على التحريف والتصحيف .

والقـرآن الكريم الموجـود بين ايدينـا ، فهو باللغه العربية التى بها نزل ولم يكن للمسلمين فى أى زمان ومكان نص غيره ، بالزيادة أو الحذف ، ومهما طوف الانسان فى العالم الاسلامى فى قارات الدنيا الست ، فلن يجد الا نصا واحدا هو هـذا النص الموجود فى آيدينا ، ولو رجع الانسان الى الوراء طوال الاربعة عشر قرنا التى مرت مذ كان القرآن ، فلن يجد الا هذا النص ٠

ولم يحظ كتاب فى تاريخ البشرية بمثل ما حظى به القرآن من علماء المسلمين ، وما بذلوه ويبذلونه لصيانته ، حيث اقاموا شتى العلوم لحفظ القرآن ، وكيفيـة كتابتـه ، وكيفيـة قـراءته ، وكيفيـة حفظـه فضـلا عن تفسـيره ، واعرابه ٠ بحيث أصبحت سور القرآن ، وعدد آياته بل وعدد كلماته وحروفه محفوظة ومقدسة ٠

وذلك مصداق قول الله فى القرآن الكريم :

ــ انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون (الحجر

فهذه المحافظة على القرآن على خلاف كل ما عرفت البشرية من كتب ، هى خاصية ينفرد بها القرآن الى جوار سائر خصوصياته الاخرى ٠

ثبات معانى القرآن على مر الزمن

واذا كانت نصوص القرآن المادية قد ثبتت على الزمن وسلمت من التبديل والتغيير والتحريف والتصحيف التى تقع فى سائر الكتب ، فان معانيه ومراميه ومبادئه ، لم تكن أقل ثباتا على الزمن ، من نظمه ومبانيه ، وهى خاصية جديدة ينفرد بها القرآن الكريم وآية من آيات اعجازه ، فما من كتاب فى أى موضوع من الموضوعات الا ويفقد جدته وأثره على مر الزمن ، وتبلى معانيه مع تطاول العهد ، فالمعارف البشرية فى تطور واتساع مستمرين ، وكل مرحلة جديدة من مراحل التطور تاتى معها بحشد من التصورات والمفاهيم والحقائق العلمية ، ما يعفى على أى كتب قديمة وقد شهد العالم فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، انقلابا كأعظم ما طرأ على البشر من انقلابات ٠ بحيث أصبحت بعض الكتب التى عاشت عليها الانسانية لعدة قرون باعتبارها محور حقائق الكون ، بعض آثار الماضى ولغوه وأوهامه ٠ وفى منتصف القرن العشرين عندما حدث انقسام الذرة ، فقد عفى ذلك على كل ما كتب قبل هذا الحادث ٠

وغدا عندما ينفتح أمام البشر عالم الفضاء على مصراعيه ، فسيكون ذلك بدء انقلاب جديد ، يسقط مئات الالوف من الكتب التى أخرجت هذه الحقيقة من حسابها ٠

وتتجلى أمام هذه الظاهرة احدى معجزات القرآن ، من قدرة نصوصه على الاتساع لقبول أى معنى جديد واستيعابه ٠

وسائل المواصلات

واليك بيان ذلك ، فالقرآن على سبيل المثال قد عدد فى احدى الايات بعض وسائل المواصلات التى كانت معروفة ومشهورة فى وقت نزوله وهى الخيل والبغال لكان ذلك الان يبدو بعيدا عن وسائل العصر للمواصلات ، ولكن صياغة الاية الكريمة جعلتها تتسع لقبول كل وسائل المواصلات ، ما عرف العرب وما عرفنا نحن ومالم نعرف حتى الان فهى تقول لنا :

ــ والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالا تعلمون (النحل ٨)

فهذا الجزء فى آخر الاية «ويخلق ما لا تعلمون» قد زود الاية بالمدى الفسيح اللانهائى الذى يتسع لكل ما يكشف عنه الزمان ٠

ما تبصرون ومالا تبصرون

واليك نموذجا آخر من آية أخرى « فلا أقسم بما تبصرون ومالاتبصرون » فـكان القدامى يفسرون عبارة « ومالا تبصرون » بالجن والاشباح والملائكة ٠ والعلم يثبت فى كل يوم أن هذا الكون ينطوى على كائنات وعوالم ، كلما يتصور الانسان أنه كشف عنها ، ظهرت له عوالم لم يكتشفها بعد ، ولم يتوصل الى رؤيتها ٠

فقد عاش الانسان طويلا وهو لا يرى الميكروبات التى تسبب له الامراض ، حتى اذا قدر له أن يكتشفها ويراها ، ظهر له عالم آخر أشدفتكا منالميكروب لم يتوصل لرؤيته ، وأن كان يشهد آثاره ، وهو عالم الفيروسات ، ولو قدر له أن يرى الفيروسات بمجاهره ، فسيكشف وجود عالم دون الفيروسات وهكذا ٠ وهم يتحدثون الان عن عالم الارواح التى تعيش بين ظهرانينا ولا نراها ، ويتحدثون عن كائنات من الكواكب الاخرى تهبط الى أرضنا ولا نراها ، والمهم فى كل ذلك أنه مهما تعددت معارف الانسان ، وكشوفه ومباحثه ، فان هذه الاية الكريمة تظل تحكم ما يراه ومالا يراه الى ابد الابدين :

ــ فلا أقسم بما تبصرون ومالا تبصرون ٠

اليوم عند الله

ولست احسب ان هناك ما يوضح ما اعنيه من اتساع معانى القرآن الى آفاق بعيدة متغيرة ، من أن نقارن بين موضـوع واحـد تحـدث عنه العهـد القديم (التوراة قديما) وتحدث عنه القرآن ، وهو خلق الدنيا فى ستة أيام ، فان المطالع للعهد القديم لا يصبح لديه مجال للشك فى أن اليوم المقصود هو هذا اليوم الذى قسمناه الى أربع وعشرين ساعة ، ونهار ومساء ٠

« وسمى الله النور نهارا والظلام سماه ليلا وكان مساء وكان صباح يوم واحد ٠ وسمى الله الجلد سماء وكان مساء وكان صباح يوم ثان (سفر التكوين الفصل الاول) وعلى هذا النمط تمضى عبارات الفصل

الاول أو الاصحاح الاول من سفر التكوين تتحدث عن الايام الستة التى خلق الله فيها السموات والارض والانسان والحيوان ، ثم مضت بعد ذلك تفصل عدد السنين التى عاشها آدم وأبناؤه من بعده ، وتواصل سلسلة النسب من آدم حتى ابراهيم واولاده ، وعلى هذا الاساس وعلى حساب التوراة فقد قدر العلماء والمؤرخون المسيحيون الاوربيون عمر الارض مذ كانت حتى ميلاد المسيح ٤٠٠٤ سنة ق . م . وجرى الخلاف بين المؤرخين والعلماء حول الفصل الذى تم فيه خلق الدنيا من هذه السنة المعينة ، أكان فصل الربيع ام الخريف .

ومن هنا بدا الاصطدام بين رجال الكنيسة وبين علماء الاثار المصريين عندما تحدثوا عن تاريخ لمصر يسبق هذا القدر الذى حدد لبدء العالم ، ولولا أن سلطان الكنيسة كان قد ضعف لحرق علماء الاثار الذين قالوا بهذا القول . وكانت كائنة علم الجيولوجيا أو هى وآمر ، فقد بدأ هؤلاء العلماء يتحدثون عن خلق الارض على سبيل التطور لا دفعة واحدة ، وراحوا يتحدثون عن أنقضاء ملايين السنين قبل الانتقال من مرحلة من مراحل التطور الى أخرى ·

وكان لابد أن تنهار التوراة ، أمام هذه الكشوف العلمية ، أو أن تبحث لها عن تفسيرات وتعليلات جديدة ، ولكن هذه التفسيرات والتعديلات هدمت العهد القديم من اساسه فى نظر اى عالم من العلماء وليس كذلك القرآن

أما القرآن ، فهو اذا كان قد حدثنا عن خلق الدنيا فى ستة أيام ، فهو يفهمنا أن اليوم عند الله هو غير هذه الايام التى نعرفها ، فيقول لنا « وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون (الحج ٤٧)

ويقول لنا : تعرج الملائكة والروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة (المعارج ٤)

بل ان عمر الحياة الانسانية كلها على ظهر الكوكب الارضى لا يكاد يصل الى يوم أو بعض يوم · فالله سبحانه وتعالى يسأل البشر يوم القيامة :

— قال كم لبثتم فى الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين »

قال أن لبثتم الا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون (المؤمنون ١١٣ ــ ١١٤)

وعلى هذا الاساس فمقدار هذه الستة أيام التى خلق الله فيها الكون زمن لا يستطيع الانسان أن يحصيه أو يقدره ، فهو بحساب الله الذى لا نعرفه ولا يمكن أن نعرفه ·

كلمات قرآنية وآيات تتسع للتفاسير العلميه

ونحن ممن يقولون أن القرآن ليس كتاب علم أو تاريخ ، وانما هو كتاب عقيدة وشريعة ، وانه من الخطأ محاولة اثبات انطوائه على كل نظريات العلم وفروضه ، او كل وقائع التاريخ وحوادثه ، ومن الخطأ أيضا التعسف والتكلف فى التأويل والتفسير لينطبق على هذه النظرية العلمية او تلك .

ولكن هذا لا يمنع اننى كثيرا ما وقفت مذهولا أمام الالفاظ القرآنية · وقد أضفت عليها الكشوف العلمية الحديثة معانى وأبعاد جديدة ·

أنظر الى قول القرآن الكريم :

— أقرأ باسم ربك الذى خلق

— خلق الانسان من علق

فقد كان المفسرون القدامى يقولون فى تفسير العلق أنه جمع علقه ، ثم لا يزيدون · أما نحن اليوم وبعد اختراع الميكرسكوب الذى كشف للانسان عن أسرار كانت محجوبة عنه ، فقد أصبحنا نعرف أن الماء المنوى الذى هو أصل الحياة الانسانية يعج بملايين من الحيوانات المنوية التى تشبه عند تكبيرها صورة العلقة أى الدودة · وتكون هذه الاية التى نطق بها الوحى على لسان سيدنا محمد أول ما نطق بالقرآن لا يمكن أن تكون من مخزون سيدنا محمد من المعرفة ، فقد كانت الدنيا من قبله ومن بعده حتى اختراع الميكرسكوب منذ قرن واحد من الزمان ، لا تعرف ولا تتصور ان يكون خلق الانسان من علق .

الرياح لواقح .

وعندما نسمع القرآن يقول لنا : وارسلنا الرياح لواقح، ثم يكشف العلم الحديث لنا ، أن الرياح تحمل بالفعل بذور اللقاح بين النباتات ، ولولاها لما ازدهرت النباتات ونضجت الثمار ، وأن العرب بل ومن هم قبل العرب وبعد العرب حتى وقت قريب جدا لم يكونوا يعرفون هذه الحقيقة ، أدركنا كيف أن الكشوف العلمية تعطى للالفاظ القرآنية أبعادا جديدة وأعماقا جديدة .

وجعلنا من الماء كل شىء حى

وثمة آية فى القرآن ، وهى « وجعلنا من الماء كل شىء حى » (الانبياء ٣٠) فالمفسرون القدماء يقفون فى تفسير هذه الاية عند حد ما يشاهدونه بالعين المجردة ، من ان النبات لا يحيا الا اذا روى ، والحيوان والانسان يهلك اذا لم يشرب · ولكنا اليوم نستطيع أن نذهب الى أبعد من ذلك كله ، نستطيع أن نضع علم الحياة كله تحت هذه الاية ·

من اسرار اعجاز القرآن

ولسنا نريد أن نمضى طويلا فى هذا البحث ونستقصى كل ماورد فى القرآن من هذا القبيل والا لاحتجنا الى مجلد ضخم ، وحسبنا هذه الاشارة ، لنثبت قولنا من ان أحد خصائص الصياغة القرآنية والالفاظ القرآنية ، هو سر خلودها وثبات معانيها أمام التطورات والانقلابات العلمية ، وسيظل هذا شأنها الى أبد الابدين ، يفهم اللاحقون من بعض الفاظها مالم يفهمه السابقون · وذلك هو أحد مظاهر اعجاز القرآن ·

تنبؤات القرآن بالغيب .

وثمة خصوصية رابعة من خصوصيات القرآن ، وتلك هى انطواؤه على عديد من التنبؤات التى صدقتها الايام ·

غلبت الروم

ولعل أظهر ما يشير اليه الباحثون هو ما جاء فى سورة الروم :

ـ الم ٠ غلبت الروم ٠ فى أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون ٠ فى بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون . بنصر الله ينصرمن يشاء وهو العزيز الرحيم ٠ وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن اكثر الناس لا يعلمون ، وقد نزلت هذه الايات كما يرى من سياقها بسبب هزيمة الروم بيزنطة أمام جيوش الفرس الذين استولوا على دمشق ثم بيت المقدس فنهبوها ، ونقلوا سكانها وصليب الصلبوت الى عاصمتهم المدائن وذلك عام (٦١٤م) فكان أن فرح المشركون لذلك ، على أساس أن الفرس كالمشركين عباد أوثان ، وأن الروم من أهل الكتاب مثل المسلمين ، وجرت مراهنة بين ابى بكر الصديق والمشركين حول هذا الموضوع ، ونزل القران يؤكد بطريقة جازمة قاطعة ، أن الروم لن يلبثوا أن ينتصروا على الفرس خلال بضع سنوات ، وهو ما تحقق بالفعل اذ بدأت الدائرة تدور على الفرس ابتداء من عام ٦٢٣ وتحقق النصر الاكبر للروم فى وقعة نينوى (١٢ ديسمبر ٦٢٧م) مما أعادللروم كل مافقدوه من أملاك ، واستردوا الصليب المقدس وأعادوه الى بيت المقدس ٠

وهكذا تحققت نبوءة القرآن ، وهى لم تكن نبوءة عابرة ، وانما قاطعة جازمة ، جامعة شاملة ، اذ وصفت فرح المؤمنين لهذا النصر ، وتوجت النبؤة بقولها « وعد الله لا يخلف وعده » وكان معنى ذلك أنها تساق على سبيل التحدى ٠

نبوءات اخرى

والقرآن بعد ذلك ملىء بعشرات من الاشارات والنبوءات لحوادث تقع فى المستقبل القريب والبعيد، وقد وقعت وتحققت بالفعل من ذلك على سبيل المثال تنديد القرآن فى سورة المسد بأبى لهب عم النبى وأنه سيصلى نارا ذات لهب ، ونحن نعلم أن كثيرا من المشركين الذين ناصبوا رسول الله العداء وآذوه وعذبوه وحاربوه ، لم يلبثوا أن دخلوا فى الاسلام بعد ذلك وصلحت أحوالهم وتاب الله عليهم ، فكان من المحتمل ان يكون عم النبى واحدا من هؤلاء ، لكن القرآن قطع وجزم بأنه سيظل على عناده وكفره الى أن تدركه الوفاة فيكون من أصحاب النار ، وهوماتحقق بالفعل ٠

والله يعصمك من الناس

ووعد القرآن الرسول بأن الله سيعصمه من الناس « والله يعصمك من الناس » (المائدة ٦٧) أى أنه لن يموت غيلة أو فى الحرب على يد أحد من البشر ، فكان الذى تنبأ به القرآن ووعد ، فقد مات سيدنا محمد على فراشه راضيا مرضيا ، على طول ما دبرت ضده من الدسائس والمؤتمرات وما وجه اليه من حروب ٠

جمع القرآن

ووعدالقرآن بأن الله سيهىء السبيل لجمع القرآن وحفظه :

ـ لا تحرك به لسانك لتعجل به ، أن علينا جمعه وقرآنه [القيامة ١٦ ــ ١٧] ٠

ــ انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون [الحجر

ولقد رأينا فيما تقدم كيف انفرد القرآن بالحفظ ، وكيف شرح الله صدر ابى بكر الصديق بناء على اشارة عمر بن الخطاب لجمع القرآن ٠

دخول المسجد الحرام أمنين

ووعد القرآن المهاجرين والانصار ، أن يدخلوا مكة والمسجد الحرام آمنين :

ـ لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون ٠

ونزل هذا الوعد غداة قفولهم من صلح الحديبية ، حيث لم يتسن لهم دخول مكة بعد أن صدهم عنها المشركون ٠

وقد تحقق الوعد القرآنى ، فدخل المسلمون فى عمرة القضاء الى مكة فى العام السابع للهجرة ، آمنين لا يخافون ٠

وان هو الا عام آخر حتى كان المسلمون يدخلون مكة فاتحين الفتح الاكبر ٠

نهاية الرسالة

وفى العام العاشر للهجرة تلا الرسول على المسلمين فى حجة الوداع « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » (المائدة ٣) فلم ينقض الحول حتى كان الرسول يلحق بالرفيق الاعلى ٠

الفتوح بعد عهد الرسول

ووعد القرآن المسلمين بالانتصار والتمكين فى الارض :

ــ وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم آمنا (النور ٥٥)

ولم يمت سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام الا بعد ان تحققت هذه النبوءة فى جزيرة العرب ،حيث اصبح المهاجرون والانصار هم سادة جزيرة العرب ، وأن هى الا سنوات أخرى بعد موته ، حتى كان المسلمون هم سادة الارض المعروفة والمشهورة فى أيامهم ، ورثوا ملك الفرس والروم والفراعنة ٠

الاسلام خاتم الرسالات السماوية

وجزم القرآن وقطع بأن سيدنا محمدا هو خاتم النبيين وأن رسالته خاتمة الرسالات السماوية ٠ وأربعة عشر قرنا مرت على ذلك العهد من القرآن تؤكد صدقه ودقته ولم يحدث ان عرفت البشرية نبيا بعد سيدنا محمد ، ولم يتقدم انسان برسالة يعزوها الى الله رب العالمين . والاديان التى تعرفها البشرية حتى اليوم. هى هذه الاديان التى عرفتها البشرية قبل الاسلام سواء كانت هذه الاديان سماوية أو غير سماوية فكلها قبل الاسلام ٠

الكاسيات العاريات بين الحلال والحرام

الدكتور أحمد الحوفي

مما لا ريب فيه أن الاسلام دين قائم على تقدير العقل والعلم والمنطق والمرونة والسماحة ، لم يكره أحدا على اعتناقه ، ولم يضق بالتفهم والاجتهاد واختلاف الاراء .

وقد نص القرآن الكريم على أن الله تعالى أمر النبى عليه الصلاة والسلام أن يدعو الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، ونهاه أن يجادل هو أو أحد من المسلمين أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن ونفى عنه أن تكون له سيطرة على عقائد الناس .

فى ضوء هذا التشريع الحكيم أعرض مناقشتى لبعض ما جاء فى مقال الدكتور مصطفى محمود (الحلال والحرام) متصلا بزى المرأة المعاصرة .

— ١ —

جاء فى المقال : « الله حرم الضار الخبيث ، وأحل الطيب النافع ، وعلى سبيل المثال نأخذ هذه الاية : «**قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم** » « **وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن** » فلو أخذنا الاية بظاهر حروفها دون أن يكون جوهر القضية واضحا فى الذهن فسوف نجد ان الحياة الطبيعية فى زمننا زمن المينى جيب والديكولتيه والجابونيز والصدر العريان والشعر المرسل والباروكات أمر صعب . والسير فى شارع مثل عماد الدين سيرا مطابقا لحروف الآيه هو الممكن الصعب .. ومجرد ارسال النظر لا ضرر منه ، ولكن الضرر فيما يجرى فى القلب والعقل نتيجه امعان النظر الخبيث .. وقد نرى وجها جميلا فنهتف بالقلب اعجابا [الله] ونقصد الخالق الذى صور . وليس المخلوق . فلا تكون هذه النظرة حلالا فقط . وانما تكتب لنا حسنة . والله اقام شريعته محبة ورحمة لا تسلطا وغطرسة، فاذا انتفى الضرر فأنت فى المنطقة الحلال .. ولا يمكن ان تكون التفصيلة امتارا من القماش تزيد وتنقص . ولا شك ان القرآن قد أوصى المرأة المؤمنة بأن تدنى عليها جلبابها ، وان العرى ذنب . ولكن الذنوب تتفاوت . ان التعرى لشهوة هو الذنب ، اما اختيار زى لمجرد التوافق مع عرف عصرى فهو مما يغتفر . ولو أصبح الكم القصير تقليدا يتبعه الناس انتهت الاثارة ، لانها تصبح العادة المألوفة التى تعتادها العين .

وعلى البلاج يمكن ان يتمدد واحد بالمايوه وحوله تتخطر المايوهات الوانا ، وهو سارح فى لون البحر وزرقة السماء ومتعة الطبيعة .

وهناك فارق بين تعر لشهوة وتعر للشمس والهواء والبحر ، واختلاف القلب فى الحالين يحدد مكاننا بين الذنب والبراءة » .

— ٢ —

تلك فقرات من مقال الدكتور مصطفى محمود ، وأحب قبل ان أشرع فى المناقشة ان أسجل عدة أصول وثيقة العلاقة بالموضوع .

١ — ان الاصل فى العادات الحل والاباحة ، فلا يحرم منها الا ما حرمه الشرع .

ومعنى هذا أن العادات وليدة العرف العام ، ولكن الشرع يهيمن عليها ، فيقر صالحها ، ويلغى طالحها ، ويهذب قسما منها بالزيادة او النقصان ، وليس للناس أن يحرموا من العادات الا ما حرمه الله ، والا انطبق عليهم قوله تعالى : « **قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق . فجعلتم منه حراما وحلالا قل : آلله اذن لكم ، أم على الله تفترون ؟! ٥٩ — سورة يونس وقوله سبحانه :**

« قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات **من الرزق » ٣٢ — الاعراف**

لذلك ليس لهم ان يحلوا ما حرم الله .

٢ — ومن حكمة الاسلام انه اذا حرم شيئا حرم ما يمهد له ، ويجر اليه ، ويغرى به ، لان النفس قد تضعف ، فتستجيب للصيحة المغرية ، وقد تتدانى من المحرم تدانيا يوقعها فيه .

لهذا لم يقتصر وزر الحرام على مقترفه ، بل ينال نصيبا منه كل من شاركه فيه ، فشارب الخمر ملعون ، وملعون كذلك عاصرها وحاملها وبائعها ٠

وقد حرم الاسلام الزنا ، وحرم ما يغرى به ، كالخلوة الكاملة المريبة بالمرأة التى لا يحرم زواجه بها ، حصانة للرجل وللمرأة ، وحفاظا على سمعة الاسرة ، وابقاء على ما بين الزوجين من سكن ومودة ٠

كذلك حرم الاسلام النظرة الجائعة ، لانها شرك قد يسقط فى الشر ، وحرم التطلع الى العورة ، لانها تثير الغريزة ، وتذيب العزيمة ، وحرم التبرج والتكشف والتعرى وتعمد ابراز المفاتن ، لان هذا كله ينافى الحياء والتصون والتعفف ، ويسول بالسوء ويستميل اليه ٠

٣ ــ والمحرم محرم وان اتخذه فاعله وسيلة الى غاية نبيلة ، لان الاسلام كما يحرص على شرف القصد يحرص على شرف الوسيلة ، وليس فى الاسلام ما يفهم منه أن الغايات تسوغ الوسائل ، قال صلى الله عليه وسلم « ان الله طيب لا يقبل الا طيبا ، وان الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال : « يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا انى بما تعملون عليم » ٥١ ــ المؤمنون وقال « يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم » ١٧٢ ــ البقرة ، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر ــ للحج أو العمرة ــ يمد يديه الى السماء يقول : يا رب ، يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام ، ولبسه حرام ، وغذى بالحرام : فانى يستجاب له ؟ ! وقال صلى الله عليه وسلم : من جمع مالا من حرام ثم تصدق به لم يكن له فيه أجر ، وكان أصره عليه ٠

٤ ــ وكل ما حرمه الاسلام عام التحريم على المسلمين جميعا ، رجالهم ونسائهم ، وغنيهم وفقيرهم ، وعالمهم وجاهلهم ، قال صلى الله عليه وسلم : وايم الله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها ٠

٥ ــ لكن الاسلام مرن سمح يسع الناس جميعا ، ويتسع لحالاتهم جميعا ، فلا عسر ولا اعنات ، قال تعالى : « ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ، ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم : لعلكم تشكرون » ٦ ــ المائدة ٠

ــ ٣ ــ

ننتقل من هذا التعميم الى التخصيص ، لنتعرف حكم الدين فى أزياء النسوة المعاصرات وفيما ذكره الدكتور مصطفى محمود ٠

ولنحتكم أولا الى القرآن الكريم ٠

يقول الله تعالى : ، قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ، ويحفظوا فروجهم : ذلك ازكى لهم ان الله خبير بما يصنعون ٠ وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ، ويحفظن فروجهن : ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها ، وليضربن بخمرهن على جيوبهن ، ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو ابنائهن أو ابناء بعولتهن أو اخوانهن أو بنى اخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بارجلهن ليعلم مايخفين من زينتهن » ٣٠ ــ ٣١ ــ سورة النور

ويقول سبحانه : ؟ يا نساء النبى لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولا معروفا ٠ وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى ! ٣٣ ــ الاحزاب

ويقول تعالى : « يا أيها النبى قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى ان يعرفن فلا يؤذين ، وكان الله غفورا رحيما ! ٥٩ الاحزاب ٠

ويقول جل وعلا : « والقواعد من النساء اللاتى لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وأن يستعففن خير لهن ! ٦٠ ــ النور ٠

فماذا نفهم من هذه الايات ؟

١ ــ ان المسلمة لاتكشف عن زينتها الا لهؤلاء الذين ذكرهم القرآن الكريم ، لانهم محارم أو فى حكم المحارم ، والمراد بالزينة محاسن الجسد التى لا يباح للمرأة أن تطلع أحدا عليها ، الا ما كان الاصل فيه أن يظهر كالوجه والكفين والقدمين ٠

قال القرطبى : لما كان الغالب من الوجه والكفين ظهورهما عادة وعبادة فى الصلاة والحج صلح أن يكون الاستثناء راجعا اليهما ، يدل على ذلك ما رواه ابو داود عن عائشة رضى الله عنها ان اسماء بنت أبى بكر دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليها ثياب رقاق فاعرض عنها وقال لها: يا اسماء ان المرأة اذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها الا هذا وهذا : وأشار الى وجهه وكفيه ٠

٢ ــ على المسلمة ان تستر بخمارها رأسها ونحرها وعنقها وصدرها ٠

٣ ــ ذكرت الاية اثنى عشر صنفا من الناس يحل للمرأة أن تبدى زينتها غير الباطنية أمامهم ، ولم تذكر الاعمام والاخوال لانهم كالاباء

٤ – أمر القرآن الكريم باسدال الملابس حتى لا ينكشف شىء مما نهى عن الكشف عنه ، وعلل لهذا الامر بأنه صيانة للمرأة ، وحماية من أذى المجان ، ولم يذكر أنه لتحقير المرأة ، أو لضعف الثقة بها ، وذلك أن المرأة التى تتبرج وتعرض على الناس مفاتنها وتتخلع فى مشيتها ، وتتثنى فى حركاتها ، وتتعمد التطرية فى حديثها ، هـذه المرأة توقظ الفتنـة ، وتمتهن كرامة الانوثة ، وتطلق الالسنة للنيل منها ومن أسرتها .

لهذا لم يستثن القرآن الـكريم من هذا الحكم الا العجائز اللائى يئسن من الرجال ، وانصرف عنهن الرجال ، فلا أثم عليهن فى ان يظهرن للملأ من غير حجاب كالمعطف والملاءة والسابرى ونحوها، على ألا يقصدن من هذا التحلل تبرجا أو محاكاة لمظهر الفتيات .

٥ – وليس المراد من الجلباب الضافى أن يكون ضافى المظهر دون المخبر ، فان من الجلابيب الطوال المقدود والمشوق الذى يضغط على بعض مواضع الجسم ويبرز بعضهـا ، ومنها ما يشف عما وراءه شفيفا ، فقد دخلت نساء على السيدة عائشة وعليهن ثياب رقيقة ، فقالت ان كنتن مؤمنات فليس هذا ثياب المؤمنات . وقال صلى الله عليه وسلم : ان من أهل النار نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات ، لا يدخلن الجنة ، ولا يجدن ريحها .

٦ – وحرام على المرأة أن تتعمد استرعاء انظار الرجال الى ما خفى من محاسنها بأية وسيلة من وسائل التنبيه والاسترعاء، وهذا هو المفهوم من قوله تعالى : « **ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن** » فقد كان الخلخال حلية ، وكانت رناته تسترعى الاسماع والابصـار ، وقد تنبئ عن سوء المقصد وخبث الطوية .

– ٤ –

واذن فقد تبين أن الاسلام ينكر التعرى الذى يتجلى فى المينى جيب والميكروجيب والمايوه وما شاكلها .

١ – فليس لنـا نحن المسلمين ان نسوغهـا أو نحللها .

٢ – وليس من الحق فى شىء أن نخضع الشريعة لما يريده اناس ، ويتشهاه آخرون بل الحق ان تخضع أولئك وهؤلاء للشريعة ، والا كان الدين مجاراة للاهواء ، وممالأة للرغبات، وذهبت احكامه وحكمته سدى ، مصداقا لقوله تعالى : « **ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السماوات والارض ومن فيهن** » ٧١ – المؤمنون .

ولنفرض ان ناسا تعارفوا فى بلد على العرى الكامل ، فهل نقره ونطوع الشريعة لما تعارفوا عليه ؟ ولنفترض أن قوما اتفقوا على الاتصال الجنسى بغير عقد ، وانهم وجدوا فى ذلك منافع لهم ، فهل نخضع الشريعة لما اتفقوا عليه ؟

ولماذا لا نقول ان الواجب على الحكومات أن تخضع القوانين للشعوب ، لا أن تخضع الشعوب للقوانين .

وايهما هو الذى يجب عليه أن يطيع الاخر ويترسم ارشاده وأمره ، المريض أم الطبيب ؟

٣ – ولقد سن خالق البشر العليم بطباعهم وبخفايا نفوسهم حدودا لعباده تكفل خيرهم ، فلزام عليهم الا يتعدوها ، وحتم عليهم الا يحاولوا التفلت منها ، ولو انه سبحانه علم ان الغريزة الجنسية تخمد أو تترقى بأن يرى الرجال مفاتن النساء رؤيه متكررة ما شرع الحجاب ، وما حدد الاصناف الذين لا حرج على المرأة فى ان تبدى على مرأى منهم زينتها .

واذا وجد فى الناس من يقمع غريزته أو يكبتها أو يتسامى بها ، حتى انه يشاهد المرأة الحسناء فينصرف عن حسنها ليكبر خالقها ، فان هؤلاء ان وجدوا احاد فى مئات الملايين من الناس .

٤ – ولم يخلق الله شخصا مجردا من الغرائز ، لان الغرائز كما عرفها العلامة النفسى مكدوجل استعداد فطرى نفسانى جثمانى يتضمن مظاهر الشعور الثلاثه . الاول ادراك شىء او اشياء من نوع خاص والالتفات اليها . والثانى الشعور بحالة وجدانية معينه تنشأ عن هذا الادراك ، والثالث القيام بعمل خاص نحو الشىء المدرك ، أو على الاقل الشعور بالميل الى هذا العمل .

ولست أنكر أن للغرائز وسائل اعلاء وابدال ، ولكن الحق ان غريزة الطعام لا تتسامى بعرض صنوف من الطعام والشراب على أنظار الجياع ، بل تتسامى بالقناعة والصيام والايثار ومراعاة ما تقتضيه صحة الجسد وقواه .

وغريزة الغضب لا تهذب بتوجيه السباب وتصويب الاذى الى الغضبان ، وانما تهذب بتعويده الصبر والحلم والصفح والغفران .

وغريزة الخوف لا تقوم بتعريض الخائف لضروب مما يفزعه ويزيده فرقا بل تقوم بتعويده الجلد والاحتمال والثقه بالنفس وبالله .

كذلك الغريزة الجنسية – وهى فى نظار فرويد منبع السلوك ومحوره وان خالفه بعض علماء النفس مثل مكدوجل ولكنهم لم يهونوا من شأنها أو من سلطانها – من العبث أن نتصور خمودها او نحاول تعليتها بالمشاهدة المتكررة للمفاتن ، أو التملى بالنظر الى مواضع الاغراء ، وانما نسمو بها ونعليها ونهذبها بالتعفف والتحصن ، وايقاظ الضمير ، وايصاد ابواب الفتنة ، وامتثال ما أمر به الله .

إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون

من معجزات القرآن الكريم

التى لا تنقطع إلى قيام الساعة

فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى

— ٣٨ —

وضعنا أمام القارىء فى المقالين السابقين صورة لبعض اوجه اعجاز القرآن الكريم فى قصة ذى القرنين حيث أمطنا اللثام عن شخصيته مستدلين على ما قلنا بما جاء من سيرته فى القرآن وما رواه التاريخ • وقد تتبعنا آيات القصة كما وردت فى سورة الكهف من أول آية ٨٣ الى ٩٨ بالشرح والتعليق، وتحدثنا فى شىء من التفصيل عن رحلات [ذى القرنين (الثلاث : الى جهة المغرب (حتى اذا بلغ مغرب الشمس ... الخ آية ٨٦ (والى المشرق (حتى اذا بلغ مطلع الشمس ... الخ آية ٩٠ (والى الشمال [حتى اذا بلغ بين السدين .. الخ آية ٩٣] كما تحدثنا عن أقرب ما يقال الى الصواب فى حقيقة (يأجوج ومأجوج) وسد ذى القرنين ! منبهين الى الخلط الذى وقع فيه كثير من المؤرخين والمفسرين حيث اشتبه عليهم أمر هذا السد بكل من سد الصين العظيم وسد باب الابواب وبينا ثمة الفروق بين هذين السدين وسد ذى القرنين • وقد وقفنا بالقارىء فى المقال السابق عند العرض الذى عرضه القوم الذين مر (ذو القرنين (بهم فى رحلته الثالثة بأن يجعلوا له جزءا من أموالهم ليقيم لهم سدا حاجزا يمنع فساد يأجوج ومأجوج من الوصول اليهم • واليوم نتم القصة فنقول : ومعنى ما سبق من الايات :

ووجد ذو القرنين قريبا من مغرب الشمس قوما كفارا فقلنا ياذا القرنين أجزنا لك اما تعذيبهم واما اتخاذك معهم طريقا بالغ النهاية فى الحسن، وهو الارشاد والوعظ بالتى هى أحسن، قال ذو القرنين لخاصته : أما من ظلم نفسه من هؤلاء ولم يقبل دعوتى وأصر على ماكان عليه من الشرك الذى هو الظلم العظيم فسوف نعذبه بالقتل، ثم يرد فى الاخرة الى ربه فيعذبه فى جهنم عذابا شديدا غير معهود فى شدته • وأما من آمن وعمل صالحا فله عند ربه المثوبة الحسنى وهى الجنة • وسنخفف عنه فلا نكلفه الا بالامر السهل اليسير عليه •

ثم سلك ذو القرنين طريقا يوصله الى المشرق حتى اذا بلغ مكانا ترى الشمس كأنها تشرق منه وجدها تطلع على قوم رحل ليس لهم بيوت تحجبهم عن الشمس . وأمر (بفتح الهمزة وسكون الميم) ذى القرنين وهؤلاء القوم هو كما أخبرناك عنهم أيها النبى • وقد علمنا بما لدى ذى القرنين من الجنود والعدة علما شاملا لكل ظاهر أمره وخافيه لا يعلمه غيرنا •

ثم سلك ذو القرنين طريقا ثالثا، حيث اتجه الى الشمال، وهناك التقى — كما قلنا آنفا — بقوم طلبوا منه أقامة سد بينهم وبين يأجوج ومأجوج

قال ذو القرنين ردا على العرض السابق :

**(ما مكنى فيه ربى خير (أى، ما جعلنى ربى فيه مكينا قادرا من القوة وجميع أسباب الاصلاح خير مما تريدون اعطاءه لى فلا حاجة بى اليه •

[بقوة] أى بكل ما فى طاقتكم من عمال وما تستطيعون من قطع الحديد مثلا •

(ردما) أى حاجزا حصينا أقوى من السد الذى تطلبونه، تقول العرب هذا ثوب مردم بوزن معظم أى فيه رقاع فوق رقاع، ويقال سحاب مردم أى متكاثف بعضه فوق بعض قال ابن عباس : الردم هو أشد أنواع الحواجز وبذلك يكون ذو القرنين قد وعدهم بالاسعاف فوق ما يطلبون •

(زبر الحديد (جمع زبرة بوزن غرفة التى تجمع على غرف وهى القطعة العظيمة .

[حتى اذا ساوى الخ] فى الكلام محذوف يفهم من السياق ، والاصل فآتوه قطع الحديد فشرع يبنى شيئا فشيئا الى أن جعل ما بين جانبى الجبلين من الردم مساويا لهما فى الارتفاع .

(الصدفين) مفردهما صدف ، وهو جانب الجبل الذى يصادف مثله ، أى يقابله .

(قال انفخوا الخ (المراد فوضع على قطع الحديد مواد تلتهب وقال لهم انفخوا فيها بما أعد لهم من آلات .

(جعله نارا) المراد جعل الحديد المنفوخ فيما حوله كالنار فى الحرارة واللون .

(آتونى الخ) أى آتونى قطرا أفرغه عليه ، والقطر هو النحاس المذاب .

[فما اسطاعوا ان يظهروه] أى يعلوا فوق ظهره بالصعود عليه .

(وعد ربى (هنا مراد به الموعود به وهو قيام الساعة .

(جعله (أى جعل السد المذكور مع متانته .

(دكاء) أى كالارض المدكوكة المستوية

وهذا مما يرجح أنه كان نبيا كما تقدم ، لان دك الجبال والارض من علامات القيامة التى لا يعلمها الا الله ، وأعلم بها خلقه على لسان رسله .

(وتركنا بعضهم الخ) الترك هنا معناه الجعل ، أى وجعلنا يأجوج ومأجوج يموج بعضهم فى بعض من الحيرة .

(ونفخ فى الصور (أى ونفخ الملك فى الصور النفخة الثانية التى عندها يبعث من فى القبور ، وعبر بالفعل الماضى هنا وفى قوله [فجمعناهم] و (عرضنا (لافادة أنها ستقع قطعا : نظير (أتى أمر الله)

(وعرضنا جهنم (أى أبرزناها لهم ليروها قبل دخولها ليزداد فزعهم .

(عرضا (المراد عرضا واضحا يريهم كل أهوالها .

(فى غطاء (أى كأنها موضوعة فى غطاء يحيط بها من كل جانب ليمنعها عن الرؤية . [عن ذكرى] المراد من تأمل الادلة المبثوثة فى الكون التى تذكرهم بوجودى ووحدانيتى .

[لا يستطيعون سمعا] المراد والله أعلم يكرهون سماع آيات الله التى فيها هدايتهم، ويعرضون عنها حتى لا تؤثر فيهم، كما يقول من يكره رجلا : أنا لا أستطيع سماع كلامه ، يريد انه ثقيل على نفسه يتأذى منه . بل بلغ من بعضهم أنه يمنع غيره من سماعه

(أولياء (أى موالين لهم ينفعونهم .

(نزلا) من ضمن معانى النزل المكان الذى ينزل فيه الضيف لاكرامه ، ويطلق أيضا على الطعام الذى يقدم للضيف فالتعبير به هنا للتهكم بهم ، ونظيره ما يقال للكافر فى جهنم (ذق انك أنت العزيز الكريم) .

(الاخسرين (جمع (أخسر) وهو الذى اشتدت خسارته .

المعنى - قال ذو القرنين أعينونى بما تستطيعون من عمال وصناع وحديد وأخشاب أجعل بينكم وبين هؤلاء المفسدين سدا قويا . ثم ذكر بعض تلك الاشياء التى طلبها ، فقال اتونى قطع الحديد ، فجاءوا بها فوضعها بين المواد القابلة للالتهاب كالفحم والخشب مثلا ، وصار يضع بعض قطع الحديد فوق بعض حتى اذا ساواها بطرفى الجبلين ، وسد الفجوة التى بينهما وضع النار والمنافيخ وقال انفخوا فى الاكوار مثلا فنفخوا حتى صار الحديد كالنار ، قال آتونى نحاسا مذابا أفرغه عليه ليسد بين ما قد يكون فيه من فجوات . ويغطى ظاهره فلا يتآكل بعوامل الجو. فلما أتم ذلك وجاء يأجوج ومأجوج وأرادوا أن يرقوا فوقه فما استطاعوا لارتفاعه ، وملاسته ، وما استطاعوا أن ينقبوا فيه نقبا ينفذون منه لصلابته وثخانته ، نقول: ومما يلاحظ هنا أن العمل العظيم الذى يتطلب اجساما ضخمة ملتهبة ، ثم يتمكن البشر من الدنو منها وصب النحاس المذاب عليها لا يتم الا بأحد أمرين : اما أن تكون أدوات الصناعة فى ذلك الحين قد بلغت من التقدم حدا قد يقال انه لم يبلغه أحد فى عصرنا هذا واما أن يكون كل ذلك تم بأمر الهى خارق للعادة .

وقد ثبت أن الله سبحانه منع تأثير النار فى خليله ابراهيم عليه السلام عندما طرحه الكفار فيها .

قال الفخر الرازى اعلم ان هذا معجز قاهر ، لان هذه القطع الكثيرة من الحديد اذا نفخ عليها حتى صارت كالنار لا يقدر الحيوان الحى على الدنو منها والنفخ عليها : فكأنه تعالى صرف تأثير تلك الحرارة العظيمة عن أبدان هؤلاء النافخين عليها . ثم قال ذو القرنين لمن حوله : هذا السد أثر رحمة عظيمة من ربى على كثير من عباده خصوصا المجاورين له وسيستمر هذا السد قويا فاذا جاء يوم القيامة الذى وعد به ربى يجعله سبحانه مع متانته مستويا بالارض كأنه وهى سواء . وكان وعد ربى فى كل ما وعد به ومنه ما هنا من قيام الساعة ودك الجبال والارض حقا لا يتخلف .

ثم شرع سبحانه فى بيان حال ما وراء السد من تلك الخلائق فقال :

[وتركنا .. الخ] أى وجعلنا يأجوج ومأجوج يوم تم هذا البناء يموج بعضهم فى بعض حيارى لا يجدون منفذا لما يريدون الوصول اليه . وسينفخ الملك فى الصور قطعا نفخة البعث فنجمعهم مع كل الخلائق للحساب والجزاء جمعا لاشك فيه . ونبرز جهنم فى هذا اليوم ظاهرة مخيفة للكافرين بربهم : الذين كانت أعينهم كأنها مغلقة فى غطاء حجبها عن النظر والتأمل فى كل ما يذكرهم بوجودى ووحدانيتى من الادلة

المبثوثة فى الكون وفى انفسهم . وكانوا لشدة عنادهم كأنهم لا يسمعون شيئا مما يتلى عليهم من الحجج القاطعة بصدق رسلى .

وقد وعدنا فى المقال السابق بالحديث عن خروج يأجوج ومأجوج ، كما ورد ذلك فى قوله تعالى : (حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون) آية (٩٦)من سورة (الانبياء) . والان نقول :

(فتحت يأجوج ... الخ) نسبة الفتح ليأجوج على تقدير مضاف مفهوم من السياق ، والاصل : فتحت طريق يأجوج . الخ ، تقول العرب : بنى الامير المدينة ، يريدون : بنى عمال الامير ، ومنه فى القران : (واسأل القريه ... الخ) أى اسأل أهل القرية .

و (يأجوج ومأجوج (تقدم الكلام على أصلهما وافيا عند الحديث عن آية ٩٤ من سورة (الكهف) فى المقال السابق .

(حدب) أصل الحدب هو ارتفاع الظهر ، ثم أطلقه العرب على كل مرتفع من الارض .

(ينسلون) تقول العرب : نسل الذئب (بفتح النون والسين) نسلانا ، اذا قارب الخطو وأسرع فى مشيته . والمراد : يسرعون النزول من الاكام والمرتفعات . قال (ابن عباس) : هذه صفتهم حال خروجهم ، حيث انحدرت جيوش التتار بقيادة (جنكيز خان) من الشمال الشرقى لاسيا ، وليس من سد (ذى القرنين) الحديدى . ولا من سد (باب الابواب المتقدم الكلام عليهما عند آية ٩٢ من سورة (الكهف) فى المقال السابق أيضا ، لان هذين السدين باقيان الى اليوم ، وسيبقى سد (ذى القرنين) الى أن يدك مع الارض والجبال يوم القيامة - كما تقدم - ولما عبر (جنكيز خان) بجيوشه التى تفوق الحصر نهر (سيحون) كان أول هجومه على (بخارى) فى ٤ ذى الحجة سنة ٦١٦ هـ ثم اتجهوا الى (سمرقند) فدخلوها فى محرم سنة ٦١٧ هـ وأفنوا كل ما يلاقيهم من جيوش ، ونهبوا كل ما يريدون ، فدب الرعب منهم فى قلوب جميع الخلائق فى تلك المناطق ، واستولى عليهم الفزع ، فلم يقو على الوقوف فى طريقهم أحد لشدة توحشهم ، وما علم عنهم من التنكيل الشديد بكل من يقف فى طريقهم ، ثم عبروا نهر (جيحون) ودخلوا مدينة (نيسابور) ، ثم اتجهوا نحو (الرى) ونهبوها ،ثم دخلوا (همذان) ثم (قزوين) وقتلوا من أهلها نحو ٤٠ الفا ، ثم توجهوا نحو (اذربيجان) ثم (تبريز) . وفى سنة ٦١٨ هـ دخلوا مدينة (مراغة) ، فقتلوا أكثر أهلها ، ونهبوا كل ما يصلح للنهب ، وهكذا صاروا يستولون على تلك البلاد شيئا فشيئا بدون مشقة حتى حكموا كل البلاد الفارسية ، ولما توفى (جنكيز خان) سنة ٦٢٤ هـ كانت (بغداد) لازالت مقر الخلافة العباسية بعيدة عن الخطر ، ولما تولى الخلافة (المستعصم بالله) سنة ٦٤٠ هـ دخل [هولاكو] حفيد [جنكيز خان] بغداد ، بجيش جرار ، فقتل (المستعصم) وبموته مات آخر خليفة عباسى ، وأتلف (هولاكو) كل مافى (بغداد) من دور الكتب والقصور ، وقذف بانفس الكتب الاسلامية فى نهر (دجلة) . وكان ذلك أفظع خسارة علمية ، وبعد مدة وجه (هولاكو) جيوشه الى (الشام) ليقفز منها الى مصر ويغيرها ، فأرسل حاكم مصر فى ذلك الحين السلطان (قطز) جيشا تحت قيادة (الظاهر بيبرس) الذى تولى سلطنة مصر بعد) قطز) فهزم جيوش (التتار) هزيمة منكرة فى المكان المسمى (عين جالوت) ووقى الله أهل (مصر) و) الشام) شر هؤلاء الغزاة .

وبعد هذه الموقعة ذهبت هيبة جيوش التتار ، وانكسرت شوكتهم . وهذا الجيش المخرب هو (يأجوج ومأجوج (المذكور هنا فى الاية .

وقد تبين بطلان الراى القائل : ان ذلك سيحصل عند قيام الساعة ، ويؤيد ما قلنا الحديث الصحيح الذى رواه الامام أحمد بن حنبل وأخرجه (البخارى) قال صلى الله عليه وسلم (ليحجن هذا البيت ، وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج

وقد جاء فى الحديث الذى رواه (البخارى ومسلم) عن (أبى سعيد الخدرى) ما يفيد ان (النبى) صلى الله عليه وسلم ، أطلق (يأجوج ومأجوج) على كل من لم يؤمن بالله ورسله ، وأنهم يبلغون من الكثرة حدا يجعل نسبة المؤمن اليهم كنسبة واحد الى ألف .

وقال (ابن كثير) فى تعليقه على هذا الحديث .. انه يدل على كثرة يأجوج ومأجوج . وبعد ما أورد (ابن كثير) فى كتابه (النهاية) فى التاريخ الجزء الثانى ، صفحة ١٠٩ ، طبع المنار حديث (زينب) زوج (النبى) صلى الله عليه وسلم الذى رواه (البخارى ومسلم) من أنه صلى الله عليه وسلم ، استيقظ من النوم جذعا ،فلما سئل قال : ويل للعرب من شر اقترب، قد فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه ، وحلق بأصابعه حلقة صغيرة .

قال (ابن كثير) ان هذا اشارة منه صلى الله عليه وسلم الى فتح أبواب الشر والفتن فهو استعارة وضرب من المثل .

وقد فتحت الفتن على المسلمين بمقتل (عمر) رضى الله عنه ، وفتح بابها الاكبر بغارة (التتار) هذه ومعنى هذا انه صلى الله عليه وسلم لايريد بما فتح سد ذى القرنين ، الذى لن يدك الا يوم القيامة مع الجبال والارض ، والله أعلم .

(للحديث بقية)

من قصص
السنة المحمدية

موسى والخضر عليهما السلام

فضيلة الشيخ محمود هاشم

لله مقاليد كل شيء ، وهو على كل شيء قدير ، وفى كل ما يحدث فى الكون حكم قد تكون واضحة جلية ، وقد تكون مبهمة خفية ، لا يعلم كنهها ، ولا يحيط باسرارها الا الله الحكيم الخبير ، وفى قصة موسى والخضر التى ذكرها القرآن وتحدثت عنها السنة الشريفة دلائل واضحة على صدق هذه القضية وهاهى ذى القصة كما أخرجها البخارى :

قال البخارى رحمه الله : حدثنا عبد الله بن محمد قال : حدثنا سفيان ، قال : حدثنا عمرو ، قال :

أخبرنى سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس : ان نوفا البكالى يزعم أن موسى ليس بموسى بنى اسرائيل انما هو موسى آخر ، فقال : كذب عدو الله ، حدثنا أبى ابن كعب عن النبى صلى الله عليه وسلم «قام موسى النبى خطيبا فى بنى اسرائيل ، فسئل : اى الناس أعلم ؟ فقال : أنا أعلم ، فعتب الله عليه ، اذ لم يرد العلم اليه فأوحى الله اليه : أن عبدا من عبادى بمجمع البحرين ، هو أعلم منك ، قال : يارب وكيف به ؟ فقيل له : احمل حوتا فى مكتل فاذا فقدته فهو ثم ، فانطلق وانطلق بفتاه يوشع بن نون ، وحملا حوتا فى مكتل ، حتى كانا عند الصخرة ، وضعا رؤوسهما وناما ، فانسل الحوت من المكتل ، فاتخذ سبيله فى البحر سربا ، وكان لموسى وفتاه عجبا ، فانطلقا بقيه ليلتهما ويومهما فلما أصبح قال موسى لفتاه : آتنا غداءنا ، لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا ، ولم يجد موسى مسا من النصب حتى جاوز المكان الذى أمر به فقال له فتاه : أرأيت اذ أوينا الى الصخرة فانى نسيت الحوت ، قال موسى : ذلك ما كنا نبغ ، فارتدا على آثارهما قصصا ، فلما انتهيا الى الصخرة اذا رجل مسجى بثوب أو قال : تسجى بثوبه - فسلم موسى ، فقال الخضر : وأنى بأرضك السلام ؟ فقال : أنا موسى ، فقال : موسى بنى اسرائيل ! قال : نعم ، قال : هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا ؟ قال : انك لن تستطيع معى صبرا ، ياموسى انى على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه انت ، وأنت على علم علمكه لا أعلمه ، قال : ستجدنى ان شاء الله صابرا ، ولا اعصى لك أمرا ، فانطلقا يمشيان على ساحل البحر ليس لهما سفينة فمرت بهما سفينة ، فكلموهم أن يحملوهما ، فعرف الخضر فحملوهما بغير نول فجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر نقرة أو نقرتين فى البحر ، فقال الخضر ياموسى ما نقص علمى وعلمك من علم الله الا كنقرة هذا العصفور فى البحر ، فعمد الخضر الى لوح من ألواح السفينه فنزعه ، فقال موسى ، قوم حملونا بغير نول ، عمدت الى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها ؟ قال : ألم أقل انك لن تستطيع معى صبرا ؟ قال : لا تؤاخذنى بما نسيت ، فكانت الاولى من موسى نسيانا ، فانطلقا فاذا غلام يلعب مع الغلمان ، فأخذ الخضر براسه من أعلاه فاقتلع رأسه بيده ، فقال موسى : أقتلت نفسا زكية بغير نفس ؟ قال : ألم أقل لك انك لن تستطيع معى صبرا ؟ قال ابن عيينة : وهذا أوكد - فانطلقا حتى اذا أتيا اهل قرية استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما ، فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فاقامه فقال له موسى : لو شئت لاتخذت عليه أجرا ، قال : هذا فراق بينى وبينك ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : يرحم الله موسى ، لوددنا لو صبر حتى يقص علينا من أمرهما » فى هذا الحديث الشريف « قصة موسى والخضر » وهى من القصص التى حفل بها القران الكريم ، والسنة المطهرة معا ، فقد كانت من الاهمية بمكان بحيث نوه بها القرآن واستفاض فيها فى سورة الكهف فى قوله تعالى : « واذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضى

حقبا » الى قوله تعالى : « وما فعلته عن أمرى ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا » .

والمشاهد الثلاثة التى أبرزتها القصة فى الحديث الشريف بين القرآن الكريم أبعادها فى وضوح ، وفلسف مضامينها فى سهولة ويسر فلم تعد غامضة ، ولم يعد الفكر حائرا أمامها ..

فالعمل الاول : الذى قام به الخضر أمام موسى وهو خرق السفينة ، والثانى : وهو قتل الغلام ، والثالث : وهو اقامة الجدار . هذه الامور كان تفسير كل واحد منها واضحا كل الوضوح كما بين القرآن :

« أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا . وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا . فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما . وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمرى ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا » .

ولئن كانت هذه الحلول هكذا فى أجوبتها صحيحة وصائبة الا أنه لابد من الوقوف عندها استنباطا للعبرة ، ومناقشة للواقع على ضوئها :

أولا : على كل انسان أن يقف من نعم ربه سبحانه وتعالى موقف الحامد الشاكر ويكل كل شىء لمانح كل شىء وهو الله سبحانه ، فموسى عليه السلام وان كان قد أوتى من العلم ما لم يؤته سواه فى زمانه عندما قال : أنا أعلم ، ولم يسند العلم الى الله عتب عليه ، وبين له أن عبدا من عباده بمجمع البحرين آتاه رحمة من عنده ، وعلمه من لدنه علما لم يطلع عليه موسى .

ثانيا : لا يخطر ببال أحد أن الخضر يفضل عن موسى عليهما السلام بتلك الامور العجيبة التى لم يحط بها موسى خبرا ، فالخضر ـ حتى على القول : بأنه رسول أو نبى فموسى أعظم رسل بنى اسرائيل وعلى القول القوى : وهو أن الخضر ولى فالولى لا يدانى أى نبى وأما هذه الامور التى أتى بها فقد أخبر عنها بقوله :

« ياموسى انى على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت وأنت على علم من علم الله علمكه لا أعلمه » .

فكل منهما كان له علم لا يعلمه الاخر ، ومن المعروف أن علم موسى الكليم ، علم عظيم . فهو من أولى العزم من الرسل ، لم يصله الخضر عليه السلام ، ولو كان الخضر يعلم كل شىء لعلم بموسى قبل أن يخبره عن نفسه ، وأما هذه الاشياء التى أتى بها فقد كانت لسبب وان كان قد اختص بها الخضر فان الخصوصية لا تقتضى الافضلية .

ثالثا : يجب على كل انسان أن ينكر أى عمل يكون مخالفا للشرع فليس فى قصة موسى والخضر مدعاة لتصديق كل ما يأتى بأمور خارجة عن العرف الشرعى فمقياس الحكم فى اقرار الاشياء أو انكارها انما هو الشرع الحكيم فما كان متفقا معه قبلناه ، وما كان مخالفا له أنكرناه ، فاذا رأينا رجلا يطير فى الهواء ، ويمشى على الماء ويخالف الشرع أنكرنا عليه فعله وعددناه من عمل الشيطان ، وموسى عليه السلام لم يقتنع بما فعله الخضر الا بعد أن كان كما تحدث القرآن :

« **فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا ، وعلمناه من لدنا علما** » ، **وبعد أن قال له الخضر :**

« **وما فعلته عن أمرى ذلك تأويل مالم تسطع عليه صبرا** » .

رابعا : تضمنت هذه القصة أن صلاح الاباء ينفع الابناء ، وأن فى ذمة الاقدار رعاية ذرية الصالحين فان الكنز الذى كان تحت الجدار تداركته رعاية الله حفاظا للغلامين اليتيمين فقد كان أبوهما صالحا : فحين تصدع الجدار يريد ان ينقض جاءه الخضر فأقامه بأمر ربه ، رغم أن الظروف والملابسات التى أحاطت به آنئذ لم تكن تؤذن باسداء جميل لاهل قرية ابوا ان يضيفوهما ، ولكن الله سبحانه سخر الخضر لهذا العمل الجليل مرضاة لله ورعاية لذرية هذا الرجل الصالح .

خامسا : الرضاء بقضاء الله وقدره ، والتسليم الكامل لله فى كل الامور وأن كل ما يحدث فى الكون أو فى أنفس الناس من أشياء يرونها غير مفيدة لهم ، أو ضارة بهم ، قد تكون فيها المصلحة التامة ، والمنفعة الاكيدة قرب ضارة نافعة ، وقد يأتى الخير من الشر ، « **وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم** » .

وذلك لان الله وحده هو العليم يعلم ما ينفع العبد وما يضره ويضع الامور فى مواضعها الصحيحة « **وكل شىء عنده بمقدار ، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال** » .

وهكذا اتضحت لنا تلك النظرية الالهية الكبرى التى لا يعتورها نقص ولا يرتاب فيها عقل مؤمن حصيف ، فان خرق السفينة وقتل الغلام الذى جرى على يد الخضر . على مرأى ومسمع من موسى كان أمرا عجبا لكنه حين كشف النقاب عن الحقيقة ، وأبان قدر الله سبحانه وتعالى فيها وحكمته الدقيقة اقتنع سيدنا موسى عليه السلام ، فالخضر اذن لم يفعل واحدا من هذه الاشياء عن أمره وانما بأمر الله الذى يعلم السر وأخفى ، **ويعلم ما تبدون وما تكتمون كما قال : « وما فعلته عن أمرى ... »** ولربما يكره الناس شيئا فى ظاهره ويكون فى باطنه الخير الوفير « **وعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا** » .

من أحكام الشريعة الإسلامية وآدابها

فضيلة المستشار محمد خاطر

لقد تجلى فيما اوردناه من أحكام بشأن الخطبة ، وما يقدمه الخاطب للمخطوبة وآراء الفقهاء فى رد **ذلك حين فسخ الخطبة ، وما اتجه اليه الفقه الاسلامى بشأن تعويض المخطوبة عما أصابها من اضرار ، وما رسمه بشأن حد المهر قلة وكثرة** — تجلى فى ذلك كله بدليل قاطع ان نظريات الفقه الاسلامى سباقة الى تحقيق مبادىء العدالة وان القوانين الوضعية والمبادىء القضائية كانت فيما اوردناه من مسائل عالة على نظريات الفقه الاسلامى ذلك لانه ينتهج فى تأصيل قواعده الشمول والعموم والمساواة ، كما يتميز بالمرونة فى اتجاه تحقيق العدالة دائما ومراعاة الاعذار ونفى الاضرار ، « **لا ضرر ولا ضرار** » .

— واليوم نعرض ايضا الى بعض قضايا أحكام المهر ومنها ترى مبادىء الفقه الاسلامى متجلية الغرض واضحة الوجهة نحو اسعاد الفرد والمجتمع بقيام رابطة الزوجية ومسائلها المالية على اسس سليمة صالحة .

— **فلقد اشرنا فى مقالنا السابق الى ان العقد يصح** بدون ذكر المهر فيه او تسميته تسمية صحيحة وان للمرأة فى هذه الحالة مهر المثل . كما قلنا ايضا ان المهر حكم العقد وقد وجب لحق الشرع واظهارا لخطر العقد ، واذا كان الامر كذلك كان لابد حينئذ من بيان سبب وجوب المهر . وفى ذلك يقول فقهاء الحنفية ان سبب وجود المهر احد امرين ١ . — العقد فى الزواج الصحيح ٢ — الدخول بالمرأة فى الزواج الفاسد — وهو فى الاخير أشبه بالعقوبة منه بالمهر وذلك لان الدخول بالمرأة لا يخلو عن حد او مهر وهذا المعنى قد عبر عنه الفقهاء ايضا بقولهم الدخول بالمرأة لا يخلو عن (**عقر او عقر**) اى حد او صداق

ويرى الامام الشافعى ان المهر لا يجب بنفس العقد وانما يجب بالفرض او الدخول مستدلا بقوله تعالى « وآتوا النساء صدقاتهن نحلة » . والنحلة هى العطية والصلة فدلت الاية على ان المهر صلة زائدة فى باب النكاح فلا تجب بنفس العقد ، ولان النكاح عقد ازدواج لان اللفظ لا ينبىء الا عنه فيقتضى ثبوت الزوجيه بين الزوجين وحل الاستمتاع لكل واحد منهما بصاحبه تحقيقا لمقاصد النكاح — ولضرورة تحقق هذه المقاصد ثبت عليها بالعقد نوع ملك فى منافع البضع . لكن لا توجد ضرورة فى اثبات ملك المهر لها عليه . فكان المهر حينئذ عهدة زائدة فى حق الزوج صلة لها ولا يصير عوضا الا بالتسمية .

وقد ابان فقهاء الحنفية وجهة نظرهم فى ذلك كما اوضحوا الاثار الدالة على أن سبب وجوب المهر فى الزواج الصحيح هو العقد . فقالوا بشأن الاية (**وآتوا النساء صدقاتهن نحلة**) . ان النحلة كما تذكر بمعنى العطية تذكر بمعنى الدين يقال ما نحلتك اى ما دينك فكان المعنى وآتوا النساء صدقاتهن نحلة اى دينا اى انتحلوا ذلك وتكون الاية حجة فى انها تقتضى ان يكون وجوب المهر فى النكاح دينا . هذا وقد قال القرطبى فى كتابه الجامع لاحكام القرآن فى تفسير هذه الاية « النحلة بكسر النون وضمها لغتان واصلها من العطاء فالصداق عطية من الله تعالى للمرأة . وقيل نحلة اى عن طيب نفس من الازواج من غير تنازع . وقال قتادة معنى نحلة (**فريضة واجبة**) . وقال الزجاج نحلة] **تدينا**] . والنحلة الديانة والملة وهذا حسن مع كون الخطاب للاولياء الذين كانوا يأخذونه فى الجاهلية فانتزعه الله منهم وامر به النساء . واذا كان الامر كذلك وكان نص الاية قد احتمل المعانى المذكورة على نحو ما اوضحنا فلا يكون فى الاية حجة لما ذهب اليه الامام الشافعى مع وجود هذا الاحتمال والمعانى المتعددة لكلمة (نحلة) .

هذا وقد دعم الحنفية ايضا ما ذهبوا اليه من وجوب المهر بنفس العقد فى الزواج الصحيح ، بأن ملك النكاح لم يشرع لعينه بل من اجل مقاصده وما

يترتب عليه ، ولا حصول لهذه المقاصد الا بالدوام والاستمرار ، والقرار عليه لا يدوم الا بوجوب المهر بنفس العقد لما يجرى بين الزوجين من الاسباب التى تحمل الزوج على الطلاق من الخشونة والوحشة ، فلو لم يجب المهر بنفس العقد لا يبالى الزوج من ازالة هذا الملك بأدنى خشونة تحدث بينهما لانه لا يشق عليه ازالته اذ لم يكن لزوم المهر قد وجب به ، فلا تحصل المقاصد المطلوبة من النكاح ، ولان مصالح النكاح ومقاصده لا تحصل الا بالموافقة ولا يحصل ذلك الا اذا كانت المرأة عزيزة مكرمة عند الزوج ولا يكون ذلك الا بانسداد طريق الوصول اليها الابمال لهخطره عنده لان ما ضاق طريق اصابته يعز فى الاعين فيعز به امساكه ، وما يتيسر طريق اصابته يهون فى الاعين فيهون امساكه - ومتى هانت الزوجة فى عين الزوج تلحقها الوحشة فلا تتم مقاصد الزواج وما اريد له من دوام واستمرار .

كما استدل الحنفية ايضا على صحة ما ذهبوا اليه من وجوب المهر بالعقد - انها اذا طلبت الفرض بعد العقد الذى لم يسم فيه المهريجب على الزوج الفرض فان امتنع من ذلك اجبره القاضى فان لم يفعل قام القاضى مقامه فى الفرض وهذا دليل على وجوب المهر قبل الفرض ، لان الفرض تقدير ومن المحال وجوب تقدير ما ليس بواجب ، كما ان لها ان تحبس نفسها عن الزوج حتى يفرض لها المهر ويسلم اليها بعد الفرض . وذلك كله دليل وجوب المهر بنفس العقد

يؤكد ذلك ايضا ان من تزوج امرأة ولم يسم لها مهرا بأن سكت عن ذكره او تزوجها على الامهر لها ورضيت المرأة بذلك يجب مهر المثل بنفس العقد ويثبت لها ولاية المطالبة بالتسليم

- ولو مات احد الزوجين بعد العقد ولو قبل الدخول وقبل الخلوة كان المهر حقا للزوجة فتأخذه كاملا ان كانت على قيد الحياة ، فان كانت هى التى توفيت قبل زوجها يورث عنها كما تورث سائر اموالها . وذلك لانه بموت احد الزوجين ولو قبل الدخول وقبل الخلوة يتقرر المهر الواجب بالعقد ويتأكد وجوبه بتمامه - وفى هذا ما يشير الى أن المهر يجب بالعقد الصحيح من اول الامر وجوبا غير مستقر بمعنى انه معرض للسقوط كلا او بعضا مادام لم يوجد ما يؤكد وجوبه بتمامه من دخول حقيقى بالزوجة او خلوة صحيحة بها او موت احد الزوجين

- فقد يسقط نصف المهر المسمى فى العقد وذلك بالطلاق قبل الدخول وقبل الخلوة وقد يسقط المهر كله وذلك بالفرقة من قبل الزوجة قبل الدخول بها (وسنبين كل ذلك بالتفصيل ، أى مايسقط بعض المهر اوكله وما يؤكد وجوبه بتمامه فى موضعه من البحث فى مقال آخر) .

- ومما اوضحناه من ادلة وصور يظهر بجلاء وجوب المهر بالعقد فى الزواج الصحيح اما فى عقد الزواج الفاسد كالعقد الذى لم يحضره شاهدان فان المهر لايجب هنا بهذا العقد الفاسد وانمايجب بدخول الزوج دخولا حقيقيا بمن تزوجها زواجا فاسدا لما قلناه آنفا من ان الدخول بالمرأة لا يخلو عن حد او مهر ، وقد سقط الحد هنا لشبهة العقد فوجب المهر فان كان المهر قد سمى فى العقد كان الواجب هو الاقل من المسمى ومن مهر المثل ، وان لم يكن قد سمى المهر فى العقد كان الواجب هو مهر المثل

- هذا ولما كان مهر المثل وقضايا المهر عامة فى عقد الزواج الصحيح مرتبطة به اذ هو المرجع اذا لم يسم المهر فى العقد اصلا او سمى فى العقد تسمية غير صحيحة ، او نفى المهر فى العقد بأن اتفق الزوجان على الا مهر للزوجة - كان لابد من معرفة مهر المثل والاسس التى يقوم عليها تقديره لدى الفقهاء ، وما يحصل من خلاف فى تقديره ، وكيف يحسم هذا الخلاف ، وسنتولى كل ذلك بالتفصيل فى مقالاتنا الاتية حتى تستوفى قضايا المهر كلها بعد ان نبين ما يصح تسميته مهرا وما لا يصح وما للفقهاء من خلاف فى ذلك بشأن المال والمنفعة لترى ما فى الفقه الاسلامى من عمق وما احتواه من كنوز .

بنو إسرائيل في ميزان القرآن

وأخيرا ...

الأستاذ البهي الخولي

منذ أربعة عشر قرنا أعلن القرآن الكريم حقيقة اسرائيل ، اذ أعلن رأى أبيهم يعقوب فيهم وهو يحذر يوسف كيدهم المدمر بقوله : « يا بنى لا تقصص رؤياك على اخوتك ، فيكيدوا لك كيدا ، ان الشيطان للانسان عدو مبين ! ٠٠ ومن الواضح ان التحذير مؤسس على ما يعرف النبى الصالح لبنيه من شراسة الجبلة والتطير باى معنى علوى يرقى به شأن الانسان : فقد أدرك الشيخ الجليل ذو البصيرة النافذة مدى ما تقع الرؤيا الصالحة من عداء بنيه للمعنويات الفاضلة ولا سيما مايتصل منها برسالات السماء.. وذلك العداء خاصية مضادة لفطرة الانسان ، فان الانسان قد يقصر فى حق قيمه ومبادئه ، أما أنه ينطوى لها على ضراوة المقت التى لاتصبر فى المناوأة على مادون القتل والتدمير ، كلا ٠٠ انما نعرف ذلك العداء - العداء الذى لايهدأ على كثرة الضحايا - نعرف انه شأن الشيطان فى الارض ، فلا جرم ربط النبى الصالح ذو البصيرة المتمكنة فى فقه الكون الباطن بين الشيطان وجبلة بنيه فى وحدة الخصائص ، ووحدة الموقف الذى يتخذه كل منهما من « الانسان » بقوله : « ان **الشيطان للانسان عدو مبين** » ، مع فارق عجيب بينهما ، هو أن لهم صورة آدمية ، وليست له تلك الصورة .. وأنه لا يملك للانسان الا الوسوسة والاستدراج الى التهلكة ، اما هم فيملكون له - الى ما تقدم - ضراوة القتل ، ودسائس التخريب ، وتأليب الطوائف ، والتحطيم الحسى أو المعنوى لكل شخصية تنبع فى السياسة أو الاقتصاد ٠٠ واذا كان ذلك شأنهم المطرد ابد الدهر فانه لا يتسق الا اذا كانوا فصيلة قائمة بذاتها ، ولذا افتتح الله شأنهم فى كتابه بقوله : « **لقد كان فى يوسف وأخوته آيات للسائلين** »

● واذا كان هذا تقرير القرآن منذ أربعة عشر قرنا ، فهو ما سجله واقعهم فى كل بيئة وجيل منذ كانوا الى اليوم ، وانه ليعيى الباحث المنصف أن يفسر هذا التاريخ تفسيره الحق الا على أنهم فصيلة ، لا على أنهم بشر عاديون ٠٠ فتأبيهم على المعايشة ، وقوانين الاندماج الاجتماعى باحتفاظهم بخصائصهم ذات الطابع الموحد فى كل بيئة ، لايمكن أن يفسر الا على أنهم فصيلة ٠٠ وانظر شأنهم عقب عودتهم من السبى البابلى ، وقد قاموا يعلنون الى « عزرا » أن من أفدح ذنوبهم التى جلبت عليهم غضب الرب ومحنة السبى أنهم « لم ينفصلوا من شعوب الارض حسب رجاساتهم » ٠٠ لانهم اتخذوا من بنات هذه الشعوب لانفسهم ولبنيهم ، واختلط الزرع المقدس بشعوب الارض » ٠٠ « لقد خنا الهنا واتخذنا نساء غريبة من شعوب الارض ٠٠ فلنقطع الان عهدا مع الهنا أن نخرج كل النساء والذين ولدوا منهن » ٠٠ « وانتهوا من كل الرجال الذين اتخذوا نساء غريبة فى اليوم الاول من الشهر الاول » : عزرا - ٩ ، ١٠ - ٠٠ ومن البديهى أن اقحام الحالق فى ذلك ليس افتراء فحسب ، انما هو لغو فاسد ، وليس فى الدنيا من لايراه ساقطا غير جدير بالالتفات ، وليس فى الامر كله الا أنه يمثل حواجز نفسية فى ضمائرهم بينهم وبين سواهم هى مقتضى أنهم « فصيلة » مغلقة على نفسها ، وهى التى ثارت منها النقمة على المصاهرة الاجنبية ، اذ قد اختلط بسببها «الزرع المقدس» بشعوب الارض ، ولم يكن لنقمتها من شفاء الا أن تطلق كل زوجة أجنبية ومعها ابنها الذى انجبته من الاسرائيلى دون اعتبار لاى صلة نفسية تكون بحكم الصحبة بين أى زوجين ، وهذا شأن المتطير الذى تثيره اى رابطة بينه وبين بنى الانسان ، وهو شأن الفصيلة لا شأن البشر العادى ٠

وهذا الذى تقرر من دلالة القرآن والاحداث ، قد قرره مفكر اوربى معاصر فى كتاب له عن اليهود ، **عناه فيه من شأنهم ذلك التحجر الذى تماسكوا به على**

التاريخ فلم يتماعوا فى مجتمع من المجتمعات ٠٠ الى آخر ما عناه من ملاحظة لاحوالهم ، وخرج من تعليل ما رآه بأنهم « طبقة » فى المجتمع الانسانى !! ٠ وقد نقل ذلك لنا مكسيم رودنسون المستشرق الفرنسى اليهودى فى احدى محاضراته التى القاها بالقاهره فى ديسمبر الماضى ٠

ونحن ناسف لان كتاب المفكر الغربى ليس بين أيدينا ، فقد تكون كلمة « طبقة » ترجمة مخففة لكلمة « فصيلة » او ما يقاربها ٠ وقد يكون التخفيف جاء من عدم دقة الترجمة ، أو جاء اشفاقا من المحاضر أن يوصف قومه بانهم « فصيلة » ٠٠ ومع ذلك فما معنى أنهم طبقة فى المجتمع الانسانى ؟ ٠٠ ما معنى أن طائفة من هذا المجتمع تاخذ فيه وصع الطبقة المصمتةفىكل حالاتهوحالاتهالاتنحللها صبغةولاتتغير خاصيته منذ نشاتهم الى اليوم فى مدى يزيد على ثلاثة آلاف وخمسمائة عام ، على ما تداولهم خلال ذلك من أحداث جسام قبل التشريد وهم أمة ، وبعد التشريد وهم جاليات متفرقة على وجه الارض ؟ ٠٠ ان الانسانية قيم كريمة مشتركة بين كافة افراد الانسان ، تذوب فيها كل الفوارق ، ويتواصل الجميع بما تتضمنه من روح الود ودواعى التعارف ٠ فما معنى أن اسرائيل « العنصرية » طبقة فى ذلك المجتمع ذات طابع أبدى يميزها من سواها فى المقومات والخصائص الاصيلة فى كل بيئة وعصر منذ وجدوا الى اليوم ؟ ــ ما معنى ذلك اذا لم تكن تلك « الطبقة » هى شيئا مقحما على طبيعته ، لا تأخذ منه ولا تعطيه ؟ ٠٠ فاذا كان ذلك كان معنى الطبقة فأى فارق يفصلها عن حقيقة الفصيلة ؟ ٠٠

ــ ٢ ــ

ونريد بذلك ان ننبه ان هؤلاء منذ أن تفرقوا فى الارض بمحنة تيطس ، وهم يتصرفون فيها تصرف الفصيلة ، دون أن يفطن احد لوجوب دراستهم وتنظيم الوضع الذى يساسون به بحبل من الله او بحبلمن ممتلى المجتمع ٠٠ ومع أن القرآن جاء بتقرير حالهم وتقرير الوضع الذى يساسون به خاصة فـان المجتمعات الاسلامية لم تفطن الى عمق ما جاء به القرآن وحكمته ، وظلت الفصيلة تمارس شانها فى كل مجتمعات الدنيا بطابعها المعين فى ظروف متباينة بين الاغضاء ، والارتياب ، والعنف حتى قامت الثورة الفرنسية معلنة المساواة والحرية وحقوق الانسان ، وتلقفت الشعوب تلك المبادىء ، واتجهت الجموع الى المعايشة فى ظلها ، وكان ذلك خليقا أن يصلح سريرة هؤلاء لو أنهم من فطرة الانسان ، وأن ما بهم مجرد عقد انحرفت بهم عن سلوكه السوى ، ولكن جبلة السوء لم تجدهذا التسامح الساذج الااذنا لها بأن تمتد لممارسة شانها فى كل موطن ٠٠ وشانها هو تدمير الحضارة ٠٠ هو التطير بقيم الانسان تطيرا لا يطيق لهما اثرا ولا يقف فى الافساد والبلبلة عند حد ٠٠ ومد لهم فى التسامح أن الغرب فى ماديته نبذ الدين وجعله « هواية » يمارسها من يشاء على هامش الحياة ، دون أن يكون له بسببها امتياز ما أو رجحان ، أو اى حق قبل المجتمع ، فاستوى بذلك لديهم الاسرائيلى وغير الاسرائيلى ، وانحصر النظر الى الجميع من زاوية الجدوى فى محيط الانتاج ، لا من أنق الفضائل التى يزكو ويتفاوت بها قدر الانسان. لقد أصبحت الفضائل هى فضائل القدرة والجد فى التثمير واستنباط المنافع ، وغدت أحقية أى فرد أو أمة بالحياة مرتهنة بحظه أو حظها من النبوغ والتفوق فى تلك الميزات العلمية ٠٠

وفى هذا المنطق الذى يهمل مثاليات الحياة وروحها ويهتم لحسيتها ، احرز هؤلاء تقدما فى محيط المال والتثمير واحرزوا تبعا له منزلة كبيرة من الاعجاب والنعه بكفاءتهم ٠٠ ولكنهم لم يجدوا فى كل ذلك الا ما اذكى نشاطهم ٠٠ وزاد فاغرى النزوع العنصرى ان يجمع فرقه المبعثرة فى رابطة يحكم بها تطويق الانسان !!

● والنزوح العنصرى امر غير شأن الفصيلة الذى قدمنا ، فشأن الفصيلة هو التطير بقيم الانسان تطيرا لا يرضى بما دون تدميرها ، أما النزوح العنصرى فيمثل ، الرباط الجامع لافراد الفصيلة فى خصائص واحدة ، ولا يرضى هذا النزوع الا أن يكون موصول الحلقات بكافة أفراد الفصيلة وطوائفها أينما كانوا ، بحيثيشعر كل فرد بتآزر النبضووحدة التنسيق٠٠ فاليهودى فى مصر ــ مثلا ــ كان فى أيام ضيعتهم اذا أوقع احد أعيانها فىشباك دسائسهومراباتهوحطمه اقتصاديا والصقه بالتراب احس له فى نفسه رضا يشتفى به تطيره ، ولكنه مع ذلك يحس أنه عمل فردى منقطع الصلة عن تنسيق عام يخطط ويسعى به الى غايته المشتركة ٠

كان هذا النزوع قلقا يحس الضيعة وفقدان النبض العام الذى ينتظم الكافة فى وحدة مشدودة الاصرة ٠٠ كان يحس الحاجة الى : قلب عام وفكر ٠٠ الى « كيان » تتركز فيه خصائص الجبلة فكرا وعاطفة يتجاوبون معه فى تناسق ، وينفعل بمشاكلهم الاساسية انى كانوا ٠٠ وكانت ظروف الارتياب والعنف لا تسعف هذا النزوع الى ما يريده ، فلما كان عهد التسامح المطلق او الساذج وجد النزوع القلق فرصته ليجمع الاشلاء المتناثرة فى الكيان الذى ينشده ٠٠ كانوا يحسون فقدان الرابطة فما لبثوا أن الفوا الجماعات السرية اليهودية ، وبمضى الزمن وتطور الامور التأمت تلك الجماعات فى مؤتمر عقد فى مدينة بال بسويسره عام ١٨٩٧ ٠٠ ومن قبل ذلك ما كانوا يجرءون على شىء ٠٠ وصار ذلك المؤتمر فيما بعد هو الزعامة الممثلة لخصائص الصهيونية ، المخططة لاهدافها الخطرة الشريرة ٠٠ الى اليوم ٠٠

وكانوا يحسون الضيعة كما قلنا ، وهى ضيعة يشعرون معها - فى جوار الانسان - بغربة ، أو وحشة فأن الارض أرضه ، وفى احساسهم أنهم ليسوا منه ، فلا يرضيهم ولا يسكن قلقهم ووحشتهم الا أن يكون لهم **وطن ما** ، يضع نهايته للتيه العاطفى ، ويكون رمزا لتوطنهم الارض .. وقد عرض عليهم مكان فى استراليا ، وآخر فى افريقية ، فقبلوا ٠٠ ولاحت لهم فرصة فلسطين فاغتنموها ، وكان مسلما منهم مقدما أنه لن يستوعبهم ، وأنهم لن يخفوا للهجرة اليه ، انما هو رمز تلتقى وتترابط به المشاعر التائهة على تباعد المواطن ٠٠

٣

ونريد للناس كافة أن ينزعوا عن الفطرة الساهية التى لا تحفل بتمحيص الحقائق وتسمية الاشياء باسمائها ٠٠ نريد للقارىء الثاقب ، النظر ان يلتمس حافزا لذلك القلق والدأب غير حافز الفصيلة ٠٠ هل يراه ضربا من التأمين بعد ان زال ما كانوا يزعمون من اضطهاد وتعصب الى غير رجعة ؟ .. السنانرى صوت الصهيونية يعلو كلما تأكد التسامح ورسخت تقاليده ، وكان حريا بهذا الصوت أن يخفت بزوال الضرورة الداعية اليه ؟ ٠٠ أو هل يراه ضربا من الاهتمام البرىء برعاية المصالح وتنظيمها ؟ ٠٠ فما ضرورة ذلك التنظيم اذا كانت مصالح كل طائفة او جالية مرعية أتم رعاية بقوانين الدولة التى تعيش فيها ؟ . بل ما ضرورة تلك الرعاية اذا كان نشاط كل جالية فى موطنها يمكن لها من الهيمنة على اسواق المصالح والمنافع ؟ ٠ ما ضرورة تلك الرعاية حيث لا ضرورة ، الا أن تكون جهازا لتخطيط مآرب الفصيلة على النطاق الدولى ؟ .. وهل يرى استماتتهم فى تأييد الرمز ، المسمى « اسرائيل » ضربا من اعزاز صلتهم السابقة بفلسطين ؟ وأن قلقهم انما كان حنينا لمأواهم السابق ؟ ٠٠ ان ذلك يكون جائزا الى حد ما لو أن تشريدهم من فلسطين وقع من مائة عام أو مائتين ، اما وقد مضى على خروجهم تسعة عشر قرنا ، ألفا وتسعمائة عام ، فانه لا العلم ولا العقل يقبل أن يعلل ذلك بحنين او ولاء ، ونحن نعلم أن بين امم اوروبا طوائف عدة وفدت عليها فى القديم من اواسط اسيا ، وهى الان حيث هى لا يخطر لها ببال طيف العودة الى البلد الاصلى او الحنين اليه ، لانه ليس من طبيعة الاشياء ، ولا من فعل العقلاء ، وكلنا يعلم مدى السخرية التى يقابل بها من تحدثه نفسه بذلك او يسعى اليه ٠٠ هذا الى أن باب اسرائيل مفتوح ، وداعيها قد بح صوته نداء بالهجرة فى استجداء وتوسل ، فلم يلب الدعوة فى مدى عشرين عاما غير واحد من كل عشرة فلو أن للحنين المزعوم حقيقة لغصت اسرائيل بمن لبى اليها نداء تمليه ٠٠ فاذا كانت دعوى الحنين او الولاء منقوضة بواقعهم ، وهى لا تستند الى قانون علمى ، لا يبقى لتعليل القلق والاستماتة الا النزوع الذى اسلفنا امره فيما سبق ٠٠ وقد كانوا قبل أن تلوح لهم فرصة فلسطين ينشدون بقعة ما من الارض ، وقد رشح لهم مكان باستراليا ، وآخر بأفريقيا ، فقبلوا الترشيح ولم يعارضوه ، فهل تراهم كانوا يعانون الحنين لفلسطين اذ قبلوا ان يستبدلوا بها مكانا بأقصى الارض ؟

● وبعد ، فقد يحسن الظن بهم من يحسن ، وكانه يقول : ماذا تأخذون على هؤلاء من عيب ليس لغيرهم مثله ؟ .. اتعيبون الغدر والقتل ؟ ففى الناس غدر وقتل ٠٠ أو تعيبون نبذ العهود ؟ فمتى خلا غيرهم منه ٠٠ او تعيبون الانحلال والفجور ؟ ٠ فمتى خلت المجتمعات من ذلك .. وتذكرون البخل والربا ؟ . فاقنعونا متى كان ذلك خاصا بهم دون سواهم ٠٠ وتذكرون حب المال ؟ . فارونا من من الناس لا يحبه ؟ ٠٠ فاذا نشطوا فى ذلك وكانوا أكثر الناس غنى ، فهل منعوا الناس ان يكونوا اكثر غنى ؟ .. واذا زعموا انهم شعب الله المختار ، فماذا تضركم تلك الدعوى ؟ .. أيرتبون عليها أن الله خلق الثروات لشعبه المختار ، وخلق سواهم ليكونوا عبيدا وخدما لا حرمة لهم فى مال اودم الا حرمة العبيد؟ اذا كان ذلك من سنة الله فما لكم بمقاومة سنته يدان ٠ واذا لم يكن من سنة الله فلماذا لا تتذرعون بسنته تعالى لتدفعوا مصيرا تخشونه ، وقد علمتم أن سنة الله لا تعتب ولا تعذر من أعرض عنها ؟ ٠٠

والواقع ان ذلك من فلسفة التسامح الذى نعتناه أكثر من مرة بالسذاجة ، وهى فلسفة سطحية قد يرددها العملاء ، وقد يرددها من لاحظ له من نفاذ البصر .. فأنا لا تغيب عليهم العيوب لذاتها ، ففى الناس مثلها ، انما نعيب ونحذر ان العيوب بالنسبة للناس مقصودة لذاتها بدافع الانانية والوطر الشخصى ، اما بالنسبة لهم فغير مقصودة لذاتها ، ولا لوطر خاص ، انما هى « وظيفة » او وظائف يسهم كل منها بحظه فى تحقيق هدف عام هو لبانة فطرة كل منهم ٠٠

ان ثمة من الخاصيات ما لا يشركهم فيه أحدا ، ذلك أن حصيلة جهد كل منهم تأخذ - على مختلف المواطن طابعا واحدا متجانس السمات من حيث الاهداف والبواعث ٠٠ وأنه الى ذلك لا يرتبط بالجماعة التى ينزل بها باى وشيجة انسانية تجعله صالحا للاندماج والمعاطفة ، اى يظل بينهم ولا ولاء له يتجه لوطن او مواطن فاذا سئل الخيانة اتاها فى ابشع ما تكون الضراوة والعداء ، ولم يكن يهود المانيا يعتبون عليها اى اساءة حين انقضوا عليها تخريبا وتمزيقا ، وهم فى حربهم العالمية الاولى ضد الحلفاء ، فكانوا من أشد العوامل قسوة فى هزيمتها حين دعاهم الى ذلك مخطط صهيونيتهم الرهيب .

فاذا بدا فى تلك الخيانة وصف « الوظيفة » فان مرادنا ان نبرز امرين مما انفردت به حيلة الفصيلة

وبرئت منه جبلة عامة الناس ؟ هما اللذان قررناهما الان : الاول ، ان حصيلة كل منهم تأخذ — على مختلف المواطن طابعا متجانس السمات فى البواعث والاهداف ، والثانى ، انه لا يرتبط بالجماعة التى ينزل بينها بأى وشيجة انسانية تحمله على الولاء لها وتجعله صالحا للمواطنة ·· فاذا كان الامر الثانى يحمل خاصية المنابذة ، فالامر الاول يحمل « جماعية » تلك الخاصية ·· وكلا الامرين ينبعث من جبلة واحدة ، هى التطير بقيم الانسان ، وماله من ملكات عليا هى عدته لمعرفة المحن ، ، وهى مناط حضارته لعمارة الارض بمثل الحق ، والبر ، والعدل ·· وهما اذ ينبعثان من تلك الجبلة لا يعرفان لهما وجهة الا تدمير قيم وملكات ذلك الانسان !! ·· لا يعنيهم قتله اذا استطاعوا تفريقه من طاقته ، فان القتل ليس مقصودا لذاته كما قدمنا ·· ولا يكربهم ان يتفنى اذا صار فى ايديهم عميلا ذلولا مدمر الضمير عبدا لشهوته وحسيته .. وهذا ما يمارسونه الان ··

● **ولا نطيل بذكر مفردات أمثلتهم فى ذلك ، فالامثلة تتكرر كل آن فى صور شتى ، اقتصادية ، وثقافية ، وسياسية ، فى محيط التجارة ، والبنوك ، والشركات ، والصناعه ، ودور الاعمال عامة ·· وفى محيط الصحافة والمجلات ، ودور نشر الكتب ، وما اليها من مطابع وتوريد للورق ·· الى الاذاعة والتلفزيون والسينما والمسرح ، والاعلانات ، وسائر وسائل الاعلام الى المؤسسات العلمية كمؤسسة جائزة نوبل ··** وفى محيط الاحزاب السياسية والمجالس النيابية ودور الحكم ·· فى تلك المحيطات الاساسية الخطيرة تتكرر الامثلة الرهيبة التى يمارسون بها غايتهم بما لايدخل تحت حصر .. فاذا ذهبت تنظر اليها فى محيط واحد ، او فى قطاع من محيط ، انتكث عليك منطقك وأعياك أن تبلغ الحقيقية ، فاذا رحت تعرض القطاعات والمحيطات جملة ، بدت لك الشواهد المتباينة على الصعيد الكلى نسجا مؤتلفا دالا على وحدة المصدر ، وعلى التناسق والتآزر فى تحقيق الهدف العام ، وانه ليعجز أى منصف أن يجد هدفا يفسر ذلك كله الا أنه تدمير قيم الانسان ومسخ ملكاته التى هى مناط امتيازه فى الارض ·

سل نفسك : اى هدف يعنونه بالسيطرة — مثلا — على مؤسسة كمؤسسة جائزة نوبل ؟ ·· او سلها · اى هدف يبغونه بالسيطرة على المحيط الثقافى كافة ، فما يرضون عنه من الكتاب ، والا اوصدت دونه دور النشر حتى لايجد ورقة يطبع بها كتاب ؟ .. او سلها : اى هدف لها من شراء ضمائر كبار المؤلفين المسرحيين ، والمخرجين ، ومحررى الصحف ، والمذيعين ونحوهم بالثمن الدسم ، وكلهم فى القدرة على التأثير مع المع وانبغ المواهب ؟ ·· لا شىء الا تمييع المحيط الثقافى حتى يعجز عن امداد الفكر الانسان بالزاد الذى يبنى كيانه ويقيم وحدته والفته على الحقائق الصادقة ، فلا يكون به الا التيارات المتحاذية المتلاحقة وثقافة الجنس والانحلال التى تبلبله وتطمس نوره ، وتدعه فى أمر مزعج من حيث لا يدرى ، ويصير كل منهم هيكلا خربا مدمرا تعبث به نزوات المظاهر ومختلف لذات الحس ·

وليس من قصدنا مناقشة سائر أمرهم فى محيط الاقتصاد واحزاب السياسة ، فأنه لا يفضى بنا الا الى ما قدمنا ، ولكنا نسأل اذا كانت الحضارة الصادقة هى التى تزدهر فيها قيم الانسان وملكاته العليا ، فما وزن مخطط ينظر لتلك المقومات فى حقد وشراسة ، ولا يقف دون حد فى تدميرها حتى لا يكون فى الارض الا كل مخرب يعمرها عمارة الشياطين ؟ ·· واذا استمر الاغضاء عن تلك الجرائم باسم التسامح الساذج ، او باسم الهياكل العملية التى لا وجود لها الا وجود الشهوات الدنسة ، فما مدى استمرارها على معارضة سنة الله فى الخلق ؟ ·

ان التجارب المتتالية علمتنا أن لا صبر لفطرة الله فى الانسان على ما يعارضها من تحديات باطلة ، وان الانسان — الانسان الذى هو قاعدة المجتمعات فى كل أمة — مهما تزيف حقيقة الحياة وأهدافها ، لابد أن ينقلب على ما يزيف له ، لان سنته ان يحيا حياته السوية على ما خلق الله ·

ولا يدور بخلدى ان ذلك هو عدتنا فى معركتنا التى نصطرع فيها وأياهم ، فان معركتنا ذات قانون خاص يوجب النفير العام لمقاومتهم بالنفس والمال ، يخرج العبد بغير اذن سيده ، وتخرج المرأة بغير اذن زوجها ، لا يلوى احد على مال اونحوه فان قانون النفير العام هو تجنيد كافة الامكانات البشرية والمالية جميعا للمعركة ، بقوله تعالى « انفروا خفافا وثقالا ، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ! » ، ولكننا نعالج موضوعهم من زاوية السنن العامة التى تتحكم فيه ، فستنفجر المجتمعات فى غيظ وغضب ، وسيشيع البغض لهم فى كل شىء ، وسيأخذهم الوجل من كل شىء على ما صور نبى الاسلام صلى الله عليه وسلم ، يختبىء احدهم فى ركن من حجر ، فيبرأ الحجر يقول : يامؤمن ، ايها الانسان ، ورائى يهودى فاقتله .. ولن يكونوا فى ذلك الا ضحايا ما أرخى لهم من زمام باسم التسامح ، ويومئذ يفرض علينا منطق التجربة العنيفة ان تجلعهم فرقة فى كل مجتمع « بحبل من الله ، او بحبل من الناس » ·· والا فان لجاجة الطبع الشرس ستظل تقتحم بهم الى الشر مرة ، ومرات ، وسيجدون فى كل مرة الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ·

براعة الاستهلال وروعة الأساليب في فواتح سور القرآن

فضيلة الدكتور
عبد الغني الراجحي

نحن الان وفى هذا المقال ، لا زلنا فى مرحلة النظر والتأمل ، فى هذا النوع من فواتح سور القرآن : وهو النوع الذى جاء بأسلوب الخبر والجملة الخبرية .

•

ولقد اشرنا فى مقالنا السابق : الى ان هذاالنوع من الفواتح ، يستمد طاقته البلاغية ، وروعة صدقه وجلاله ، من عظمة المتكلم به المخبر بالخبر ، وهو الله جل جلاله ، ولا أصدق من الله حديثا ، ولاينبئك مثل خبير ، ويستمدكذلك اهميته الداعيةالى الالتفاتاليه والاصغاء له ، من أن ما يفيده من أخبار ، انما هى أخبارجسام لها وزنهاوقيمتها حيث ينبىء العباد بما لا عهد لهم بمعرفته ، من أنباء اليوم الاخر وأهواله وأحواله ، مما يتعلق بمستقبل السامعين ، وحيث يكون النبأ فى أحيان أخرى كثيرة بفحول الانباء ، من أحوال الله وشئونه فى ملكه وملكوته وتصريفه أمور خلقه ، وصدور الافاعيل الجليلة عن ذاته الشريفة وما شاكل ذلك : مما لا يكون أبدا من قبيل الاخبار التافهة الهزيلة التى لا يلقى لها سامع بالا ولا يرفع لها رأسا .

لقد جاء أسلوب الخبر والجملة الخبرية حديثا من الله . وعنه . تمدحا بأعظم نعم الهدايات والديانات ، وهو القرآن الكريم وانزاله فى ليلة القدر ، فقال سبحانه **انا انزلناه فى ليلة القدر ، وما أدراك ما ليلة القدر . ليلة القدر خير من ألف شهر تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر سلام هى حتى مطلع الفجر** » وليس فى السورة آية واحدة خرجت عن هذا الموضوع (١)

القرآن وانزاله وليلة القدر .

ثم جاء أسلوب الخبر والجملة الخبرية حديثا من الله . وعنه . فى فاتحة سورة الكوثر ، تمدحا بانعامه على حبيبه خاتم النبيين ، وافصاحا عن فضله وعظم قدره صلى الله عليه وسلم واعطائه الكثير من النعم ، حين عيره أعداؤه بأنه أبتر ، لم يعقب ولدا ذكرا ، حيث قال له : **انا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ، ان شانئك هو الابتر** » وليس فى السورة آية واحدة تخرج عن هذا الموضوع .

وجاء أسلوب الخبر والجملة الخبرية حديثا من الله وعنه ، بأنه أرسل نوحا الى قومه ، بالهدى والايمان ، فكان منهم ما كان ، حتى آل أمرهم الى شر مآل ، فقال سبحانه ، فى فاتحة سورة خاصة بنوح ومسماة باسمه ، «**انا ارسلنا نوحا الى قومه أن انذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم ، قال يا قوم انى لكم نذير مبين ، أن أعبدوا الله واتقوه وأطيعون .. وتستمر** السورة بأسلوبها الخبرى فى عرض اقوال نوح لقومه ، يعظهم ويبشرهم وينذرهم ليلا ونهارا ، سرا وجهارا ، فلم يزدهم دعاؤه الا فرارا ، فقد استغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا . يقول لهم . **استغفروا ربكم . انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا ، ما لكم لا ترجون لله وقارا ، وقد خلقكم أطوارا ، ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا ، وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا : والله أنبتكم من الارض نباتا ، ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا ، والله جعل لكم الارض بساطا ، لتسلكوا منها سبلا فجاجا .. ثم يرفع نوح الامر الى ربه قائلا له ، رب انهم عصونى واتبعوا من لم يزده ماله وولده**

الا خسارا : ومكروا مكرا كبارا . وقالوا لاتذرن الهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا ، ثم يقول لربه فى موجة غضب « رب لاتذر على الارض من الكافرين ديارا : انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا » فيستجيب الله دعاءه . « فاغرقوا فادخلوا نارا . فلم يجدوا لهم من دون الله أنصار : .. وهكذا تعطينا السورة مفتتحه بأسلوبها الخبرى قصة واقعية شائعة محبوكة الاطراف ، فيها العبرة والعظة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد . فيها الموضوعية والهدف : وفيها الحبكة ، وفيها الحوار ، وفيها البطل ، وفيها العقدة ، وفيها الصراع المذهبى والعقائدى ، وفيها البيان الشافى لنهاية هذا الصراع ، وفيها الامتاع النفسى ، والاشباع القصصى ، الذى لا مجال بعده لسؤال سائل أو زيادة مستزيد ، ولم تقع القصة فى القرآن - ايه قصة - سوره كامله مستقله الا هده القصه فى هده السورة ، فليس فى السورة شىء ، الا وهو من هذه القصه فى شىء ، وسميت السورة باسم بطل القصة نوح عليه السلام ، لانها تمحضت فى قصته وتحصصت ، ويروى الامام السيوطى ان سورة هود (كانت جديره بان تسمى سوره نوح لطول قصته فيها وتكرر اسمه سبع مرات فى اياتها ، لكن لما تمحضت هذه السوره لسوق قصته ، كانت اجدربان تسمى باسمه ، وان سمى سورة هود باسمه لسوق قصته فيها وذكر اسمه فى اياتها خمس مرات .

وجاء أسلوب الخبر والجملة الخبريه حديثا . من الله . وعنه . فى فاتحة سورة الفتح ، تمدحا من الله بفضله على رسوله، فى انه منح له فتحا مبينا حيث قال له « انا فتحنا لك فتحا مبينا ، ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا » وكانت هذه الفاتحة فى عمومها وشمولها وكثره ما يصح ان يراد بها ، شبيهه بفاتحه سورة الكوثر التى نصت على ان الله أعطاه الكثير من النعم والفضائل والخصائص . فقد قيل فى الفتح ان فتح مكة فى السنة الثامنة من الهجرة ، والسورة نازلة قبل ذلك حين انصراف النبى والمسلمين من مكة الى المدينة بعد صلح الحديبية ، فكان هذا الخبر بشارة وتبشيرا له بالفتح قبل حصوله ، تصديقا وتوكيدا للرؤيا التى رآها قبل صلح الحديبية : وجاء ذكرها فى نفس السورة فى قوله تعالى « لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا » . وقيل فى هذا الفتح المبين ، انه هو صلح الحديبية نفسه ، فانه كان اول هجوم للمسلمين على المشركين بمكة ليفسحوا لهم الطريق طائعين او مكرهين الى المسجد الحرام ويخلوا ما بينهم وبينه ، ليؤدوا نسكه وليطوفوا بالبيت العتيق ، فانه وان لم يحصل حرب وفتح فعلى للبلد الامين ، الا انه حصل تراشق بالنبال والحجارة ، والح المشركون فى طلب الصلح وكتابة معاهدة فكان اول اعتراف منهم بالكيان الاسلامى : وكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة لما طال غياب عثمان فى مكة لمفاوضة المشركين ، ولما جفت بئر الحديبية من الماء تمضمض الرسول بماء ثم مجه فيها ففاضت لفورها بالماء معجزة له وكرامة فشرب جميع من كانوا معه ولم يجف البئر بعد ذلك ، وانقلب المسلمون بعدها الى خيبر فغزوها وغنموا منها ، وانتصر الروم على فارس ففرح المسلمون بذلك ، وروى انه صلى الله عليه وسلم بلغه لما نزلت السورة بعد الحديبية ان رجلا قال ما هذا بفتح لقد صددنا عن البيت ، وصد هدينا : فقال صلى الله عليه وسلم بل هو أعظم الفتح رضى المشركون أن يدفعوكم بالراحة : ويسألوكم القضية ، ويرغبوا اليكم فى الامان ، وقد رأوا منكم ما يكرهون .

على أن هناك آراء أخرى فى تفسير هذا الفتح المبين تريد أن تجعله عاما فى كل ما من شأنه أن يقال له فتح ، بحيث يشمل جميع الفتوح التى فتحها صلى الله عليه وسلم من مكه وغيرها فى الحديبية وما بعدها ، ويشمل كذلك ما فتح الله به على رسوله من الاسلام والنبوة واجتبائه للدعوة الى الله بالحجة والسيف وهدايته الى ذلك ، ولا فتح أبين منه وأعظم ، وهو رأس الفتوح كافة ، اذ لا فتح من فتوح الاسلام الا وهو فرع من فروعه وشعبة من شعبه ، وهذا فى نظرى أنسب واليق بما جاء فى آيات السورة كلها ، من ذكر التوفيقات الالهية ، والفتوحات الربانية ، التى شمل الله بها حبيبه ونبيه فى كل ما يتعلق بأصول العقائد والدعوة الاسلامية والثناء على من آمنوا وجاهدوا معه ، والتقبيح لمن كفروا به وصدوا عنه ، فانه فى فاتحة السورة يصرح بانه فتح له فتحا مبينا بالاسلام وحمل رسالته والجهاد فى سبيله بالحجة والسيف ليكون ماله أن يغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر مما هو من قبيل ترك الاولى ، ومن باب حسنات الابرار سيئات المقربين ، مما عوتب عليه واعتبر ذنبا منه بالنظر الى منصبه الجليل ، ويتم نعمته عليه ويهديه صراطا مستقيما وينصره نصرا عزيزا ثم تستمر آيات السورة الكريمة فى بيان هذه الاعانات الربانية التى أعانه بها لكى تتم النعمة الكاملة عليه بالفتح المبين من الله باختياره لمنصب الرسالة ، وتبليغ الدعوة وأداء الامانة والنجاح فى أدائها ، بشد أزره بمن آمن به ، والقاء الرعب فى نفوس من كفر به ، فمن الاية الرابعة الى الاية العاشرة ، تذكر السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ، ويذكر أن لله جنود السموات والارض ، ويذكر الثناء على المؤمنين

والمؤمنات، وتبشرهم بجنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ، ويذكر التقبيح والتهديد للمنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء ، عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا • ثم يذكر كذلك الثناء على الذين بايعوا الرسول هذه البيعة المشهورة ببيعة الرضوان تحت الشجرة والتى تكرر ذكرها فى نفس السورة فى الاية العاشرة والاية الثامنة عشرة •• ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم ، الاية . لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزا حكيما ومن الاية الحادية عشرة الى الاية السابعة عشرة تقليم لاظافر المخلفين من الاعراب الذين قعدوا عن الجهاد مع الرسول واعتذروا بمعاذير مرفوضة ما دامت ليست من باب العمى أو العرج أو المرض ، يقولون شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا ، فيرد الله عليهم بقوله • بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبدا وزين ذلك فى قلوبكم وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا •• والاية الرابعة والعشرون ومابعدها تلويحوتذكير بماكان فى الحديبية من كف الله الفريقين عن القتال اكتفاء بالمعاهدة ، وهو ظفر للمؤمنين على الكافرين الذين كفروا وصدوا المسلمين عن البيت الحرام ، والهدى معكوفا أن يبلغ محله حيث ملأ الكافرون قلوبهم بالحمية حمية الجاهلية ، وملا الله قلوب المؤمنين بالسكينة والتقوى وكانوا أحق بها وأهلها ، وكان الله بكل شىء عليما •• والاية قبل الاخيرة تصرح بذروة الفتح وقمته وخلاصته ، فتقول « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا » .

والآية الاخيرة فى السورة الكريمة وصف للرسول والذين آمنوا معه بما لا يبعد عن معنى الفتح أبدا • بل هو من صميمه وأساسه فتقول « **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود** » • ثم تضرب الاية الكريمة فى ختامها للنبى وأصحابه مثلا من أروع الامثال • وتشبههم تشبيها لا يبعد عن معنى الفتح والتأتى له والتهيؤ للحصول عليه وجنى ثماره حيث شبهتهم بزرع • ينبت أولا ككل نبت ضعيفا قليلا • ثم ما يزال ينمو ويكبر ويتكاثر بواسطة ما ينبت بجواره من براعم وفراخ حتى يستوى على سيقانه فيصير غليظا مؤزرا قويا يعجب الزراع أهل الزراعة لانهم هم الذين أعرف بجودته ، وانما صيرهم الله الى ذلك فكثرهم بعد قلة وقواهم بعد ضعف . ليغيظ بهم الكفار ، وليجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، رهبانا بالليل وفرسانا بالنهار ، فتقول الاية « **ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ : فاستوى على سوقه ، يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما** » • لقد حاربوا فى غزوة بدر وهم ثلاث مائة ثم صاروا فى الحديبية أضعاف ذلك ثم صاروا فى تبوك أكثر وأكثر • ثم انتشروا فى الافاق والاقطار والامصار بعد رسول الله من جدار الصين شرقا الى المحيط الاطلسى غربا فكانوا خير أمة أخرجت للناس ، وكانوا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى اكلها كل حين باذن ربها •

لقد كان الفتح المبين فى فاتحة السورة الكريمة براعة استهلال، تكرر ذكره بلفظه فى السورة مرتين أخريين فى الاية الثامنة عشرة والاية السابعة والعشرين : وأما معناه ، وما يدور حول معناه ويتعلق به ويمت اليه ، فليس فى آيات السورة الكريمة شىء الا وهو منتظم فى هذا السلك • حتى كانت السورة من الفها الى يائها وحدةواحدة متكاملة، تؤكد هذا المعنى وتعالج قضيته ، وتوضح معالمه ، **وتبين مساربه ومظاهره** •

وأخيرا ، **نحب أن نقرر أنه لم يجىء فى القرآن كله فواتح سور بأسلوب الخبر والجملة الخبرية على هذه الصيغة ، صيغة التوكيد « بان » مع اسناد الفعل والخبر الى نون العظمة التى يراد بها الذات الالهية ، الا فى هذه السور الاربع التى أتينا على ذكرها فى هذا المقال ، سورة القدر ، وسورة الكوثر : وسورة نوح ، وسورة الفتح** •

وقد وجدنا فى أخبارها الاربعة التى أتت عليها ، الجزالة والفخامة ، القرآن وانزاله فى ليلة القدر ، والكثير من النعم التى أعطاها الله لخاتم رسله ، ورسالة نوح أول مناضل فى سبيل الرسالات وتبليغها لاهل الارض ، وفتح الله لخاتم رسله فتحابينا بالنصر والتأييد واتمام النعمة والمغفرة والهداية الى الصراط المستقيم ، ذلك كله مع التحام كل فاتحة فى سورتها بما يأتى بعدها من المعانى والحقائق التى تتناولها السورة الكريمة الى نهايتها • وهذا ما نهدف اليه دائما أبدا فى دراستنا هذه من اثبات براعة الاستهلال فى فواتح السور ، وروعة الاساليب فى السورة كلها من الفها الى يائها ، كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير •

الطريق إلى الله

من الذى يمسح برحمته جراح الحياة ٠٠ من الذى يسمع المظلوم ، وهو ينادى وحيدا فى أعماق الظلام منسيا من الدنيا كلها ٠٠ ؟
من الذى يرسل شعاع النور وسط اليأس القاتل ٠؟

الأستاذ أحمد زين

ونظرت الى السماء وقلت يارب ٠٠ هذا دينك الحق ٠٠ وقلت : ان المسلمين خير الامم ٠٠ فلماذا يارب ما نحن فيه ؟ وما هو الطريق يا الله ؟

ووجدت أشياء داخلى تصرخ .. وأشياء تهمس ٠٠ ان الله قد وضع قوانين لهذه الحياة التى صنعها للبشر ٠ وضع لها قوانين معينة وفصلها ٠٠ وفى هذه القوانين سر البناء الداخلى الصلب للانسان ٠٠ للبشر ٠٠ فهل نحن نسير على هذه القوانين ٠٠ وبأى روح ٠ نأخذها ؟! وما الذى أخذناه وما الذى تركناه ؟ ان هذا كله محتاج لان نفهمه قبل أن نصل الى الاجابة على هذا السؤال !!

وسمعت صوتا يرجنى من الداخل .. ان أول خطوة فى الطريق الى الله ٠٠ هى شىء اسمه الامل ٠٠ بلا حدود ولا قيود ٠٠ أول شىء هو غلالة تحيط بكل شىء ٠٠ بكل خطوة اسمها الامل ٠٠ هذا هو طريقنا ٠٠ ان البشر فى حقيقتهم ٠٠ فى قلوبهم ٠٠ أمل متصل بالله ٠٠ أمل كبير جدا ٠٠ من الذى يمسح الدمعة الحزينة ، ويضع مكانها الابتسامة السعيدة ٠٠ من الذى يذهب الخوف من القلب ٠٠ ويدخل اليه ليملأه بالطمأنينة .. الى من تنظر وأنت معلق فى السماء فى طائرة تعطل أحد محركاتها ، وبدأت تتلاعب وتتأرجح بين الوصول الى الارض والتحطم فوق أحد التلال ٠٠ الى من تتجه وأنت مريض يحاول الاطباء شفاءك .. بلا تقدم يذكر .. من الذى يمسح برحمته جراح الحياة ٠٠ من الذى يسمع المظلوم وهو ينادى وحيدا فى أعماق الظلام منسيا من الدنيا كلها ٠٠ من الذى ينصر من لانصير له ٠٠ من الذى يرسل شعاع النور وسط سماء اليأس القاتل ، ٠٠ من الذى نلتجىء اليه حين يصبح كل ما حولنا ظلاما وظلاما .

من الذى يضىء لنا نور الغد ٠٠ ويداوى جراح الحياة ، ويمسك بيدنا كلما سقطنا لنقوم من جديد ؟ من الذى يجدد فينا الامل كلما حاول اليأس القاتل ان يخنقنا ؟ من الذى نلتجىء اليه مئات المرات كل يوم حين يضيع منا الامل ونجد أنفسنا ضائعين وسط ضباب الحياة ؟ من .. من .. حين يتخلى عنك كل شىء فهو دائما موجود ٠٠ وحين يبتعد عنك الجميع ، فهو دائما قريب ٠٠ وحين يتخلى عنك الامل والرجاء فهو دائما المجيب ..

واستطيع ان امضى بلا نهاية .. ومهما قلت فانني لن أستطيع أن أصل الى الاعماق البعيدة التى يضعها الله فينا بالامل .. ولقد ضرب الله لنا مثل الامل فى جميع الرسالات السماوية .. وأرانا كيف خرج من اليأس نور قوى أضاء الدنيا كلها .. واستطاع أن يغير وجه الارض .. وكانت كل هذه الرسل تواجه قوى عاتية « حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا » .

والقرآن ملىء بالدعوة الى الامل .. بل انه يعتبر اليأس نوعا من الضلالة .. « ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون » .. « لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون » .. وهنا يصبح اليأس فى مرتبة الكفر .. وفى مواضع كثيرة كان كل شىء حول النبى يدعو الى اليأس .. فى غزوة الخندق حين اجتمعت كل القبائل تريد القضاء على الدين الجديد .. وأحاطوا بالمسلمين من كل جانب ، ولم تكن هناك بارقة امل فى نصر .. كان كل المحيط بالمسلمين فى ذلك الوقت يجعلهم فى حالة يأس مريرة « الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم .. فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل » « ومن يتق الله يجعل له مخرجا » .

ماذا يعنى كل الذى أريد ان اقوله ؟ .. يعنى أن أول الخطوات فى الطريق الى الله هى الامل .. الامل فى أن هذه النكسة التى أصابت المسلمين يمكن ان تنتهى .. يمكن أن تنمحى وتزول .. وما معنى الامل .. ان الامل هنا ليس معناه التمنى .. ولكن الامل هنا جزء هام وأساسى من الايمان .. معناه أننا نعمل ونحن نؤمن ان هذه القوة الهائلة هى التى تحرك الكون .. التى خلقت الحياة .. التى هى مع الانسان فى حياته .. ومع العصفور فى عشه .. ومع الاسماك فى أعماق المحيطات .. ومع الحية فى جحرها يعلمها الله .. هذه القوة الهائلة التى لا يمكن ان توصف او تحد .. معنا .. معنا ان اخلصنا .. بهذا الامل لابد أن نبدأ أى خطوة على الطريق .. وبدون هذا الامل لا نستطيع .. واذا قال احدهم أين تذهب فى هذا البحر الهائل .. أقول انه منذ اقل من مائة سنة كانت هناك امبراطورية اسلامية يحسب لها ألف حساب فى العالم .. واذا قالوا هذا غير ممكن ومستحيل ، اقول لا يمكن ان تسلبنا الاحداث مهما جرى .. لا يمكن ان تسلبنا جزءا هاما من ديننا وهو الامل .. واذا قالوا لا فائدة مما نعمله ، اقول لا أحد يعلم ذلك الا الله .. ان علينا أن نمضى بقوة وبايمان ولا أحد يعلم ماذا سيحدث غدا .. ولا ما هى الظروف التى يمكن أن نتعرض لها .. واذا قالوا ان الظلام شديد .. أقول انه لا ظلام مع الايمان بالله .

اذن فالخطوة الاولى التى يجب ان يبدأ بها كل فرد منا حياته هى قلب ملىء بالامل .. قلب ملىء بأمل الايمان .. وليستعرض كل منا شريط حياته لحظة . ليتوقف لحظة ويذكر .. ألم يحدث فى وقت من الاوقات .. فى يوم من الايام أن كان يواجه ظروفا حالكة .. ضائعة .. لا تجدى معها كل الحسابات .. ثم حدث شىء ما .. غير الصورة تماما .. بل ألم يحدث شىء ما اعتقد هو وقت حدوثه أنه شر .. وشر كبير .. ثم مضت الايام وتغيرت الصورة واذا به يصيح « الحمد لله » .. على نفس الشىء الذى كان يعتقد أن فيه نهايته وحياته .. ان الامثلة ، كثيرة جدا ولكننا لا نتذكر ، ولا نتدبر .. تأخذنا الدنيا .. فلا نتعمق .. هل يستطيع أحد أن ينكر اننا فى حياتنا كأشخاص . هناك اشياء كثيرة لا نستطيع ان نعرف معناها الحقيقى ولا حكمة حدوثها الا بعد سنوات طويلة ..

ونأتى هنا الى نهاية الخطوة الاولى .. اننا أحيانا نرى الامل يأسا .. ونتصور الخير شرا .. والانسان محدود بالايام التى يعيشها وبقدرته على العلم الذى هو قليل جدا لا يستطيع أن يرى الصورة واضحة تماما .. ولكن الذى يدعونا اليه الطريق الى الله هو ايمان متين يرفض تماما أن يستسلم لليأس . ايمان بأن الظلام لا يمكن ان يسود هذه الارض وان صوت الحق يرتفع دائما وفى النهاية مهما طال الزمن . ايمان بأننا اذا لم نشهد فجر امتنا يبزغ من جديد فسيشهده أبناؤنا .. واذا لم يشهده ابناؤنا فسيشهده احفادنا .. المهم انه سيحدث حتما .. ايمان باصرار على المضى فى الطريق .. وايمان باصرار بأن الله معنا ما دمنا نتبع قوانين الله .. وايمان بقدرة الله . ان الذين يعملون وفى قلوبهم هذا الضوء الابدى لايمكن ان يغلبوا أبدا .. ولا أن يضيعوا فى الارض .. ومن هنا .. وبقلب يملؤه نور الامل .. وبالايمان الراسخ باننا لم ننته ولن ننتهى أبدا .. وبأننا نستطيع ان نعمل الكثير .. وأن نغير الكثير .. بشعلة الامل التى لا تنطفىء فى الغد .. وفى ايماننا .. نبدأ البحث عن الخطوة الثانية فى الطريق الى الله .

من أخلاق القرآن

الإحسان

الدكتور أحمد الشرباصي

اذا سمع كثير من الناس كلمة «الاحسان» انصرفت اذهانهم الى المعنى المادى الذى جرى به عرفهم ، وهو معاونة الغنى للفقير بشىء من المال ، ولكن معنى هذه الكلمة ليس بهذا الضيق ، بل هو واسع عميق ، فالاحسان فى اللغة معناه الاتقان ، وهو ايضا ضد الاساءة . وهو الاخلاص وصدق المراقبة وهو التطوع بالفضل بعد مراعاة العدل ،وهو الصنع الجميل والتصرف الحميد ، ولذلك جاء قول الله تبارك وتعالى : « انا لا نضيع اجر من أحسن عملا » . وجاء قول رسول الله عليه الصلاة والسلام : « اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن » .

وقد جاءت مادة « الاحسان » ومتعلقاتها فيما يقرب من أربعين موضعا فى القرآن الكريم . وهذه العناية التى تظهر فى القرآن بأمر الاحسان ، وتتمثل فى الحديث عنه عشرات المرات ، تدل على المكانة السامية التى تحتلها فضيلة « الاحسان » ولا عجب فى ذلك ، فعلماء الاخلاق يقولون ان الاحسان خلق جامع لجميع أبواب الحقائق ، وفيه لب الايمان وروحه ، ولعل أساس التعريف بالاحسان هو العبارة النبوية الجليلة التى يقول فيها المصطفى صلوات الله وسلامه عليه : « **الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك** » .

وقد عبر ابن الاثير عن معنى هذه الكلمات المضيئة بتعبير موجز يقول فيه ، « اراد بالاحسان الاخلاص ، وهو شرط فى صحة الايمان والاسلام معا ، وذلك ان من تلفظ بالكلمة ، وجاء بالعمل من غير نية اخلاص لم يكن محسنا ، ولا كان ايمانه صحيحا . وقيل : اراد بالاحسان الاشارة الى المراقبة وحسن الطاعة . فان من راقب الله احسن عمله ، وقد أشار اليه فى الحديث بقوله : فان لم تكن تراه فانه يراك » .

والاحسان على هذا الاساس هو كمال الحضور مع الله تعالى ، والمراقبة الجامعة لخشيته ، والاخلاص له ، بأن يحسن الانسان قصده ، فيجعله خالصا متجردا لله ، فلا يستجيب ولا يطيع الا كلمة ربه ، وأمر دينه ، وان يقدم على تنفيذ ما أمر الله به فى قوة وعزم ، بلا ضعف او وهن ، وان يصفى نفسه من الشوائب والاهواء ، وان يجعل نفسه كالمهاجر الدائم الى الله عز وجل .

وقد ضرب القرآن الكريم للعبادة مثلا رائعا فى هذا الاحسان ، وجاء هذا المثل فيما رواه كتاب الله عن قصة ابراهيم واقدامه على ذبح ابنه اسماعيل ، حيث يقول عنهما : « **فلما بلغ معه السعى قال يا بنى انى أرى فى المنام انى أذبحك فانظر ماذا ترى ، قال يأبت افعل ماتؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين ، فلما اسلما وتله للجبين ، وناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزى المحسنين** » . وابراهيم كان محسنا غاية الاحسان ، لان الاحسان هنا يتمثل فى تلك الطاعة المطلقة لله تعالى ، بلا تردد ولا توقف ، فابراهيم حينما رأى فى المنام انه يذبح ابنه ، وتأكد لديه ان هذه الرؤيا من الله تعالى ، ورؤيا الانبياء حق ، سارع بتنفيذ الرؤيا ، ونسى فى طاعة الله معانى الابوة والبنوة ، واحضر ولده وعرض عليه الامر ، فكان على نهج ابيه ، فكان كل منهما محسنا ، ولذلك اثابهما الله تعالى بما اثابهما به ، وقال : « **انا كذلك نجزى المحسنين** » .

واذا كنا قد عرفنا ان « الاحسان » فضيلة تطوى بين جناحيها فضائل ، فانه من السهل ان نتقبل قول العلماء ان الاحسان يقال على وجهين : احدهما الانعام على الغير ، فيقال : احسن فلان الى فلان ، اذا أكرمه وانعم عليه ، والثانى الاحسان فى الفعل ، كأن يعلم علما حسنا ، وان يعمل عملا حسنا ، ومن هذا القبيل قول الامام على رضى الله عنه وكرم الله وجهه : « **الناس أبناء ما يحسنون** » اى منسوبون الى ما يعلمونه او يعملونه من الاعمال الحسنة .

وقد ورد ذكر « الاحسان » بمعنى الزيادة عن الواجب ، والتفضل بما ليس مفروضا ، ومن امثلة ذلك قول الله عز من قائل فى سورة آل عمران: «**والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين** » . فكظم الغيظ هو كتمانه بشىء من المقاومة والمغالبة والمجاهدة ، والعفو هو الصفح وعدم مقابلة الاساءة بمثلها ، والاحسان هو الزيادة عن الكظم والعفو ، بأن يحسن الانسان الى من اساء اليه ، ولا يكتفى معه بالعفو ، بل يتفضل عليه بالاحسان وصنع الجميل .

ومن امثلة ذلك ايضا قول الله تعالى : « **ان الله يأمر بالعدل والاحسان** » .. فالعدل هو ان يعطى الانسان ما عليه ، ويأخذ حقه ، والاحسان ان يعطى الانسان اكثر مما عليه ، ويأخذ اقل مما له ، فالاحسان زائد على العدل ، ولذلك كان تحرى العدل مفروضا واجبا ، وكان تحرى الانسان مندوبا مستحبا . ومن هذا القبيل قول الله سبحانه : فى سورة البقرة : « **بلى من أسلم وجهه لله ، وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون** » . وقوله فى سورة النساء : «**ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا واتخذ الله ابراهيم خليلا** » . وقوله فى سورة لقمان : « **ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى والى الله عاقبة الامور** » .

وذكر القرآن الكريم الاحسان بمعنى حسن المعاملة ، وليس هناك من هو احق بحسن المعاملة اكثر من الوالدين ، ولذلك أكد القرآن الكريم الدعوة الى احسان المعاملة معهما ، فقال فى سورة النساء : « **واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين أحسانا** » . وقال فى سورة الانعام : « **قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين احسانا** » . وقال فى سورة الاسراء : «**وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا** ». وفى سورة الاحقاف : « **ووصينا الانسان بوالديه احسانا** » .

واذا كان الوالدان هما احق الناس ان يتحلى الانسان معهما باحسان المعاملة ، فليس معنى هذا ان ينسى الانسان فضيلة الاحسان مع غيرهما ، فهناك الاحسان الى الاولاد والزوجة والاقارب والجيران وسائر الناس ، وهذا حجة الاسلام ابو حامد الغزالى يقول ، « وقد امر الله تعالى ، بالعدل والاحسان جميعا ، والعدل سبب النجاة فقط ، وهو يجرى من التجارة ؟ مجرى رأس المال . والاحسان سبب الفوز ونيل السعادة ، وهو يجرى مجرى الربح ، ولايعد من العقلاء من قنع فى معاملات الدنيا براس ماله . فكذا فى معاملات الآخرة . فلا ينبغى للمتدين ان يقتصر على العدل واجتناب الظلم ، ويدع ابواب الاحسان ، وقد قال الله : (**واحسن كما احسن الله اليك**)وقال عز وجل : [**ان الله يأمر بالعدل والاحسان**] . وقال سبحانه : [**ان رحمة الله قريب من المحسنين**] ونعنى بالاحسان فعل ماينتفع به المعامل ، وهو غير واجب عليه ولكنه تفضل منه فان الواجب يدخل فى باب العدل وترك الظلم » .

ويعود حجة الاسلام الى الحديث عن الاحسان فى استيفاء الحقوق والديون ، وهو لون من ألوان الاحسان فى المعاملات فيقول ، « والاحسان فيه مرة بالمسامحة وحط البعض ، ومرة بالامهال والتأخير ومرة بالمساهلة فى طلب جودة النقد ، وكل ذلك مندوب اليه ومحثوث عليه ، قال النبى صلى الله عليه وسلم [**رحم الله امرأ سهل البيع ، سهل الشراء ، سهل القضاء ، سهل الاقتضاء** » . فليغتنم دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم . وقال صلى الله عليه وسلم : (**اسمح يسمح لك**) وقال صلى الله عليه وسلم : [**من انظر معسرا أو ترك له ، حاسبه الله حسابا يسيرا**) . وفى لفظ آخر : (**أظله الله تحت ظل عرشه يوم لاظل الا ظله** » .

وهكذا نجد ان مجال الاحسان يتسع ويتسع حتى يشمل مجموعة من فضائل الاعمال ومكارم الاخلاق، ولعل هذا هو بعض السر فى ان المفسرين ذكروا معانى كثيرة لكلمة « الاحسان » الواردة فى سورة النحل من القرآن الكريم ، فوردت فى تفاسيرهم هذه المعانى للكلمة : « اداء الفرائض ـ القيام بالنوافل ـ الاخلاص لله ـ قول كل حسن ـ ان تعبد الله كأنك تراه ـ أن تكون السريرة افضل من العلانية ـ فعل كل مندوب اليه ـ ان تحب للناس ما تحب لنفسك ، فان كان غيرك مؤمنا احببت ان يزداد ايمانا ، وان كان كافرا احببت ان يصير اخاك فى الاسلام .. الخ .

واغلب هذه المعانى كما ترى يرتبط بمفهوم أساسى للاحسان ، وهو ان يجعل الانسان للفضل فى معاملاته نصيبا ، فلا يقتصر على أداء الواجب أو المفروض ، بل يضيف الى ذلك شيئا من الفضل وهو الاحسان ، ولذلك نرى الامام الرازى فى تفسيره يميل الى هذا

الجانب ، فيقول : « ان العدل فى الطاعات هو أداء الواجبات ، أما الزيادة على الواجبات فهى أيضا طاعات ، وذلك من باب الاحسان ، وبالجملة فالمبالغة فى أداء الطاعات بحسب الكمية وبحسب الكيفية هو الاحسان ، والدليل عليه أن جبريل لما سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن الاحسان قال : الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك .

فان قالوا : لم سمى هذا المعنى بالاحسان ؟ قلنا : كأنه بالمبالغة فى الطاعة يحسن الى نفسه ، ويوصل الخير والفعل الحسن الى نفسه .

والحاصل ان العدل عبارة عن القدر الواجب من الخيرات ، والاحسان عبارة عن الزيادة فى تلك الطاعات بحسب الكمية ، وبحسب الكيفية ، وبحسب الدواعى والصوارف ، وبحسب الاستغراق فى شهود مقامات العبودية والربوبية ، فهذا هو الاحسان .

واعلم أن الاحسان بالتفسير الذى ذكرناه دخل فيه التعظيم لامر الله تعالى ، والشفقة على خلق الله ، ومن الظاهر أن الشفقة على خلق الله أقسام كثيرة ، وأشرفها وأحلها صلة الرحم ، لاجرم أنه سبحانه أفرده بالذكر فقال : « **وايتاء ذى القربى** » . يعنى فى قوله تعالى : « **ان الله يأمر بالعدل والاحسان ، وايتاء ذى القربى** ... » الى آخر الاية الكريمة .

ونرى الامام القرطبى يتجه اتجاها ثانيا ، فهو يرى أن « الاحسان » فى تعبير القرآن يشمل تحسين الانسان ما يعمله وتكميله ، واحسان الانسان الى غيره ، وهو ايصال ماينتفع به اليه ، فهو يذكرهذين المعنيين عند تفسيره الاية السابقة ، ثم يقول : « وهو فى هذه الاية مراد بالمعنيين معا ، فانه تعالى يحب من خلقه احسان بعضهم الى بعض ، حتى ان الطائر فى سجنك ، أو السنور فى دارك ، لا ينبغى أن تقصر فى تعهده باحسانك ، وهو تعالى غنى عن احسانهم ، ومنه الاحسان والنعم والفضل والمنن » .

وهو ـ أى الاحسان ـ فى حديث جبريل بالمعنى الاول لا الثانى ، فان المعنى الاول راجع الى اتقان العبادة ومراعاتها بآدابها المصححة والمكملة ومراقبة الحق فيها ، واستحضار عظمته وجلاله حالة الشروع وحالة الاستمرار ، وهو المراد بقوله : أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك .

وارباب القلوب فى هذه المراقبة على حالين : أحدهما غالب عليه مشاهدة الحق فكأنه يراه ، ولعل النبى صلى الله عليه وسلم أشار الى هذه الحالة بقوله : وجعلت قرة عينى فى الصلاة . وثانيهما لا ينتهى الى هذا ، لكن يغلب عليه أن الحق سبحانه مطلع عليه ومشاهد له ، واليه الاشارة بقوله تعالى : « **الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين** » وقوله : « **الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه** » .

والواقع أن صاحب الاخلاق القرآنية يستطيع أن يجد للاحسان مكانا وكيانا فى كل الاحوال ، لان الاحسان مطلوب فى الاعتقاد باخلاص الاعتراف بالالوهية والتوحيد لله جل جلاله بلا أدنى اشراك ولو فى الصورة أو الظاهر ، والاحسان مطلوب فى النية بتجريدها لله سبحانه ، كما يقول سيدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام : « **انما الاعمال بالنيات ، وانما لكل امرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله** : ومن كانت هجرته **لدنيا يصيبها ، أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه** » .

والاحسان مطلوب فى القول ، بارشاد القرآن المجيد حيث يقول عن الاخيار من العباد : « **وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد** » وقوله : « **اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه** » وقوله : « **وقولوا للناس حسنا** » . والاحسان مطلوب فى العمل بدليل قول الله تعالى : « **انا لا نضيع أجر من أحسن عملا** » . والاحسان مطلوب فى المظهر كالثياب ، وذلك بما يرمز اليه قول الله تعالى : « **يابنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ، ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون** » .

والاحسان مطلوب فى التحية بدليل قول الله تعالى : « **واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها او ردوها ان الله كان على كل شىء حسيبا** » .

والاحسان مطلوب فى سائر العبادات . انه مطلوب فى الصلاة بتحقيق السكينة والخشوع فيها ، وذلك بدليل أن القرآن يستعمل فى الامر بالصلاة مادة « **اقامة الصلاة** » غالبا ، مثل : أقيموا ، أقاموا ، يقيمون ، اقام الصلاة . وهذه المادة تدل على التسوية والاتقان والاحسان ، ولقد رأى الرسول رجلا يسرع فى صلاته فقال : « **لو خشع هذا لخشعت جوارحه** » . ورأى آخر يسرع فى صلاته فقال له : « **صل فانك لم تصل** » ! .

والاحسان مطلوب فى آداء الزكاة ، بدليل قوله تعالى : « **يايها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ، ومما أخرجنا لكم من الارض ، ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الا ان تغمضوا فيه واعلموا أن الله غنى حميد** ! . وقوله « **الذين ينفقون**

أموالهم فى سبيل الله ثم لايتبعون ما انفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

والاحسان مطلوب فى الصوم باخلاص النية والامتناع عن المفطرات الحسية ، ومنع الاعضاء عن استخدامها فيما لا يليق بالمسلم ،ومنع العقل والقلب عن خواطر الاثم وأفكار السوء ، ولذلك يقول القرآن : « يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » ففى قوله : « لعلكم تتقون » اشارة الى أن جوهر الحكمة فى الصوم هى التقوى ، ومن هنا قال الحديث القدسى : « كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لى وأنا أجزى به ، يدع طعامه وشرابه من أجلى » .

والاحسان فى الحج مطلوب بالتجرد فى الرحلة الى الله ، والاستغراق فى معانى ضيافة الله ، والله يقول : « الحج أشهرمعلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يأولى الالباب » .

هذا وللصوفية عن فضيلة « الاحسان » أحاديث ذات تحليل وتفصيل ، وهذا ابن القيم فى « مدارج السالكين » يذكر من عناصر الاحسان قول القائل : « ان تجعل هجرتك الى الحق سرمدا » ويعلق على ذلك بقوله : « لله على كل قلب هجرتان ، وهما فرض لازم له على الانفاس : هجرة الى الله سبحانه بالتوحيد والاخلاص ، والانابة والحب ، والخوف والرجاء والعبودية .

وهجرة الى رسوله صلى الله عليه وسلم بالتحكيم له والتسليم والتفويض ، والانقياد لحكمه ، وتلقى أحكام الظاهر والباطن من مشكاته ، فيكون تعبده به أعظم من تعبد الركب بالدليل الماهر فى ظلم الليل ومتاهات الطريق .

فما لم يكن لقلبه هاتان الهجرتان فليحث على رأسه الرماد ، وليراجع الايمان من اصله ، فيرجع وراءه ليقتبس نورا ، قبل أن يحال بينه وبينه ، ويقال له : ذلك على الصراط من وراء السور ، والله المستعان » .

ولقد اشار القرآن الكريم فى اكثر منموطن الى الثواب الجليل لاهل الإحسان ، ومن هذه الاشارات ماجاء فى تلك الايات : «ان الله مع المحسنين»،«ان الله يحب المحسنين » ، « ان رحمة الله قريب من المحسنين » ، « ما على المحسنين من سبيل » . جعلنا الله بمنه وتوفيقه من هؤلاء .

الخمر فى اللغة ما أسكر من عصير العنب والتمر والحنطة والشعير والذرة او ماء العنب الذى غلى واشتد وقذف بالزبد : وسميت خمرا لانهاتركتحتى اختمرت ولانها تخمر العقل وتستره او لانها تخامر العقل اى تخالطه .

والخمر فى الدين كل ما خالط العقل او خامره او ستره او غطاه سواء اتخذ من العنب اوغيره من المشروبات الكحولية او المخدرات الاخرى !

والخمر منكر يزيل العقل واذا اعتاده الانسان افسد صحته وتحكمت فى ارادته وملكت عليه هواه وشق عليه ان يتركها .

ولما كانت الخمر شائعة الاستعمال واعتادها العرب قبل الاسلام وفى أول عهده فقد سلك اللهعزتقدرته فى تحريمها التدرج ، وهو رفيق عظيم حتىلاتشعر النفس بمشقة المنع ولا يحملها شدة التعلق بها على عدم امتثال البعض الى أمر الله فى اجتنابها فأنزل الله فيها فى القرآن الكريم اربع آيات ،

أولاها : ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذونمنه سكرا ورزقا حسنا ان فى ذلك لآية لقوم يعقلون » (سورة النحل ٦٦) .

فكان المسلمون يشربونها وهى لهم حلال ثم سأل بعض الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يارسول الله افتنا فى الخمر والميسر فانهما مذهبة للعقول ومسلبة للمال فنزل فيها الاية الثانية :

ثانيها : يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون » (سورة البقرة ٢١٩) .

فشربها قوم وتأثم منها آخرون ثم دعا عبد الرحمن ابن عوف اناسا من الصحابة وأتاهم بخمر فشربوا وسكروا وحضرت صلاة المغرب فقاموا عليها وقرأ الامام « قل يأيها الكافرون لا اعبد ماتعبدون » بحذف لا فنزلت الاية الثالثة :

ثالثها : « يأيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ماتقولون »)من النساء ٤٣)

فقل من يشربها ثم اجتمع بعض الصحابة يوما فى دار عتبان بن مالك وفيهم سعد بن ابى وقاص فلما سكروا افتخروا وتناشدوا اشعار الهجاء وتضاربوا وشكا بعضهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال عمر رضى الله عنه « اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا » فنزلت الاية الرابعة :

رابعه ، « يأيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون » (سورة المائدة ٩٠ ، ٩١) .

فقال عمر : انتهينا يارب ، وبهذا حرمت الخمر وصارت من الكبائر .

وقد أكد التحريم وجوها من التأكيد ، منها تصدير الاية « بأنما » ، وقرنها بعبادة الاصنام ومنه قول الرسول صلى الله عليه وسلم « شارب الخمر كعابد الوثن » ، كذلك جعلها رجسا وهو يطلق على الاقذار لقوله تعالى « فاجتنبوا الرجس من الاوثان » اى هما متساويان قبحا وتحريما ، ومنها ايضا أمر بالاجتناب كما جعل الاجتناب من العلاج فيكون الارتكاب من المعصية وقد ذكر ايضا ماينتج منها من الوبال وهو وقوع العداء والتباغض والصد عن ذكر الله .

وكل عاقل متبصر يعلم ان كثيرا من المفاسد الشائعة والاموال الضائعة والاسر المنحلة والاخلاق المرذولة والاعراض المسلوبة والتأثيرات الضارة يرجع الى تعاطى الخمر ولذا حرص الاسلام كل الحرص على ان يقى أبناءه شرور الخمر فحرمها تحريما قاطعا .

والكحول هو المكون الاساسى للمشروبات الكحولية من الخمور وينتج من تخمر السكريات بالخميرة وتتراوح نسبته فيها من ٣ر٥ ــ ٥٥ فى المائة حسب نوع المشروب والمادة الخام المحضرة منها .

واذا كان فى الخمر اليسير من المنافع فان ضررها كبير ووخيم على أجزاء الجسم واعضائه يتمثل فى الحقائق العلمية الاتية ،

(١) التأثير على الجهاز الهضمى :

تحدث الكميات اليسيرة من الخمر زيادة مؤقتة فى افراز اللعاب والعصارة المعدية ومازاد عن ذلك يسبب تقليل افرازات المعدة ومقدرتها على الهضم وارتخاء وضعف العضلات المعوية وعدم مقدرتها على الهضم ومما لا يساعد على سرعة انتقال المواد الغذائية من المعدة الى الامعاء وعسر الهضم وزيادة الحامض المعوى وتتعرض للاصابة بالحموضة والقرحة ، ولها تأثير مهيج للغشاء المخاطى ويقاسى شاربو الخمر آلاما مزمنة فى المعدة والقىء الذى يرجع الى تأثير الكحول على المراكز الحسية فى المخ .

وتسبب الخمور نقصا فى افراز انزيم الببسين الهاضم للبروتينات كما انها تحول دون انتفاع الجسم من الفيتامينات وبخاصة فيتامين ب المركب والتى لها أثر كبير فى تنظيم الغذاء .

وللخمر تأثير آخر عكسى فى المعدة اذ تسبب التهاباته لاغشيتها تنبيها عكسيا للدورة الدموية والتنفسية والعصبية وهو مما يدعو البعض الى اعطائه فى حالة الهبوط والاغماء بكميات قليلة فيعطى الجسم سعرات حرارية لانه سريع التمثيل

(٢) التأثير على الجهاز الدورى الدموى والتنفسى :

يسبب تعاطى كميات ضئيلة من الخمر اتساع الاوعية الدموية للجلد مسببا احمرارها وشعورا

بالدفء ولكنه يسبب ارتفاعا فى ضغط الدم وسرعة فى النبض وفى ضربات القلب ويضعف القلب نتيجة لتوالى تأثير الخمر عليه وعلى الضغط الدموى الذى يرتفع ثم يهبط وتضعف انقباضات عضلات القلب كما تحدث فى الجهاز التنفسى تأثيرات واعراض عديدة من بينها الالتهابات الشديدة المتواصلة فى القصبة الهوائية والرئتين مما يسبب ضعفها واحتمال تعرضها للامراض الصدرية .

(٣) التأثير على الكلى :

يتبع تناول الخمر افراز حجم كبير من البول شديد الحموضة ويرجع ذلك الى اهباط الاعصاب المركزية وليس الى تأثير على الكلى ولذلك لا يعتبر مدرا للبول ، واذا زادت الكمية يكثر افراز الماء من الكلى بينما يقل افراز املاح الصوديوم والبتاسيوم ويرجع ذلك الى اضعاف افرازات الغدة الكظرية .

(٤) التأثير على الكبد :

تسبب الخمر تأثيرا ساما مباشرا على الكبد وقد يحدث التأثير السام فى غضون اربع ساعات من تعاطيها وتهبط كمية الجليكوجين فى الكبد وتزيد الدهنيات وتهبط كفاءة تمثيل الجلاكتوز مما يدل على فساد فى وظائف الكبد ويعقب ذلك تضخمه وتشحمه وقلة افرازه ثم تليف الكبد وعدم مقدرته على القيام بوظائفه الحيوية .

(٥) التأثير على الجهاز العصبى المركزى :

من أخطر مضار الخمر سواء ماكان منها كحوليا او مخدرا كالافيون والحشيش انها تؤثر على الجهاز العصبى وتضعف مراكز المخ العليا الراقية التى تميز الانسان عن الحيوان وتتحكم فى شعور الانسان بالخجل والخوف وفى تدبر الامور والحكم عليها ، وفى القدرة على الكلام والحركة ولذا فعند اخمادها تظهر الاضطرابات النفسية ممثلة فى الغناء والصياح والثرثرة والكلام او الدخول والسكون والبكاء والشجار والقتال وعدم توافق الحركات العضلية وعدم القدرة على قيادة سيارته وغيرها وزياغ البصر وازدواجه وعدم وضوح الرؤيا .

وان الشعور الكاذب بالسعادة الذى يحدث لشارب الخمر الذى ياتى من اضعاف الاعصاب الحسية المركزية شعور مبدئى عارض ويتيح الاكثار فى تعاطيها علامات تسمم خطيرة تتمثل فى احمرار الوجه وزيادة النبض وكثرة العرق وتبدو العين لامعة ثم يخبو ضوءها وفى عدم ثبوت العواطف والاضطرابات النفسية وبعد مدة يتحول احمرار الوجه الى اصفرار ويصبح التنفس بطيئا وغير منتظم ويبرد الجلد ويرطب وتهبط درجة حرارة الجسم وتحدث تقلصات فى العضلات وتشنجات قد يعقبها الموت وتفسد اجهزة الجسم ، فتصاب المعدة بالالام والقرحات وتضعف خلايا الكبد والكلى ، وتؤدى الى أمراض الكبد والكلى وتليفها ويحدث التهاب الاعصاب وتتدهور القوة العقلية وتضطرب الاعصاب .

ويؤدى ادمان الخمور بكميات كبيرة على فترة طويله نتيجة لظهور خاصية احتمال الجسم له وبالتالى تناول كميات تزيد باستمرار عن قدر المتناول فى كل مرة الى تغييرات وظيفية وفساد فى الاعضاء اهمها آلام المعدة والجهاز الهضمى يصاحبها فقد الشهية وشعور الامتلاء للمعدة وهذا الاضطراب وآلام وتناول الاكل بدون ميزان يفسد التغذية ويحدث اتساعا فى الاوعية الجلدية تسبب احمرار الانف وكبرها والوجه ، كما وتتحلل خلايا الكبد والكلى وتؤدى الى امراض الكبد والكلى وتليفها وكذا يتأثر الجهاز العصبى المركزى ويحدث التهاب الاعصاب تدهورا فى القوة العقلية واضطراب الاحساس والقدرات .

والخمر تبعد شاربها عن كل القيم الانسانية التى يجب ان يتحلى بها الانسان وللخمر آثار وبيئة على المجتمع :

فمنها مثلا الضعف البدنى والفساد الخلقى وكثرة الاصابة بالامراض وخاصة الامراض العصبية والعيوب الخلقية وتدفع الى الاجرام كما أن لها اثرا سيئا فى العلاقات العائلية لان الزوج السكير زوج غير صالح واب غير سليم ، **فيرث نسله منه غيه وضعفه ووهنه وقد وجد ان كثيرا من حوادث المرور سببها شرب الخمر .**

كما ان الانحرافات النفسية والاضطرابات العقلية وفقد القدرة على العمل. والتعرض للالتهابات الرئوية ـ وكذلك ماتؤدى اليه الخمر من جمود العاطفة ـ يزيد الاثم وعدم التبصر فى العواقب وفى نسب مئوية وجد ان ١٧ فى المائة من المحكوم عليهم بالاعدام كان اجرامهم من الخمر و٤٩ فى المائة من حوادث السرقات و١٥ فى المائة من المشاحنات والعراك سببها الخمر .

وقد انتقد مؤتمر الاطباء الدولى (١٩٢٩) وصف الخمر كدواء وقرر ان انتشارها هدم لسعادة الامم وتقويض لبناء الاخلاق .

دراسات في فقه الحديث ومذهب المحدثين

الدكتور عبد المجيد محمود

فى عدد شوال سنة ١٣٨٨ هـ كتبنا تحت هذا العنوان مقالا بينا فيه أهمية عصر الصحابة وتأثيره فى الاتجاهات الفقهية لمن أتى بعدهم ، وتناولنا فيه بالدراسة الصحابة المكثرين من رواية الحديث ، وقسمناهم الى مجموعتين : تتكون المجموعة الاولى من السيدة عائشة وابن عباس ، وتتكون المجموعة الثانيـة من ابن عمر وابى هريرة ، ثم وازنا بين المجموعتين من حيث الاتجاه الفقهى ، واثبتنا ان المجموعة الاولى كانت تمتاز باصالة الملكة الفقهية ، وكثرة الفتوى ، والميل الى تعليل الاحكام ، والميل الى نقد الحديث . على عكس المجموعة الثانية فى كل ما تقدم ٠ ثم وعدنا بأن نعود مرة ثانية الى ابن عباس لنلقى عليه مزيدا من الضوء ، ونوازن بينه وبين ابن عمر

وقد وضح مما ذكرناه عن ابن عباس رضى الله عنه انه كان اكثر هؤلاء الاربعة من الصحابة المذكورين اعمالا للرأى ، واشدهم عناية بالمعنى ٠ وكان علمه باللغة والشعر وتمرسه بأساليب العرب ، خير معين له على الفهم والتذوق وادراك المقصود من الانفاظ وما وراء الالفاظ سواء فى القرآن أو فى الحديث .

فقد اشتهر بين الصحابة بغوصه على معانى القرآن ، وحسن تفسيره له ، وبراعة استنباطه منه حتى لقب بترجمان القرآن ٠٠ ومن امثلة استنباطه انه سئل عن السجدة التى فى سورة (ص) عند قوله تعالى : « **فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب** » ٠ فأجاب بقوله : (اتقرأ هذه الاية : « ومن ذريته داود وسليمان » – وفى آخرها – : « فبهداهم اقتده » قال : [أمر نبيكم صلى الله عليه وسلم أن يقتدى بداود] فالله تعالى يحكى عن داود انه سجد ، فيلزم السجود عند قراءة هذه الاية ، لان الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يقتدى بهدى داود وسليمان وغيرهم من الانبياء المذكورين فى الايات (٨٤ – ٩٠) من سورة الانعام ٠

وسأل رجل عن معنى قوله تعالى : « **قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة فى القربى** » ، فأجاب سعيد بن جبير ، بأنها قرابة محمد صلى الله عليه وسلم ٠ فقال ابن عباس : (عجلت ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن بطن من قريش الا لرسول الله فيهم قرابة ، فنزلت : « قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة فى القربى » الا ان تصلوا قرابة مابينى وبينكم) .

ولهذا كان ابن عباس محل اعجاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وكان يدخل عليه وهو فتى فى جملة كبار الصحابة من أهل بدر ٠ ولما استكثروا ذلك عليه ، اراد عمر ان يعطيهم صورة من فهم ابن عباس وفطنته ، فسألهم عن هذه السورة : « **اذا جاء نصر الله والفتح** » ؟ فقالوا : امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يستغفره ويتوب اليه ٠ فقال لابن عباس : ما تقول انت ؟ فقال : ليس كذلك ، ولكنه اخبر نبيه عليه السلام بحضور اجله ، فقال : « **اذا جاء نصر الله والفتح** » فتح مكة « **ورأيت الناس يدخلون فى دين الله افواجا** » فذلك علامة موتك « **فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا** » ٠ فتوجه عمر الى من أنكر عليه تقديم ابن عباس قائلا : كيف تلومونى على ماترون ؟

ان ابن عباس كان عنده اتجاه اصيل للتعليل ، والتنقيب عن المعانى والغوص وراءها ولذلك لم يكن غريبا ان يعرف بكثرة القياس والرأى ، تبعا لما ذكرناه عنه من كثرة الفتوى ، مع جرأة فى الافتاء بمقتضى فهمه ، حتى لو كانت فتواه مخالفة للرأى الشائع المعمول به ٠

فمن ذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن بيع الطعام قبل القبض . فهل هذا النهى مقصور على الطعام فيصح بيع غيره قبل القبض ؟ او ان المقصود هو النهى عن بيع كل شىء قبل القبض ، وتخصيص الطعام بالذكر لكونه البيع الشائع الذى تكثر فيه المخاصمة ؟ واذا قيس على الطعام غيره فى النهى فهل يقتصر فى هذا القياس على المنقول فقط ، ام يقاس عليه كل بيع منقولا وغير منقول ؟ لقد جاء فى مسند احمد ان ابن عباس روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : « من ابتاع طعاما فلا يبعه حتى يقبضه » . ثم قال ابن عباس : (واحسب كل شىء بمنزلة الطعام) .

ومن ذلك ما رواه الامام احمد باسناده عن جابر بن زيد ، عن ابن عباس قال : (جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الظهر والعصر ، والمغرب والعشاء بالمدينة ، فى غير خوف ولا مطر . قيل لابن عباس : وما اراد الى ذلك ؟ قال : اراد الا يحرج امته) .

وقد صحح المرحوم الشيخ أحمدشاكر اسناد هذا الحديث ، وذكر ان هذه الرواية تبين خطأ ظن الامام مالك فى تعليق له على هذا الحديث فى الموطأ بقوله ، (ارى ذلك كان فى مطر) لان هذه الرواية فيها (فى غير خوف ولا مطر) وقد رواها الجماعة الا البخارى ولتلميذ ابن عباس تأويل فى هذا الجمع ، فقد جاء فى المسند فى حديث رقم ١٩١٨ عن جابر بن زيد ، عن ابن عباس قال : (صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانية جميعا ، وسبعا جميعا) فقيل لجابر : يا ابا الشعثاء ، اظنه اخر الظهر وعجل العصر ، وأخر المغرب وعجل العشاء) قال جابر : وانا اظن ذلك . وذهب الشيخ احمد شاكر الى ان هذا الجمع الصورى من تأويل جابر ، ولا حجة فيه . ثم رجح ان الحديث ترخيص لمن يحال بينه وبين الصلاة فى وقتها .

اما جرأة ابن عباس على الافتاء بما يؤديه اليه اجتهاده حتى ولو خالفت فتواه الرأى الشائع المعمول به بين الصحابة . فقد أثر عنه فى ذلك ما لم يؤثر عن زملائه المكثرين من رواية الحديث . وليست الجرأة ان يفتى بما خالف الحديث عن جهل به ، فاذا بلغه عدل عن رأيه ـ كصنيع ابى هريرة فى ابطاله صوم الجنب اذا اصبح من غير طهارة ، ثم عدوله عن ذلك عندما بلغه حديث عائشة ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يصبح جنبا ثم يصوم ـ ولكنا نعنى بالجرأة ان يبلغه الحديث بما يخالف فتواه فلا يتزحزح عن رأيه ، اما لترجيحه دخول الوهم والخطأ فى روايته ، واما لتأويله له . وفى الحالتين يستلهم القرآن ، ويستند الى مافهمه منه فى موضوع النزاع .

فمن ذلك ما ذهب اليه من ان الاخت لا ترث اصلا مع البنت ولا مع بنت الابن ، لقوله تعالى : « ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك ، وهو يرثها ان لم يكن لها ولد » ولفظ الولد يقع على المذكر والمؤنث ، ولقوله صلى الله عليه وسلم : « الحقوا الفرائض بأصحابها ، فما ابقت الفرائض فلاولى رجل ذكر » .

ورأى ابن عباس هنا مخالف لما ذهب اليه معظم الفقهاء من اعتبار الاخوات عصبة مع البنات ، مستندين الى ماروى من أن أبا موسى الاشعرى سئل عن ابنة وابنة ابن وأخت ، فقال للابنة النصف ، وللاخت النصف . فسئل ابن مسعود واخبر بقول ابى موسى ، فقال : لقد ضللت اذا وما أنا من المهتدين ، أقضى فيها بما قضى النبى صلى الله عليه وسلم .

للابنة النصف ، ولابنة الابن السدس تكملة الثلثين ، وما بقى فللاخت .

ويبدو ان ابن عباس لا يعترف بصحة هذا الحديث ، لمخالفته ظاهر الاية السابقة ، مع معارضته لحديث : « الحقوا الفرائض بأهلها » . فقد روى ابن حزم عنه انه قال : (قال الله تعالى : « ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك » . قال ابن عباس : فقلتم انتم : لها النصف وان كان له ولد) . كما روى عنه انه قال : (امر ليس فى كتاب الله تعالى ، ولا فى قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وستجدونه فى الناس كلهم . ميراث الاخت مع البنت) .

ولابن عباس آراء كثيرة فى المواريث مخالفة لما عليه الجمهور ، وتقودنا هذه الاراء الى ظاهرة هامة عنده ، اذ على الرغم من اتجاهه الى التعليل واصالة هذا الاتجاه عنده كما سبق ـ كان يبدو احيانا متمسكا بظاهر اللفظ . ولعل آراءه فى الفرائض هى ابرز الامثلة ، على هذا الجانب من فقهه . وجدير بالذكر ان كثيرا من آرائه فى الفرائض اخذ بها اهل الظاهر . وهذا يؤكد ما سبق ان ذكرناه فى المقال السابق من أن عصر الصحابة هو الملتقى الذى تتجمع عنده معظم الاتجاهات ، او تتفرع منه معظم التيارات الفقهية .

وقد لاحظ ابن القيم هذه العلاقة التى بين عصر الصحابة والاتجاهات التى ظهرت فيما تلاه من

عصور ، وضرب لذلك مثلا باجتهاد الصحابة عندما امرهم الرسول صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب بأن يصلوا العصر فى بنى قريظة ، فاجتهد بعضهم وصلاها فى الطريق وقال : لم يرد منا التأخير وانما اراد سرعة النهوض ، فنظروا الى المعنى . واجتهد آخرون واخروها الى بنى قريظة فصلوها ليلا ، فنظروا الى اللفظ ، ثم قال : (وهؤلاء سلف اهل الظاهر ، واولئك سلف اصحاب المعانى والقياس) .

ونعود الى ابن عباس فنذكر بعض مسائل الميراث التى مال فيها ابن عباس الى ظاهر اللفظ :

فمن ذلك انه ذهب الى ان الاثنين من الاخوه او الاخوات لا يحجبان الام من الثلث الى السدس ، واشترط لتأثيرهم فى نصيبها ان يكونوا ثلاثة فصاعدا ، تمسكا بظاهر اللفظ فى قوله تعالى : « فان كان له اخوة فلامه السدس ودخل ابن عباس على عثمان بن عفان وناظره فى هذا قائلا له : ان الاخوين فى لسان قومك ليسوا باخوة . وقد اخذ ابن حزم الظاهرى برأى ابن عباس . والمعروف ان الجمهور يجعل للاثنين حكم الجماعة فى الميراث ، ولذا قال عثمان ردا على ابن عباس : لا استطيع أن أنقض أمرا كان قبلى توارثه الناس ومضى فى الامصار .

ومما خالف فيه الجمهور بسبب ميله الى الظاهر نصيب الام اذا انحصرت التركة فى ابوين واحد الزوجين . فالجمهور يجعل للام ثلث ما يبقى بعد نصيب احد الزوجين . اما ابن عباس فذهب الى أن نصيب الام هو ثلث التركة كلها ، وجد احد الزوجين او لم يوجد .

وتسفر مناظرته لزيد بن ثابت فى هذه المسألة عن ميله الواضح لظاهر اللفظ ، فقد ارسل ابن عباس الى زيد قائلا : (اتجد فى كتاب الله ثلث ما بقى ؟) .

وقد روى الدارمى عن ابراهيم النخعى قال : (خالف ابن عباس أهل القبلة فى امرأة وأبوين جعل للام الثلث من جميع المال) .

ومذهب ابن عباس فى هذه المسألة هو ما ذهب اهل الظاهر اليه من بعد :

ومن مذهب ابن عباس رفض العول . وقد اخذ برأيه فى هذا اهل الظاهر ايضا .

هذا هو ابن عباس ، آثرناه بمزيد من البيان ، بعد ان اجملنا الخطوط العامة لرواة الحديث من الصحابة ، ووصفنا الملامح الرئيسية لفقههم .

وموعدنا فى المقال التالى مع ابن عمر - الطرف المقابل لابن عباس - لنتعرف على مزيد من ملامحه الفقهية .

البنك الأهلى المصرى

يضع أوعيته الادخارية فى خدمتكم

صندوق التوفير

يقبل الودائع من ٢٥ قرشا - بفائدة ٣ ٪ سنويا

شهادات الاستثمار

بانواعها الثلاثة

• ذات القيمة المتزايدة مجموعة "أ" • ذات العائد الجارى مجموعة "ب" • ذات الجوائز مجموعة "ج"

ودائع لأجل

بفائدة تصل إلى ٤ ٪ سنويا

بنك المدرسة

لطلبة المدارس

يقبل الودائع من ٢٠ مليما

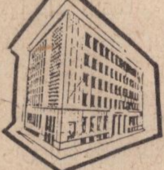

البنك الأهلى المصرى

خبرة ١٠٠ عاما فى كافة الاعمال المصرفية

لقمان الحكيم وابنه

.. فى كتاب الله تعالى

فضيلة الشيخ أحمد كامل الخضرى

القرآن الكريم · كتاب الله الازلي الخالد · الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه · تنزيل من حكيم حميد - ملىء بالعظات والعبر ·· حافل بالشرائع والاحكام · مشتمل على خيرى الدنيا والاخرة · جامع لكل ما فيه سعادة البشرية - يقول جل ذكره « مافرطنا فى الكتاب من شىء » من آية رقم ٣٨ من سورة الانعام ··

وقد شاءت ارادة المولى سبحانه وتعالى أن يصون كتابه العزيز من كل عبث · وأن يحفظه من اى تبديل او تغيير · يقول جل ذكره « **انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون** » آية رقم ٩ من سورة الحجر .. وتلك نعمة كبرى انعم الله بها على الانسانية كلها - فهذا الكتاب العزيز ·· هو المفزع والملجأ · الذى يلجأ الناس اليه عند الملمات · يحلون به مشاكلهم · ويسدون حاجاتهم · ويستنيرون به فى كل أمورهم ··

ولقد بلغ القرآن الكريم · من الفصاحة والبلاغة وعلو الشأن · ما اعجز البلغاء عن الاتيان بمثله ·· فكان معجزة المعجزات · وآية الايات ·· واعظم خوارق العادات · · بين العرب الذين هم ارباب الطروس والاقلام · والذين خصوا من البلاغة بما لم تخص به امة من الامم · واوتوا من ذرابة اللسان وفصل الخطاب · بما حير العقول والالباب · واصبح ذلك فيهم غريزة وطبيعة .. حتى راعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك الكتاب المبين · الذى احكمت آياته · وفصلت كلماته . وبهرت بلاغته العقول . وظهرت فصاحته على كل مقول · كلاما بلغتهم التى بها يتكلمون · وبها يتحاورون · وفى فنونها يتساجلون - فهاجوا وماجوا واضطربوا ·· واختلفوا فيه الاقاويل .. وهو قائم فيهم . يصرخ فى وجوههم . ويقرعهم الاعوام الطوال ··

« **ام يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين** » اية رقم ٣٨ من سورة يونس عليه السلام ··

« **وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين · فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين** » الايتان رقم ٢١ : ٢٤ من سورة البقرة ··

« **قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا** » الاية رقم ٨٨ من سورة الاسراء ··

وهكذا تحدى القرآن الكريم · اولئك الكافرين المكذبين المنكرين انه من عند الله رب العالمين · وطالبهم ان يأتوا بمثله . او بسورة من مثله . ولكنهم عجزوا عجزا تاما ··

فالقرآن كتاب الله القديم · المنزل على رسوله الكريم . وهو القول الحكيم . والنور المبين

والصراط المستقيم • والذكر العظيم • والاية الكبرى • وهوشفاءالغليل • ودواءالعليل • والبرهانوالدليل والبشير والنذير • وحق اليقين • والنبأ الخطير • والضياء عند الظلمة • وكاشف الغمة •• من حكم به عدل • ومن عدل عنه هوت قدمه فزل • وهو اجل ما تنسك به العابدون • واسترشد به المسترشدون •• فواجب المسلمين ان يتدبروه • وان ينتفعوا بمافيه من شرائع واحكام •• وعظات وعبر •• **وان ينصتوا اليه عند سماعه • امتثالا لقوله تعالى « واذا قرىء القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون » الاية رقم ٢٠٣ من سورة الاعراف ••**

فهذه الاية صريحة فى وجوب الاستماع للقرآن الكريم • والانصات اليه • وتدبر معانيه • والانتفاع بما فيه •• وأن ذلك طريق الخير والرحمة والهدى والنور ••

وقد اختلف العلماء فى الحال التى امر الله سبحانه وتعالى بالاستماع فيها لقارىء القرآن • والانصات له – فقال فريق من العلماء • ان الاية عامة • ففى اى وقت • وفى اى موضع قرىء القرآن فيه • يجب على كل مسلم السكوت والاصغاء والاستماع اليه – وقال فريق منهم •• ان ذلك فى الصلاة – كان الصحابة رضوان الله عليهم فى صدر الاسلام • يتكلمون فى الصلاة بما يريدون •• فمنعوا من ذلك بهذه الاية – وقيل ان ذلك فى السكوت عند الخطبةيوم الجمعة • فالاقوال متعددة – والقول الاول احرى بالاتباع واولى •• تأدبا مع الله تعالى واحتراما لكلامه العزيز • وعملا على الانتفاع به واكتساب فضله ورحمته سبحانه ••

ويجب على المسلمين عند سماع القرآن • ان تتجاوب نفوسهم مع عظاته وعبره • وان تتطامن قلوبهم للاخذ باحكامه • والائتمار باوامره • والانتهاء عن نواهيه • حتى تنشرح صدورهم به • ولاتقسى قلوبهم • بل تمتلىء بالخشية والرهبة • وتقشعر جلودهم • وتلين قلوبهم لذكره وسماعه – يقول سبحانه وتعالى « **أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اولئك فى ضلال مبين • الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله يهدى به من يشاء ومن يضلل الله فماله من هاد** » **الايتان رقم ٢٢ : ٢٣ من سورة الزمر** قال قتاده رحمه الله (هذا لقب أولياء الله تعالى – نعتهم الله تعالى بأن تقشعر جلودهم وتطمئن قلوبهم بذكر الله) وقال صلى الله عليه وسلم (اذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تعالى • تحاتت عنه ذنوبه كما يتحات عن الشجرة البالية ورقها – وفى رواية حرمه الله على النار) اخرجه الطبرانى والبزار رحمهما الله تعالى عن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه ••

وقد ثبت بالتجربة • ان المرء اذا حزبه امر • او احاط به كرب • او ضاق صدره •• ثم لجأ الى كتاب الله تعالى • يقرؤه او يستمع اليه • فى ادب وحضور مع الله سبحانه وتعالى • فانه جل وعلا يشرح صدره • ويزيل همه • ويفرج كربه ••

واننا اذا نظرنا آية (اى آية) من كتاب الله تعالى • فاننا نجد فيها خيرا كثيرا •• ولقد حدثنا المولى سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم • عن لقمان وابنه فى السورة المسماة باسمه •• وفى هذا الحديث فوائد كثيرة • ومنافع جمة •• لذلك رأينا ان نعرض لهذا الحديث • وان نستمتع بما فيه • لانه يشتمل على الاسس والقواعد والاداب التى تكون المؤمن الصالح الكريم • وتنشئه تنشئة دينية قويمة • وهى سبيل السعادة للفرد وللمجتمع • وطريق الى جنة الله تعالى وخلده الكريم فنقول وبالله التوفيق ••

لقمان • هو ان باعوراء بن تاخور بن تارخ وهو آزر – وقيل كان لقمان ابن أخت ايوب عليه السلام • او ابن خالته – وقد عاش طويلا • وادرك داود عليه السلام ولازمه – وكان يفتى قبل مبعث داود عليه السلام • فلما بعث امتنع عن الفتوى – وكان اسود اللون • يعمل نجارا • وقيل خياطا • وقيل كان يرعى الغنم • وقيل كان قاضيا فى بنى اسرائيل ••

وجمهور العلماء على ان لقمان كان حكيما • ولم يكن نبيا ولا رسولا – الا عكرمة والشعبى • فانهما يريان أنه كان نبيا واتفق العلماء على أنه لم يكن عربيا ••

وكان لقمان رجلا حكيما • وعالما عظيما • وحسبه فضلا ان يذكره الله تعالى فى القرآن الكريم باسمه •• وانه اعطاه الحكمة • ويذكر نصائحه الغالية التى وعظ ابنه بها •• قال جل ذكره « **ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان الله غنى حميد** » الاية رقم ١٢ من سورة لقمان •

الحكمة هى العلم والمعرفة والاصابة فى القول والعمل – وقيل الحكمة اصابة الحق باللسان • واصابة الفكر بالجنان • واصابة الحركة بالاركان • ان تكلم تكلم بحكمة • وان تفكر تفكر بحكمة • وان تصرف تصرف بحكمة – وقال الشيخ ابو السعود (الحكمة فى عرف العلماء • استكمال النفس الانسانية باقتباس العلوم النظرية واكتساب الملكة التامة على الافعال الفاضلة • على قدر طاقتها) ••

ومن اخلص لله تعالى • وتقرب اليه • وزهد فى

الدنيا . اعطاه الله الحكمة ـ قال صلى الله عليه وسلم (**من اخلص لله اربعين يوما ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه**) اخرجه ابو نعيم رحمه الله تعالى عن ابى ايوب الانصارى رضى الله عنه وقال ايضا صلوات الله وسلامه عليه (**ما زهد عبد فى الدنيا الا انبت الله الحكمة فى قلبه ، وانطق بها لسانه ، وبصره بعيوب الدنيا ، وعيوب نفسه**) ..

والحكمة من النعم الكبرى التى ينعم الله بها على من يشاء من عباده ـ قال جل ذكره « **يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا وما يذكر الا أولوا الالباب** » الاية رقم ٢٩٦ من سورة البقرة ..

وكانت حكم لقمان زائعة ومشهورة عند العرب ، وقد ذكر الامام مالك رحمه الله تعالى بعض حكم لقمان فى كتابه الموطأ ـ كما ذكر علماء التفسير بعضا منها ، ومن حكمه قوله :

من كان له من نفسه واعظ ، كان له من الله عز وجل حافظ ..

من انصف الناس من نفسه ، زاده الله بذلك عزا ..

الذل فى طاعة الله تعالى . اقرب من التعزز بمعصيته ..

الدنيا بحر عميق .. غرق فيها كثير .. فاجعل سفينتك فيها تقوى الله تعالى ، وحشوها الايمان ، وشراعها التوكل على الله تعالى لتكون من الناجين ..

ارج الله عز وجل رجاء لا يجرئك على معصيته ، وخف الله تعالى خوفا لايوئسك من رحمته ..

اياك والدين ، فانه ذل بالنهار ، وهم بالليل .. من كذب ، ذهب ماء وجهه ، ومن ساء خلقه ، كثر همه .. نقل الصخور من مواضعها . ايسر من افهام من لايفهم من اختار الدنيا على الاخرة فتنته الدنيا ولم يصب الاخرة ..

وقيل له يوما بماذا بلغت ما بلغت ؟ .. فقال (بصدق الحديث ، واداء الامانة ، وترك ما لا يعنينى) ..

ومن حكمه ايضا تلك المواعظ التى وعظ بها ابنه .. وذكرها الله تعالى فى القرآن الكريم ، وسنعرض لها أن شاء الله .. رحم الله لقمان رحمة واسعة ..

ومن آثار الحكمة شكر الله تعالى على ما انعم به ـ والشكر لله طاعته فيما امر به . وعدم معصيته بما انعم به ـ وهو يقابل الكفر والجحود كما فى هذه الاية « **ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان الله غنى حميد** » **وفى كثير من الايات القرآنية ، من ذلك قوله تعالى** « **واذ تأذن ربكم لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابى لشديد** » **الاية رقم ٧ من سورة ابراهيم عليه السلام ، وقوله حكاية عن سليمان عليه السلام** « **ليبلونى أأشكر ام اكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربى غنى كريم** » **من الاية رقم ٤٠ من سورة النمل ..**

والشكر من أجل انواع الطاعة .. ولقد قرنه الله تعالى فى كتابه بذكره عز وجل فقال « **فاذكرونى اذكركم واشكروا لى ولا تكفرون** » الاية رقم ١٥٢ من سورة البقرة ـ ووعد باثابة الشاكرين ، ومجازاتهم الجزاء الوفير على الشكر فقال « **وماكان لنفس ان تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الاخرة نؤته منها وسنجزى الشاكرين** » الاية رقم ١٤٥ من سورة آل عمران ..

والشكر من صفات الربوبية . وصف الله به نفسه فى كتابه فقال « **وان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم** » الاية رقم ١٧ من سورة التغابن ..

وهو من المنازل العالية ، التى لا يدركها الا القليل من الناس ، قال جل ذكره « وقليل من عبادى الشكور » من الاية ١٣ من سورة سبأ .. يقول صلى الله عليه وسلم (الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر) رواه الامام احمد والترمذى والحاكم رحمهم الله تعالى عن ابى هريرة رضى الله عنه .. وقال ابن مسعود رضى الله عنه (الشكر نصف الايمان) ..

والشكر يستلزم معرفة النعمة ، والفرح بها ، ومعرفة المنعم ، والاقرار له بالربوبية ، والاعتراف له بالعبودية ، وان كل النعم انما هى من الله تعالى .. فهو وحده المنعم المتفضل .. والوسائط مسخرون بأمره سبحانه .

وفائدة الشكر ، انما تعود على نفس الشاكر .. لان الله تعالى غنى عن الشكر ، وغنى عن الشاكرين ، حميد فى ذاته وصفاته وافعاله ، مستوجب لكل كمال ، منزه عن كل نقص .. يحمده اهل السموات والارض .. اما فائدة الشكر وهى دوام النعم وزيادتها فانها تعود على نفس الشاكر .

وشكر العبد . نعمة من الله سبحانه وتعالى على عبده الشاكر .. لانه هو الذى اقدره عليه .. وما احسن قول بعضهم :

ان لله علينا نعما
يعجز العبد عن العد لها
فله الحمد على نعمائه
وله الشكر على الحمد لها

نسأله سبحانه وتعالى أن يمنحنا الهداية والنور ، وان يجعلنا من عباده الشاكرين . الناعمين بحمده والثناء عليه ..

وللكلام بقية .. فالى اللقاء فى العدد القادم ان شاء الله .. وبالله التوفيق

الكفارات
عبادة من العبادات

الأستاذ محمد فاوى عسر

جاء فى لسان العرب لابن منظور أن الكفارة لغة هى ماكفر به من صدقة أو صوم أو نحو ذلك . قال بعضهم كأنه غطى عليه بالكفارة . وسميت الكفارات كفارات لانها تكفر الذنوب أى تسترها . وقد بينها الله تعالى فى كتابه العزيز وأمر بها عباده . أما الحدود فروى عن النبى صلى الله عليه وسلم : « **ماأدرى الحدود كفارات لاهلها أم لا** » وفى حديث **قضاء الصلاة كفارتها ان تصليها اذا ذكرتها . وفى رواية لا كفارة لها الا ذلك** . وتكرر ذكر الكفارة فى الحديث اسما وفعلا . مفردا وجمعا . وهى عبارة عن الفعلة والخصلة التى من شانها أن تكفر الخطيئة أى تمحوها وتسترها . وهى فعالة للمبالغة ـ كقتالة وضرابة . ومعنى حديث قضاء الصلاة أنه لا يلزمه متى تركها غير قضائها من غرم أو صدقة او غير ذلك كما يلزم المفطر فى رمضان من غير عذر . وفى حديث **المؤمن** مكفر ـ أى مرزأ فى نفسه وماله وتكفر خطاياه

والكفارة لا تجب على الكافر والمجنون والصبى لان الكفار غير مخاطبين بشرائع هى عبادات . والكفارة عبادة . والصبى والمجنون لا يخاطبان بالشرائع اصلا

ولما كان الانسان عرضة للوقوع فى الذنوب والسيئات بمخالفة أوامر الخير والطاعة بما ركب فيه من قوتى الشهوة والغضب فانه لا يسلم من ذلك الا بعصمة من الله تحول بينه وبين شهوته وغضبه كما أنه من رحمة الله تعالى بالمؤمنين ان شرع لهم الوسائل الكفيلة بتكفير الذنوب وتطهير النفوس . وهذه الوسائل هى الكفارات وقد قسمها علماء الشريعة قسمان الاول نوع عام لم يخصص بذنب معين ولا بوسيلة معينة والثانى نوع خاص خصصت فيه وسائل معينة لذنوب معينة .

ومن النوع الاول الصبر على المكروه . يصيب المسلم فى بدنه او ماله او ولده . يقول صلى الله عليه وسلم : « **ما من مسلم يصيبه أذى ، شوكة فما فوقها الا كفر الله بها سيئاته . وحط عنه ذنوبه كما تحط الشجره ورقها** »

ومنها الحسنات يفعلها المسلم بعد السيئات . يقول سبحانه وتعالى : « **ان تبدوا الصدقات فنعما هى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم . ويكفر عنكم من سيئاتكم** » وهذا النوع ورد ذكره كثيرا فى القرآن الكريم والاحاديث النبوية الصحيحة .

اما النوع الثانى فهو الافعال التى نص عليها القران الكريم والسنة الصحيحة طريقا لتكفير ذنوب نص عليها . وجاء عن ذلك فى الكتاب العزيز جملة انواع لجملة مخالفات . ومنها **كفارة اليمين حيث يقول تعالى : « لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم . ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته اطعام عشرة مساكين من أوسط ماتطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة . فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام ذلك كفارة ايمانكم اذا حلفتم واحفظوا ايمانكم** » ويجب أن يفعل المسلم الكفارة مرتبة كما جاء فى الاية الكريمة .

ومنها ايضا كفارة الظهار . فقد كان الرجل فى الجاهلية . اذا قصد تحريم زوجة على نفسه قال لها : أنت على كظهر أمى .. وكانت بذلك تحرم عليه ولا تحل له ابدا . فلما جاء الاسلام أنكر ذلك واعتبره ذنبا من الزوج واستقر حكمه فيه على أن الزوجة لا تحرم به وانما يلزم الرجل اذا أراد أن يرجع الى زوجة ويتصل بها أن يكفر عن تلاعبه بمنكر القول وزوره . وفى هذا الشأن وفى كفارته نزلت الايات الاربع التى افتتحت بها سورة المجادلة وهى قوله تعالى : « **قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها .. وتشتكى**

الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير .. الذين يظاهرون منكم من نسائهم ماهن أمهاتهم ان أمهاتهم الا اللائى ولدنهم . وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا وان الله لعفو غفور . والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به . والله بما تعملون خبير فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله . وللكافرين عذاب اليم »

وفى القتل الخطأ تجب الدية كما تجب الكفارة . فعلى كل قاتل نفس ضمن ديتها الكفارة . والكفارة هى عتق رقبة مؤمنة سليمة من العيوب المضرة بالعمل ، فان أعسر بها ، صام شهرين متتابعين ولا اطعام فيها بقول الله تعالى فى سورة النساء : « **وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى أهله الا أن يصدقوا فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى أهله . وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليما حكيما »**

وعند أبى حنيفة لا كفارة فى القتل العمد . ويرى مالك أنها تجب على الصبى والمجنون .

وفى كفارة افساد الاحرام ، فقد اتفق على أن المفسد للحج اما ترك فعل من الافعال المأمور بها ، فترك الاركان التى هى شرط فى صحته على اختلافهم فيما هو ركن مما ليس بركن . وأما اتيان شىء من المتروك المنهى عنه كالجماع . وان كان اختلفوا فى الوقت الذى اذا وقع فيه الجماع كان مفسدا للحج . فأما اجماعهم على افساد الجماع للحج فلقوله تعالى : « **فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج** » واتفقوا على أن من وطىء قبل الوقوف بعرفة فقد أفسد حجه . وكذلك من وطىء من المعتمرين قبل أن يطوف ويسعى واختلفوا فى فساد الحج بالوطء بعد الوقوف بعرفة قبل رمى جمرة العقبة وبعد رمى الجمرة وقبل طواف الافاضة الذى هو واجب .

وقال تعالى فى كفارة المتمتع : « **فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدى ..** » فلا خلاف فى وجوب هذه الكفارة . وانما الخلاف فى المتمتع من هو . وعلى من تجب وما الواجب فيها . ومتى تجب ولمن تجب وفى أى مكان تجب . وهى تجب على المتمتع بالعمرة . أما الواجب فان الجمهور من العلماء يرى على ان ما استيسر من الهدى هو شاة وهو رأى مالك وذهب ابن عمر الى ان اسم الهدى لايطلق الا على الابل والبقر . وأجمعوا أن هذه الكفارة على الترتيب وأن من لم يجد الهدى فعليه الصيام .

أما كفارة افساد الصوم ، فان من يفطر فى رمضان عليه أن يعتق رقبة ، فان لم يجد فاطعام ستين مسكينا . أما من يفطر بجماع متعمدا فى رمضان ، فان الواجب هو القضاء والكفارة لما ثبت . **فقد روى أبوهريرة أن رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : هلكت يارسول الله فقال وما أهلكك . قال وقعت على امرأتى فى رمضان قال : هل تجد ما تطعم به ستين مسكينا ؟ قال : لا . ثم جلس فأتى النبى صلى الله عليه وسلم بعرق تمر فقال : تصدق بهذا . فقال : أعلى أفقر منى . فما بين لابتيها أهل بيت أحوج اليه منا . فضحك النبى صلى الله عليه وسلم حتى بدت أنيابه ثم قال : اذهب فأطعمه أهلك .**

والحكمة الالهية فى تقرير الكفارات هو أن الله سبحانه وتعالى قصد بها محو الذنوب وعلاج الاخطاء التى يقع فيها المسلم حتى يحتفظ بالروح المعنوية العالية فى علاقته بربه . فلا يقطع أمله فى الله فى أى حال حتى فى حال الذنب والمعصية . فالكفارة تغطى ذنب المؤمن وتمحو آثاره . فيعود المسلم الى ربه صافيا مطمئن النفس مستريح الضمير . ولا يظل الذنب عالقا بعنقه يفسد ما بينه وبين ربه حتى يكفر عنه . والله قادر على أن يعفو ويغفر وأن يمحو عن عبده هذه الذنوب دون شىء يفعله العبد . ولكنه سبحانه وتعالى يريد أن تكون تزكية نفسه وطهر قلبه بشىء يبذله فى مقابلة محو الذنب توجيها له نحو العمل ونحو البذل ونحو الطاعة . يقول عز وجل : « **ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم** »

والكفارات فى جملتها لا تخرج على ثلاثة أشياء . تحرير الرقيق أن وجد . والصوم . والبر بالفقراء . وكلها تحقق للمجتمع فوائد كثيرة وترفع من شأن الانسانية الى درجة التهذيب . والتضامن الاجتماعى الذى يحقق التعاطف والتراحم بين بنى الانسان .

الجهاد والجندية في تعاليم الإسلام

القوى المادية

سماحة مشر الطرازى الحسينى

قلنا فيما سبق انه يجب تسليح الجيش بالقوى والقوى تنقسم الى القوى المعنوية والقوى المادية ، ولكن القوى المعنوية فوق القوى المادية ، ذلك لان القوى المادية لا تكفى وحدها فى التغلب على العدو ، ما لم تعزز بالقوى المعنوية ، حتى ان الجندى لا يتأتى له الاستفادة من السلاح المادى ما لم يكن مسلحا بالسلاح المعنوى •

نعم : قلنا ذلك ثم بينا تعاليم الاسلام فى وجوب تسليح الجيش أولا بالقوى المعنويةوقدوعدنا القراء الاعزاء فى ختام القسم الثامن من البحث أن تكون صحبتنا معهم فيما بعدعن القوى المادية •

فنقول : ان الاسلام قد اهتم فى موضوع تسليح الجيش الاسلامى بالقوى المادية أيضا • فقد أمر الله سبحانه عباده المؤمنين باعداد القوة بقدر استطاعتهم وانما ذلك لمواجهة الاعداء بها ، فى سبيل دفع الاعتداء عليهم ، والذود عن كيانهم واستقلال بلادهم ، والدفاع عن سائر شئونهم . حيث قال « **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ، ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ، وما تنفقوا من شىءفى سبيل الله يوف اليكم وانتم لا تظلمون** » الاية ٦٠ ـ الانفال •

(تفسير هذه الآية)

أريد هنا تفسير هذه الاية على ما فسرها به المفسرون الاقدمون رحمهم الله تعالى ، وذلك توسعة لمجال الافادة للقراء الاعزاء ، ثم أريد عرض رايى فى تفسير القوة واعدادها وما حولها .

قال الامام علاء الدين على بن محمد بن ابراهيم البغدادى المعروف بالخازن :

الاعداد اتخاذ الشىء لوقت الحاجة اليه ، وفى المراد بالقوة اقوال : احدها انها جميع انواع الاسلحة والآلات التى تكونلكم قوة فى الحرب على قتال عدوكم . الثانى انها الحصون والمعاقل الثالث الرمى (يعنى كل مايرمى به) وقد جاءت مفسرة عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما رواه عقبة ابن عامررضى الله عنه . قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول ، « **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة** » ألا ان القوة الرمى (يعنى كل ما يرمى به) ثلاثا (أى قاله ثلاثا) أخرجه مسلم •

وروى الخازن ما رواه الامام البخارى والامام مسلم عن ابى سلمة الاكوع أنه قال : مر النبى صلى الله عليه وسلم على نفر من اسلم يتناضلون بالقوس ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم ارموا بنى اسماعيل ، فان أباكم كان راميا ، ارموا وانا مع بنى فلان ، فامسك أحد الفريقين بأيديهم ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : ما لكم لا ترمون ؟ فقالوا : كيف نرمى وانت معهم ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم : ارموا وأنا معكم كلكم » ثم قال الامام الخازن : الرابع يعنى القول الرابع فى المراد بالقوى : ان المراد بالقوة جميع مايتقوى به فى الحرب على العدو ، فكل ماهو آلة يستعان بها فى الجهاد فهو من جملة القوة المأمور باعدادها وقوله صلى الله عليه وسلم : « **الا ان القوة الرمى** » لا ينفى كون غير الرمى من القوة ، فهو كقوله صلى الله عليه وسلم « الحج عرفة » وقوله « الندم توبة » فهذا لا ينفى اعتبار غيره بل يدل على ان المذكور من أفضل المقصود واجله ، فكذا هنا يحمل

معنى الاية على الاستعداد للقتال فى الحرب وجهاد العدو وبجميع ما يمكن من الالات الخ ·

أقــول :

مما يضاف الى قول الخازن فى تفسير الاعداد بقوله « الاعداد اتخاذ الشىء لوقت الحاجة اليه » ان الخطاب فى قوله تعالى « وأعـدوا » لا يختص بالسلف . بل يشمل كل المؤمنين فى العهد الاول وما بعده من العهود ، قرنا بعد قرن الى يوم القيامة ، وان الامر المفهوم من جملة « وأعدوا » أمر ايجاب لا استحباب وان قوله لهم » معناه لاجل الاعـداء الذين ذكروا فى الايات السابقة ·

ان المراد من قوله صلى الله عليه وسلم (الذى مر فى حديث عقبة بن عامر رضى الله عنه) ألا ان القوة الرمى كل مايرمى به نحـو العـدو فى العهد الاول ما حدث بعده ، فان كله يعتمد على الرمى فلا حاجة الى التاويل الذى قال به الامام الخازن ، وقوله صلى الله عليه وسلم لنفر مر عليهم فى حديث سلمة بن الاكوع « ارموا (الى قوله) ارموا وأنا معكم كلكم » فانما هو لتحريض المسلمين على التدريب بالرمى ، كما هو المعلوم ويدل على ما قلناه ما جاء فى تفسير الامام النسفى حيث قال « ما استطعتم من قوة » من كل ما يتقوى به فى الحرب من عددها » (يعنى عدد القوة جمع العدة) ثم قال : وفى الحديث « ألا ان القوة الرمى » قالها ثلاثا على المنبر ، وقال فى تفسير قوله تعالى « **ومن رباط الخيل** » هو اسم للخيل التى تربط فى سبيل الله ، أو هو جمع ربط كفصيل وفصال ، وخص الخيل من بين ما يتقوى به كقوله تعالى : « **جبريل وميكال** » ·

أريد ان اقول : ان ما جاء فى تفسير الامام النسفى يدل على ما قلناه بظاهره ورمزه · كما لا يخفى على المتأمل .

وفى تفسير قوله تعالى « **ترهبون به عدو الله وعدوكم** » قال الامام الخازن : يعنى تخوفون بتلك القوة وبذلك الرباط عدو الله وعدوكم ، يعنى الكفار من أهل مكة وغيرهم · وقال ابن عباس رضى الله عنه : تحزنون به عدو الله وعدوكم ، وذلك لان الكفار اذا علموا ان المسلمين متأهبون للجهاد مستعدون له مستكملون لجميع الاسلحة وآلات الحرب واعداد الخيل مربوطة للجهادخافوهم فلا يقصدون دخول دار الاسلام ، بل يصير ذلك سببا لدخول الكفار فى الاسلام أو بذل الجزية للمسلمين » .

ثم قال : وقوله تعالى « **وآخرين من دونهم** » يعنى وترهبون آخرين من دونهم · واختلف العلماء فيهم · فقال مجاهد : بنو قريظة ، وقال السدى هم فارس ، وقال ابن زيدهم المنافقون لقوله تعالى « **لاتعلمونهم** » لانهم (يعنى المنافقين) معكم يقولون بألسنتهم لا اله الا الله « **الله يعلمهم** » يعنى انهم منافقون ، وقال الحسن هم كفار الجن ، وصحح هذا القول الطبرى قال : لان الله تعالى قال «**لا تعلمونهم**» ولا شك ان المؤمنين كانوا عالمين بعداوة بنى قريظة وفارس لعلمهم بانهم مشركون ولانهم حرب للمؤمنين ، أما الجن فلا يعلمونهم الله يعلمهم ، يعلم أحوالهم وأماكنهم دونكم » انتهى اختصارا ·

أقــول :

قلنا فيما سبق « ان الخطاب فى قوله تعالى « وأعـدوا » لا يختص بالسلف . بل يشمل كل المؤمنين فى العهد الاول وما بعده من العهود قرنا بعد قرن الى يوم القيامة » ·

وكذلك لا مانع من تفسير قوله تعالى « وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم » بأعم مما فسروا به بحيث يعم جميع الاعـداء بأجناسهم ونحلهم ومللهم ، سواء كانوا فى العهد الاول ، أو سيظهرون بعده ، مدة بعد مدة وقرنا بعد قرن الى يوم القيامة ، فان النص باطلاق يفيد هذا التعميم فى التفسير · وتقييد المطلق بدون موجب يخالف أصول الاستنباط من النصوص · تأمل ·

ثم قال الخازن : وقوله سبحانه وتعالى « **وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله** » قيل أراد به نفقة الجهاد والغزو ، وقيل هو أمر عام فى كل وجوه الخير والطاعة ، فيدخل فيه نفقة الجهاد وغيره « **يوف اليكم** » يعنى أجره فى الاخرة · ويعجل لكم عوضه فى الدنيا « **وانتم لا تظلمون** » لا تنقصون من ثواب اعمالكم شيئا انتهى ·

وأقــول :

ان ختام الاية أمر رمزى وترغيب صريح لانفاق الاموال فى اعداد القوة التى يحصل بها ارهاب العدو ، وما دونهم من الاعداء ، ولا يخفى ان اعداد القوة يتطلب أموالا فى كل عهد من العهود على حسب تطور انواع القوة ، وايجاب الزمن وأحداثه ، ولاسيما فى عصرنا هذا ·

وهنا نكتفى بهذا حذرا من التطويل والاملال ، وموعدنا للصحبة مع القراء الاعزاء العدد المقبل · تحت عنوان « القوة . ورأيى فى اعدادها » والله هو الموفق

علي ابن أبي طالب

القاضي والمفتي

المستشار عبد الستار آدم

أوضحت فى مقالاتى السابقة بهذه المجلة الغراء بعضا منفتاوى وآراء أمير المؤمنين الامام على بن أبى طالب ، كرم الله وجهه ، واليوم أقدم بعضا آخر ..

١ — رأيه فى بعض أنواع السحت

السحت : الحرام

من الاقوال المأثورة عن الامام على أنه ، رضى الله عنه ، قال : « من السحت ثمن الميت ، وثمن الكلب ، والرشوة فى الحكم ، وأجر الكاهن » .

أولا — عن ثمن الميت

المقصود فى قوله ، رضوان الله عليه ، « ثمن الميت » هو الثمن الذى يدفعه أهل الاسير الذى مات بعد أسره لرد جثته .. وأصل ذلك ماروى من أن أحد الكفار أسر فى احدى غزوات النبى ، صلى الله عليه وسلم ، فطلب ذووه استرداد جثته مقابل مبلغ من المال فقال لهم ، صلوات الله وسلامه عليه ، مامعناه :

« ان شئتم فخذوه فنحن لاناكل ثمن الميت »

ثانيا — عن ثمن الكلب

من المقرر شرعا انه غير ماذون فى اقتناء الكلب الا اذا أعد للصيد او للحراسة ودرب على ذلك .. والكلب الذى يحرم ثمنه ، والذى يقصده الامام على ، هو الذى لم يعد للصيد او للحراسة .

ثالثا — عن الرشوة فى الحكم

الرشوة ، كما عرفها قانون العقوبات ، هى أن يطلب الموظف العمومى لنفسه أو لغيره أو يقبل أو ياخذ وعدا أو عطية لاداء عمل من أعمال وظيفته او لاداء عمل يعتقد خطأ أو يزعم أنه من اعمال وظيفته او للامتناع عنه أو للاخلال بواجبات وظيفته او لمكافاته على ماوقع منه من ذلك حتى ولو كان يقصد عدم القيام بذلك العمل أو عدم الامتناع عنه أو عدم الاخلال بواجبات وظيفته .

ويعد فى حكم المرتشى كل من طلب لنفسه أو لغيره أو قبل أو أخذ وعدا أو عطية لاستعمال نفوذ حقيقى أو مزعوم للحصول أو لمحاولة الحصول من أية سلطة عامة على أعمال أو أوامر أو أحكام أو قرارات أو نياشين أو التزام أو ترخيص أو اتفاق توريد أو مقاولة أو على وظيفة أو خدمة من أى نوع والرشوة حرام فى الشريعة الاسلامية الغراء .

قال تعالى فى سورة البقرة :

« ولا تاكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتاكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وانتم تعلمون »

وفى نص هذه الاية جميع اركان الرشوة من راش صاحب حاجة ومرتش وهو أحد الحكام ذوى السلطان يبيع سلطانه الوظيفى ليعطى الراشى ماليس له به حق أو يعطل على صاحب الحق حقه لمصلحة الراشى .

وهذه الاية الكريمة تحرم الرشوة تحريما قاطعا فقد بدأت بـ « لا » الناهية .

وقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ،

« الراشى والمرتشى فى النار »

وطبقا لهذا الحديث الشريف فان الراشى والمرتشى كلاهما اثم وجزاؤه النار .

والرشوة فى قانوننا الوضعى — وهو قانون العقوبات — جريمة يعاقب عليها المرتشى بالعقوبات المنصوص عليها بالمواد من ١٠٣ الى ١٠٦ من قانون العقوبات الصادر بالقانون رقم ٥٨ لسنة ١٩٣٧ وفقا للتعديلات التى أدخلت عليه حتى يناير سنة ١٩٦٥ .. وتصل هذه العقوبات الى السجن والاشغال الشاقة المؤبدة .

وكما يعاقب قانون العقوبات المرتشى فانه يعاقب كذلك الراشى أخذا بما جاء بالحديث الشريف آنف الذكر وكذا يعاقب الوسيط فى الرشوة فقد نصت المادة ١٠٧ مكررا من القانون المذكور على الاتى :

« يعاقب الراشى والوسيط بالعقوبة المقررة للمرتشى ومع ذلك يعفى الراشى او الوسيط من العقوبة اذا أخبر السلطات بالجريمة او اعترف بها »

ويلاحظ أن القانون أعفى الراشى او الوسيط من العقوبة اذا اعترف أو أخبر الجهات الرسمية بالجريمة وذلك تشجيعا لضبط جرائم الرشوة ومعاقبة المرتشى .

هذا ومما هو جدير بالذكر أن القانون يعاقب الراشى حتى ولو لم تقبل منه الرشوة فقد نصت المادة ١٠٩ مكررا من قانون العقوبات على أن :

« من عرض رشوة ولم تقبل منه يعاقب بالسجن وبغرامة لاتقل عن خمسمائة جنيه ولاتزيد على ألف جنيه وذلك اذا كان العرض حاصلا لموظف عام فاذا كان العرض حاصلا لغير موظف عام تكون العقوبة الحبس لمدة لاتزيد على سنتين او غرامة لاتجاوز مائتى جنيه .

رابعا — عن أجر الكاهن

الكاهن : هو المنجم أو العراف الذى يدعى العلم بالغيب .. واجره حرام لانه لايعلم الغيب الا الله سبحانه وتعالى .. وصدق من قال : كذب المنجمون ولو صدقوا

٢ — رأيه فى الزواج بالمرأة التى لاتزال فى العدة

من المقرر فى الشريعة الاسلامية الغراء انه يحرم علىالشخص أن يتزوج بمن لاتزال فى عدة غيره من طلاق رجعى او بائن او من وفاة زوجها .

وقد روى أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، عرض عليه أمر امرأة تزوجها رجل وهى لاتزال فى العدة فارسل اليهما وفرق بينهما وعاقبهما وقال : لاينكحها أبدا . وجعل صداقها فى بيت المال قائلا : لاأجيز مهرا أرد نكاحه .. وقد شاع ذلك بين الناس فبلغ عليا ، كرم الله وجهه ، فقال : « رحم الله أمير المؤمنين مابال الصداق وبيت المال . فهما جهلا . فينبغى للامام ان يردهما الى السنة » .. فقيل له : فما تقول أنت فيها « قال : « لها الصداق بما استحل من فرجها ، ويفرق بينهما ، ولاجلد عليهما ، وتكمل عدتها من الاول ثم تكمل العدة من الاخر ثم يكون خاطبا » .. فلما بلغ ذلك عمر خطب الناس قائلا : « ياأيها الناس ردوا الجهالات الى السنة » فرجع عمر الى راى على ، رضوان الله عليهما .

ومن المتفق عليه بين فقهاء المسلمين ان زواج المرأة التى لاتزال فى العدة زواج فاسد ويحرم عليه أن يدخل بها فان دخل بها وجب التفريق بينهما .

ولكنهم اختلفوا فيما اذا كان يحل له أن يتزوجها بعد انقضاء عدتها من الاول بعقد جديد — على رأى الامام على — أم أنها لا تحل له ابدا على ما قال عمر ابتداء من أنه « لا ينكحها أبدا » — فذهب الحنفية والامام الشافعى الى الاخذ بالرأى الاول . بينما ذهب الائمة مالك والاوزاعى وسعد بن المليث الى الاخذ بالرأى الثانى .. ويقول الاستاذ عمر عبد الله رئيس القسم الشرعى ووكيل كلية الحقوق بجامعة الاسكندرية سابقا فىكتابه « احكام الشريعة الاسلامية فى الاحوال الشخصية » الطبعة الرابعة سنة ١٩٦٤ ص ١٦٥ أنه « يظهر أن هؤلاء الائمة لم يبلغهم قول الامام على فى المسالة ، ورجوع عمر الى رأى على ، رضى الله عنهما » .. ويعنى هذا ان الاستاذ عمر عبد الله يرى أن الرأى المعول عليه هو رأى الامام على ، كرم الله وجهه ، والذى يقضى بانه يحل للرجل أن يتزوج المرأة بعد انقضاء عدتها وذلك بعقد جديد .

* *
*

مراجع فى كل ما تقدم :

١ — كتاب « عجائب احكام وقضايا ومسائل أمير المؤمنين على ابن ابى طالب » جمع السيد محسن الامين الطبعة الاولى دمشق سنة ١٩٤٧ .

٢ — قانون العقوبات الصادر بالقانون رقم ٥٨ لسنة ١٩٣٧ والتعديلات التى أدخلت عليه حتى يناير سنة ١٩٦٥ .

٣ — كتاب « احكام الشريعة الاسلامية فى الاحوال الشخصية » تاليف الاستاذ عمر عبد الله رئيس القسم الشرعى ووكيل كلية الحقوق بجامعة الاسكندرية سابقا الطبعة الرابعة سنة ١٩٦٤ .

٤ — تفسير سورة البقرة وضع المجلس الاعلى للشئون الاسلامية .

والى الاعداد القادمة بمشيئة الله تعالى لاقدم آراء ومسائل أخرى للامام على بن ابى طالب ، رضى الله عنه .
والله ولى التوفيق السداد .

الصوفية فى الهامهم

روحى سبحت فى معرفة الحق ، فنظرت ماذا فى السموات والارض ، فذكرت فضله ، وشكرته على هدايته ، فوقفت على الحدود ، وعلمت انه هو القاضى وهو المدبر ، فركنت اليه وقلت: قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون .

جاءت تلك الكلمات النافعة فى رسالة بعث بها سيدى الشيخ عبد السلام الحلوانى طيب الله ثراه الى تلميذه الصالح المبارك الصديق السيد/سالم جمعه مد الله فى عمره وبارك له فىحياته وهى تدلنا على فضل التفكر فى خلق السموات والارض الذى يكشف لنا عن آيات الله الدالة على وجوده وقدرته ووحدانيته ، فيقف المؤمن منه موقف المخلوق من خالقه ، والمربوب من ربه ، والمرزوق من رازقه ، والفقير من الغنى عنه ، والمملوك من المالك والعابد من المعبود ، والحادث من القديم ، والميت من الحى الذى لا يموت .

ويقول سيدى احمد الانطاكى رضى الله عنه : انفع العقل ما عرفك نعم الله تعالى عليك ، وأعانك على شكرها ، وقام بخلاف الهوى ، وقد جعل الله سبحانه وتعالى التفكر فى خلق السموات والارض من خصائص العقلاء فقال تعالى (ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولى الالباب . الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فىخلق السموات والارض ربنا ما خلقتهذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار . ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته وما للظالمين من انصار . ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان ان آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار . ربنا وآتنا ماوعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد) فكان ذكر الله تعالى مدخلهم الى الفكر ، والفكر مدخلهم الى قوة اليقين بالله ، وقوة اليقين مدخلهم الى الوقوف على حدوده سبحانه املا فى عفوه وغفرانه وخوفا من بطشه وسلطانه ، يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتنى كنت ترابا .

الركون إلى الله تعالى

الأستاذ حسن كامل الملطاوى

وقد وصل الانسان فى زماننا بتقدمه العلمى الى القمر ووطئت اقدام البشر فعلا سطح القمر لكن هل ازداد الانسان بتجربتههذه ايمانا بالله وثقة فيه واعتمادا عليه وتوحيدا له : لا أظن ذلك وانما ازداد اعتدادا وغرورا بعلم الانسان وقدرته وسيطرته على الكون وبسبق دولته وتفوقها على غيرها من الدول ، ولا نعجب نحن المسلمين من ذلك الغرور لانه سبحانه وتعالى نبهنا اليـه فى كتابه المبين فقال تعالى (انما مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس والانعام حتى اذ اخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليهـا أتاها امرنا ليلا او نهارا فجعلناها حصيـدا كان لم تغن بالامس كذلك نفصل الايات لقوم يتفكرون) .

وصدق السادة الصوفية حين يقولون ان مفاوز الدنيـا تقطـع بالاقدام ولكن مفاوز الاخرة تقطع بالقلوب ؛ فقد وصلوا الى القمر باقدامهم ولكن قلوبهم لم تتجه الى الآخرة اتجاه المتفكرين من أولى الالباب فى خلق السموات والارض ، ذلك هدى الله يهدى به من يشاء من عباده ، ولئن باهى أهل الدنيا بالوصول الى القمر فان أهل الاخرة يباهون بالوصول الى خالقه سبحانه ، والوصول الى المكون اعظم اثرا وأبقى من الوصول للاكوان ، واين وصـول يفنى بفناء الانسان من وصول يبقى ببقاء الله : اللهم أدم علينا نعمة توحيدك والايمان بك فانك تغنى عن غيرك ، وغيرك لا يغنى عنك شيئا .

واذا آمن الانسان بربه ايمانا يباشر قلبه علم يقينا انه لا حركة ولا سكون الا بقضائه وقدره فسكن للاقدار ارضاء لمقدرها ، ورضى بالقضاء اطمئنانا الى عدالة القاضى فشكر فى الرخاء ، وصبر فى البلاء ، وقال ما ردده سيدى الشيخ من كلام الله تعالى الذى يوجهنا الى الرضا والتسليم (قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون وذلك شأن الصادقين من عباد الرحمن .

ويقول السادة الصوفيـة فى أهمية الصـدق مع الله : لا يستغنى حال من الاحوال عن الصدق ، والصدق مستغن عن الاحوال كلها ، ولو صدق العبد فيما بينه وبين الله حقيقة الصدق لاطلع على خزائن من خزائن الغيب ولكان أمينا فى السـموات والارض .

ومن روائع السادة الصوفيه انهم يقولون ان الله تعـالى دعا الصابرين من المؤمنين على المعاوضة فقال تعالى ، انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) بينما دعا مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الصبر مع المراقبة فقال تعالى : [وأصبر وما صبرك الا بالله] لانه صلى الله عليه وسلم أجل عند ربه من أن يطالبه بمعاملة يقتضى عليها معاوضه كما قال له (واصبر لحكم ربك فانك باعيننا) أى انما هو حكم الله الذى جرى عليك لا حكم غيره وانت محاط على الدوام بعنايته سبحانه ، وكذلك أدبه فى الحرب فقال تعالى (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) فلماأدبه بذلك قال صلى الله عليه وسلم : اللهم بك اصول وبك أجول ، وبك أقاتل ، وبك أحاول .

ولهذا يوجه السادة الصوفية تلاميذهم الى الاعتماد على الله فى جميع أحوالهم ، والى شكره سبحانه والرضا بقضائه ،حتى تتحقق عبودية المريد لربه وما كتبه سيدى ابوسعيد بن الاعرابى الى احد المريدين قوله :

كلاك الله كلاءة الوليد المرحوم ، وحفظك حفظ الولى المعصوم، ووهب لك معرفة ما انعم به عليك ، واستخرج منك ما جبلك عليه، وحجبك عن نفسك القاطعة دونه ،وكفاك عوائقها وبوائقها ورؤية عملك ، وآثر سعيك ، وتزكية نفسك ، واستقك من رقها ، وكفاك عوارض تحيرها ، وفضول تكلفها ، واستخصك لنفسه منها ،ليحقق فيك العبودية ، فيزكو عملك وان خف ، ويسمو سعيك وان قل ، وتطيب حياتك وان مت ، حتى يوصلك بالحياة التى لا موت فيها ، والبقاء الذى لا فناء بعده ، وتولى أمرك بالحسنى فى عواقبها ، كما كفاك التحير فى أوائلها ، انه ولى التمام لما ابتدأه .

ويقول السادة الصوفية ان مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال متحدثا بنعمة ربه عليه : « انا سيد ولد آدم ولا فخر» ويفسرون قوله صلى الله عليه وسلم : « ولا فخر » فيقولون انما قصد صلى الله عليه وسلم ان يقول : « ان هذا عطاء الله وانا

لا أفتخر بالعطاء لان فخرى بالمعطى جل جلاله لا بالعطاء » .

ويقول امامنا على بن ابى طالب رضى الله عنه : الخير كله مجموع فى اربعة : الصمت والنطق والنظر والحركة ، فكل نطق لا يكون فى ذكر الله تعالى فهو لغو ، وكل صمت لا يكون فى فكر فهو سهو ، وكل نظر لا يكون فى عبرة فهو غفلة ، وكل حركة لاتكون فى تعبد فهى فترة ، فرحم الله عبدا جعل نطقه ذكرا ، وصمته فكرا ، ونظره عبرة ، وحركته تعبدا ، ويسلم الناس من لسانه ويده .

ويقول امامنا عثمان بن عفان رضى الله عنه : وجدت الخير مجموعا فى اربعة : التحبب الى الله تعالى بالنوافل والثانى الصبر على احكام الله تعالى ، والثالث الرضا بتقدير الله عز وجل والرابع الحياء من نظر الله عز وجل .

أما معرفة الحق سبحانه التى سبحت فيها روح شيخنا رضى الله عنه فقد عرفها السادة الصوفية فقالوا : حقيقة المعرفة المحبة له بالقلب والذكر له باللسان وقطع الهمة عن كل شىء سواه ، ولذلك تراهم يحذروننا من الغفلة وآثارها فيقولون : لا نوم أثقل من الغفلة ، ولا رق أملك من الشهوة ، ولولا ثقل الغفلة ما ظفرت بك الشهوة .

وقد سئل سيدى احمد بن خضرويه رضى الله عنه : اى الاعمال افضل ؟ فقال رعاية السر عن الالتفات الى شىء سوى الله تعالى ، ويقول سيدى يحيى بن معاذ رضى الله عنه : ثلاث خصال من صفة الاولياء : الثقة بالله فى كل شىء ، والغنى به عن كل شىء ، والرجوع اليه فى كل شىء وقد سئل رضى الله عنه : اخبرنا عن الله ما هو ؟ قال : اله واحد ، قيل : كيف هو ؟ قال : ملك قادر ، قيل : أين هو ؟ قال : بالمرصاد ، قيل : ليس عن هذا نسألك : قال : فذاك الذى تسألون عنه صفة المخلوق ، اما صفة الخالق فما اخبرتكم به .

ويقول شيخى وسيدى الشيخ علي عقل نور الله ضريحه فى الهامه الفورى الذى نقلناه عنه :

اذا كنت تهوى الله نلت مكانة
وان كنت تهوى الناس نلت هوانا
ومن يذكر الرحمن بالقلب صادقا
علا فوق اعناق الملوك مكانا
ونحن قلوب طهر الله أصلها
ورب السما بالمكرمات كسانا
ولم نتكلم انما فاض حبنا
شهودا فارسلنا العلوم بيانا
مددنا الايادى للمهيمن ذلة
فجاد علينا واستجاب ندانا
خليلى ان الحب يقتل أهله
وما عز من فى الحب لا يتفانى
الا أيها اللاحى تجرع كؤوسنا
لتصبح منا ان سقيت سقانا
تجلت لنا الانوار من عالم البقا
فهامت بنا ارواحنا ونهانا
فنينا بها حبا فطابت حياتنا
رأينا بها عند الفناء بقانا

ومعرفة الله عند السادة الصوفية على ثلاثة اوجه : معرفة اقرار ، ومعرفة حقيقة ، ومعرفة مشاهدة وفى معرفة المشاهدة يندرج الفهم والعلم والعبارة والكلام وذلك ما يفسر لك قول شيخنا العارف بالله سيدى الشيخ على عقل رضى الله عنه :

ولم نتكلم انما فاض حبنا
شهودا فارسلنا العلوم بيانا

ولم يكن كلامه مثل كلام غيره ، وانما امتاز كلامه بالذوق الذى يتحلى به أهل الشهود الذين اختصهم الله برحمته واجتباهم لساحة قدسه وقال فيهم (يحبهم ويحبونه ، كما قال فيهم)والذين امنوا أشد حبا لله) .

ومحبة الله عند السادة الصوفية على ثلاثة احوال :

الاول — محبة العامة ، وتتولد من احسان الله تعالى اليهم وعطفه عليهم لان النفوس جبلت على حب من أحسن اليها ، وعلامة هذه المحبة صفاء الود مع دوام الذكر لان من احب شيئا أكثر من ذكره .

الثانى — حب الصادقين وتتولد من نظر القلب الى غناء الله وجلاله وعظمته وعلمه وقدرته ، وقد سئل الامام ابوسعيد الخراز عن هذه المحبة فقال : طوبى لمن شرب كأسا من محبته ، وذاق نعيما من مناجاة الجليل وقربه بما وجد من اللذات بحبه ، فملأ قلبه حبا ، وطار بالله طربا ، وهام اليه اشتياقا ، فياله من وامق متصل بربه ، كلف دنف ، ليس له سكن غيره ولا مألوف سواه .

وفى هذه المحبة يقول سيدى الشيخ على عقل رضى الله عنه :

اذا قيل لى اطلب قلت ربى مطلبى
وان قيل لى اشرب قلت انواره كاسى
سلونى عن العشاق قد ذقت حبهم
وانى لهم رأس اذا كان من رأس
وان حبال الوجد تربط مهجتى
وقلبى بحب الله يعبق كالورس
حسبت الهوى سهلا فخضت عبابه
فطورا به أطفو وطورا به غطسى
الى ان أتتنى من لدنه عناية
وصلت بها بر السلامة والانس

الثالث — محبة الصديقين والعارفين ، وتتولد من نظرهم ومعرفتهم بقديم حب الله تعالى بلا علة ، فكذلك أحبوه بلا علة ويقول فى تلك المحبة سيدى الشيخ على عقل قدس الله سره :

طول ليلى فى محبتكم
اتحلى من جلالتكم
قد غرقنا فى مودتكم
وانتظمنا فى حمايتكم
فى جلال صيب هطل
يا حبيبى أنت محتسبى
أنت مقصودى ومطلبى
أنت يا رب السما أربى
أنت يا خلاق منتسبى
أنت لى ياذا الجلال ولى

فاذا عرف المؤمن ربه بمذاقه أحبه محبة العارفين ومن احبه محبة العارفين توكل عليه فى أموره كلها ، وقد قال تعالى (وعلى الله فليتوكل المتوكلون) وقال تعالى (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) فكان توكل المتوكلين أخص من توكل المؤمنين ، وقد رد سبحانه المتوكلين اليه فقال تعالى (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) اى كافيه ، وأمر أحب أحبابه صلى الله عليه وسلم بالتوكل عليه فقال تعالى (وتوكل على الحى الذى لايموت (كما قال له (وتوكل على العزيز الرحيم الذى يراك حين تقوم) .

وقد سئل الامام أبو تراب النخشبى رضى الله عنه عن معنى التوكل فقال هو طرح البدن فى العبودية ، وتعلق القلب بالربوبية ، والطمانينة الى الكفاية ، فان أعطى شكر ، وان منع صبر راضيا موافقا للقدر ، وقد قال الامام الجنيد رضى الله عنه ان التوكل هو اعتماد القلب على الله تعالى .

ويقول السادة الصوفية ان التوكل يقتضى الرضا ، وهو مقام

شريف نوه بفضله القرآن الكريم فقال تعالى (رضى الله عنهم ورضوا عنه) وقال تعالى (ورضوان من الله اكبر) فبين سبحانه ان رضا الله عن عباده أقدم وأكرم من رضاهم عنه ،

وعرف السادة الصوفية الرضا بانه سكون القلب تحت حكم الله عز وجل ، وعللوا هذا السكون بان القلب ينظر الى قديم اختيار الله تعالى فيعلم ان ربه اختار له الافضل فيرضى به ويترك السخط ،

ومن السادة الصوفية من عمل فى اسقاط الجزع حتى يكون قلبه مستويا لله عز وجل فيما يجرى عليه من حكم المكاره والشدائد والمنع والعطاء .

ومنهم من ذهب عن رؤية رضائه عن الله عز وجل برؤية رضا الله عنه لقوله تعالى (رضى الله عنهم ورضوا عنه) فلا تثبت لنفسه قدم فى الرضا وان استوى عنده الشدة والرخاء والمنع والعطاء ،

وفى ذلك يقول قائلهم :

اذا أعطى فقد أرضى ولكن
اذا سلب الذى أعطى أثابا
فاى النعمتين أحق شكرا
وأحمد عند منقلب ايابا
انعمته التى أهدت ثناء
أم الاخرى التى أهدت ثوابا

وهو يشير فى الشطر الاخير الى ثواب الصبر على البلايا حين يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب يوم يقوم الناس لرب العالمين ،

ويحكى سيدى ذو النون المصرى رضى الله عنه انه دخل مرة على مريض يعوده فبينما كان يكلمه أن أنة قال ذو النون فقلت له : ليس بصادق فى حبه من لم يصبر على ضربه ، فقال : ليس بصادق فى حبه من لم يتلذذ بضربه ،

وحين يتكلم السادة الصوفية عن الصبر يقولون ان الصبر على ثلاثة أوجه : متصبر ، وصابر ، وصبار ؛ فالمتصبر من صبر فى الله تعالى ، فمرة يصبر على المكاره ومره يعجز ، والصابر من يصبر فى الله ولله ولا يجزع ، واما الصبار فذاك الذى صبره فى الله ولله وبالله فهذا لو وقع عليه البلايا لا يعجز ولا يتغير من جهة الوجوب والحقيقة ، لا من جهة الرسم والخلقة .

وكان الامام الشبلى رضى الله عنه اذا سئل عن الصبر يتمثل بهذه الابيات :

عبرات خططن فى الخد سطرا
قد قراها من ليس يحسن يقرا
ان صوت المحب من ألم الشو
ق وخوف الفراق يورث ضرا
صابر الصبر فاستغاث به الصـ
ـبر فصاح المحب بالصبر صبرا

ويقول السادة الصوفية ان شكوى الضر لله تعالى لا تخرج المحب عن صفة الصبر ،ويستدلون على ذلك بان سيدنا ايوب عليه السلام شكا ضره لربه حين قال (رب انى مسنى الضر وأنت ارحم الراحمين) ولم تخرجه هذه الشكوى من صبره واطمئنان قلبه الى حكم القضاء فمدحه الله تعالى وقال فى شانه (انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب) واذ نترى من ذلك ان المدار كله على سكون القلب لمجارى الاقدار ، ولذلك يقول السادة الصوفية فى حكمهم : الرضا بمواقع القدر نعم الوسيلة الى درجات المعرفة ، وفى هذا المقام يقول شيخى وسيدى الشيخ على عقل رضى الله عنه :

قلبى اصبر لا تكن تشكو
ونفسى لا تئنى
لم ألاحظ غير وجه الله
خل الخلق عنى
ان سألت الناس أحرم
ان سألت الله يغنى
ان سألت الناس أبعد
ان سألت الله يدنى
ان آيات التجلى
بالمعانى عرفتنى
اية الوجدان روضى
وشهود الله فنى

وكذلك هم يقولون ان الدعاء لا ينافى التسليم والتفويض ، وقد سئل بعض السادة الصوفية عن الدعاء وما وجهه لاهل التسليم والتفويض فقال : يدعو الله ولهذا الدعاء وجهان : احدهما يزين جوارحه الظاهرة بالدعاء لان الدعاء نوع من الخدمة ، والثانى انه يدعو ائتمارا بأمر الله الذى امر بالدعاء ،

ومن دعاء الامام الجنيد رضى الله عنه :

الهى وسيدى ومولاى ، من أحسن منك حكما لمن أيقن بك ؟ ومن أوسع منك رحمة لمن اتقاك وقصدك ، ومن أسرع منك عطفا ورأفة لمن أرادك وأقبل على طاعتك ؟ فكلهم فى نعمائك يتقلبون ، ولك بفضلك عليهم يعبدون ، وفنيت حظوظهم من دونك واجتمعت لك وحدك ، فهم اليك فى الليل والنهار متوجهون ، وعليك فى كل الاحوال مقبلون ولك على الاحوال مؤثرون فانا أسألك يا الهى وسيدى ومولاى ان تكون لى بفضلك كالئا عاصما راحما ، فانى اليك لاج ، وبك مستغيث ، واليك راغب ، ومنك راهب ، وعليك فى امور الدنيا والاخرة متوكل ، لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين .

وحكى الامام الجريرى رضى الله عنه فقال : سمعت ابراهيم المارستانى رحمه الله تعالى يقول : رأيت الخضر عليه السلام فى المنام ، فعلمنى عشر كلمات وأحصاها على بيده :

اللهم انى أسألك حسن الاقبال عليك ، والاصغاء اليك ،والفهم عنك ، والبصيرة فى أمرك ، والنفاذ فى طاعتك ، والمواظبة على ارادتك ، والمبادرة فى خدمتك ، وحسن الادب فى معاملتك ، وبرد التسليم اليك ، والنظر الى وجهك .

وكان سيدى يحيى بن معاذ الرازى رحمه الله يقول فىدعواته: الهى ، اذا قلت لى فى القيامة: عبدى ماغرك بى، أقول: سيدى برك بى ، وان ادخلتنى النار بين اعدائك لاخبرتهم بانى كنت فى الدنيا أحبك لانك مولاى ومن جميع الاشياء مغناى ، وكذلك كان رضى الله عنه يقول: اللهم ان نجيتنى بعفوك ، وان عذبتنى بعدلك ، رضيت ما بى لانك ربى وأنا أعبدك ، الهى أنت تعلم انى لا اقوى على النار ، وأنا أعلم انى لا أصلح للجنة ، فما الحيلة الا عفوك ،

وكان رضى الله عنه يقول : اللهم اتقرب اليك ، وبك ادل عليك ، وحجتى نعمك لا عملى ، ولا أظنك تحاسب غدا بعدلك من غشيته اليوم بفضلك ، وعفوك يستغرق الذنوب ،ورضوانك يستغرق الامال، ولولا أنك بالعفو تجود ما كان عبدك بالذنب يعود ،

وكان رضى الله عنه يقول : الهى وسيدى ومولاى ومن جميع الاشياء مغناى ، ضيعت نفسى بالذنوب فردها على بالتوبة ، أنت تعلم أن الكريم من عبادك يعفو عمن ظلمه وقد ظلمت نفسى وأنت أكرم الأكرمين فاعف عنى ، الهى أنت تعلم ان ابليس عدو لك ولى وليس شىء أنكى لكبده وأقطع لكيده من غفرانك لى فاغفر لى يا أرحم الراحمين .

وختاما اقول : (ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رءوف رحيم) .

مع القرآن الكريم

الدكتور عبد الله محمود شحاتة

القرآن والعلم الحديث :

من اعجاز القرآن الكريم اشارته الى نشأة علوم حديثة لم يعرفها السابقـون وانما لفت انظارهم اليها ،كما وجه ابصارهم الى دراسة الكون وتأمل ظواهره والاحاطة بآيات الله فيه ، وقد حملت آيات القرآن بذور هذا التقدم العلمى وأرشدت اليه وفكت مغاليقه وتركت للعقل البشرى بعد ذلك اسـتكمال رسالته حتى يتحقق من صواب نظريته أو خطئها ٠

قال تعالى « **سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد** » (فصلت ٥٣) ٠

وقد استخرج بعض علمائنا من القرآن ما يشير الى مستحدثات الاختراع وما يحقق بعض غوامض العلوم الطبيعية وبسطوا كل ذلك بسطا فى موضعه ، من ذلك أن الصعود الى أعلا يلزمه حتما ضيق الصدر ،أى الاختناق بسبب نقص الاوكسوجين ، وهذا يفسر لنا قوله تعالى : « **ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء** » (الانعام ١٢٥) ٠

ومن الثابت أن للارض جاذبية ، وللافلاك الاخرى كالشمس والقمر جاذبية ويحتاج الانسان الى سرعة جبارة ليندفع فى الفضاء متخلصا من جاذبية الافلاك ، وفى ذلك يقول القرآن الكريم :

« **يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفـذون الا بسلطان** » الرحمن (٣٣) ٠ وما هذا السلطان الا سلطان العلم وهو أقوى ما حصل عليه الانسان وأعظم ما منح ، وبه ملك زمام الارض والسماء ٠

ويقول الله تعالى فى سورة الفرقان (٦١) :

« **تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا** » ٠

والبروج مجمـوعات النجـوم المعروفة بالدلو والحوت والحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والعذراء والميزان والعقرب والقوس والجدى ٠

أما السراج فهى الشمس المضيئة ، والاعجاز هنا اشارة القرآن الى أن وظيفة القمر هى مجرد التنوير برد ضوء الشمس الساقط عليه ، أما الشمس فهى مصدر الطاقات التى ترسلها عبر الفضاء الكونى كما يرسل السراج المتقد الضوء والحرارة ٠

قال تعالى فى سورة نوح (١٦) :

« **وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا** » ٠

وفى سورة النبأ (١٣) : « **وجعلنا سراجـا وهاجا** » ٠

وقطر الشمس أكبر من قطـر الارض مائة مرة وتبلغ درجة حرارة سطحها من ٦٠٠٠ درجة الى ٢٠ مليون درجة ٠

وتمدنا الشمس بكافة أنواع الطاقات التى تشرق بها الارض ، وتزدهر الحياة فى كنفها ٠ ويشيـر القرآن الى تغير تلك الطاقات بتغير الشهور والمواسم حتى يعم النفع ولا يمل الناس من حر دائم أو برد مستمر ٠

يقول سبحانه :« **ألم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشـمس عليـه دليلا** » (الفرقان ٤٥) ٠

كما يشير القرآن الى بعض الظواهر الفلكية فى تحديد مسار الشمس فهى تجرى ومعها سائر اجرام مجموعتها بسرعة تبلغ عدة مئات الاميال فى الثانية ٠

ورغم سير الشمس المستمر ، فانها لا تتخلف عن وظيفتها ،ولا تظهر فى غير أوانها ، كما أن للقمر مداره ومنزلته وفلكه الذى يسبح فيه ، وقد قدر الله كل ذلك بنظام بديع وتقدير محكم لا يختل ولا يضطرب ، وفى اعجاز رائع واسلوب حكيم ينطق القرآن الكريم بهذه الظاهرة ، فيقول سبحانه : « **والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ، والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ، لا الشمس ينبغى**

لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون » ٠ (يس ٣٨ ـ ٤٠) ٠

القرآن وعلوم الفضـــاء :

أشار القرآن الى اسفار الفضاء وذكر أن أجرام السماء تظل تسبح على الدوام الى ما شاء الله ، حيث لا يوجد فى الفضاء الكونى ما يعوق حركتها ، أو يغير من سرعتها مصداقا لقوله تعالى : « **وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل فى فلك يسبحون** » (الانبياء ٣٣)

ومن العجيب ان يذكر القرآن اسفار الفضاء كلها على أنها تتم فى مسارات منحنية ،والحقيقة العلمية أن الفضاء لا يعرف الخط المستقيم ، انظر قوله تعالى فى سورة المعارج (٤) :

« **تعرج الملائكة والروح اليه** » ٠

وفى سورة سبأ (٢) : « **يعلم ما يلج فى الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور** » ٠

وفى سورة الحجر (١٤) : « **ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون** » ٠

وحين انفتح أمام الانسان باب الوصول الى القمر ورحل اليه مرة بعد أخرى ، رأى نفسه ينطلق فى مسارات منحنية أو متعرجة ، ولا يسير فى خطوط مستقيمة ، وعندما صعد رواد الفضاء فوق جو الارض ، نظروا الى الارض فرأوها قبة زرقاء معلقة فى الفضاء ، وأصبح فى مقدورهم تمييز الخط الفاصل بين الليل والنهار فى غلاف الارض ، ورأوا أن هذا الخط يلف مع دوران الارض حول محورها ، ولقد أشار القرآن الى هذه الحقائق بأسلوبه المعجز وبيانه الحكيم ٠

قال تعالى فى سورة الزمر (٥) : « **يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل** » ٠

وفى سورة الاعراف (٥٤) : « **يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا** » ٠

وفى سورة النور (٤٤) : « **يقلب الله الليل والنهار ان فى ذلك لعبرة لاولى الابصار** » ٠

وقد أشار القرآن الى أهمية الجبال فى حفظ توازن الارض ، وذلك فى قوله تعالى : « **وألقى فى الارض رواسى أن تميد بكم** » ٠ (النحل ١٥) ٠

وقوله سبحانه : « **ألم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا** » ٠ (النبأ ٦ ، ٧) ٠

وثبت علميا أن قشرة الارض ميزان حساس فكل مكان فيه هو كفة متوازنة مع كل مكان آخر ، فاذا تغير الثقل على مكان ما اضطرب هذا التوازن ونجمت عن ذلك هزات الزلازل ، وتصدعات القشرة اليابسة لاعادة هذا التوازن ، والجبال بمقتضى عوامل التعرية تزول ببطء شديد ، ولعل هذا ما تشير اليه الاية الكريمة « **وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب صنع الله الذى اتقن كل شىء انه خبير بما تفعلون** » (النمل ٨٨) ٠

ومن الاعجاز العلمى للقرآن ما كشف عنه العلم من تلاقح النبات وانه ازواج .قال تعالى : « **سبحان الذى خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون** » (يس ٣٦) ٠

وقال سبحانه : « **فاخرجنا به ازواجا من نبات شتى** » (طه ٥٣) ، « **ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين** » (الرعد) ٠

وقال عزشأنه : « **وأرسلنا الرياح لواقح فانزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين** » (الحجر ٢٢) ٠

وقد ظن فريق من العلماء أن الاية تشير الى تلقيح الرياح لبعض النباتات كما هو معروف ٠ولكن هذا المعنى لا يربط الجزء الاول من الاية بجزئها الثانى وهو انزال الماء العذب ٠

فالاية تشير الى ما تسببه الرياح من تسخير السحاب وانزال المطر ، واثراء الحياة بالخيرات والنبات والمرعى مما يستحق التفكير والتأمل ٠ قال تعالى : « **وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون** » (البقرة ١٦٤) ٠

وقد اقسم الله تعالى بالنجوم فى تعبير بلغ ذروة الاعجاز فى وصف أبعاد النجوم واتساع الكون المادى بصفة عامة ، قال تعالى « **فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم** » ٠ (الواقعة ٧٥ ، ٧٦)

ومن آيات القرآن الكريم يتضح لنا أن لله عز وجل كتابين ، كتاب مفتوح وهو الكون يقرؤه العالم والجاهل والكبير والصغير والمتعلم والامى ، وكتاب مقروء انزله على نبيه ليرشد الناس الى آثار قدرة الله بديع السموات والارض ٠

ورغم ان المقصود الاسمى من هذا الكتاب هو الهداية والارشاد الا أنه مع ذلك حوى أصول الاعجاز التشريعى والنفسى والبيانى والعلمى ٠

وان من أدلة اعجاز هذا الكتاب الكريم ان يخطىء الناس فى بعض تفسيره على اختلاف العصور لضعف وسائلهم العلمية ولقصر حبالهم أن تعلق بأطراف السموات أو تحيط بالارض ثم تصيب الطبيعة نفسها فى كشف معانيه فكلما تقدمت العلوم ونازعت الى الكشف والاختراع واستكملت آلات البحث ظهرت حقائقه الطبيعية ، ناصعة حتى كأن القرآن غاية لا يزال عقل الانسان يتطلع اليها ٠

ولا عجب فى ذلك فالعقل أثر من آثار الله ، والوحى أثر من آثار الله ، وآثار الله لا تناقض بينها ولا اضطراب ٠

قال تعالى : « **ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت** » (الملك ٣) ٠

« **والله غالب على أمره ولكن أكثر النـاس لا يعلمون** » (يوسف ٢١) ٠

التصوف في الإسلام

للأستاذ طه رياض سيف النصر

لقد تحدثنا كثيرا فى المقالات السابقة عن الفكر والتأمل والتدبر فى عجائب صنع الله وآياته ... وعما يدور حوله من جمال وجلال وكمال ..

وهذا الحديث الطويل القيم فى التفكر فى عالم الغيب والشهادة يعمل بدون شك الى رفع القيم الروحية والخلقية وتطهير النفوس وتزكية الاخلاق حتى يصبح المجتمع البشرى اخوة متحابة فى الله ... وهذا ما جرنى تلقائيا الى الحديث هذه المرة عن قوله تعالى « قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا » . وما تحتويه هذه الاية الكريمة من معان ظاهرية وباطنية يستدعى القاء ضوء من الفكر والرشاد والعبرة حتى نقف على عظمتها والتعرف على حقيقة تفسيرها بقدر المستطاع ، لانه لا يمكن ءى انسان ان يعطيها حقها الكامل ... لان الانسان مهما وصل الى أعلى درجات العلم والبصيرة ... فانه لا يمكنه الوصول الى كمال العلم والمعرفة ...

وبهذه الاية الكريمة يامر الله سبحانه وتعالى رسوله بان يعرفنا بان علم الله سبحانه جلت قدرته وسع كل شىء ولا نهاية له ...

والواقع ان هذا العلم « اللدنى » أو علم الغيب لا يدركه الا أصحاب القلوب العامرة بالايمان وبحب الله ، الذين امدهم سبحانه وتعالى بتوفيقه وعنايته وفضله وجوده وكرمه وشرح صدورهم بنوره ... فشاهدوا جماله وصفاته وجبروته وانطق لهم كل ذرة فى السموات والارض بقدرته التى انطق بها كل شىء حتى سمعوا تسبيحها وتقديسها لله وشهادتها على انفسها بلسان طلق تكلمهم بلا صوت ولا حرف لا يسمعه الا الذين هم عن السمع معزولون ، فلكل ذرة فى العالم مع أرباب القلوب مناجاة ... وان الله سبحانه وتعالى يناجى أرباب القلوب باسرار الملكوت .. وهم أشد الناس حرصا على هذه الاسرار وعدم افشائها ...

وقد قال فى هذا المعنى سيدى أبو الدرداء رضى الله عنه : « أعطانى رسول الله وعاءين ، وعاء أتكلم به ، ووعاء اذا تكلمت به قطع الحلقوم » ، والمقصود بالوعاء الاول علم الظاهر او الشريعة ، والثانى علم الباطن أو علم الحقيقة ... ومثل آخر من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم : حارثة الانصارى الرجل الصوفى الذى كثيرا ما حدثناكم عنه ، والذى وهبه الله بتقواه وتصوفه كشفا مقدسا وجلاء حتى يقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كيف أصبحت يا حارثة » ؟ فيقول « أصبحت مؤمنا » .

فيقول له صلى الله عليه وسلم :
وما حقيقة ايمانك ؟

فيقول حارثة : « لكأننى أرى عرش ربى بارزا ، والملائكة يطوفون حوله ، وأرى أهل الجنة فى الجنة وهم يتزاورون ... الخ » .

هؤلاء الرجال الذين يحبهم الله ويحبونه قد تمت البيعة العظيمة بينهم وبينه ، واصطفاهم الله ليكونوا فى أرضه خلفاء وفى جنابه أعزاء .. يحملون الامانة الكبرى ويقدمون للدنيا رسالة الايمان والتقوى ، رسالة النور والهدى ، وان الله سبحانه وتعالى قد اختارهم واصطفاهم لانه يعلم بظاهرهم وخافيهم لقوله تعالى : « ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه » ، اى يحدث به قلبه فلا تخفى علينا سرائره وضمائره .

« ونحن أقرب اليه من حبل الوريد » .. وانه لا يحجب عن الله تعالى شىء .

وقال الله تعالى [هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم] ، أى هو الاول قبل كل شىء بلا ابتداء ، كان هو ولم يكن شىء موجودا ، والاخر بعد فناء كل شىء بلا انتهاء ، فتفنى الاشياء ويبقى هو الظاهر العالى على كل شىء ، والباطن العليم بكل شىء ، هذا معنى قول ابن عباس ، وقال يمان ، هو الاول القديم والاخر الرحيم والظاهر الحليم والباطن العليم .

وقال شيخنا أبو القاسم الجنيد رضى الله عنه : هو الاول بشرح القلوب والاخر بغفران الذنوب والظاهر بكشف الكروب والباطن بعلم الغيوب ... سبحانه وتعالى جعل قلوب احبابه قبور أسراره .

ويحدثنا أحد مشايخ الصوفية الناظرين عن مشكاة نور الله عز وجل ، عن حوار دار بينه وبين نفسه ، وبين عالم الروح وعالم الشهادة فى ساعة تجل .. ساعة خلوة وتفكر وتامل وتدبر فى ملكوت الله رب العالمين ... اذ سال الكاغد وقد رآه اسود وجهه بالحبر ... ومال وجهك أسود وما السبب فيه ؟ فقال الكاغد ما انصفتنى فى هذا السؤال ... فانى ما سودت وجهى بنفسى ... ولكن سل الحبر فانه كان مجموعا فى المحبرة فسافر من وطنه ونزل بناحية وجهى ظلما وعدوانا ... فقال صدقت ... وسال الحبر عن ذلك ... فقال الحبر ما انصفتنى فانى كنت ساكنا فى قلب المحبرة عازما على ان لا ابرحها فاعتدى على القلم واختطفنى من وطنى وفرق جمعى وبددنى على ساحة بيضاء كما ترانى ، فالسؤال عليه لا على ... فقال صدقت .

ثم سال القلم عن ذلك ... فقال اسال اليد والاصابع ... فانى كنت قصبا ثابت على شط الانهار متنزها بين خضرة الاشجار فجاءتنى اليد بسكين فنحت عنى القشر واقتلعتنى من أصلى ثم شقت راسى وغمرتنى فى سواد الحبر .. فسال اليد عن ظلمها للقلم فقالت ما انا الا لحم وعصب وعظم فهل رأيت جسدا يتحرك [لوحده] بنفسه . وانما أنا مركب مسخر ركبنى فارس يقال له القدرة هو الذى سيرنى وسخرنى .. فسل القدرة عن شانى ..

فقال: صدقت ثم سأل القدرة عن شأنها باستعمالها اليد واستخدامها فقالت دع عنك لومي ومعاتبتي ... فكم من لائم ملوم ... وكم من ملوم لا ذنب له ... فكيف خفي عليك أمري ... وكيف ظلمت اليد وكنت راكبة لها قبل التحريك وما كنت أحركها ولا أسخرها بل كنت هاديا ساكنا ... بل كنت معدوما لاني كنت لا أحرك ولا اتحرك حتى جاءني موكل فازعجني وأرهقني الى ما تراه مني فكانت لي قوة على مساعدته ولم يكن لي قوة على مخالفته وهذا الموكل يسمى ارادة ولا أعرفه الا باسمه فقط ... فقال صدقت ... ثم سأل الارادة ما الذي جرأك على القدرة الساكنة المطمئنة حتى صرفتها الى التحريك صرفا لم تجد عنه مخلصا . فقالت الارادة لا تعجل على فلعلي لي عذرا وأنت تلوم فاني ما أنهضت بنفسي ولكني أنهض وما انبعثت ولكني بعثت بحكم قاهر وأمر جازم ولقد كنت ساكنة قبل مجيئه ولكن ورد على من حضرة القلب رسول العلم على لسان العقل ... فقال صدقت ... وسألت العلم والعقل معاتبا أياهما على استنهاض الارادة وتسخيرها لاستنهاض القدرة .. فقال العقل أما أنا فسراج ما اشتغلت بنفسي ولكن شغلت .. وقال القلب أما أنا فلوح ما انبسطت بنفسي ولكن بسطت وقال العلم اما انا فنقش نقشت في بياض اللوح الذي هو القلب لما أشرق سراج العقل وما تخططت بنفسي فكم كان هذا اللوح قبلي فاسال القلم عني قال الخط لا يكون الا بالقلم فعند هذا انقطع السائل ولم ينفعه جوابه ... وقال طال تعبي في هذا الطريق الواعر وكثرت منازلي ولا يزال يحيلني من طمعت فيه على غيره ... ولكن كنت أطيب نفسي بكثرة التودد لما كنت اسمع كلاما جميلا مقبولا في الفؤاد وعذرا ظاهرا في دفع السؤال فاما قولك اني خط ونقش وما خطني القلم فلست أفهمه فانني لا أعلم قلما الا من القصب ولا لوحا الا من الحديد أو الخشب ولا خطا الا بالحبر ولا سراجا الا من النار ... فقال القلم ان صدقت فيما قلت فبضاعتك مزجاة وزادك قليل ومركبك ضعيف والمهالك في الطريق الذي توجهت فيه كثير المهالك . والصواب لك ان تترك ما انت فيه فما هذا بعشك ... كل ميسر لما خلق له وان كنت راغبا في سلوك الطريق واتمامه والوصول الى المقصد . فالق سمعك وسلم لله أمورك .. وتوكل على الله ... واستشهد بالعلم ... وان العوالم في طريقك هذا ثلاثة : عالم الملك والشهادة أولها ويدخل فيه الكاغد والحبر والقلم واليد ثم عالم الملكوت ... فعالم الجبروت ...

وقد جاوزنا عالم الشهادة بكل سهولة والثاني وهو عالم الملكوت وهو وراءه فاذا جاوزته وانتهيت منه ووصلت الى منازله الفسيحة ففيه الجبال الشاهقة والبحار المغرقة ولا ادرى كيف تسلم فيها ... والثالث وهو عالم الجبروت وهو بين عالم الملك وعالم الملكوت

ولقد قطعت منها ثلاثة منازل اذ في أوائلها منزل القدرة والارادة والعلم وهو واسطة بين عالم الملك والملكوت لان عالم الملك أسهل منه طريقا وعالم الملكوت أوعر منه منهجا وانما عالم الجبروت بين عالم الملك وعالم الملكوت يشبه السفينة التي بين الارض والماء فلا هي في حد اضطراب الماء ولا هي في حد سكون الارض وثباتها ... وأول عالم الملكوت مشاهدة القلم الذي يكتب به العلم وحصول اليقين الذي يمشي به على الماء اما سمعنا قول رسول الله في عيسى عليه السلام لو ازداد يقينا لمشى على الهواء فلما قيل له كان يمشي على الماء .. فقال السالك السائل قد تحيرت في أمري واستشعر قلبي خوفا مما وصفته من خطر الطريق ... والواقع وبعد هذا الحوار الطويل قد علمنا القرآن الكريم بان الله سبحانه وتعالى عنده علم الغيب الذي لا نهاية له ... وأنه يمن به على من يشاء من عباده المخلصين حسب درجاتهم ... فمنهم من جاوز عالم الجبروت وكان أهلا لهذا الطريق المستقيم وقرع أبواب الملكوت كوشف بهذا العلم الباطني العظيم وبالسر الالهي بالقلم ... اما ترى أن النبي عليه أفضل الصلاة والسلام أول ما كوشف بالقلم ؟ ونزل عليه قوله تعالى « اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم » أي العلم اللدني أو علم الغيب .

والخلاصة ... ان الله تعالى لا تشبه ذاته وعلمه سائر العلوم والذوات ... فكذلك لاتشبه يده سائر الايدي ولا قلمه الاقلام ولا كلامه سائر الكلام وهذه أمور الهية من عالم الملكوت فليس الله بذاته بجسم ولا هو في مكان بخلاف غيره .. سبحانه وتعالى منزه عن كل شيء وذاته وصفاته تدركها البصائر ولا تدركها الابصار ومما لا شك فيه ان هذه الاية الكريمة تبين لنا ما جاء به كتاب الله من اعجاز وعظمة ونورانية وحكمة تتحير دون ادراك جلاله العقول والخواطر وتندهش في مبادىء اشراق أنواره الاحداق والنواظر .

ومن هنا يجب على كل مسلم ان يعلم ان الاعتزاز بالله هو كمال الايمان وهو فوق كل شيء وهو سر النجاح والانتصار ... والاعتزاز بالقوة وبغير الله هو بداية النهاية للمغضوب عليهم والمستبدين والمستهترين وفقا لقوله تعالى ان ينصركم الله فلا غالب لكم والله ولي التوفيق .

من ارشادات ابى حازم

لما قدم سليمان بن عبد الملك المدينة وهو يريد مكة ارسل الى ابى حازم فدعاه فلما دخل عليه قال له سليمان : يا ابا حازم ، مالنا نكره الموت ؟ فقال : لانكم خربتم آخرتكم وعمرتم دنياكم ، فكرهتم ان تنتقلوا من العمران الى الخراب . فقال : يا ابا حازم، كيف القدوم على الله ؟ قال : يا امير المؤمنين ، اما المحسن فكالغائب يقدم على اهله ، واما المسيء فكالآبق يقدم على مولاه . فبكى سليمان وقال : ليت شعري ما لى عند الله ؟ قال ابو حازم : أعرض نفسك على كتاب الله تعالى حيث قال : — « ان الابرار لفى نعيم ، وان الفجار لفى جحيم » . قال سليمان : فأين رحمة الله ؟ قال : قريب من المحسنين . ثم قال سليمان : يا أبا حازم ، أى عباد الله اكرم ؟ قال : اهل البر والتقوى . قال : فأى الاعمال افضل ؟ قال : اداء الفرائض مع اجتنا ب المحارم . قال : فأى الكلام اسمع ؟ قال : قول الحق عند من تخاف وترجو . قال : فأى المؤمنين اكيس ؟ قال : رجل عمل بطاعة الله ودعا الناس اليها .

الطاعة

كما فى كتاب الله

فضيلة الشيخ عبد الوهاب الساكت

التمرد : هوعدم قبول العظة وعدم الطاعة لمن له حق الطاعة على الانسان من ولى أمر أو عالم أو والد أو استاذ أو رئيس .

وهو من صفات المارقين والمستهترين قال تعالى « وحفظا من كل شيطان مارد » أى خارج عن الطاعة والعبادة تابع لهواه من قولهم شجر أمرد اذا تعرى من الورق ومنه الشاب الامرد لتجرده من الشعر . وقوله تعالى (وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق) معناه أقاموا عليه ولم يتوبوا وأصل الكلمة من اللين والملاسة والتجرد فكأنهم تجردوا للنفاق فلا خير فيهم : وتمريد البناء تمليسه ومنه قوله تعالى (صرح ممرد) أى مملس .. فالمتمرد هو العارى من الخير كالشجر العارى من الورق والرملة العارية من النبات .. والمتمردون شر على أنفسهم وعلى أوطانهم : ولهذا كان الواجب الاول أن ينبذهم مجتمعهم وأن يقضى على شرهم وفسادهم حتى تسلم الامة من أخطارهم .. ومن اختلال النظام وحدوث الفوضى بسببهم فى نواحى الحياة المختلفة .. وبقدر ما تخلو الامة من هؤلاء يكون العمل والانتاج والخير العظيم وتسود الالفة ويعظم الامن بين الناس وفوق ذلك يكون رضا الله ورضوانه للعاملين الطائعين المحسنين يروى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل أمتى يدخلون الجنة الا من أبى : من أطاعنى دخل الجنة : ومن عصانى فقد أبى » ذلك لانهم يعملون على سد أبواب الخير وعلى نشر الفساد فى الارض وعدم الاصلاح فيها فالذين يعصون الله تعالى متمردون أينما وجدوا فى مصنع أو متجر أو معهد أو مستشفى أو فى أى جهاز من أجهزة الدولة خصوصا اذا انضم الى عصيانهم لله تقاعد عن العمل أو تهاون فيه أو فى اتقانه وتحسينه واخراجه على وجه مرضى : هذا **النوع يكون جرثومة فساد يتعدى ضررهـا الى** المحيطين بها ذلك لانهم يتبعون هواهم والهوى يضل الانسان عن طريق الحق والصواب ولهذا يقول الله تعالى (**يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله**) ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « **أخوف ما أخاف على أمتى اتباع الهوى فيصد عن الحق** » ولهذا ينعى الله سبحانه على بعض اليهود تمردهم وعصيانهم فيقول « من الذين هادوا يحرفون الكلم عن **مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا فى الدين ولو انهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم واقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا** » فقد وصفهم الله تعالى بأنهم يحرفون الكلم فيسألونه على غير تأويله المقصود منه متعمدين ذلك .. ويقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم سمعنا قولك وعصينا أمرك ويقولون له (اسمع غير مسمع) وكما قال ابن عباس رضى الله عنهما .. كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم .. اسمع لا سمعت هذا مرادهم لعنهم الله تعالى . وهم يظهرون أنهم يريدون اسمع غير مسمع مكروها ولا [illegible]ى ويقولون له أيضا (راعنا) قال ابن عباس كان المسلمون يقولون للنبى صلى الله عليه وسلم راعنا على جهة الطلب والرغبة من المراعاة أى التفت الينا . وكان هذا بلسان اليهود سبا أى اسمع لا سمعت فاغتنموها وقالوا كنا نسبه سرا فالان نسبه جهرا فكانوا يخاطبون النبى صلى الله عليه وسلم ويضحكون فيما بينهم فسمعها سعد بن معاذ وكان يعرف لغتهم فقال لليهود عليكم لعنة الله لئن سمعتها من رجل منكم يقولها للنبى صلى الله عليه وسلم لاضربن عنقه فقالوا أولستم تقولونها فنزلت الاية تنهى المسلمين عن قولها لرسول الله (**يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا**) فتركوها .. ويتمادى اليهود فى غيهم ويطعنون فى الدين ويقولون لاصحابهم لو كان نبيا لدرى أننا نسبه فأظهر الله تعالى نبيه على ذلك فكان من علامات نبوته .

ونهى الله اليهود عن هذا القول بطريق لين فيه توجيه الى الخير لو كانوا يسمعون فقال تعالى (ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم وأقوم) ولكنهم لعنادهم وتماديهم فى الشر (لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا) أى الا ايمانا قليلا لا يستحقون معه اسم الايمان » فهذه صور من تمرد اليهود وعصيانهم ومن طبائعهم : الملتوية التى لا تتغير فى أى عصر من عصور وسوء أخلاقهم وسلوكهم ولهذا غضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم عذابا عظيما ولن تستقيم لهم حياة ما دامت تلك الطباع تلازمهم ويصدرون عنها أعمالهم ومعاملاتهم وستدور الدائرة عليهم ان شاء الله تعالى (كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون فى الارض فسادا والله لا يحب المفسدين) تلك سنة الله فى الارض « ولن تجد لسنة الله تبديلا » انه تعالى يملى للظالم حتى اذا أخذه لم يفلته .

والطاعة : انقياد وتسليم لامر الله ولرسوله ولولى الامر فينا وحقيقتها امتثال الامر كما أن المعصية ضدها وهى مخالفة الامر ٠٠ والطاعة مأخوذة من أطاع اذا انقاد ٠٠ والمعصية مأخوذة من عصى اذا اشتد : ولقد أمر الله تعالى المؤمنين بالطاعة قال تعالى **« يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم »** نزلت فى عبد الله بن حذافة السهمى بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سرية فأمرهم أن يجمعوا حطبا ويوقدوا نارا فلما أوقدوها أمرهم بالتقحم) **أى الدخول فيها)** وقال لهم ألم يأمركم رسول الله بطاعتى بقوله « من أطاع أميرى فقد أطاعنى » فقالوا ما آمنا بالله واتبعنا رسوله الا لننجو من النار فصوب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيهم وفعلهم وقال [**لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق قال تعالى (ولا تقتلوا أنفسكم ان الله كان بكم رحيما)** رواه البخارى ومسلم ٠

والطاعة دليل الانقياد والامتثال والتمييز بين الحق والباطل وايثار الافضل محبة فى الخير والكمال قال تعالى « **فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم أولوا الالباب** » قال سهل بن عبد الله رحمه الله ٠٠ **لا يزال الناس بخير ما عظموا السلطان والعلماء فاذا عظموا هذين أصلح الله دنياهم وأخراهم ٠**

هذا وان من حق ولى الامر علينا أن نطيعه فى العسر واليسر والمكره والمنشط مما ليس بمعصية فان كان لمعصية فلا سمع ولا طاعة روى أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اسمعوا وأطيعوا وان استعمل عليكم عبد حبشى كأن رأسه زبيبة ما أقام فيكم كتاب الله تعالى] أخرجه البخارى ٠

فليس للمسلم أن يفرق فى هذه الطاعة بين الحكام بسبب الخلقة أو اللون فان ذلك لا ينقص من قدر الحاكم ما دام مستقيما على هدى الله وعلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠٠ ولا يصلح الناس فوضى من غير حكام يشرفون عليهم وينظمون أمورهم ويقيمون فيهم قواعد العدل والامن والنظام ويقضون على اسباب القلق والتفرق والفوضى والفتن والاضطرابات ٠

ومن حق الحاكم ان ينصح له فى حضوره وغيابه وأن يقدم له النصح فى رفق ولين ٠ قال صلى الله عليه وسلم « **ان الله يرضى لكم ثلاثا ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وان تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا : وان تناصحوا من ولاه الله أمركم)** رواه مسلم والتناصح خير ما يسدد خطا الحكام ويبصرهم بما ينفع وما يضر ويقيهم شر الزلل والعثار ، ويوجه الامة بجميع طاقاتها نحو صالح الجماعة وخيرها ويجعلهم يتفرغون للعمل والانتاج ، ويمكن ولى الامر من توجيه جهوده لخير الافراد والجماعات ، ومن هنا يجب على المسلم أن يؤدى ما وجب عليه من التزامات تتطلبها حياة الدولة ويتوقف عليها امنها وسلامتها والدفاع **عن أرضها ومقدساتها والعمل على رقيها فالامة سليمة البناء تستطيع أن تباشر نشاطها فى كل نواحى الحياة وتقف فى المجال الدولى موفورة العزة والكرامة مرفوعة الرأس بعيدة عن اطماع المستغلين وآمال المستعمرين : ولهذا كان الخارجون عن الجماعة والذين شقوا عصا الطاعة اذا لم يتوبوا وماتوا : فانهم يموتون ميتة بعيدة عن ساحة الاسلام** قال صلى الله عليه وسلم (**من خرج عن الطاعة وفارق الجماعة فمات : مات ميتة جاهلية)** أخرجه مسلم ٠٠ ومن حق الحاكم أيضا ان نفى له بالبيعة فعن أبى حازم قال قاعدت أبا هريرة خمس سنين فسمعته يحدث عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (كان بنو اسرائيل تسوسهم الانبياء كلما هلك نبى خلفه نبى وانه لا نبى بعدى وستكون خلفاء فتكثر قالوا فما تأمرنا قال فوا بيعة الاول فالاول وأعطوهم حقهم فان الله سائلهم عما استرعاهم : هذا : وان التمرد والخروج سبب المصائب والبلايا والقرآن والسنة مليئان بما يفيد ذلك قال تعالى (**وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير)** سورة الشورى وقال تعالى **(ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ان الله غفور حليم)** سورة آل عمران فبين الله تعالى أن سبب الهزيمة فى غزوة أحد انما هو مخالفتهم أمر الرسول وتركهم المكان الذى أمرهم بالثبات فيه فوقعوا فى الزلة وقال تعالى [**أويوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير** سورة الشورى أى يهلكن بذنوبهن وقال تعالى **(وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم فان الانسان كفور)** سورة الزخرف ٠

وكما أن المعصية والخروج عن طاعة من تجب طاعته سبب البلايا فان الطاعة سبيل النعم فى الدنيا والثواب العظيم فى الدار الاخرى قال تعالى « **وكذلك مكنا ليوسف فى الارض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع اجر المحسنين ولاجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون** » سورة

وقال تعالى عن ابراهيم عليه السلام « **وآتيناه أجره فى الدنيا وانه فى الاخرة لمن الصالحين** » سورة العنكبوت ذلك لانه لما قال الله تعالى **(ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لانعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم)** سورة النحل ٠ وقال تعالى **(فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة والله يحب المحسنين)** سورة آل عمران فقد أعطى الله تعالى المجاهدين الذين لم يفتروا عن الجهاد ولم يخضعوا للعدو وصبروا وطلبوا النصرة والمغفرة من الله : الغلبة على أعدائهم والغنيمة فى الدنيا والثواب الحسن فى الدار الاخرة ٠

وقال تعالى (والذين هاجروا فى الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم فى الدنيا حسنة ولاجر الاخرة أكبر لو كانوا يعلمون الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون) سورة النحل ٠

وفقنا الله الى ما فيه نصرنا على اعدائنا وهدانا سواء السبيل ٠

الأسرة العالمية الكبرى

فضيلة الشيخ حسن صالح

الفكر الصهيونى ودين الاسرة العالمية

تنص بروتوكولات حكماء صهيون على أهداف الفكر الصهيونى ووسائله فى تحقيقها وهى هى لم تتغير فى أى عصر من عصور التاريخ فالاهداف اقامة دولة اسرائيل الكبرى وتملك العالم بها والسيطرة على كل مقدرات الشعوب وتعبيدهم لها والتحكم فى رقاب البشرية وأموالهم وحرماتهم والاستئثار بكل شىء دونهم فهم شعب الله المختار والعنصر اليهودى هو الذى يستحق الحياة فانه مخلوق من روح الله وغيره من الارواح النجسة والشريرة وهم أبناء الله وأحباؤه وغيرهم أميون ليس عليهم فيهم من سبيل « جوييم » .

ووسائل القضاء على دين السماء أولا بانكاره جملة « ما أنزل الله على بشر من شىء » وتكذيب الانبياء وقتلهم ومحو آثارهم وكتبهم ولم تسلم من ذلك أى رسالة سبقت كتاب الوجود وكل ما بأيدى الناس غيره موضوع ترفضه حقيقة الرسالة الربانية ودين الحق . وحتى ما بقى من بعض آثار الموسوية والعيسوية وزع الاهواء فيه وأحاله مذاهب وطرائق قددا فاختلف اليهود فيه الى احدى وسبعين فرقة واختلف النصارى فيه الى اثنتين وسبعين فرقة وهاهو ذا يحاول القضاء على ما بقى من تراث المسيحية فنصت البروتوكولات على وجوب القضاء على البابوية والاسلام معا — وسأرجىء الكلام على ما فعل فى المحيط الاسلامى الى حين — فالارثوذكسية والكاثوليكية كفر فى زعمه يجب ابادتهما وابادة اتباعهما ولا حرج عنده فى الخداع والكذب والنفاق والسرقة وسفك الدماء وارتكاب كل الجرائم واحط الدنايا والتجارة بالاعراض واللعب بالعقول والمشاعر والغدر والاغراء بالجنس والرشوة وذلك كله بعد ومع ما مسخ دين أوروبا وأبعدها عن دين المسيح الحق ثم صوره صورا شوهاء ووضعه فى اطار لايقنع العقول ولا تقبله الفطرة ولا تطمئن به القلوب وحاصره ثم حصره فى الاديرة والكنائس بعيدا عن واقع حياة الناس وسلوك البشر

وربط أوروبا بعجلته حتى جعل اقامة دولته من ارادة المسيح واثبتت رؤيا حنا اللاهوتى فى كتابها وارغمها باسم الدين بوسائله على الخضوع له والجرى خلفه معصوبة العين مغللة الاعناق مقيدة الخطى ومن حاول من دوله الخروج على ما رسم والوقوف الى جانب الحق أعلن الحرب الاعلامية عليها وجند القوى والاجهزة التى طوعها لامره لاكراهها على تغيير سياستها وخلق العقبات وصنع الثورات الجماهيرية للحيلولة دون استقلالها فى اتباع ما ترى كما صنع بفرنسا فى الاونة التى تلت حرب يونية حين تحرر ديجول وحكومته الاحرار فيها من التبعية وحين انقشع ظلام الضلال اليهودى وظهرت اسرائيل على حقيقتها جسما غريبا زرع فى قلب الوطن العربى قصدا لاعاقة تقدم النهضة العربية وحائلا دون وحدة العرب وتحقيقا لاحلام الفكر اليهودى فى السيطرة والتملك لا على العرب وحدهم بامتلاك أوطانهم وابادة أهلها ومحو الاديان السماوية بالقضاء على المتدينين فيها وحاملى رسالاتها من مسيحيين ومسلمين بل على العالم كله وفرض دولة الخيال والطغيان والسرطان البشرى الذى يلتهم كل الخلايا الحية فى جسم البشرية للقضاء على كل مقوماته ومقاوماته .

وهل تستطيع أمريكا وقد بلغت ما بلغت ثراء وقوة وعتادا ان نتخلص من التبعية اليهودية وقد امتطاها اليهود وركبوا ظهرها وأحالوها مركبا ذلولا سياسة واقتصادا وفكرا وعقيدة وأوقعوها فى زهاء الصراع بين البشرية والفكر الصهيونى فى الحربين العالميتين ثم فى الحروب الاقليمية فى فيتنام والشرق الاوسط وجنوب افريقيا تلك تريد النهضة والتحرر والانطلاق وبناء المجتمعات قوية شامخة متماسكة وذلك يريدها متخلفة جاهلة مفككة مقطعة الاوصال منهارة متهالكة بتسلل فى أعماق مشاعرها وتفكيرها ويدس لها السم الزعاف من التقاليد والعادات والمذاهب والدعوات البراقة من ماسونية ووجودية وجدلية والحاد وقد أقام ركائزه واعتد لمعاركة مع دين البشرية بما أسس من مواخير وحانات ونواد ليلية للرقص والمجون والخلاعة بعرض النماذج الحية للرقيق الابيض فى علب الليل واراقة دم الفضيلة والعرض والشرف لتحليل الاخلاق واشاعة المباذل والتتاجر فيها وبها وبنوادى القمار وبما أقام من منظمات صهيونية وجمعيات ومؤتمرات ومخابرات مركزية وغير مركزية فى أنحاء العالم لتدبير الانقلابات والاغتيالات ورقابة نشاط البشرية للتخلص من قبضته ثم بما ملك من دور النشر ومراكز الاعلام ووكالات الانباء والمؤسسات المالية وبيوت الازياء ومصانع الاسلحة للتدمير والفتك والتسابق والتفنن فى اختراعها وتطويرها للقضاء بها على حركات التحرر والتسلط على النهضات بوأدها أو احتوائها واخضاعها لتوجيه وسلوك السبيل الذى رسمه طوعا أو كرها فالاستسلام له أو الابادة ولا اعتبار عنده للقيم الانسانية العليا أو للاخلاق والقوانين الدولية والاعراف التى تواضعت عليها الامم فانه فى زعمه فوق الجميع كما نص فى أسفاره وتلموده وبروتوكولاته وان شئت فتصفح نتاج الفكر الصهيونى وشاهد مسرحياته واستمع لاذاعاته ومواقفه فى هيئة الامم ومجلس الامن ومع أميركا بالذات ودول الغرب ثم سل روكفلر وروتشيلد وأوبنهايم ومليونيرات اليهود ماذا يريدون بما يقدمون للمسخ الصهيونى من مال وعتاد وذخيرة وطائرات بأنواعها تهرب سرا وعلانية لدعمه ومشاركته للعدوان والتوسع على حساب أهل الحق وأصحاب الديار بعد العدوان الغادر وقبله وسل وسائل الاعلام الصهيونية عن سر حملاتها والائتمار معه على بلاد العرب والاسلام بالذات . أليس ذلك

كله موجها بالدرجة الاولى للمسيحية والاسلام كمصدر اشعاع ينير طريق البشرية ويوضح اهدافها ووسائلها لتحرير عقلها وأوطانها وتفجير طاقاتها وكينابيع رحمة واخاء وتعاون وكمناهل وحدة وتكوين فردى وجماعى وسلوك قويم على أسس من الاخلاق الفاضلة والطهر النفسى والمشاعر الانسانية .

أوروبا ليست مسيحية

فأوروبا الان ومن سار على دينها وتحرك فى مسارات فكرها وتقاليدها وأوضاعها لبست مسبحية ومعها مستعمرتها الاولى اميركا بل هى صهيونية الفكر والعقيدة والسلوك والتقاليد بعيدة كل البعد عن دين المسيح عليه السلام وتعاليمه ووصاياه . تناولت دينها من يد الفكر الصهيونى وامتصت جرعاته قطرة قطرة منذ القرون الوسطى حيثما رحل اليها دعاة اليهودية المستمسحة وهى غارقة فى ظلمات الجهل لا تعرف لها دينا الا عقائد الطفولة البشرية فتلقفته طعاما مسموما مطهوا باليد اليهودية على أن فيه شفاءها وبرأها مما تعانى ولم تدر ما دس لها فيه ولم يبق لها من ظله الا البابوية ودولة الكرادلة يقوم البابا فى المناسبات بالعظات ولا شىء له من سلطان على القلوب ولا على العقول ولا شان له فى سياسة الحكومات ولا سلوك الامم والافراد الا فى بعض الطقوس الكهنوتية من تعميد وزواج وتشييع موتى ومسح ملوك .

وما كان أتباع المسيح الا مسلمين موحدين كاتباع الانبياء قبله وبعده وقد تحدث عنهم كتاب الوجود فى قوله تعالى « فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بانا مسلمون . ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين » الايتان ٥٢ و ٥٣ من سورة آل عمران وفى قوله جل شانه « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين . ومالنا لانؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين »

فما كان المسيح اذن معاديا للاسلام ولا دينه مخالفا لدين الاسرة العالمية ولكن الفكر الصهيونى عدوها وعدو دينها فابعدها عنه فى أوروبا ثم ركب ظهرها فحارب دينها باسم الصليبية وهو صانعها ثم بالترهات والافتراءات على الاسلام وأهله حتى تبارى كتاب أوروبا وأقلام المستشرقين فى الطعن فى دينهم والحيلولة بين الناس والنظر فيه والقاء الشبه عليه من حيث يدرون أو لا يدرون وحجز الفكر الصهيونى بذلك بين المعسكر الغربى والفكر الغربى وبين هدى السماء وصدق الله العظيم « ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعدمواضعه يقولون ان أوتيتمهذا فخذوهوان لم تؤتوه فاحذروا» من آية ٤١ سورة المائدة وشوه حقيقة رسالات السماء بتشويه الدين فى فكر أوروبا حتى تفلتت منه عملا وسلوكا فلما افاق الشرق .. وكان قد تسلل اليه الفكر الصهيونى فى أيام تخلفه — لم يفطن الى مكره وخداعه وبريق دعاياته وظهر من أبنائه من يدعو الى استيعاب الحضارة الاوربية بقضها وقضيضها وغثها وسمينها وحلوها ومرها وكان الاستعمار فى ركاب تلك الدعوات وهو صهيونى المنبت كما علمت فعرضها باسم التمدين وصحب معه بعثات التبشير فى ديار الهدى وفيما فتح من أقطار واستعمر من بلاد فى افريقيا وآسيا وبقية القارات متسابقا اليها ومستبقا دين البشرية فى عصور جمود أهله وتخلفهم بفعله واستعلائه بالقوة المادية بعد الكشوف العلمية الحديثة والنهضة الصناعية فى عصر البخار أو الكهرباء ثم فى عصر الذرة والفضاء .

وما كان ذلك الا اثرا من اثار الحضارة الاسلامية حين توهجت فى الشرق وفى بلاد الاندلس واشرقت شمس المعرفة وتفتحت آفاق البحث العلمى بفعلها ونهضت بها أوروبا مخلفة دين الحق وراءها وأقامت حضارتها على غير دين ثم انتقلت بماديتها والحادها تغزو بلادالشرق حين نكب بالاستعمار اللاديني الصهيونى واستولى على كنوزه وتراثه ومكنه سبقه بالنهضة وغفلة أهل الحق وتمزق الوحدة العربية والمسلمين والاستعمار التركى وماترك من مخلفات طعنتالاسلام وأهله باسم الاسلام والخلافةالاسلامية استعلاء بالعنصرية التركية فتفشى الفساد وانهارت الخلافة

الاسلامية فتمكن الفكر الصهيونى بعد ان ألح على بلاد العرب والاسلام بالطعنات والهجمات الضارية وقضى على المقاومة العربية والدينية بسلاح الخلافة الاسلامية وبيد الاستعمار وعلى محاولات التحرر وتوارث تركة الرجل المريض وقسمها بين أجناده من دول الاستعمار الصهيونى الغربى ثم وضع يده بمعاونتها على أولى القبلتين وثالث الحرمين وأقدس بلاد الدنيا ومعقل الاديان والهدى الربانى وأوطان حماة البشرية من وحوش البشر وحصنها من غوائل الفتك والدمار الذى يضمره الفكر الصهيونى للبشرية طرا ودينها العام الخالد ووحدتها . وكان قد لبس ثياب الامبراطورية الانجليزية فى عنفوانها وأوج مجدها حين كانت لا تغرب الشمس عن أملاكها ومستعمراتها فعهد اليها بالعمل لحسابه لاقامة دولته فى أرض ميعاده وهى فى ذلك الوقت قائد المعسكر الغربى ودولته العظمى تدير سياسة الدنيا وتتحكم فى مصائر الشعوب فأصدرت وعد بلفور ثم أوحت الى مؤتمر الصلح فى فرساى بالموافقة على ما جاء به واختصت بالانتداب على فلسطين الى جانب سلطانها على العراق ومصر والسودان وشرق الاردن والجنوب العربى فى الجزيرة والكويت وامارات الخليج ولم تجد معارضة من حليفاتها فعملت من ذلك الحين على احلال اليهود بالهجرة الى فلسطين واضعاف أهل البلاد والبطش بهم والاستيلاء على ممتلكاتهم فلما حلت ساعة التنفيذ وقد ضمنت الرأى العام فى هيئة الامم بزعامة أميركا أسلمت اليها مهمة اقامة الدولة المتبناه فاصدرت الهيئة قرار التقسيم بالتآمر الاميركى ووسائله فى الرشوة والضغط الاقتصادى والاكراه الادبى والمادى للدول التى شاركتها فى الجريمة البشعة ثم كانت أول المعترفين بقيام اسرائيل وهى تهدف بذلك عقديا الى محو دين البشرية لانها صهيونية ؟ الفكر والعقيدة كما علمت وسياسيا الى السيطرة على العالم بسيطرة اسرائيل عليه والاحتكارات ورءوس الاموال الامريكية واليهودية وادارة العالم كما قال الفكر الصهيونى اذا ادار اليهود واشنطن اداروا العالم اقتصاديا بالاستيلاء على منابع الثروة والكنوز الخبيئة فى البقعة العربية وعسكريا بترسانتها الحربية فى اسرائيل فأمدتها منذ نشأتها بمقومات حياتها ولا تفتأ المعونات الاميركية تتدفق بلا حساب عليها كرأس جسر للاستعمار الاميركى وكقاعدة حربية أميركية متقدمة حين يتقلص ظله وينحسر مع الطغيان الرأسمالى ويحرك ذلك كله الفكر الصهيونى سافرا أو متحجبا . ولست ألقى القول على عواهنه ولكنه الحق الصراح والواقع الذى لا ينكر والتصريحات الرسمية والمواقف الرسمية من ساسة أميركا وحكامها لا يفترق احدهم عن الاخر الا فى الاسلوب ومن زعماء الصهاينة والمؤتمر الصهيونى العالمى فهل بعد ذلك يقال انها المعركة بين اسرائيل والعرب والنزاع على الحدود أو يقال انه لا اعتبار للدين فى تلك المعركة أو انها حرب استعمارية كحروب البربر فى افريقيا أو حروب التحرير فى أميركا أو حروب التنازع بين المذهبين الرأسمالى والشيوعى . لا : انها الفكر الحر فى أى أرجاء الدنيا ويا أيها العربى الابى من أى دين ويا أيها المسلم من أى مذهب أو طائفة انها حرب المصير والوجود ذاته انها الصراع الازلى بين الفكر الصهيونى ووحى السماء انها الوثبة الكبرى للاسرة العالمية كلها فاما انتصرت لنفسها وابقت على حياتها ودينها واما باء الفكر الصهيونى بالغنيمة وصرع الحق وأهل الحق واغتصب الديار وحقق ما يبغى وتحدث به التلمود والبروتوكولات وقامت دولة الباطل . لا : ان دولة الباطل ساعة ودولة الحق الى قيام الساعة . لن يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون .

على مشارف القرن الخامس عشر الهجرى

الاستاذ أنور الجندى

اليوم يبدأ بحول الله العام الهجرى ١٣٩٠ ، وهو اول سنوات العقد الاخير من القرن الرابع عشر الهجرى ، ومن خلال هذه السنوات العشر يتأهب العرب والمسلمون لاستقبال القرن الخامس عشر ، تطلعا الى تحقق انتصارات اعمق فى مجال الفكر والثقافة واللغة العربية والتاريخ والتراث .

وان القاء نظرة على القرن المنطوى لتكشف عن ان خطوات واسعة قد تحققت واضافات جديدة قد تمت فى مجالات مختلفة يمكن ان نسلكها فى اطار « اليقظة العربية الاسلامية » التى شهدها العالم الاسلامى كله منبثقة من قلب الامة العربية من حول بيت الله الحرام ومن حول الازهر الشريف ومن مواقع كثيرة اخرى .

وقد شهد القرن الرابع عشر نهايات السيطرة الاستعمارية على العالم الاسلامى ، هذه السيطرة التى بدأت فى القرن الثالث عشر بالحملة الفرنسية على مصر واحتلال فرنسا للجزائر ، ففى هذا القرن احتلت تونس ومصر والمغرب ، ثم احتلت الشام والعراق بعد الحرب العالمية الاولى ، كما شهد القرن بدايات التحرر والمقاومة فى عديد من الثورات وحركات المقاومة فى كل مجال فى العالم الاسلامى والامة العربية على النحو الذى حقق جلاء المستعمر عن اغلب اجزاء البلاد العربية والاسلامية ، كما شهد ثورات البناء والتجدد السياسى والاجتماعى التى واجهت الاحتلال الصهيونى لفلسطين ، حيث حملت هذه الثورات لواء المقاومة فى نفس الوقت الذى حملت فيه لواء البناء والتجديد وكانت ثورة مصر العربية فى مقدمة هذه الثورات ، وثورة الجزائر ذات المليون شهيد .

وهكذا تحرك العالم الاسلامى والامة العربية فى خلال القرن الرابع عشر فى طريق الحرية والوحدة وقاوم النفوذ الاستعمارى وحطمه وكذب أحلام الغزاة فى الاستسلام والاحتواء والذوبان فى داخل البوتقة الغربية الاستعمارية ، ومن هنا كانت خطورة التحديات التى ركز عليها النفوذ الاجنبى فى محاولته لتدمير مقومات المسلمين والعرب والسيطرة عليهم من خلال فكرهم وثقافتهم ولغتهم ودينهم .

وقد تمثلت حركة العالم الاسلامى والامة العربية فى مراحل مختلفة ، كانت اولاها المقاومة العسكرية ، فقد قاد المسلمون حركات متعددة فى الهند والقرم ومصر والمغرب والجزائر فى مواجهه العدو ، وقد حققت هذه الحركات انتصارات اكيدة وزعزعت قوى الغزو الاجنبى ، وكان يمكن ان تصل الى الغاية لولا اعتماد العدو على الوقيعة والمؤامرة والخداع ، ولقد قاوم عبد القادر الجزائرى النفوذ الفرنسى فى حروب متصلة خلال سبعة عشر عاما كاملة . وكذلك هزمت عرابى المؤامرة والوقيعة ، وهزمت عبد الكريم الخطابى والشيخ شامل ..

ثم كانت مرحلة المقاومة التالية لها : المقاومة الوطنية بعد وقوع الاحتلال نفسه، وقد تقدم الوطنيون بصدورهم لرصاص العدو ، وحاربوا بكل سلاح ، ولما فقدوا السلاح حاربوا بالاجساد المتراصة، ولكنهم لم يستسلموا قط ، ولم يتقبلوا النفوذ الاستعمارى ابدا . ثم كانت المرحلة الثالثة هى مرحلة الثورات التى قادها رجال آمنوا باوطانهم وعملوا على تحريرها من نفوذ الامراء والحزبية وسلطان القناصل والمعتمدين الفرنسيين والبريطانيين واخطار الامتيازات الاجنبية وجيوش الاحتلال .

ومن ثم انفتحت فى هذه المرحلة الطريق الى الوحدة والتجمع بين أجزاء الامة العربية التى مزقها

الاستعمار وتلاقت اقطار الامة العربية فى وحدة فكر وثقافة وعواطف ومشاعر جامعة ، كما تلاقت الامة العربية بأقطار العالم الاسلامى التى تجمعهم جميعا وحدة الفكر الاسلامى ، ومفاهيم روحية وعقلية ، وتراث ضخم حى متحرك مازال قويا حيا منذ اربعة عشر عاما، منذ بزغ نور الاسلام وانزل الله سبحانه القرآن الكريم على قلب محمد صلى الله عليه وسلم.

وفى ضوء ما حققه القرن الرابع عشر ـ وهو لما يكتمل بعد ـ تمتلىء النفس العربية الاسلامية قوة واملا على انها سوف تقطع مراحل اشد عمقا وحسما فى العقد الاخير، ثم تستقبل القرن الخامس عشر وهى قادرة على ان تقف موقف السيادة الكاملة لتهدى الى الانسانية رسالتها الحقة ، وتقدم للبشرية مفاهيمها التقدمية المؤمنة الاخلاقية التى تستطيع أن تقدم الحلول لمعضلات العصر والحضارة فى اكبر قضايا ثلاث هى : « العدل الاجتماعى » ، « الاخاء الانسانى » و « الحرية » .

ان اعظم ما حققته اليقظة الفكرية العربية الاسلامية خلال القرن الرابع عشر الهجرى يتمثل فى عدة نقاط :

١ ـ « تحرير العقيدة » : كان تحرير العقيدة من قيد التقليد ، وكشف جوهر التوحيد باعتباره اقوى دعائم الاسلام واعظم العوامل التى حررت النفس الانسانية الاسلامية العربية من قيود الجبرية وفتحت باب الاجتهاد ورفعت عن لباب الاسلام تلك الغشاوة التى انداحت عليه خلال فترة الضعف والتخلف . ومن باب تحرير العقيدة انفتح الطريق بين الاسلام وبين الحضارة والتطور . كاشفا عن قدرة الاسلام على الالتقاء مع كل تطور حادث وايجاد الحلول لكل قضية تجد للناس مع تغير الزمن واختلاف البيئة .

٢ ـ كشفت هذه المرحلة عن عظمة « الشريعة الاسلامية » ، واستقلاليتها ، واصالتها على النحو الذى جعل رجال القانون فى مؤتمر القوانين فى لاهاى ١٩٣٧ يعترفون بها شريعة مستقلة عن الفقه الرومانى وحيث اعتمد مصدرا من مصادر التشريع العام وانه (٢) صالح للتطور وانه (٣) تشريع قائم بذاته غير مأخوذ من غيره . وبناء على هذا فعندما انشئت محكمة العدل الدولية انشىء كرسى للشريعة الاسلامية وشغله المرحوم الدكتور عبد الحميد بدوى ممثلا للشريعة الاسلامية ثم وليه من بعده السيد ظفر الله خان .

وقد كشف اعلام اليقظة المسلمون والعرب عظمة الشريعة الاسلامية فى ابحاث متعددة واهدوا الى العالم الاسلامى هذه الحقائق ، كما تعرض كثير من الباحثين الغربيين للشريعة الاسلامية وعظمتها ، وكان عمر لطفى فى اوائل هذا القرن من اولئك الذين تقدموا بابحاثهم عن الشريعة الاسلامية فى جامعات المانيا واستطاع ان يصل الى الكشف عن قواعد فى الشريعة الاسلامية نفذتها اوروبا فى بعض معاملاتها واتضح انها مستمدة من تشريع الاسلام ، وهناك رابطة واضحة ومعروفة بين فقه الامام مالك وبين القانون الفرنسى .

٣ ـ كشفت هذه المرحلة حقائق هامة : فى مقدمتها ان الاسلام كان مصدرا اساسيا للحضارة الحديثة والفكر الحديث ايضا ، وان المنهج العلمى التجريبى الذى ابدعه المسلمون والعرب هو حجر الاساس فى بناء الحضارة العصرية ، وهذا امر تجاهله الغربيون فترة طويلة ثم اخذوا فى الاعتراف به فى السنوات الاخيرة ، ومن خير من كتبت عنه بتوسع ، العلامة درابر والدكتورة هونكة فى كتابها « شمس الله تشرق على الغرب » .

غير ان هناك حقائق اخرى ما تزال لم يعترف بها صراحة فى مقدمتها اثر الفكر الاسلامى فى حركة لوثر ، وفى الثورة الفرنسية ، وفى مفاهيم العلوم الاجتماعية والتاريخية والابحاث السيكولوجية والتربوية والاقتصادية والسياسية مما استمده الفكر الغربى من ابن سيناء والغزالى وابن رشد وابن حزم والفارابى ،

٤ ـ اثبت الفكر الاسلامى خلال هذه المرحلة صلابته واستقلاليته وقوته على البقاء دون ان ينهار او ينصهر او يحتوى فى مجال الثقافات العالمية ، وفى اكثر من ازمة لم يسقط ولم ينهار ولم تفسد مقوماته وبقى قادرا فى الحفاظ على ذاتيته وشخصيته الاساسية . وبقى مع ذلك سمحا مفتوحا على الثقافات الانسانية والعالمية ياخذ منها ويترك دون ان تسيطر عليه ، فلما جاءت مرحلة الاستعمار واغرق بالنظريات المتضاربة المتعددة ومع ذلك فان طبيعة الفكر الاسلامى كانت دائما قادرة على ان تأخذ منها ما يتفق مع ذاتيتها وحاجتها ثم ترفض ما غير ذلك دون ان تخرج على مقوماتها .

٥ ـ حقق الاسلام فى هذه الفترة من مرحلة الاستعمار والغزو الغربى الحديث توسعا ضخما فى قلب افريقيا وفى جنوب شرق اسيا ، وهو توسع ذاتى لم يقم على اساس مؤازرة قوى حاكمة او ذات نفوذ وانما عن طريق التاجر المسلم وشيخ الطريقة المندفع فى الافاق حاملا تجارته وداعيا الى الله ، وهذه هى المرة الثانية التى يحقق الاسلام فيها بعض انتصاراته الرائعة ، ففى ابان الحروب الصليبية والغزو التترى المغولى ، امتد الاسلام الى افريقية الوسطى والصين وجزائر الهند الشرقية ، بل ان الغالب اعتنق دين المغلوب حين دخل المغول فى الاسلام . واليوم تمد العقيدة الاسلامية ظلها من مراكش الى زنجبار ومن سيراليون الى سيبريا

والصين ومن البوسنة الى غانا الجديدة حتى ليتوقع المراقبون ان يكون القرن الخامس عشر الهجرى هو قرن قارة افريقيا المسلمة او ذات الاغلبية الاسلامية الساحقة .

٦ ـ واجه المسلمون والعرب خلال القرن الرابع عشر قوى الاستعمار ثم واجهوا مخططات التبشير والتغريب والشعوبية ومحاولات الغزو الثقافى والاستعمارى الفكرى التى القت بظلها على الفكر الاسلامى والثقافة العربية واستطاعت ان تحطم مقومات هذه الدعوات والمؤسسات ، وواجه التبشير فى العالم الاسلامى والامة العربية مقاومة صريحة دفعته الى ان يغير جلده وان يتخفى وراء دعوات اخرى .

وما تزال قضية الغزو الثقافى فى مقدمة الاخطار التى تواجه المسلمين والعرب والفكر الاسلامى خلال العقد الاخر من القرن الرابع عشر .

٧ ـ قاوم الفكر الاسلامى الفكرة المادية واستطاعت فكرة الروح ان تاخذ مجالها الى الفكر الانسانى كله وتفرض وجودها بقوة ، وكشف العلم الحديث بعد تفتيت الذرة عن وجود جانب غيبى لم يصل العلماء بعد الى كنهه ولكنه اصبح مقررا واختفت نظرية الجوهر الفرد التى قامت على اساسها النظرية المادية فانهارت من اساسها بعد ان اصبحت المادة تتحول الى طاقة والطاقة الى مادة . وكان لغزو الكواكب اثره الواضح فى انفتاح الطريق الى عظمة الخالق، والى قدرة الله التى اقر بها العلماء ، ومن المتوقع ان تستطيع الفلسفة فى القرن الخامس عشر الهجرى ان تخرج من جمودها وقيدها التقليدى الذى ربطها بالمادية وقد تقرر ان الايمان بالغيب لا يعارض العلم وان الدين لا يعارض العقل .

٨ ـ جرر الاسلام مفهوم الدين ، وكشف عن انه دين ونظام مجتمع ، ولقد كان الاسلام ولا يزال رائد التقدم والعلم والتحضر والقوة . لم يقف امام العلم ولم يعارض حرية الفكر ، وربط بين القلب والعقل ، والروح والمادة ، والدنيا والاخرة ، ووقف صامدا امام الازمات والجائحات ، والدعوات المختلفة ، وقرر حقيقة واضحة : ان كل ما يوجه الى الدين من حملات من رجال الفكر الغربى انما كان مقصودا به دين الغرب ، اما الاسلام فقد كان مخالفا لذلك مخالفة صريحة ، وكل ما وجه الى الاديان لا يوجه الى الاسلام الذى يختلف عنها من حيث جمعه بين جوانب العبادة والمعاملات والاخلاق .

٩ ـ الفكر الاسلامى تكونت اسسه قبل اتصاله بالترجمة اليونانية والفارسية والثقافة العربية وليدة الفكر الاسلامى ،وتتمثل اصالة الفكر الاسلامى والثقافة العربية فيها انها حفظت مقوماتها ولم تنصهر فى الثقافات التى سبقتها ، بل صهرت هذه الثقافات فى بوتقتها ، لقد اخذ الفكر الاسلامى ورد ، وما اخذه راجعه ونقده ، وما تقبله ادخله فى اطاره التوحيدى وصهره ، ثم اعطى للبشرية فى امانة جوهره وما توصل اليه وفى مقدمته المنهج العلمى التجريبى مما دفع الانسانية خطوات الى الامام .

وقد كافح الفكر الاسلامى هيمنة الثقافة اليونانية والهندية والفارسية حتى انتصر ، وهو اليوم يكافح فى هيمنة كل ثقافة او فلسفة تحاول ان تخرجه عن اصوله وقيمه .

١٠ ـ كشف الفكر الاسلامى ، خلال جهاده المتصل فى القرن الرابع عشر عن ان تخلف المسلمين لم يكن بسبب الاسلام ولكن بسبب الانفصال عنه والتخلف عن مفاهيمه ، كما عمد الى تصحيح ما دسته قوى التغريب والتبشير والغزو الثقافى من سموم ،وذلك لتحرر الثقافة العربية من هذه القيود .

وقد جرت محاولات التشكيك واثارة الشبهات فى خمس مجالات، اللغة العربية التى وصفت بالجمود والدين الذى اتهم بالعجز ، والحضارة التى اتهمت بانها غير اصيلة ، والتاريخ الذى رمى بانه ملىء بالثغرات ، ولكن قوى التصحيح والمواجهة قد قاومت بشدة ، وحررت الآراء ، ودحضت هذه الشبهات وسقطت الدعوات الباطلة .

وتكشف للنفوذ الاستعمارى انه من العسير ان تنقطع صلة المسلمين والعرب بماضيهم وتراثهم ودينهم ولغتهم التى هى لغة القرآن .

ويمكن القول بأن العقد الاخير من القرن الرابع عشر الهجرى سيمضى على طريق التحرر والمقاومة ، تحرير الارض وتحرير الفكر والثقافة ، وستزداد اليقظة والحذر مما تروجه الدعايات المغرضة وما تكتبه الاقلام المسمومة ، فى مجال الحرب النفسية ، وسيتصدى المفكرون لكل ما تثيره من شبهات فى مسئولية كاملة لتنوير العقول وحمايتها من تاثير هذه الحرب النفسية، وقد آن للعرب والمسلمين ان يتحرروا من التبعية للنظريات او المفاهيم التى لا تتلاقى مع أصول فكرهم وطوابع شخصيتهم وروح ذاتهم ومزاجهم النفسى والروحى .

ولا شك ان تحديات النكسة قد أمدت العقل العربى بقوى جديدة زادته اصالة وثقة وعمقا ووضعته على طريق « الرشد الفكرى » وهو الطريق الذى يحقق النصر باذن الله ، **وبالجملة فان ما حققته حركة اليقظة خلال القرن الرابع عشر الهجرى كان حصادا ضخما من العمل الجاد البناء وانه مقدمة لتحقيق مزيد من الاصالة والعمق وان ابرز مظاهر العقد الاخير هى « تاكيد الذات ، والتماس اصالة الشخصية ، ومقاومة الغزو فى مجال الارض والفكر معا وتصحيح المفاهيم وذلك تمهيدا لتقديم الاسلام الى الانسانية كلها اسلوبا لحياتها وعلاجا لازماتها .**

الإسلام والحضارة العالمية

الأستاذ محمود ابو الفيض المنوفي

يقول الله تعالى « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطئه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما » .

ويقول الله تعالى [ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين] .

[وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين] .

فقد اختار الله محمدا صلى الله عليه وسلم ذلك النبى الامى خاتما للرسل والانبياء قبل ان يؤتيه الرسالة بضروب من الشدائد والاهوال ، وقد بدأت مع ميلاده صلى الله عليه ، تلك الشدائد التى تكون عزائم الرجال ، وقد ادركته وهو طفل ولاحقته وهو صبى ، حتى أتاه الله تعالى الرسالة عندما أوفى على الاربعين .

وكان صلى الله عليه وسلم يتلقى الشدائد والمحن بصدر رحيب ونفس مطمئنة واثقة بالله ، ويلهمه الله قبل الرسالة ان ذلك تدريب على الجهاد لاعلاء كلمة الله ، وان الله لا شك مؤتيه رسالة كاملة وأبوه عبد الله بن عبد المطلب ما عتم ان بنى بأمه آمنة حتى اضطرته ظروف الاحوال ان يغادر مكة فى سفر الى الشام طلبا للعيش ، ولم يلبث ان ادركته المنية ونشب الموت فيه أظفاره قبل ان يعود الى داره ، وقبل ان يولد محمد صلى الله عليه وسلم ، الذى لم ير أباه ، ثم ترضعه حليمة فى مضارب بنى سعد ، وتلك كانت عادة عند العرب حتى اذا ما ترعرع عاد الى مكة وحالة ان وقعت عليه عين أمه ، جدد فى نفسها ذكرى أبيه ، فأعدت عدتها للسفر تبغى زيارة قبره ومحمد صلى الله عليه وسلم معها .

فلم تلبث أثناء عودها من هذه الزيارة ان اعترتها العلة ولازمها المرض فقضت نحبها .

ويعود محمد صلى الله عليه وسلم فقيد الام والاب ، ثم يكفله جده عبد المطلب ويضفى عليه من الرعاية والحب ما يزيد على حب الاب لابنائه ، ولكن لم يستقر محمد صلى الله عليه وسلم فى كنف جده حتى مات الجد أيضا وترك محمدا فى كفالة عمه أبى طالب .

احداث جسام المت بمحمد صلى الله عليه وسلم طفلا ولاحقته غلاما فصمد لها تحت رعاية الله وترعرع فى أحضانها ، وقد أراد الله به ذلك استعدادا وتمحيصا للرسالة العظمى التى هيأه لها .

واستمر محمد صلى الله عليه وسلم هكذا ، قوى النفس رضى الخلق ، عف اللسان والبصر ، حتى دعاه قومه بالامين .

ولامانته وطهر نفسه ، اصطفته خديجة بنت خويلد لتبعثه فى تجارة لها الى الشام ، فسافر ثم عاد موفقا أعظم التوفيق ، ولما رأت خديجة نجاح تجارتها على يديه أرادت ان تضاعف أجره فأبى ان يأخذ اكثر مما اتفق معها عليه ، وأحدث ذلك فى نفس خديجة أثرا كريما حتى فكرت فى الاقتران به ثم ترددت للفرق بين سنه وسنها وحينذاك أرسلت اليه احدى صديقاتها لتسبر غوره وتستطلع رأيه اذا عرض عليه ذلك الزواج ، فشكا لها قلة ماله ، ولما أخبرت خديجة بذلك قالت انما أريد أمانة محمد واخلاصه وليس ماله ولا عتاده .

ولما أبلغ محمد ذلك أخذ رأى عمه أبى طالب فاقره على هذا بل ودفع له مهرها فتزوجها .

وسارت الحياة سيرها ، وعاش محمد صلى الله عليه وسلم فى بحبوحة واسعة ، ولكنه لم ينس ربه ، ولم ينس دين التوحيد وملة ابراهيم ، فصار يتحنث ويتعبد فى غار حراء ثم يعود الى مكة فيطوف بالبيت قبل ان يذهب الى زوجه فيعجب جد العجب لتلك الاصنام التى كانت قريش تعبدها ثم استمر تردده على الغار واستمرت عودته الى مكة والطواف بالبيت .

حتى اذ كان يوما متحنثا فى الغار عاد الى بيته مرتجفا يقول زملونى ، ويطلب فراشا وغطاء لينام حتى اذا صحا من نومه سألته خديجة عما أصابه ، فقال : بينما كنت أتعبد فى الغار واذا بشخص هبط على من السماء ودنا منى وهو يقول : أبشر يا محمد أنا جبريل وأنت رسول الله وخاتم الانبياء والمرسلين وقد أرسلك الله لهذه الامة المختارة ثم يتابع محمد صلى الله عليه وسلم حديثه ، فيقول : فخفت أشد الخوف وخشيت على نفسى أن يكون طرأ على عقلى طارىء مغاير للسلامة ، ولكنه دنا منى وقال : اقرأ فقلت ما أنا بقارىء فأخذنى وغطنى حتى بلغ منى الجهد مبلغه ثم أرسلنى وقال : [اقرأ] قلت : ما أنا بقارىء فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى وقال فى الثالثة [اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم] .

ولقد خشيت على نفسى يا زوجتى من كل هذا فأجابته خديجة قائلة [والله لا يخزيك الله أبدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الدهر وانى يا محمد سآخذك الى ابن عمى ورقة بن نوفل لنرى رأيه فى هذا الامر وهو من تعلم رأس الاحناف اتباع ابراهيم] .

ولما رآه ورقة وحدثه قال : [يا محمد هذا الناموس الاكبر الذى نزل من قبل على ابراهيم وموسى وعيسى ، ثم قال والله لو مد الله فى أجلى لآزرتك على تلك الرسالة وعاونتك على الذين سيؤذونك ويخرجونك من هذا البلد الحرام ، فقال محمد صلى الله عليه وسلم : أو مخرجى هم ؟ قال ورقة نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به الا حاربوه واضطهدوه وأخرجوه من أرضهم] .

وقد عاش عليه الصلاة والسلام بعد ذلك بين قومه ما شاء الله له ان يعيش داعيا الى الله جادا فى تبليغ رسالته متحملا للأذى معرضا نفسه فى سبيل دعوته لسائر أنواع الردى محاربا للشرك ومعارضا للاصنام ومعتصما بكلمة التوحيد عاملا على نشر ما أنزل اليه من ربه من احكام الاسلام وحدوده ومواعظ الكتاب وزواجره وعظاته ، آخذا فى كل ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة آمرا بالمعروف ومعرضا عن الجاهلين ومسالما لجميع من حوله ومن بعد عنه من أهل الكتاب ، مقرا لما أنزله الله قبله من التوراة والانجيل والزبور ، وصائحا فى الناس بلسان القرآن : [قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون

الله]] .. وهكذا فلم يدع صلى الله عليه وسلم امرا من امور الدنيا ولا شانا من شئون الاخرة الا بينه ووضح حدوده وشرح اصوله وطبقه فى سائر اقواله وافعاله واحواله وقد وضع بين اصحابه من المسلمين نظام الشورى وأسس أصول الحكم ومهد الطريق الى المستقبل الزاهر المنير .

بيد أنه صلى الله عليه وسلم ما كان يريد بذلك ان يكون ملكا أو أميرا أو مسيطرا ، ولكن كان عبدا نبيا ورسولا كريما داعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا . وكان صلى الله عليه وسلم جم التواضع لا تعرفه من بين أصحابه وقد قصدته امرأة عجوز فى مسألة فادهشها احترامه حين تبينت مخائل النبوة بين عينيه ، ولما أرادت أن تكلمه ارتج عليها وكادت تخر ساجدة بين يديه فقال لها : [هونى عليك يا أماه انما انا ابن رجل وامرأة آكل الطعام وأمشى فى الاسواق ولا أزيد شيئا عن أحد من الناس] .

ولما أراد العرب : عرب مكة ان يضعوا حدا لما بينه وبينهم من النزاع الذى أوجبه التدافع بين التوحيد والشرك بذلوا لمحمد صلى الله عليه وسلم كل عزيز لديهم وأرسلوا له رسولا يقول : (يا محمد لقد سفهت آراءنا وسببت آلهتنا على أنك من أعز أرومة فينا] ، ثم قال له رسولهم أبو الوليد : [لقد أتيت قومك بالامر العظيم الذى فرقت به جماعتهم وسفهت أحلامهم وعبت دينهم وكفرت من مضى على ذلك من آبائهم : فاسمع منى يا محمد أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل بعضها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل يا أبا الوليد اسمع لك : قال : [يا ابن أخى ان كنت تريد بما جئت به من هذا الامر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وان كنت انما تريد به شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك ، وان كنت تريد به ملكا ملكناك علينا] ، ثم احال عليه عمه أبا طالب فكلمه بمثل ما كلمه به ، فرد على عمه : [والله يا عم لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن اترك هذا الامر ما فعلت حتى يظهره الله او أن أهلك دونه] .

وما زال صلى الله عليه وسلم ذلك شأنه من الزهد والتواضع واللين والشدة فى الحق والكفاح للنصر والفتح حتى انجز الله وعده ونصر عبده وجاءه الفتح المبين ، وكانت كلمة الله هى العليا وكلمة الشرك هى السفلى .

وظل هكذا الى أن أنزل الله تعالى عليه قوله : [اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا] .

فايقن عليه الصلاة والسلام من ذلك انه ختام الرسالة وان المنية آتية لا محالة وانه مفارق للدنيا ومقبل على الاخرة فاطمان لجوار ربه وقد أمر أبا بكر الصديق ان يصلى بالناس أثناء مرضه .

وبعد أن ذهب الرسول الى ربه راضيا مرضيا انتخب المسلمون الصديق خليفة للمسلمين بعد خلاف لم يطل بين المهاجرين والانصار ، فقصد رضى الله عنه الى المنبر ثم تكلم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : [يا أيها الناس قد وليت عليكم ولست بخيركم فان رأيتمونى على الحق فأعينونى وان رأيتمونى على الباطل فسددونى ، أطيعونى ما أطعت الله فيكم فان عصيته فلا طاعة لى عليكم] .

وبعد ان قام بأمر المسلمين على الخلافة سنتين وثلاثة أشهر وأياما كان فيها رداءا للدين وحاميا لذمار المسلمين ورافعا لمنار المؤمنين فأمات البدعة وقطع لسان الفتنة وكبح جماح الردة ثم احس بدنو أجله فعهد بالخلافة من بعده الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

فقام بالقسط وفتح الفتوحات ومصر الامصار وأقر العدل فى نصابه ورفع أعلام الدين وسيج شريعة سيد المرسلين وقوى شوكة المسلمين ، وقد عاش على القناعة والزهد ملازما للتقوى ومبتغيا للدار الاخرة بالعمل فى الدنيا ، وقد بلغ من شدته على نفسه والزامها بمسئولية الحكم ان قال : [والذى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق لو ان جملا هلك ضياعا بشط الفرات لخشيت ان يسألنى الله عنه .

وبعد أن قام بأمر الخلافة اثنتى عشرة سنة ، كان فيها عاملا ثلاث وستون سنة ، وقد جعل أمر الخلافة بعد وفاته بين ستة من الرجال ، وهم : على ، وعثمان ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبى وقاص ، والزبير بن العوام ، وطلحة بن عبيد الله .. ووقع اختيارهم على عثمان بن عفان رضى الله عنه .

وبعد ان قام بأمر الخلافة اثنى عشرة سنة ، كان فيها عاملا على تخليد مجد الامة ونشر راية الاسلام وتوسيع الفتوحات ، قتل رضى الله عنه فى ختام السنة الخامسة والثلاثين من الهجرة .

ثم وقع اختيار الصحابة على على بن ابى طالب رضى الله عنه : فأبى وقال : « اكون لكم وزيرا خير من أن أكون أميرا » فألحوا عليه قائلين : [لا نعلم أحق منك ولا نختار لها سواك] فقبل وذهب الى المسجد فبايعه أكثر الناس ولم يبايعه البعض القليل ، وقتل رضى الله عنه فى أربعين من الهجرة بعد ان قام بأمر الخلافة نحو خمس سنين الا ثلاثة أشهر ، وك انفيها مثال الزهد والعدل والرحمة والتمسك بأصول الدين وفروعه ، لا يغادر منها صغيرة ولا كبيرة الا أقرها وعمل على تنفيذها .

وكان رضى الله عنه أبعد الناس عن الدهاء واللؤم وخداع السياسة فبكى المسلمون بموته اماما لم تطل أيامه المفعمة بالفتن والملاحم ، آسفين على ما كانوا يؤملون من شد عضد الملة السمحاء والشريعة الغراء فى شخص فارس الامة وعالمها وحكيمها وفصيحها الذى لا يغالب ولا يطاول ، فكان كرم الله وجهه رابع الخلفاء الراشدين ، وبعد ان نال المسلمين على فقده من الجزع والحزن ما نالهم ، وقع اختيارهم على ابنه الحسن وجعلوه خليفة .

ولما قام النزاع بينه وبين معاوية : النزاع الذى قام بين معاوية وبين أبى الحسن ، آثر رضى الله عنه حقن دماء المسلمين معرضا عن الخلافة والامارة ومتوجها الى الله تعالى ، فكان أول خليفة يستمد منه الاخلاص سائر أهل الولاية من الاتقياء والمخلصين .

ثم انفرد معاوية بالشام ومصر وجزيرة العرب ، والى هنا أصبحت الخلافة للرسالة ملكا عضودا وأوجب على الناس طاعته بقوة السلاح ، وصير أمر الخلافة ملكا وراثيا فى بيته وقومه ومهد لابنه يزيد من بعده وأخذ له البيعة بالاكراه حتى مكنه من خلافة لا يصلح لها ، بل قل مكنه من ملك عضود ودولة استبدادية .

وحينئذ خرج عليه الحسين بن على بالكوفة وعبد الله بن الزبير بمكة فكان من ضروب الفتن والارهاصات ما كان ، ثم استقر الامر لبنى العباس حينا من الدهر الى أن ظهر فأوغلوا فى خصومهم الامويين فتكا ونكالا الى أن أسند اليهم الامر بجهد أبى مسلم الخراسانى ودعايته وعظيم خداعه فاصطفى العباسيون الفرس وأعدوا لهم أرفع المناصب فى الدولة ومعظم الاعاجم من تعلم من الحقد على الاسلام والمسلمين لذهاب دولتهم ومنهم المانوية والباطنية والدهرية ، ثم استتب لهم الامر وصارت السلطنة المطلقة فى أيديهم وأمنوا جانب مواليهم العباسيين فأخذوا يبثون فى المسلمين من سموم تعاليمهم وأساطير تعطيلهم وأشاعوا ذلك بين سواد الناس وعامتهم ، ولم يكن الغرض من كل ذلك سوى تقويض دعائم الاسلام وايجاد التفرقة بين المسلمين .

وظل من كان من أهل الحق المحافظين على نصوص كتاب الله وسنة رسوله صامدا ، وان اضطهد أو عذب ، منتظرا ان يغير الله الاحوال ومؤملا فى الله وفى الاسلام خيرا ، وفعلا قد وعد الله أبناء المسلمين الصادقين النصر ، وذلك فى قوله : [وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا] .

وهذا ما يغرس الامل فى قلوب المؤمنين المخلصين ، وان كان الله قد ندد بالاخرين من المفسدين بقوله تعالى : [فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا] .

هذا وأما نحن فمن المستبشرين بالنصر المبين ، وبان الحضارة الاسلامية كما سنبينه ستشمل سائر الامم وتعم الناس اجمعين من شرقيين وغربيين .

حديث في الحماس .. والجهاد

للأستاذ محمد الخضري عبد الحميد

– « والذى نفس محمد بيده ، لوددت أن أغزو فى سبيل الله فاقتل ثم اغزو فاقتل ثم اغزو فاقتل » حديث شريف للنبى القائد المجاهد (محمد) صلوات الله عليه .. فيه مافيه من تعظيم وايثار للجهاد فى سبيل نصرة العقيدة . واعلاء كلمة الحق ، حتى ليود ان ينفق تباعا فى هذا السبيل الاكرم والاشرف : أرواحا كثيرة لو انها له .. سراعا .. الواحدة أثر الاخرى ..

وما أجمل حديث الجهاد ، والاعداد له ، والاضطلاع به .. فى رحاب (محمد) العظيم ، عنوان الشجاعة وقمة البسالة .. ما اروعه اذ يقول لرجاله وهم على أهبة قتال الاعداء المتربصين به وبهم الدوائر والذى نفس محمد بيده .. لايقاتلهم اليوم رجل ، فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر الا وادخله الله الجنة » .

وفى هذه الاونة الحاسمة الفاصلة فى تاريخ العرب .. وعلى كثب : يتربص بهم عدو (تاريخى) ، لاوازع له من ضمير أو خلق .. ليس أمتع ولا أوجب من استعادة روائع أحاديث الجهاد ، واستلهام خوالد أمجاد التراث ، والتدبر فيما ينبغى أن نصبح فيه ونمسى من تعبئة النفوس بالحمية والحماس .. حتى تاذن ساعة النصر المؤزر القريب باذن الله .

حقا . أو لسنا على الحق ، كل الحق ؟ .. بلى والله .. فهل نحيا – ادن – أو نموت الا كراما ؟ .. ألا فالجهاد الجهاد .. وأنه للنصر المبين ان شاء الله .. (ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين) .. وصدق الله العظيم .

والجهاد ، فى عبارة تتمشى مع أسلوب العصر – كما عبر عن ذلك محمد حسين هيكل فى (حياة محمد) ص ٢١٦ – هو : « الدفاع عن الرأى بالوسائل التى يقاتل بها أصحاب الرأى .. فاذا أراد أحد أن يفتن رجلا عن رأيه بالدعاوة والمنطق ، دون أن يحمله على ترك هذا الرأى بالقوة وبغير القوة من وسائل الرشوة والتعذيب ، لم يكن لاحد أن يدفع هذا الرجل الا بدحض حجته ، وتفنيد منطقه ، لكنه اذا حاول بالقوة المسلحة أن يصد صاحب رأى عن رأيه .. وجب دفع القوة المسلحة بالقوة المسلحة متى أستطاع الانسان اليها سبيلا .. وذلك أن كرامة الانسان تتلخص فى كلمة واحدة : عقيدته . العقيدة أثمن عند من يقدر معنى الانسان ، من المال والجاه ومن السلطان ومن الحياة نفسها » .

وهل كان الذى كان من تكالب شرأذم صهيون ومن يؤيدونهم على (محاولة) القضاء على عزة العرب ومنعتهم .. الا من أجل : سحق عقائدهم ، ومحو تراثهم ليسود ما يزعمونه من أحقيتهم بالسيادة والسلطان على كل ذوى العقائد ؟ .. أو لم ترسم لهم (بروتوكولاتهم) دستورا محبولا لمستقبل خيالى ، لاهم ليهود صهيون الا التشبث بوسائل تحقيقه على أرض الواقع ، لتطبيق الفقرات والبنود المخرفة العجيبة ، التى يقول بعضها : عندما نصبح أسياد الارض لن نسمح بقيام دين غير ديننا) ؟! . وأيضا : « لبلوغ هذا الهدف .. سنستخدم بلا شفقة وسيلة اعدام جميع الذين قد يحملون السلاح لمقاومة توطيد سلطتنا » ؟! . وكذلك : « يجب ألا نقيم وزنا للعدد الكبير من الضحايا الذين سنضحى بهم من أجل الرخاء المقبل » !! .. هذا هو عدونا ! .. أعدى أعداء ديننا وحضارتنا . وان البروتوكولات فى هوسها وخبالها لاتستثنى دينا ولا عقيدة مما يعدون ويدبرون ، ففضلا على الاسلام هدفهم الاكبر ، يقولون عن غيره من الاديان : « لا يفصلنا عن انهيار المسيحية الا بضع سنوات وسيكون القضاء على الاديان الاخرى أيسر من ذلك » !!

من ذا الذى يستطيع أن يركن الى طيب العيش ، وعلى مرمى الابصار منا عدو على هذا النحو من الخبل والهوس ؟ .. لكنا – بحمد الله وفضله – قوم خلقنا للعزة والرفعة للاباء والمنعة ، بغيرها لايطيب لنا عيش ولا تستقيم حياة .. ولا تعليل أبلغ من قول أصدق القائلين تبارك وتعالى : « كنتم خير أمة

أخرجت للناس» .. وللجهاد والنضال ولاحاديث الحماس فى تاريخنا وتراثنا المكان السامى والرحاب الرحيب .. والى نظرة موضوعية نحو (العرب) وطرائقهم فى استنفار الهمم واستثارة الحمية والحماسة .. لخوض معا مع القتال، وميادين الحروب ..

ماذا كان الحال عند أولئك الاعراب، الذين ناوأوا (محمدا) وجاهروا بعداوته ؟ كان المشركون يحتملون فى خروجهم : صنما على جمل، فى هودج ! .. يتيامنون به، ويبثون بمرآة الشجاعة فى القلوب، والنساء اللاتى يخرجن مع الركب : كن يمشين بين الصفوف يضربن بالدفوف، ويغنين على أنغام ما يمكن القول بأنه (موسيقى عسكرية)، ومن الاناشيد الحماسية لهند بنت عتبة فى متن ذلك المقام هذا المثال، مما كانت تلقيه فى آذان الرجال المحتشدين لمحاربة النبى : (ويها بنى عبد الدار . ويها حماة الاديار . ضربا بكل بتار)، ونشيد آخر : (ان تقبلو نعانق ونفرش النمارق . أو تدبروا نفارق فراق غير وامق) !!

أما (الرجل) الذى يتخلف عن الخروج مع القوم، فهو — فى عرفهم — ليس الا (امرأة) : عندما تخلف أبو لهب وأمية بن خلف جاء اليهما من يحمل مجمرة فيها بخور، وضعها بين يدى أحدهما وهو يقول فى سخرية قاتلة : « يا أبا على استجمر .. فانما أنت من النساء) ! وقدم الاخر مكحلة ومرودا وهو يواصل الاستثارة : (اكتحل أبا على .. فانما أنت امرأة) ! .. وغير دينك، متخلف آخر، هو (قزمان) الذى لم يكن اسلامه كاملا، فانه عندما تخلف، عيرته نساؤه بقولهن : (ياقزمان .. ألا تستحى لما صنعت ؟ . ما أنت الا امرأة) ! .. فخرج كل هؤلاء لاحقين بقومهم ان طوعا وان كرها ! ..

وحتى حينما يدرك أحدهم أن « الباطل » الواهن، لا يمكن بحال أن تكون له غلبة على الحق الشاهق الباسق، ويحاول أن يبصر الاخرين بسوء العاقبة .. فان سورة الحماس تغلب صيحته الخافتة آخر الامر، مثلما حدث مع (حكيم بن حزام) حينما يئس من بلوغ ماء بدر، بعد أن نجا من مصير رهيب لقيه آخرون، فاتجه الى عتبة بن ربيعة، يهيب به الايجاز فى منازلة جيش المسلمين، وان يرجع بالناس، اذ لا فائدة ! .. استنكر أبو جهل ابن هشام ذلك منه، وانثنى عنه يستنفر عامر بن الحضرمى وكان طالب ثأر، يقول له مستفزا، هذا حليفك يريد ان نرجع. قم فاذكر مقتل اخيك . فصرخ عامر فى القوم يذكرهم باسم أخيه القتيل : واعمراه ! . واعمراه ! .. فكانت هذه الصيحة هى القول الفصل، واشارة المضى، مهما تكن النتائج !

فاذا كان ذلك شأن العصبة التى هى من الحق على الجانب الاخر، المضاد .. فكيف — اذن — يكون مقام الحماس، وأسلوب التعبئة الروحية، فى معسكر الحق ؟ .. حينما يبدأ الجهاد لنشر ألوية الحق .. لا يذكر أحد من هؤلاء ثأرا شخصيا وانما الصائح يصيح، مخاطبا (الكل) باسم واحد ، وبخطاب واحد : (يامنصور أمت . أمت . أمت) فالموت العاجل هو لاعداء العقيده : الجزاء العادل الناجز . وصيحة أخرى من (بلال) الباسل، الذى حوله الاسلام من عبد ذليل الى صنديد حر مقدام حينما لمح من بين مقاتليهم : أمية بن خلف : (رأس الكفر أمية ! .. لا نجوت أن نجا ! . لا نجوت ان نجا) ! .

وتجىء كلمات النبى الكريم .. مضيئة، نفيسة .. جياشة بأنبل المعانى واقواها نفاذا الى القلوب (النصر لكم ما صبرتم) . يقاتل ورمى بنفسه عن قوسه حتى تنثنى، فيناول سعد بن أبى وقاص نبلا وهو يقول :

(**ارم فداك أبى وأمى**) . والنبى العظيم هو (الجهاد) مجسما فى بشر نبى . أو ليس هو — عليه الصلاة والسلام — القائل فى بعض صفاته (.. والجهاد خلقى) ؟ وهل ابعث للمشاعر الكريمة المعطاء فى النفس المؤمنة التى تذود عن عقيدتها، من قوله : (السيف محاء للخطايا) ! ..

اذن : لا تردد .. ومن أراد أن تغفر له ذنوبه فها هو ميدان الجهاد أمامه .. واذن : لاعجب أن يصدح صوت أنس ابن مالك كانه الانشودة العذبة، حينما ينفذ سن الرمح فى ظهره، فيهتف قائلا بابتهاج الشهيد السعيد : (فزت ورب الكعبة) .

الموت فى سبيل الله والعقيدة والوطن، أمنية المؤمن، لا مجال لقوله قالها البعض يوم حنين : (لن نغلب اليوم لكثرتنا) .. فما تغنى الكثرة عن كمال الاهبة وتمام الثقة شيئا .. اليوم مجال كلمة كتلك التى قالها عبد الله بن رواحة : (اننا ما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة . وانما هى احدى الحسنيين أما ظهور واما شهادة) .

وحتى فى معسكر أهل الحق قد يوجد من يتخلف اضطرارا .. لكن هنا لا يوجد من يجىء اليه ليقول له : (استجمر أو (اكتحل)، فمثل هذه المثيرات لا مكان لها ها هنا حيث المبرر للخروج (اقتناع) كامل وحسب، دونما استثارة نابية .. وان أبا خيثمة الذى تخلف مرة عن الخروج وأجمع أمره على القعود .. ما يكاد ينظر الى جيش المسلمين ذاهبا الى تبوك، يتدافع اليه المتطوعون حتى ليعتذر النبى الى بعضهم : (لا أجد ما أحملكم عليه) ! .. فما أن يعود المتخلف الى بيته فيجد امرأتين له قد رشت كل منهما عريشها، وبردت له فيه ماء، وهيأت طعاما، حتى : يفيض الاسى بقلبه، تصغر فى عينيه ذاته، وسرعان ما يثور على نفسه، قائلا فى تأنيب حاد : (رسول الله فى الضح والريح والحر، وأبو خيثمة فى ظل بارد، وطعام مهيأ وامرأة حسناء) ثم يصرخ فى الاثنتين عاليا : « هيئا لى زادا حتى الحقبه] ! . فهيأتا له ما أراد وانطلق ماضيا بلا تردد ليأخذ مكانه فى صفوف الجيش، اذ هل للتردد مجال أمام فرصة نيل احدى الحسنيين ؟

حينما أرجف المرجفون أن النبى مات فى

المعمعة .. عجب أنس بن النضر وهو يرى جماعة من المسلمين قاعدين يتحون جانبا من المعركة ، فأرعد فيهم : (ما يجلسكم) ؟!.. قالوا : (قتل رسول الله) !.. فرد عليهم من فوره ، ببساطة نابعة من صفاء روحه وصدق طويته : (فما تصنعون بالحياة بعده ؟.. قوموا فموتوا على مامات عليه) .

ماأروعه وأبهاه ، حديث الحماس عند هؤلاء الغراليامين .. ما أروع وما أبهى الاستعداد لخوض المعامع ، فى معسكر وثق انه على الحق ، فآلى على نفسه الا يرضى بالنصر المؤزر بديلا . فلنركيف كان ذلك عندما أرادت قريش ان تنتقم لقتلاها فى بدر .. وجاء دور المزيد من (رفع الروح المعنوية) بعد أن تمت مرحلة استكمال الشئون العسكرية .. و .. من سواه عليه سلام الله ــ رافع المعنويات ومفجر أنبل الاحاسيس وأقوى الطاقات ؟.. مد (محمد) سيد الباسلين الشجعان يده بسيف فقال :

ــ من يأخذ هذا السيف بحقه !

ويتقدم (أبو دجانة) باعتداد البطل الواثق .. يستفسر ، ويتلقى الجواب :

ــ وما حقه يارسول الله ؟

ــ أن تضرب به فى العدو ، حتى ينحنى .

ــ أنا أخذه يارسول الله ، بحقه .

فأعطاه اياه .. وكان أبودجانة ــ سماك بن خرشة ــ رجلا شجاعا ، تميز عن بقية المحاربين بعصابة حمراء كان اذا اعتصب بها علم الناس انه سيقاتل . أخذ السيف ، وشد عصابته المميزة على رأسه ، وانشأ يتبختر بين الصفوف ، ويتمايل متهاديا مختالا وتلك عادته عندما يستعد للحرب . وينظر اليه النبى وهو يقول مبتسما :

ــ انها لمشية يبغضها الله ، الا فى هذا الموطن .

بهذا وبأمثاله كـ (حمزة) الذى وصفوه وهو يصول فى الميدان ويجول بانه : (مثل الجمل الاورق ، يهد الناس بسيفه هدا) وصيحاته تدوى فتهتز لها رواسى البطحاء : (أمت . أمت . أمت) ، أوك (أنس بن النضر) الذى قاتل حتى وجدوا فيه بعد أن قتل : سبعين ضربة ، فما عرفه الا أخته ، التى عرفته من بنانه .. بأمثال هؤلاء يكون النصر ، وتكون السيادة للحق وأهله .

وفى كتابه الكريم يقول الله عز وجل : (**انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ، ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون**) .. اللهم انا لنعلم ونؤمن أن قولك هو الحق .. اذ أنه خير لنا) حقا : ان نقاتل اعداء ديننا ووطننا ... أولئك الذين جبلوا من قديم على الخسة والخديعة وعلى شر انواع النفاق ، وأحط صنوف العناد .. فلقد يكون منهم الواثق يقينا بأنهم ليسو على شىء ، مثلما وثق (مخيريق) اليهودى فآمن وحارب فى جيش النبى ثم كانت وصيته . (مالى لمحمد ، يصنع فيه مايشاء) ... الا انهم بما فطروا عليه من ضعة ــ يعاندون ، ويكابرون ، ولا يتورعون عن أن يقولوا للكفرة الفجرة عبدة الاوثان والاصنام ، لمجرد ان يكسبوهم الى جانبهم ضد (محمد) صلى الله عليه وسلم : (بل دينكم خير من دينه) !!.. هكذا ، مادام فى الامر بعض منافع موقوتة ! .. وليس ادل على خبث جبلتهم من (أنموذج) بالغ الدلالة على ضلالتهم جميعا ، وخستهم المأثورة عنهم دائما .. ذلكم هو كعب بن اسد .. رأى ان الحق واضح وبين وأن الضلال يكاد أن يهلكهم والوقت ليس اطلاقا فى صالحهم فقال لهم ينصحهم : (يامعشر يهود .. تتابع هذا الرجل ، فقد تبين أنه لنبى مرسل ، وأنه للذى تجدونه فى كتابكم ، فتأمنون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم) .. وكانوا قد أدركوا أن ذلك هو الحق والواقع على الرغم من ذلك راحوا يكثرون فى الجدل والتردد واللجاج ، حتى صاح فيهم يائسا : « مابات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر : حازما » !!

أما وعدونا على هذا النحو الذى نعرف .. فلا كانت الحياة اذا لم نشتعل حماسا ، ثم ننفر خفافا وثقالا ، لنظهر كلمة الحق ونعيد مجدنا العربى مؤثلا .. اذما فائدة الحياة أو ما فائدة الدنيا ان نحن آثرناها على ديننا وكرامتنا ، وهما مقومات وجودنا ؟.. ماذا الا الضياع والخسران ؟.. هنا تحضرنا أبيات للبوصيرى يصف فيها هذه (المعادلة) التى لا يرتضيها لنفسه انسان سوى :

فياخسارة نفس فى تجارتها
لم تشتر الدين بالدنيا ولم تسم
ومن يبع آجلا منه بعاجله
يبن له الغبن فى بيع وفى سلم

الا أن الموت والشهادة : خير وافضل لاريب ، من عيش نكد تعس ، فى ظل عار دونه ذل الاسر .. الموت الكريم خير بلا شك من حياة لا كرامة فيها .. يذكرنا هذا بموقف خالد ، بين الدلالة على ذلك .. موقف رأت فيه سودة بنت زمعة ، زوج النبى ، رضى الله عنها : رجلا ، أبا يزيد بن سهل ، أسيرا فى معسكر النبى المنتصر .. فلم يرقها منظره المنفر ، والحبل يلتف على يديه ، وأمائر الخنوع والذلة والهوان ترين كلها على سحنته .. فلم تتمالك أن وجهت الى الاسير البائس نقدا عفويا لاذعا :

ــ أى أبا يزيد !.. أسلمتم انفسكم وأعطيتم بأيديكم .. ألا متم كراما !!

ولكن النبى سمعها .. فناداها من البيت بمعهود سماحته :

ــ ياسودة .. أعلى الله عز وجل ، وعلى رسوله ؟ تحرضين ؟

فافاقت الى نفسها ، واستدركت تجيب خجلة ، وهى نادمة على مابدر ــ عفوا ــ منها :

ــ يارسول الله .. والله ، الذى بعثك بالحق .. ما ملكت نفسى حين رأيت ما رأيت .. أن : قلت ما قلت !.

فلنمت كراما ، مرفوعى الجباه .. فلا خير فينا ولا رجاء ، ان عشنا الا كما كنا وكما أراد الله لنا أن نكون : كراما ، ذوى عزة وإباء .

على طريق الفلاح والنصر مع أولياء الله المتقين

فضيلة الشيخ محمد وهيب

عن ابى هريرة رضى الله عنه . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ـ [ان الله تبارك وتعالى ، قال : من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب الى عبدى بشىء احب الى مما افترضته عليه ، وما يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى احبه ، فاذا احببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، ولئن سالنى لاعطينه ، ولئن استعاذنى لاعيذنه ، وما ترددت فى شىء انا فاعلة ترددى عن نفس المؤمن ، يكره الموت وانا اكره مساءته) .

الولى المؤمن من عباد الله : هو من والى طاعة الله سبحانه وتعالى، ووالاه الله باحسانه وفضله وانعامه وقدعرف اللهتعالى اولياءه فى القرآن الكريم فى قوله : (ان اولياؤه الا المتقون). (الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون]] . [وهو يتولى الصالحين] . [الله ولى الذين آمنوا)ومن هذا يتضح ، ان الولى شرعا : هو المؤمن التقى ، والولاية تتفاوت بتفاوت درجات ايمان الشخص وتقواهواخلاصه فى النية والعمل لله والدين والوطن فمن كان فيه مقدار ذرة من ايمان وتقوى كان فيه مقدار هذه الذرة من الولاية ومن كان فيه كمال الايمان والتقوى كان فيه كمال الولاية .

وهذا الحديث الذى معنا من الاحاديث القدسية عن الله عز وجل ، وهو يقول سبحانه على لسان نبيه ومصطفاه محمد صلى الله عليه وسلم : من خاصم لى وليا من اوليائى وعانده وبغضه ، او انكر عليه ما هو فيه من حال فقد اعلنته بالحرب . وغايتها الهلاك له والدمار لهذا الفاسق المتجاهر بالبغض والعداء لاوليائه تعالى ، والله لا يغلبه غالب ـ لذا كان المعنى : من عادى اوليائى فقد تعرض لاهلاكى اياه ، فانى سأعمل به مايعمل بالعدو المحارب ، ومن حاربه الله سبحانه اهلكه لا محالة ، وفى هذا تهديد شديد ، لان من كره من احب الله فقد خالف اللهتعالى، ومن خالف الله سبحانه فقد عانده ، ومن عانده سبحانه اهلكه.

ومن والى اولياءه سبحانه اكرمه الله ، وجعل له نصيبا من هذا الفيض الذى افاض به على من والاهم باحسانه وفضله وانعامه، والله ذو الفضل العظيم ـ والمعاداة لاوليائه تعالى لا تنحصر فى الخصومات او المعاملات الدنيوية ، بل قد يكون منشؤها التعصب والعنصرية والبدع والمنكرات . التى ينكرها اولياؤه ، وينعون على اصحابها ، ويبصرون العباد بزيفها ، واضرارها ، ويقفون بسدا مانعا من زحفها وانتشارها . ويقيمون الحجج والبراهين على بطلانها ، ويلقون بالمواعظ لتحويل العباد من اقترافها ، ويمقتون اهلها ، فتنشأ العداوة بين اوليائه تعالى وبين اعدائه والمعاداة من اولياء الله انما تكون لله وفى الله ، لا من اجل غرض دنيوى ، وانما طاعة وتقوى ، وحرص على الا يعصى .

ومن هنا تظهر عداوة اعداء الله والدين والوطن لاوليائه سبحانه وتعالى ، وقد آذنهم بالحرب التى اطلق لفظها واراد منها لازمها . وهو الهلاك والدمار لهؤلاء الاعداء .

وان عداوة الصهاينة لعباد الله المؤمنين فىسائر الاوطان ،والتى ظهرت من سحيق الازمان منشؤها التعصب ، والعنصرية الصهيونية ، فاعمت الصهاينة عن سبيل الحق والرشاد ، واخذت هذه الشرذمة الباغية تعيث فى الارض الفساد ، فملاتها شروراواوزارا ، وجعلت من نفسها عدوا للانسانية والتقدم والرفاهية والسلام ، واختطت لها دستورا خبيثا . مادته الاولى السطو ، والسرقة والغدر والاغتصاب ، وادى كل هذا الى ان شردوا فى الارض وطردوا من جميع الدول والديار ، وانتهى بهم المطاف الى ارض الرسالات ومحط الامال ، وقبلة الانظار ارضنا الحبيبة ارض فلسطين العربية ، زج بهم اليها دول البغى والاستعمار ظانين ان لهم بها استقرار ، لتكون لهم رأس جسر يعبرون منه وعليه الى سائر اجزاء الوطن العربى الكبير ـ وما علموا أن أسود العرب واشبالهم سيفجرون كل الطاقات ، ويرصدون كل الامكانيات والعتاد من اجل سحق المعتدين الغاصبين

ـ وما علموا كذلك ان مفجر ثورة الثورات ابو الاشبال الذى حوصر فى الفالوجا ، وفك ببطولة الحصار ، قد والاه مولاه بالاحسان والهمه طريق الحق والنضال ـ ثم تتوالى الايام بعد وتتابع الثورات فى ارجاء الوطن العربى الذى يغلى كالبركان، وتجتمع القلوب ، وينتظم الصف ، ويلتئم الشمل ، وتصفوا النيات، وتتجه الافئدة والابصار ، لا يشغل الامة العربية شاغل سوى العمل لازالة آثار العدوان واسترداد الارض الحبيبة المغتصبة ارض فلسطين العربية ، لا تسمع من صوت اليوم سوى صوت المعركة يزلزل الارض من تحت اقدام اليهود فى اسرائيل ، يدك اوكارهم ، ويسحق تجمعاتهم ، ويدمر معداتهم وعتادهم .

حتى اصبحت عصابة اسرائيل اللئيمة التى باءت بغضب من الله والناس ، تبيت اياما وليالى حالكة سوداء ـ قلق بالغ ،وفزع دائم ، وذعر شديد . وشظف عيش ، وسوء حال تستصرخ الدول الاستعمارية وتنادى ، وليس لها اليوم سوى هذا النداء . نريد ان نجتمع مع العرب على مائدة المفاوضات ، فزعا وهربا من هذه الحرب الضروس ، وخوفامن هذا المارد العملاق الذى اذاقها الويل والعذاب ، وانزل بها الوبال فى كل بيت ودار والبسها ثوب الخزى والذل والعار وندد بهافى كل مكان فكشف عنها النقاب حتى تراءت لجميع الدول والامم عصابة باغية تهدد السلام ، وكان نصيبها بعد السخط والغضب والادانة بالعدوان .

وان احب شىء الى الله تعالى ان يتقرب اليه العبد المؤمن بما فرضه عليه من فعل الواجبات واجتناب المنهيات ، فلا شىء يقرب العبد من رضاء الله ورضوانه أحب اليه تعالى من أن ياتى العبد فرائضه من صلاة عينية أو كفائية وصيام وحج وزكاة على وجهها الصحيح الذى أراده الله وأمر به ، فذلك امتثال للامر الواجب وتعظيم للآمر به سبحانه ، واحترام له بالانقياد اليه والطاعة ، واظهار عظمة الربوبية وذل العبودية ـ لذا كان التقرب بذلك اعظم الاعمال وأكبرها ـ والتقرب الى الله طلب القرب من رضائه ورضوانه والدخول تحت لواء فضله ونواله وموالاته وكرمه ـ ولا يقصد به القرب من ذاته العلية الكريمة لاستحالة ذلك عليه تعالى .

وما يزال عبدى يتقرب الى بفعل النوافل بعد اتيانه بالفرائض على الوجه الذى أمرت به حتى احبه ، ومن أدى الفريضة ثم زاد عليها النافلة ، وداوم على ذلك ، فقد تحققت منه ارادة التقرب الى الله ـ وأن من جملة ما شرعت من أجله النافلة . جبر الفرائض ، ومعلوم ان النافلة لا تقدم على الفريضة ، وانما تجىء بعدها ، لان الفريضة هى الاصل ، والنافلة هى الفرع ، ولا يقدم الفرع على الاصل ـ كما لا يجوز ان ينشغل العبد بالنافلة عن الفريضة ، وانما تؤدى النافلة بعد الفريضة الواجبة .

وأصل المحبة فى وضع اللغة : عبارة عن ميل النفس الى الموافق الملائم لها ـ ويتصور هذا فى نفس ناقصة قد فاتها ما يوافقها فتستفيد بنيله كمالا ، وهذا محال على الله تعالى ، فكل كمال حاصل لذاته الكريمة ، ولا يتصور تجدده فى حقه تعالى ؟ والمراد بحب الله هو رضاؤه على عبده لقيامه بالفرائض واتباعها بالنوافل طمعا فى رضاه تعالى ، ولفظ الحب على المجاز ، لا الحقيقة .

وقد جاء على المجاز فى القرآن الكريم قوله تعالى : « ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » .. « ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا » .

[فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره] .. الخ الحديث ـ اذا وصل العبد الى درجة القرب منا ، بان صفت نفسه وارتقت ، والتزمت بانواع العبادات . تولينا أمره ظاهره وباطنه ، ومكناه من فضائل كان لا يليق لها قبل صفاء باطنه ، فمنحناه الهداية والتوفيق والقوة والنصر والتأييد والعون حتى تصبح جميع حواسه الظاهرة والباطنة خيرة دائما منقادة لاوامرنا ونواهينا ، بعيدة عن الشر ، ليس للشيطان عليها سلطان [كنت سمعه] ، هذا مبالغة فى شدة انصياع العبد لربه ، وانقياده له سبحانه ، فلا يريد الا ما يريده الله ، ولا يحب الا ما يحبه الله ، ولا يكره الا ما يكرهه الله ، بدون تكلف أو جهاد نفس . لان نفسه قد اطمأنت الى كل ما قدر الله له ، فلا يسمع الا ما يحب الله ان يسمعه ، ولا يبصر الا ما يرضى الله ان يبصره ، ولا يبطش بيده الا حيث يطلب الله البطش بها ، ولا يمد رجله او يخطو بها الا حيث يرضى الله ذلك .

والكلام هنا على سبيل الكناية عن نصرة العبد وتأييده واعانته وعونه ، حتى كانه سبحانه ينزل نفسه من عبده منزلة الالات يستعين بها . وجاء فى بعض روايات الحديث [فبى يسمع ، وبى يبصر ، وبى يبطش ، وبى يمشى] . ولئن سألنى عبدى لاعطينه ما سأل وأجيبه الى مسألته ، ولئن استعاذنى لاعيذنه مما يخاف وادخله فى أمنى فى لحظة بعنايتى ورعايتى ، وقد ورد فى بعض الروايات .. (ولو استنصر بى نصرته) .

واجابة الله المؤمنين من عباده الى ما طلبوا ، قد تحصل على الفور ، وقد تحصل لا على الفور ، وانما التراخى لحكمة يعلمها سبحانه فى ذلك ، وتارة يحصل غير المطلوب لوجود المصلحة فى غيره .

[وما ترددت فى شىء أنا فاعله ترددى فى نفس المؤمن يكره الموت ، وأنا أكره مساءته] .

التردد فى حق الله تعالى لا يجوز وهو محال عليه تعالى ـ والمعنى ان الله تعالى يقول : ما رددت رسلى فى شىء انا فاعله كترديدى لهم واياهم فى قبض نفس المؤمن ، وقد أضاف تردد الملائكة الى نفسه تعالى ، لان تردد الملائكة ناشىء عن أمره ، والمعنى اظهار عطف الله على العبد المؤمن ، ولطفه به ، وشفقته عليه ـ فالمؤمن يكره الموت لما فيه من الشدة والكرب ، ويستاء منه ، والله تعالى يكره ما يسىء عبده المؤمن ، فالله تعالى يقول : انا متردد بين تنفيذ الموت الذى هو حتم على كل حى ، وبين كراهية عبدى المؤمن له . وفى هذا الحديث ـ ان من أتى بما وجب عليه وتقرب بالنوافل لم يرد دعاؤه لهذا الوعد الصادق المؤكد بالقسم . وفيه : ان العبد ولو بلغ أعلى الدرجات حتى يكون محبوبا لله لا ينبغى ان ينقطع عن الطلب عن الله تعالى ، لما فى ذلك من الخضوع لله تعالى واظهار العبودية . وفيه كذلك : تعظيم قدر المولى واكباره ، حيث خرج من تدبيره الى تدبير ربه ، وعن انتصاره لنفسه الى انتصار الله له ، وعن حوله ، وقوته بصدق توكله على الله الى حول الله وقوته ـ ويؤخذ من الحديث : ان من آذى وليا من أوليائه تعالى ، ولم يصب بمصيبة عاجلة فى دنياه ، لا يسلم من انتقام الله تعالى ، وقد تكون مصيبته اشد وأكبر فى دينه أو اخراه ، والفرائض التى فرضها الله فعلا كالصلاة والزكاة وغيرها من أنواع العبادات ، وتركا كالزنا والقتل والسرقة وسائر الكبائر والمحرمات ـ وهذه فرائض ظاهرة ، ويدخل فى الفرائض التى فرضها الله كذلك : الفرائض الباطنة : كالحب لله والعلم به والتوكل عليه وحسن الظن والثقة به سبحانه ... وها نحن نرجو ان يتفضل سبحانه فيوفقنا الى موالاة طاعته ونضرع اليه ان يتولانا بافضاله واحسانه ، وان يجعل الدائرة على اعداء دينه وأوليائهم عصابة اسرائيل الباغية ، وان يعجل بيوم النصر فى يوم أغر كريم تخفق أعلامه فى ظلال القائد البطل ، قائد مواكب النصر ، الذى يعمل من أجل اعلاء دينك وكلمتك ، السيد الرئيس جمال عبد الناصر ، انك على ما تشاء قدير يا نعم المولى ويا نعم النصير .

الدعوة إلى الله

فضيلة الشيخ محمد أنيس عبادة

اختار الله رسله الى عباده واصطفاهم من خلقه، وأعدهم لحمل أمانته والدعوة الى قدسيته ، وجملهم بالمكارم ، وكملهم بالمفاخر ، فكانوا بفضل الله ورحمته من أقوى العباد قلبا واصفاهم نفسا ، وأكرمهم خلقا ، وأرحمهم بالمرسل اليهم ، وهم من لدنه سبحانه رحمته فى الدنيا ، وشفعاء فى الاخرة ، والله تعالى أعلم حيث يجعل رسالته أغنى الله بهم الامم الناس عن العناء فى دار الفناء ، وأراحوا الناس من بذل الجهد ومشقة التفكير للوصول الى مصالحهم ، وحفظ بهم الناس من الحيرة والضلال والضرب فى متاهات الحياة ليصلوا الى السعادة ، وينعموا بالخير ، فانزل عليهم كتبه وشرع لهم الاحكام وبين بهم الطريق المستقيم للوصول الى مرضاته والفوز بجناته ، والنعيم فى دار الخلود ورسم المولى لخلقه نظام حياتهم ليأمن الناس بعضهم من بعض، وليعاون العباد بعضهم بعضا، وليتحاب العباد لله ، بما أرشدهم من هدى ، وجنبهم بنواهيه عن الضرر والفساد ولقد اختارهم سبحانه أسوة للفقراء ، وعزاء للمستضعفين ، وقدوة للعاملين ، فهداهم الى السعى فى الارض والعمل الصالح ابتغاء الرزق لتقتدى بهم الامم ولتنسج على منوالهم الشعوب ثم جعلهم بفضله مثالا عاليا للمساواة بعزة الايمان ، وللحرية فى شرف العبودية لله ، ليعلم عباده أنهم جميعا فى شرف عبوديتهم له ، سواء ، لا تفاضل بنسب ولا تمييز بمال ولا تفاخر بأولاد ،

ومع قربهم الى مولاهم ، واخلاصهم القلب له ، فانه سبحانه ابتلى بعض انبيائه ورسله فكان منهم من عكف أبوه أو ابنه أو زوجه على الشرك ، هكذا كان آذر ابو ابراهيم عليه السلام وكذلك كان ابن نوح ، وعلى هذا كانت زوجة نوح ولوط . **« امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا »** ، **«ونادى نوح ربه فقال رب ان ابنى من أهلى وان وعدك الحق»** ، **« قال يانوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح»** ، **« يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا»** . وخاطب الله محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله **« انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء »** ، قيل كانت فى شأن عمه أبى طالب يريد الرسول صلى الله عليه وسلم له الاسلام ، مع ما بذل عمه فى نصرته والدفاع عنه وحمايته من أذى المشركين ،

وهذا حكم الله تعالى وحكمته ، وهذا بيان للعباد يعرفون به الأزن للانسان والافضل لحسب أو قوم أو مال أمام وحدانية الله والايمان بجلاله ، وقد قطع عن كل جبار العذر . فأرسل الرسل بالهدى ودين الحق ، وأقام لهم الادلة القاطعة على ربوبيته والوهيته ، وعذرهم فقال **« وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا »** . وتفضل فجعل كلمة التوحيد قاطعة لما مضى قبلها ، منهية ما فرط من الناس ، والاسلام يجب ما قبله ،

وفى هذا الباب فتح باب التوبة اليه ، ووسع أبواب الاقبال عليه ، فموائده ممدودة على الدوام ورحمته منشورة فى خلقه فى كل لحظة ، ونداؤه الى خلقه ليقبلوا عليه حاصل فى كل زمان والاجابة حاضرة **« ادعونى استجب لكم »** ، **« واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى وليومنوا بى لعلهم يرشدون »** ،

وباب المغفرة مفتوح لا يغلق بوعده وفضله **« قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله »** ، **« ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء »** ،

دعوة سيدنا ابراهيم الخليل لابيه : قال ابن كثير: وكان اول دعوته لابيه ، وكان أبوه ممن يعبد الاصنام لانه أحق الناس باخلاص النصيحة له ، كما قال تعالى **« واذكر فى الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا اذ قال لابيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا »** الايات ،

فذكر تعالى ما كان بينه وبين أبيه من المحاورة والمجادلة وكيف دعا أباه الى الحق بألطف عبارة وأحسن اشارة بين له بطلان ما هو عليه من عبادة

الاوثان التى لا تسمع دعاء عابدها ولا تبصر مكانه فكيف تغنى عنه شيئا أو تفعل به خيرا من رزق أو نصر • ثم نبهه الى ما أعطاه الله من الهدى والعلم النافع وان كان أصغر منه سنا •

فلما عرض هذا الرشد عليه وأهدى هذه النصيحة اليه لم يقبلها منه ولا أخذها عنه بل تهدده وتوعده **« لئن لم تنته لارجمنك واهجرنى مليا »** •

فعندها قال له ابراهيم : « سلام عليك » أى لا يصيبك منى مكروه ولا ينالك منى أذى وزاده خيرا فقال : سأستغفر لك ربى » • وقد استغفر له كما وعده • فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه •

روى البخارى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يلقى ابراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة فيقول له ابراهيم : ألم أقل لك لا تعصنى فيقول له أبوه : فاليوم لا أعصيك فيقول ابراهيم : يا رب انك وعدتنى ان لا تخزينى يوم يبعثون فاى خزى أخزى من أبى الابعد ؟ فيقول الله : انى حرمت الجنة على الكافرين ثم يقال : يا ابراهيم ما تحت رجليك ؟ فينظر فاذا هو بذبح متلطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى فى النار » •

وفى هذا الخبر من قصة ابراهيم عليه السلام ما يبصر المؤمنين بعدل الله فى خلقه • عدل الله العدل الذى يجازى كل عبد بما فعل من غير أن تؤثر فى موازينه الاحساب والانساب • ولقد بالغ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فى انذار قومه واهله وعشيرته . فأحصاهم وقال لهم لاأغنى عنكم من الله شيئا حتى فاطمة رضى الله عنها كريمته وأحب الناس على قلبه • ولقد أقسم حين أرادوا الشفاعة لديه فيمن سرقت • والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » • وبذلك علم صحابته وأمته العدل الالهى فى تنفيذ الاحكام والمساواة بين الناس • الامر الذى عنف من أجله أحد صحابته حين عير انسانا بسواد أمه • والذى جعله فى تحريم الربا وهدمه يبدأ بربا عمه العباس بن عبد المطلب • والذى بمقتضاه كان سلمان وبلال وصهيب من خيرة أصحابه مع ان الاول فارس والثانى حبشى والثالث رومى • لكنهم جميعا قبل الجنس ممن سارعوا الى الاسلام وجاهدوا فيه بكل غال عليهم • حتى سبقوا وفازوا بحب الله ورسوله •

جداله من اجل الايمان : الشرك بالله أشنع الذنوب . وهو الكبيرة التى لاتغفر **« ان الله لايغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء »** •

ولقد نهى ابراهيم عليه السلام عن هذا المنكر بكل الدرجات • بقلبه ولسانه ويده •

وقد حكى الله تعالى فى سور من القرآن جهاده واستنكاره الشرك • من ذلك جداله مع النمرود ملك زمانه وصاحب النار والبعوضة • وقد أهلكه الله لما قصد المحاربة مع الله تعالى بأن فتح عليه بابا من البعوض فستروا عين الشمس وأكلوا عسكره ولم يتركوا الا العظام ودخلت واحدة منها فى دماغه فأكلته حتى صارت مثل الفأرة فكان أعز الناس عنده بعد ذلك من يضرب دماغه بمطرقة عتيدة • فبقى فى البلاء أربعين يوما • قال قتادة : انه أول من تجبر وهو صاحب الصرح ببابل وقال مجاهد : ملك الارض مؤمنان : سليمان وذو القرنين • وكافران • نمروذ ، وبختنصر •

وفى قصص المحاجة بين ابراهيم عليه السلام وبين نمروذ روايتان : احداهما انهم خرجوا الى عيد لهم فدخل ابراهيم على أصنامهم فكسرها فلما رجعوا قال لهم : « أتعبدون ما تنحتون » ؟ فقالوا : من تعبد ؟ قال : أعبد الذى يحيى ويميت •

وقال بعضهم : ان نمرود كان يحتكر الطعام فكانوا اذا احتاجوا الى الطعام يشترونه منه فاذا دخلوا عليه سجدوا له • فدخل ابراهيم فلم يسجد له • فقال : مالك لا تسجد لى ؟ قال : أنا لا أسجد الا لربى فقال له نمرود : من ربك ؟ قال ابراهيم : ربى الذى يحيى ويميت • فلما سمعها نمرود قال : أنا أحيى وأميت فعارضه ابراهيم بالشمس فبهت الذى كفر •

هكذا أيد الله جميع رسله بالمعجزات • وكذلك كان ينصر رسله بالخوارق • وقد وقع أكثر من ذلك للرسول صلى الله عليه وسلم . والقرآن الكريم ينص على تأييد المولى لمحمد والمسلمين يوم بدر بالملائكة التى كانت تقاتل فى صفوف المسلمين • وكانت تنزل على هيئات تدل على اكرام الله لاصحابها • فكانت عمائمهم وخيلهم على مثال ماكانت عليه عمائم وخيول الصحابة رضى الله عنهم وفى ذلك مع أمثاله مما حكاه القرآن فى شأن الخليل أبى الانبياء عليه السلام خوارق تدل على ان المولى مع أوليائه والمخلصين لربهم كما تهيأ لتنفيذ رؤياه يذبح ولده امتثالا لامر الله تعالى فأثنى الله عليه وأنزل فداء الذبيح والله تعالى خاطب المسلمين بما خاطب به المرسلين فأمر هؤلاء وأولئك بالا كل من الطيبات وعمل الصالحات • وهو كذلك لا يضن على المخلصين من عباده ممن ليسوا بأنبياء الذين اتبعوا الرسل وآمنوا بالدين وعملوا بالشرائع بما لم يضن به على المرسلين • كرامة لاحبائه ونصرا لاوليائه واعزازا لدينه . فان الذى آمن وعمل الصالحات وأخلص لله العمل • وامتثل الامر والتزم التشريع وتخلق بما سنه الله من المكارم هو فى حقيقة أمره عامل لله • والله فى عون المؤمنين ولم يقف نمرود مع ابراهيم عليه السلام عند منع الطعام • بل أمر به فألقى فى النار وهكذا عادة الجبارين اذا عورضوا بشىء وعجزوا عن الحجة اشتغلوا بالعقوبة فانجاه الله من النار •

ثم تتابع الاية بيان المحاجة والمجادلة • وترسم طريق الدعوة الى الحق • والانتقال مما يشبه ويحتمل الى ما يقطع الخصم ويفحمه • فلما قال : ربى الذى

يحيى ويميت . ولما كان الاحياء والاماتة له حقيقة وهو ما يصدر عن الله عز وجل فى خلقه وله مجاز وهو ما يكون بالتسبب كما فعل نمرود . أطعم اثنين فبقوا على الحياة وترك آخرين على الجوع حتى ماتوا بسببه . فنسب الى نفسه الاحياء والاماتة . لما صنع ذلك انتقل ابراهيم فى مجادلته لافحامه وابطال تمويهه وسلم له تسليم الجدل ـ جاء بأمر لا مجاز فيه وهو الشمس ان الله يأتى بها من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر . ولم يستطع أن يدعى بأنه هو الذى يأتى بها من المشرق لان ذوى الالباب يكذبونه .

وهكذا فعل فى موضع آخر . لالزام المخالفين ببزوغ القمر . وشروق الشمس والافول بعد ذلك حتى قال : لا أحب الافلين .

وهذا وأمثاله أصل فى اثبات المناظرة والمجادلة لاقامة الحجة على المعاندين لالزامهم بالحق واظهار مكابرتهم بعد وضوح الحق .

وفى القرآن والسنة من ذلك كثير قال تعالى « **قل هاتوا برهانكم** » وقال : « **هل عندكم من سلطان** » . أى من حجة وقد وصف القرآن خصومة ابراهيم عليه السلام مع قومه ورده عليهم فى عبادة الاوثان فى سورة الانبياء .

وقال فى قصة نوح عليه السلام : « **قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا** » الى قوله تعالى « **وانا برىء مما تجرمون** » .وكذلك مجادلة موسى مع فرعون .

وهذا كله تعليم من الله سبحانه وتعالى للسؤال والجواب والمجادلة فى الدين لانه لا يظهر الفرق بين الحق والباطل الا بظهور حجة الحق ودحض حجة الباطل .

وجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الكتاب وباهلهم . أى لاعنهم . والمباهلة ان يجتمع القوم اذا أختلفوا فى شىء فيقولوا : لعنة الله على الظالم .

وقد تحاج آدم مع موسى فغلبه آدم بالحجة .

وتجادل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم السقيفه وتدافعوا وتقرروا وتناظروا حتى صدر الحق فى أهله .

وتناظروا بعد السقيفة ومبايعة أبى بكر رضى الله عنه فى أهل الردة . واتفقوا على وجوب قتالهم حتى يرجعوا الى الايمان .

ولكن المناظرة يجب أن يقصد بها الحق . وان تكون مع من له علم . قال تعالى « فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم » فالاحتجاج بالعلم شائع لمن تدبر .

وقال المزنى : ومن حق المناظرة أن يكون المراد بها الله عز وجل . وأن يقبل منها ما تبين . ولا تصح المناظرة ويظهر بها الحجة بين المتناظرين حتى يكونوا متقاربين أو مستويين فى مرتبة واحدة من الديـن والعقل والفهم والانصاف والا فهو مراء ومكابرة .

فضائل

الحمد هو الثناء بالفضيلة . وهو رأس الشكر . ويكون باللسان وهو فعل ينبىء عن تعظيم المنعم . واعتراف من العبد لله عز وجل بثناء جميله وحسن كرمه وفضله على عباده ، والحمد هو أول كلام أهل الجنة ـ وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده ـ آية ٧٤ سورة الزمر ـ وهو آخر كلامهم أيضا ـ وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين ـ آية ١٠ سورة يونس ، فأهل الجنة يفتتحون كلامهم بالحمد لله . ويختمونه بالحمدوالثناء لله عزوجل على ما أولاهم من نعم ـ والحمد ضد الذم . عند أهل اللغة . وفى القرآن الكريم ـ الحمد لله رب العالمين ـ يعنى استقر لله الحمد وثبت له عز وجل الثناء ـ والله تبارك وتعالى ابتدأ خلق الاشياء . بالحمد ـ فقال تعالى ـ الحمد لله الذى خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ـ آية ١ سورة الانعام ـ قال أهل المعانى ، الحمد لله . خبر ومعناه الامر أى احمدوا الله . وانما جاء على صيغة الخبر وفيه معنى الامر لانه أبلغ فى البيان من حيث أنه جمع الامرين ، وختم الله خلق الاشياء بالحمد . فقال سبحانه وتعالى ـ وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين ـ آية ٧٥ سورة الزمر، وفى هذا تنبيه واعلام للبشر على تحميده عز وجل فى ابتداء كل أمر وفى خاتمته ! والتحميد هو حمـد العبد ربه مرة بعـد مرة ومما يدل على أن الحمد فى معنى الثناء . قول الله عز وجل ـ الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا ـ آية ١ سورة الكهف وقوله سبحانه وتعالى ـ الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلا ـ آية ١ سورة فاطر ـ أثنى الله سبحانه وتعالى على نفسه بانعامه على خلقه . وهو بهذا يعلم العباد كيف يثنون عليه سبحانه ويحمدونه على ما أجزل لهم من النعم ، ولقد سمى الله نفسه بالحميد ـ فقال تعالى فى قرآنه الـكريم ـ ان الله هو الغنى الحميد ـ آية ٢٦ سورة لقمان ـ وقال ـ تنزيل من حكيم حميد ـ آية ٤٢ سورة فصلت. وقال وهو الولى الحميد ـ آية ٢٨ سورة الشورى ـ وعن النبى صلى الله عليه وسلم ـ أفضل الدعاء الحمد ـ رواه الترمذى ـ والحمد والشكر من صفات الله عز وجل . وهما أعلى منازل السالكين وحلية الصديقين ، ـ والحامدون هم الذين يشكرون الله فى السراء والضراء ويحمدونه على كل حال ، والشكر عرفان بالجميل . ويكون . بالقلب خضوعا واستكانة . وباللسان ثناء واعترافا . وبالجوارح طاعة وانقيادا لله عز وجل ـ والشكر

الحمد والشكر ...

الأستاذ محمود السعيد الطنطاوى

صفة من صفات الله تعالى — قال عز وجل فى قرآنه الكريم — والله شكور حليم — آية ١٧ سورة التغابن . وقال — ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله انه غفور شكور — آية ٣٠ سورة فاطر .

والشكر أعلى منزلة من الرضا . لان فيه معنى الرضا وزيادة — ولقد ارتضاه الله لعباده — قال تعالى — وان تشكروا يرضه لكم — آية ٧ سورة الزمر . وأمر الله أولياءه وأحباءه بالشكر قال عز وجل — اعملوا آل داود شكرا — آية ١٣ سورة سبأ ،

أى اعملوا بطاعة الله شكرا على نعمه عليكم ، وفى أحبار داود عليه السلام . أنه قال . يارب كيف أشكرك وشكرى لك نعمة على من عندك تستوجب بها شكرا . فأوحى الله اليه . الان شكرتنى يا داود — وذلك لان الاعتراف بالنعمة شكر ، وشكر الله الشاكرين . وأنعم عليهم بالخلود فى جناته جزاء لهم على طاعة الله وشكره على نعمه عليهم — فقال تعالى — ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا — آية ٢٢ سورة الانسان —

وأثنى على نبيه ابراهيم عليه السلام — فقال تعالى — ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين . شاكرا لانعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم — آية ١٢٠ ، ١٢١ سورة النحل وكان نبى الله نوح من الشاكرين فأثنى عليه الله عز وجل فى قرآنه الكريم — قال تعالى — ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا — آية ٣ سورة الاسراء . ووعد الله الشاكرين بالجزاء . فقال تعالى ووعده الحق — ومن يرد ثواب الاخرة نؤته منها وسنجزى الشاكرين — آية ١٤٥ سورة آل عمران ،

وجعل الله الشكر سببا لمزيد ثوابه ورضاه وحبه لعبده فقال تبارك وتعالى — واذ تأذن ربكم لئن شكرتم لازيدنكم — آية ٧ سورة ابراهيم — وكان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كثير الحمد والشكر لله عز وجل — فقد روى الترمذى ان النبى صلى الله عليه وسلم . كان من دعائه . اللهم اجعلنى لك شكارا — وعن عطاء رضى الله عنه قال . دخلت على عائشة رضى الله عنها . فقلت أخبرينا بأعجب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم . فبكت وقالت . وأى شأن من شأنه لم يكن عجبا أتانى ليلة فدخل معى فى فراشى . حتى مس جلدى جلده . ثم قال يا ابنة أبى بكر ذرينى أتعبد لربى . قالت . فقلت انى احب قربك . لكنى أوثر هواك . فأذنت له فقام الى قربة ماء فتوضأ فكم يكثر صب الماء . ثم قام يصلى فبكى ثم سجد فبكى ثم رفع رأسه فبكى . فلم يزل كذلك حتى جاء بلال فآذنه بالصلاة فقلت يا رسول الله ما يبكيك قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر . قال أفلا أكون عبدا شكورا . ولم لا أفعل وقد أنزل الله على . ان فى خلق السموات والارض —

والشكر المطلوب من العبد للعبد هو الاعتراف بالاحسان لان من لم يشكر الناس لا يشكر الله .

جاء فى سير العرب أن وفدا قدموا على عمر بن عبد العزيز فقام شاب ليتكلم فقال عمر . الكبر الكبر ، فقال الشاب لو كان الامر بالسن لكان فى المسلمين من هو أسن منك . فقال عمر له تكلم . فقال الشاب . لسنا وفد الرغبة ولا وفد الرهبة . أما الرغبة فقد أوصلها الينا فضلك وأما الرهبة فقد آمننا منها عدلك . وانما نحن وفد الشكر جئناك نشكرك وننصرف ، وأنشدوا

ومن الرزية أن شكرى صامت

عما فعلت وأن برك ناطق

وقيل . الشاكر هو الذى يشكر على الموجود والشكور الذى يشكر على المفقود ، وسئل أحد العلماء ما الشكر فقال ألا تعصى الله بنعمة — يعنى ألا يستعان بشىء من نعم الله على معاصيه . ويقول الشبلى الشكر هو رؤية المنعم لا رؤية النعمة . وجاء فى الاثر أن موسى عليه السلام . قال يا رب خلقت آدم بيديك ونفخت فيه من روحك وأسجدت له ملائكتك وعلمته أسماء كل شىء وفعلت وفعلت . فكيف أطاق شكرك . فقال الله عز وجل . علم أن ذلك منى فكانت معرفته بذلك شكرا لى — واذا قصرت يد العبد عن مكافأة أخيه المسلم على معروف ، لضيق ذات اليد أو لعدم الاستطاعة لاى سبب فليكثر من الشكر لان ذلك يديم المحبة بين الناس ومن باب أولى أن يكثر الانسان من الشكر لله بالعمل على طاعته واجتناب نواهيه والثناء بلسانه اعترافا بنعم الله عز وجل التى لا تحصى —

فاللهم اجعلنا من الحامدين الشاكرين لك . المعترفين بفضلك وجليل نعمك وحسن كرمك ، المسبحين بحمدك . والملحين بالثناء والحمد والشكر لك واجعل آخر دعوانا الحمد لله رب العالمين .

القناعة

الأستاذ عبد السلام الشاذلي القوصي

اذا حفظ الله عليك اللسان والقلب وعرفت أن المرء بأصفريه وان المشيب ثوب الوقار وزهرة الاعمار ونجم الهدى ورجم العدا ونذير الابرار وبطاقة العتق من النار . فقد نجوت .. ففى الزبور يقول البارى . الشيب نورى . وأنا أستحيى أن أحرق نورى بنارى .. قال على كرم الله وجهه (بقية عمر المرء ليس لها ثمن يستدرك بها ما فات . ويحيا بها مامات . ولكن ما أحسن تلك البقية اذا استدرك بها من التقصير وصرفها فى طاعة مولاه السميع البصير . فهنالك بيد الله حركات نفسه سكنات وسيآتها حسنات .. ويسمع منادى الحق يقول يا أيتها النفس المطمئنة أرجعى الى ربك .. فترجع الى سعة رحمة الرحيم . ويسبح بها فى بحار كرم الكريم . وانما الاعمال بالخواتيم . فيرزقه الله القناعة) فان كان غنيا رغب عن المال وأكثر من التصدق خوف المال .. وان كان مسرفا على نفسه فى ضياع وقته انشغل بما يرضى الرحمن وقصر وقته بالقناعة وبالبعد عن الهوى والملاهى الى عبادة الله الواحد الديان . وان كان مقصرا فى تربية أبنائه رزق القناعة فتكلم معهم سديدا فى الرأى . مجملا فى الطلب باسطا بينهم بساط الادب فيصل بهم الى حسن الختام .. وان كان فقيرا استغنى بالقناعة عن ذل السؤال وجعل قبلته الرضى بما قسم به الديان وأغرقته القناعة فى كثرة العبادة فيحصل بها على سعة الرزق وجمال الصدق وكمال المروءة فيرتفع شأنه بين الناس وعندئذ تكون القناعة هى الوسيلة المربحة والطريق السوى الرافعة لشأنه المكثرة لرزقه .. أما الصبا فهو شعبة من الجنون . ومطية المغرور المفتون .. سكران من خمر الشهوات غارق فى بحار اللذات . ان نصح زمجر وغضب وان ترك هوى فى الشر ولم ينتصب . فان رجع وتأدب بأدب بيئته وهو البيت الذى تربى فيه . وفيه الشيخ العجوز . والمسن الذى شابت كل شعرة فيه . والذى رجع لمولاه بعد دروس حصل عليها . وأمور قد امتحن فيها ربما رزق القناعة فكفته شر نفسه وما تحويه . وامسك بالقناعة وغسل بها قلبه وحواشيه . ثم لبس ثوبا من ثيابها فعندئذ تنكسر شوكة الشيطان وتزول من على بصره غشاوة الحرمان . فيرى بعينى البصيرة شجرة القناعة مورقة فيؤمن بأن الدنيا دار زوال . وأن ليس لها أمان ولا اطمئنان . وبهذا الفتح الجديد يتجه الى عبادة رب العالمين الذى له ملك السموات والارضين . فيدق الباب خائفا يترقب الاجابة فيسمع مناديا يناديه قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا .. فيطمئن بعد خوفه الى أن القناعة أوصلته الى المقصود والى باب الحى الواحد الحق المعبود . فيسعد فى دنياه ويعمل لاخراه .

ورد عن أبى هريرة قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة مكتوبة على ساق العرش . لا راحة فى الدنيا ولا شفاعة فى الموت ولا حيلة فى الرزق ولا سلامة من ألسنة الناس ولا راد لامر الله .

سألَ رجلٌ الامام أحمد بن حنبلَ رضى الله عنه أنْ يعظه فقال له الامام . ان كان الله تعالى تكفل بالرزق فاهتمامك لماذا ؟ وان كان الرزق مقسوما فالحرص لماذا ؟ وان كان الخلف على الله فالبخل لماذا ؟ وان كانت الجنة حقا فالراحة لماذا ؟ وان كانت النار صدقا فالمعصية لماذا ؟ وان كانت الدنيا فانية فالطمأنينة لماذا ؟ وان كان الحساب حتما فالجمع لماذا ؟ وان كان كل شىء بقضائه وقدره فالحزن لماذا ؟ .. ثم قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن تموت نفس حتى تستوفى رزقها ومصابها وأجلها وقال أيضا . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا الله وأجملوا فى طلب الدنيا [أى الحلال] فان كلا ميسر لما خلق له .. وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الغنى عن كثرة العرض وانما الغنى غنى النفس (ففقر النفس لا ينسد أبدا اللهم ارزقنا القناعة) .. وقال صلى الله عليه وسلم لا تنظر الى من هو أكثر منك فتتعب وانظر الى من هو أقل منك فترتاح .. وقال مجاهد . فى تأويل قول الله تعالى « فلنحيينه حياة طيبة » (أى بالقناعة). وقيل فى تفسير البغوى . الابرار الذين بروا وصدقوا فى ايمانهم بأداء فرائض الله تعالى واجتناب نواهيه ورزقوا القناعة . قال تعالى .. « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا » (أى حبا فى قلوب الخلق) .

وقال مولانا السيد عبد الرحيم القنائى رضى الله عنه . يجب على العاقل أن يفعل فى دنياه خمسة أشياء أن يهجر الحرص والامل وأن يواصل العلم بالعمل وأن يجتنب ارتكاب الزلل وأن يلاحظ قدوم الاجل وان يكون واقفا بين الرجاء والوجل . وعلامة الخوف قصر الامل وعلامة الرجاء حسن الظن بالله تعالى . ثم قال رضى الله عنه . القناعة رضى والحرص سخط والعايش راضيا أحسن من العايش ساخطا .

وقال أكثم بن صيفى من باع الحرص بالقناعة ظفر بالغنى والثروة وقال بعض الادباء . اذا طلبت العز فاطلبه بالطاعة . واذا طلبت الغنى فاطلبه بالقناعة .. وقال صلى الله عليه وسلم عليكم بالقناعة فانها كنز لا ينفد . وقال . الذل فى السؤال ولو أين الطريق .. وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يدعو بهذا الدعاء بعد صلاة الصبح ثلاث مرات وهو . اللهم أنى أسألك اللطف عند القضاء والسلامة فى الدين والبركة فى الرزق والغنى بك عن خلقك . اللهم ارزقنى القناعة . وقال أيضا . اليد العليا خير من اليد السفلى . قال ابن قتيبة العليا هى المعطيه والسفلى هى السائلة .. وقال أيضا اذا أراد الله بعبد خيرا ألهمه الطاعة وألزمه القناعة وفقهه فى الدين وعضده باليقين فاكتفى بالكفاف واكتسى بالعفاف . واذا أراد به شرا حبب اليه المال . وبسط منه الامال . فشغله بدنياه . ووكله الى هواه فركب الفساد وظلم العباد .

أرسل عثمان بن عفان رضى الله عنه بكيس فيه مال ونفقه الى ابى ذر الغفارى رضى الله عنه على يد عبد له وقال له عثمان رضى الله عنه . ان قبلها منك فأنت حر لوجه الله تعالى فأتى العبد أبا ذر فلم يقبلها منه . فقال العبد له . اقبلها منى فان فيها عتقى . قال أبو ذر ان كان فيها عتقك . فان فيها رقى وأبى أن يقبلها وردها معه الى عثمان بن عفان قائلا أنى سألت الله القناعة فرزقنى اياها وبها استغنيت .

.. وفى الحديث القدسى عن النبى داود عليه السلام قال الله تعالى . يا داود لا تقوم الساعة حتى تذل الاشراف وترتفع الاراذل ويهجر كتابى ويكثر فيه رزق العاصى ويقل فيه رزق المؤمن الطائع الفاضل فاذا صار الامر الى ذلك الزمان حببت الدنيا الى أهل ذلك الزمان ففقدوا القناعة فمنعتهم عن محبة الاخرة . فاذا فعلوا ذلك سلطت عليهم سيف النقمة وأغليت أسعارهم وجعلت الصغير لا يوقر الكبير وابتليتهم بالفسق والفجور وذلك جزاؤهم عندى .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . لكل شىء زكاة وزكاة الدار بيت الضيافة . وقال أيضا . طعام السخى دواء وطعام البخيل داء .

وقال مولانا السيد عبد الرحيم القنانى لتلميذه أبى الحسن

الصباغ القوصى . يا أبا الحسن . عشرة خصال يبغضها الله تعالى لعشرة . البخل فى الاغنياء . والكبر فى الفقراء . والطمع فى العلماء . وقلة الحياء فى النساء . وحب الدنيا على الشيوخ وحب الكسل فى الشبان . والحدة فى السلطان . والجبن فى الغزاة والعجب فى الزهد . والرياء فى العبادة . وعدم القناعة بما فى اليد يورث الشراهة والفقر .

والقناعة تورث التواضع والبعد عن الكبرياء لان التواضع من أجل الصفات ومن أكمل ما يتحلى به الانسان وأشرفها . قال الله تعالى (وبشر المخبتين) يعنى أهل التواضع . وقال تعالى (وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا) معناه متواضعين وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرعى الغنم ويعود المرضى ويجيب دعوة العبد ويشيع الجنازة ويركب الحمار ويعلف البعير والشاة . ويخصف نعله ويرقع ثوبه . ويأكل مع الخادم ويحمل حاجته من السوق الى أهله . ويصافح الغنى والفقير ويبدؤهما بالسلام ويجلس مع أصحابه كواحد منهم أما معلما أو ناصحا أو مشاورا فى أمر هام . وقد قال عليه الصلاة والسلام طوبى لمن تواضع من غير منقصة وأذل نفسه فى غير مسكنة وأنفق مالا جمعه فى غير معصية .

ثم قال القنائى رضى الله عنه أيضا . ان الله خلق النفس شر الاشياء وهى مطيتك وأنت محتاج اليها ومثلها كمثل السارق الواقف على متاع البيت وهى قرينة الشيطان ومأوى كل سوء ولها صفات مذمومة تحب الشر وتبغض الخير تخالف العقل وتوافق الهوى . وهى فى الشبع مثل السبع وفى الجوع مثل الهر وفى الامن مثل الاسد والنمر . ومن سوء عاداتها . تخاف من الفقر والقلة ولا تخاف من الله تعالى وعذابه الاليم . وهى قنطرة الشيطان ولها أنصار وأعوان . مثل الدنيا وزهرتها والهوى والشيطان ولكل واحد من أعوانها جنود ووفود وحشم . من زينة الحياة الدنيا مثل كثرة النوم وكثرة الاكل وكثرة الضحك ومحبة مجالسة الاشرار وحب الدنيا حتى الفتنة والكبر والحسد والنميمة وفقد القناعة . والعوائد الذميمة وارتكاب المعاصى واللعب الغير مشروع وحب الضرر للناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ضرر ولا ضرار . وقال أيضا المؤمنون كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر . ثم قال رضى الله تعالى عنه الاداب أربعة أنواع . الاخلاق الحميدة . والشيم الحسنة . والسياسات الواضحة . والمعاشرات الطيبة . ثم قال روى عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال سألت جبريل عليه السلام أتنزل بعدى الى الارض . قال جبريل نعم . أنزل عشر مرات . أرفع جواهر الارض . الاولى أنزل مرة أرفع البركة . والثانية أرفع الشفقة من قلوب العباد .. الثالثة أرفع الحياء من النساء . الرابعة أرفع العدل من الامراء . الخامسة أرفع المحبة من قلوب الخلق . السادسة أرفع الصبر والقناعة من قلوب الفقراء . السابعة أرفع السخاء من الاغنياء . الثامنة أرفع العلم من صدور العلماء . التاسعة أرفع القرآن من المصاحف . العاشرة أرفع الايمان من أهل الايمان .. نسأل الله العفو والعافية وان يرزقنا القناعة .

قال الامام على كرم الله وجهه . طلبت الرفعة فوجدتها فى التواضع . وطلبت الرياسة فوجدتها فى العلم . وطلبت النصرة فوجدتها فى الصبر . وطلبت العبادة فوجدتها فى الورع . وطلبت الغنى فوجدته فى القناعة . وطلبت الشكر فوجدته فى الرضى . وطلبت الراحة فوجدتها فى ترك الجهد وطلبت ترك الغيبة فوجدتها فى الخلوة . وطلبت الملك فوجدته فى الزهد . وطلبت الصاحب فوجدته فى العمل الصالح . وطلبت العافية فوجدتها فى الصمت . وطلبت الانس فوجدته فى تلاوة القرآن . وطلبت ثقل الميزان فوجدته فى ذكر الله دائما . وطلبت البر فوجدته فى السخاء . وطلبت المروءة فوجدتها فى الصدق . وطلبت السعادة فوجدتها فى حب الله ورسوله وطاعة الوالدين الا فى معصية الله تعالى .

رضى الله تعالى عن السلف الصالح ونفعنا الله من أدبهم لنعمل به ورزقنا القناعة حتى نرضى اذ أننا أصبحنا كما يقول الشاعر :

ونحن فى غفلة عما يراد بنا
ننسى لشقوتنا من ليس ينسانا

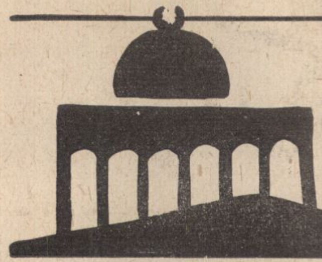

المسجد الذى

اذا كان الله سبحانه قد خص بقاعا فى الارض بالطهر والبركه فهى المساجد التى ورد فيها قول النبى صلى الله عليه وسلم « خير بقاع الارض المساجد ، وشرها الاسواق » وأن من هذه المساجد ماهو مبارك من حيث هو مسجد ، وما هو مبارك فيما حوله ، يستمد بركته منه ، ويتشرف بالانتساب اليه والاتصال به ، قال تعالى « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله » بارك الله فى البقعة التى يقع فيها حيث كانت مهبط الوحى على أنبياء الله . وحيث دفن فيها عدد كبير من الرسل الكرام ، وحيث كانت أرضها طيبة تنبت بالخير الكثير .

هذا المسجد المبارك العظيم ، والبقعة المباركة من حوله ، زادت بركة وشرفا باسراء رسول الله صلى الله عليه وسلم اليها ، وبانتشار الاسلام فيها ، وبانطلاق الفتوح منها ، وبما وردت به الاثار من اختيارها لتكون محشر الناس يوم القيامة .

لقد انتظم الفضل هذا المسجد العظيم مع المسجدين الكبيرين اللذين شرفهما الاسلام ، وهما المسجد الحرام بمكة ، ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، فجاء فى الحديث الصحيح أن الرحال التى تنشد الخير وتنتجع البركة ، لاينبغى أن تشد وتهيأ وتزود الا لهذه الاماكن الثلاثة ، حيث يزداد فيها الفضل ويكثر الخير ، ففى الحديث الشريف أن الصلاة فى المسجد الحرام بمائة ألف صلاة فيما سواه . والصلاة فى مسجد المدينة بألف صلاة فيما سواه ، والصلاة بالمسجد الاقصى بخمسمائة صلاة .

هذا التكريم العظيم ان دل على شىء فانما يدل على انصاف الاسلام للاديان السماوية الاولى ، وتكريمه لاثار الانبياء السابقين ، مسجد أقامه سليمان لعبادة الله الحق ، لا ينبغى أن يحتقر أو يهمل ، بل يجب أن يحترم ويكرم ، لانه مكان العبادة ، التى هى وسيلة التقرب الى الله ، حشر الله فيه الانبياء ليلة الاسراء ليصلى بهم محمد عليه الصلاة والسلام ، ايذانا بأن الانبياء فى مهمتهم السامية وهى الدعوة الى التوحيد والاصلاح ، أسرة واحدة كما جاء فى الحديث الصحيح « الانبياء اخوة من علات ، أمهاتهم شتى ، ودينهم واحد » .

ويؤكد تكريم الاسلام لاثار السابقين ما روته كتب التاريخ ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، عندما ذهب ليتسلم مدينة القدس من الرومان ، سأل البطريرك عن موضع المسجد الاقصى الذى وضع أساسه سليمان أو داود عليهما السلام ، فدله على عمود داود ، وعلى كرسى سليمان ، فوجده مغمورا بالقمامة : فغرس عمر عباءته وأخذ ينزع فيها القمامة عن مكان المسجد ويلقيها فى الاودية ، واقتدى به قادة المسلمين ورؤساء الجند حتى طهروه ، ثم بنى عليه مسجدا مبسطا من الخشب تواردت عليه أيدى الاصلاح بعد ذلك .

عندما نذكر هذا التكريم العظيم الذى أبداه الاسلام نحو المسجد الاقصى ، نذكره بالفخار لهذا الدين ورجاله ، الذين يسعون دائما الى الكمال ، ويتجهون بشعورهم وأعمالهم نحو السلام ، الذى يجمع الانسانية على الثقة المتبادلة والتعاون المشترك من أجل خير الجميع ، ثم ترجع بنا الذاكرة الى الصورة التى وضعتها بطاركة المسيحية فى القدس أمام عمر ابن الخطاب رضى الله عنه وهو يكتب لهم عهد الامان ليتسلم منهم البلد حيث قال فى نص العهد المحفوظ فى بطريركية الروم الارثوذكس بالقدس :

« هذا ما اعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين اهل « ايلياء » من الامان : أعطاهم أمانا لانفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم ، سقيمها وبريئها وسائر ملتها ، أنه لاتسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من خيرها ولا من صلبهم ، ولا من شىء ، من اموالهم ولا يكرهون على دينهم ، ولا يضار احد منهم » .

وشهد عليه خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبى سفيان ، وكان ذلك سنة خمس عشرة هجرية .

باركنا حوله

فضيلة الشيخ عطية صقر

ان الصهاينة اليوم وهم يدنسون حرمة المسجد الاقصى ، ويحاولون ازالته بأساليبهم الملتوية ، هم على شاكلتهم الاولى وطبعهم القديم، قوم لايرعون كرامة لدين ولا احتراما لمقدسات ، وهذه النقطة الحساسة فيهم ستجعلهم دائما أمة منعزلة أنانية .

ليس المسلمون فقط هم الذين يواجهون بالتحديات الصهيونية بل المسيحيون أيضا ، وهذا العهد شاهد صدق ، ولذا وجب أن تتكتل الديانتان ضد هذا الفجور الصهيونى ، ذلك الفجور العريق فيهم من يوم أن دبروا المكيدة لقتل المسيح ، ومن يوم أن حاولوا قتل محمد عليه الصلاة والسلام .

ان الالتحام لابد واقع بين المسلمين والصهاينة ، وهو التحام سيتحدث عنه التاريخ ، لانه مسطور فى كتاب الغيب الذى اطلع عليه محمد صلى الله عليه وسلم باذن ربه ، فأخبر أن الساعة لا تقوم حتى يقاتل المسلمون اليهود ، وفى هذا القتال سيكون النصر باذن الله للمسلمين ، يدل عليه أن اختفاء اليهودى وراء ما يستره ويتقوى به على المسلمين لاينجيه من القتل ، فان الحديث الشريف يقول : حتى يختبىء اليهودى وراء الحجر او الشجر فيقول الحجر او الشجر، يا مسلم أو يا عبد الله هذا يهودى ورائى فاقتله .

انه لابد من معركة فاصلة معهم لانهم ليسوا أعداء للعرب فقط أو للمسلمين والمسيحيين فقط ، بل هم أعداء الانسانية كلها وأعداء الله سبحانه ، وذلك بانحرافهم عن صراط الله واحتقار الكتاب الذى أنزله الله عليهم ، والاستعاضة عنه بكتاب وضعوه حسب أهوائهم وزعموا أنه أفضل من كتاب الله ، فالله سبحانه عندما أمرنا باعداد القوة بين لنا أن المقصود منها ارهاب العدو ، الذى هو عدو الله قبل أن يكون عدو المسلمين ، يشير اليه أسلوب التقديم فى قوله تعالى « **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم** » .

ان النبى صلى الله عليه وسلم حين أخبر ان المعركة لابد قائمة ولن تقوم الساعة حتى يكون الالتحام بين المسلمين واليهود ، كان القدر يهىء الفرصة لهذا اللقاء ، ولعل هذا اللقاء يكون فى هذه البقعة الطاهرة التى اغتصبوها بحيلهم الخبيثة ، تلك البقعة التى ما رضوا بها بديلا ، وقد كانت لهم فرصة أن يتجمعوا فى بلد بعيد ، لكنهم أصروا على هذا المكان التاريخى ، وذلك لحكمة من صنع الله وحده ، يهىء بها الفرصة للالتحام الذى أخبر عنه الرسول . ذلك الالتحام الذى سيكون على يد المسلمين ، المسلمين الذين يكثرون فى هذه المنطقة المباركة ، والذين ان نأت بهم الديار فى شرقى الدنيا وغربيها فهم يد واحدة على من سواهم ، لابد أن يكونوا بكل ما يملكون من قوة بشرية ومالية وفكرية وغيرها مشتركين اشتراكا فعليا فى هذه المعركة ، لانها معركتهم جميعا ، ولانها الجهاد الحق المشروع الان ، الذى ترخص فيه الارواح والاموال .

أيها المسلمون فى جميع أنحاء العالم . خلصوا المسجد الاقصى من يد العابثين الآثمين ، ومهدوا الطريق اليه حتى يعمر بكم ، وتعود فيه الطمأنينة للمترددين عليه منكم ، وثقوا أنكم منصورون باذن الله اذا صدقتم العزم واخلصتم النية ، وعشتم مع المعركة بأحاسيسكم وأفكاركم وسلوككم .

وأعود فأكرر فضل هذا المسجد وأجر المترددين عليه، لتجتهدوا فى دعوة الخير بالجهاد المقدس، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لما فرغ سليمان بن داود عليهما السلام من بناء بيت المقدس سأل الله عز وجل ثلاثا أن يعطيه حكما يصادف حكمه ، وملكا لا ينبغى لاحد من بعده ، وأنه لا يأتى فى هذا المسجد أحد لا يريد الا الصلاة فيه الا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما ثنتان فقد أعطيهما ، وأرجو ان يكون قد أعطى الثالثة .. رواه أحمد والنسائى وابن ماجة ، وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما والحاكم وصححه .

التزام الرسم العثمانى فى كتابة المصحف الشريف

فضيلة الشيخ محمود خليل الحصرى

كان النبى صلى الله عليه وسلم له كتاب يكتبون الوحى وقد كتبوا القرآن كله بهذا الرسم العثمانى واقرهم الرسول على كتابته ، وانتقل الرسول الى الرفيق الاعلى وقد كتب القرآن على هذه الكيفية المخصوصة ، لم يحدث فيها تغيير ولاتبديل .. ثم تولى الخلافة بعده أبو بكر فكتب القرآن كله فى الصحف على هذه الهيئة ، ثم جاء عثمان فنسخ المصاحف العديدة من صحف أبى بكر وكتبها كلها على هذا الرسم أيضا . ووزعها على الامصار لتكون اماما للمسلمين . ولم ينكر أحد من الصحابة على أبى بكر ولا على عثمان بل ظفر كل منهما باقرار جميع الصحابة لعملهما ثم جاء عصر التابعين وأتباع التابعين والائمة المجتهدين ولم يثبت أن أحدا منهم حدثته نفسه بتغيير رسم المصاحف وكتابتها برسم آخر يساير الرسم المحدث بل ظل هذا الرسم منظورا اليه بعين التقديس والاكبار . فى سائل العصور المختلفة والازمان المتفاوتة مع أنه قد وجد فى تلك العصور المختلفة اناس يقرءون القرآن ولايحفظونه وهم فى الوقت نفسه لايعرفون من الرسم الا ماوضعت قواعده فى عصر التأليف والتدوين وشاع استعمالها بين الناس فى كتابة غير القرآن ولم يكن وجود هذا الصنف من الناس مما يبعث الائمة على تغيير رسم المصحف بما تقضى به تلك القواعد .

واذا كان هذا الرسم قد حظى باقرار الرسول صلى الله عليه وسلم واجماع الصحابة . واتفاق التابعين واتباعهم والائمة المجتهدين عليه فلا يجوز العدول عنه الى غيره خصوصا وانه أحد الاركان التى تنبنى عليها صحة القراءة — واليك نصوص أئمة الدين واعلام الاسلام فى ذلك .

روى السخاوى أن مالك بن أنس أمام دار الهجرة سئل : أرأيت من استكتب مصحفا أرأيت أن يكتب على مااستحدثه الناس من الهجاء اليوم ؟ فقال : لاأرى ذلك ولكن يكتب على الكتبة الاولى : قال السخـاوى : والذى ذهب اليه مالك هو الحق اذ فيه بقاء الحالة الاولى الى أن تعلمها الطبقة الاخرى بعد الاخرى ولاشك ان هذا هو الاحرى اذ فى خلاف ذلك تجهيل الناس بأولية مافى الطبقة الاولى أ.هـ.

وقال أبو عمرو الدانى : لامخالف لمالك من علماء هذه الامة . وقال الدانى أيضا سئل مالك عن الحروف فى القرآن مثل الواو والياء والالف أترى أن يغير من المصحف اذا وجد فيه شىء من ذلك ؟ قال لا قال أبو عمر يعنى الواو والياء والالف الزائدات فى الرسم . المعدومات فى اللفظ ، نحو « لأاذبحنه » ، و « بأييد » و « أولوا » وهكذا وقال الامام أحمد بن حنبل : تحرم مخالفة خط مصحف عثمان فى واو أو ألف أو ياء أو غير ذلك وقال صاحب المدخل : ويتعين على كاتب المصحف ان يترك مااحدثه بعض الناس فى هذا الزمان من نسخ المصحف على غير المرسوم الذى اجتمعت عليه الامة وقال النيسابورى وقال جماعة من الائمة ان الواجب على القراء والعلماء وأهل الكتاب أن يتبعوا هذا الرسم فى خط المصحف فانه رسم زيد بن ثابت وكان أمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وكاتب وحيه . وقال البيهقى فى شعب الايمان : من كتب مصحفا ينبغى أن يحافظ على الهجاء الذى كتبوا به تلك المصاحف ولايخالفهم فيه ولايغير مما كتبوه شيئا فانهم كانوا أكثر علما وأصدق قلبا ولسانا واعظم أمانا منا فلا ينبغى أن نظن بأنفسنا استدراكا عليهم ونقل الامام الجعبرى وغيره اجماع الائمة الاربعة على وجوب اتباع رسم المصـحف العثمانى .

والذى تطمئن اليه النفس ويوحى به الدين وتهدى اليه الادلة هو التزام الرسم العثمانى للامور الاتية :

أولا : ان ماأورد أصحاب هذا القول من نصوص علماء الاسلام ظاهر فى وجوب التزام الرسم العثمانى فى كتابة المصاحف .

ثانيا : أن قواعد الاملاء والهجاء الحديثة عرضة للتغيير والتنقيح فى كل عصر وفى كل جيل وحيطتنا للكتاب العزيز وتقديسنا له يضطرنا الى أن نجعله بمنأى من هذه التغييرات فى رسمه وكتابته .

ثالثا : أن تغيير الرسم العثمانى ربما يكون مدعاة — من قريب أو من بعيد — الى التغيير فى جوهر الالفاظ والكلمات القرآنية . وفى ذلك مافيه من الفتنة الكبرى والشر المستطير وسد الزرائع مهما كانت بعيدة أصل من أصول الشريعة الاسلامية التى تبنى عليها الاحكام ، وماكان موقف الائمة من الرسم العثمانى الا بدافع هذا الاصل العظيم مبالغة فى حفظ القرآن الكريم وصيانة له من العبث .

رابعا : فى هذا الرسم خصائص ومزايا كثيرة وقد تكفل علماء الرسم ببيانها فارجع اليها ان شئت . واما مايتعلل به المعارضون من أن كتابة المصاحف على الرسم العثمانى توقع الناس فى حيرة وارتباك .. الخ ماقالوه فمردود بأن المصاحف فى هذا العصر . خصوصا المصحف الحكومى قد ضبطت بالشكل التام والفها الناس ومرنوا على القراءة فيها من غير حرج ومشقة ومن قرأ « التعريف بالمصحف الاميرى — الموضوع فى ذيله يستطيع ان يقرأ فى المصحف بغاية اليسر والسهولة » وبناء على هذا :

يجب على كاتب المصحف وناشره : أن يتحرى كتابته على قواعد الرسم العثمانى ولايخل بشىء منها بزيادة أو نقص أو اثبات او حذف صيانة للقرآن الكريم من عبث العابثين واقتداء بالصحابة والتابعين والائمة المجتهدين واعلام الاسلام فى سائر الاعصار والامصار ، لافرق فى ذلك بين المصاحف الكاملة والمصحف الصغيرة « الاجزاء » التى يتعلم فيها الصغار ومن فى حكمهم من الكبار ليتمرنوا على قواعد هذا الرسم منذ نعـومة أظفارهم وعلى معلمى القرآن حيثما كانوا لايدخروا وسعا فى تعليم أبنائهم تلك القواعد من الصغر . حتى يشبوا وقد وقفوا عليها . واحاطوا بها خبرا واصبحت القراءة فى المصحف شجية لهم وميسورة عليهم ويجب على كاتب المصحف أيضا أن يرسم الكلمات رسما يوافق الرواية التى يكتب المصحف عليها ولو احتمالا فيرسم « وسارعوا » باثبات الواو اذا كان يكتب على رواية حفص مثلا : ويرسم « مالك يوم الدين » على رواية حفص أيضا بحذف الالف لان رسمه كذلك يوافق رواية حفص احتمالا فيمتنع رسم الكلمات بما لايوافق الرواية لاصراحة ولا احتمالافتأمل.

ويستحب من كاتب المصحف ـ وكذا ناشره ـ ان يجتهد فى تحسين كتابته وايضاحها وتبيين حروفه وتجويدها وان يكتبه فى حجم كبير احتراما للقرآن الكريم ، وتعظيما لشأنه ولذلك ورد أن عمر بن الخطاب وجد مع رجل مصحفا قد كتبه بخط دقيق فكره ذلك عمر وضرب الرجل وقال له « عظموا كتاب الله » وتجوز كتابة المصحف بالذهب وقد استحسن هذا الامام الغزالى ولكن ورد عن ابن عباس وابى ذر وابى الدرداء أنهم كرهوا ذلك ، وقد مر على ابن مسعود رجل يحمل مصحفا قد زين بالذهب فقال ابن مسعود : ان احسن مازين به المصحف تلاوته بالحق ويجوز نقط المصحف وشكله .

وقد كرهه جماعة من السلف ، وروى عن الامام مالك انه أباح نقط المصحف وشكله فى مصاحف الصغار ومن فى حكمهم من الكبار ومنع ذلك فى الامهات اى المصاحف الكاملة وعن الحسن وابن سيرين انهما قالا لابأس بنقط المصحف ، وعن ربيعة بن أبى عبد الرحمن أنه قال لابأس بشكل المصحف وقام الامام النووى من كبار علماء الشافعية : نقط المصحف وشكله مستحب لان ذلك صيانة له من اللحن والتحريف ، وقال الامام الدانى فى كتاب النقط « والناس فى جميع امصار المسلمين من لدن التابعين الى وقتنا هذا على الترخيص فى ذلك ـ اى فى نقط المصحف وشكله ـ فى الامهات وغيرها ولايرون بأسا برسم فواتح السور وعدد آياتها ورسم الخموس والعشور فى مواضعها والخطأ مرتفع عن اجماعهم أ.هـ.

والذى آراه أن نقط المصحف وشكله كاملا واجب فى هذا الزمن لتيسير قراءة القرآن على سائر الناس وللمبالغة فى صيانته من اللحن والتحريف ، وتجوز كتابة اسماء السور وعدد آياتها وبيان كون السورة مكية او مدنية من غير تعرض لذكر المستثنيات لعدم الاتفاق عليها كما تجوز كتابة علامات الاجزاء والاحزاب والارباع والسجدات وعلامات الوقوف وارقام الايات وعلامات فواتح السور وخواتيمها وقد كره ذلك كله جماعة من السلف لقول ابن مسعود: جردوا القرآن ولا تخلطوا به ماليس منه .

والذى أراه أن ذلك كله لابأس به واليه جنح جماهير العلماء من السلف والخلف كما تقدم عن الدانى ويجوز تحلية المصحف بالفضة اكراما له على الصحيح فقد أخرج البهيقى عن الوليد بن مسلم قال : سألت مالكا عن تفضيض المصحف فأخرج الينا مصحفا فقال : حدثنى أبى عن جدى انهم جمعوا القرآن فى عهد عثمان رضى الله عنه وانهم فضضوا المصاحف على هذا ونحوه . واما بالذهب فالاصح جوازه للمرأة دون الرجل وخص بعضهم الجواز بنفس المصحف دون غلافه المنفصل عنه والا ظهر التسوية والله أعلم .

المشـاورة

قال الشيخ الامام ابو الحسن الماوردى [رحمه الله] فى كتاب ادب الدين والدنيا : ومن الحزم لكل ذى لب ان لا يبرم امرا ، ولا يمضى عزما الا بمشورة ذى الرأى الناصح ومطالعة ذى العقل الراجح ، فان الله [تعالى] امر بالمشورة نبيه [صلى الله عليه وسلم] مع ما تكفل به من ارشاده وعونه وتأييده فقال [تعالى] :

« وشاورهم فى الامر » ".

قال قتادة : امره بمشاورتهم تألفا لهم وتطبيبـا لانفسهم .

وقال الضحاك : امره بمشاورتهم لما علم فيهـا من الفضل .

وقال حسن البصرى : امره بمشاورتهم ليستن بها المسلمون ويتبعه فيهـا المؤمنون وان كان عن مشاورتهم غنيا .

وقال عمر بن الخطاب [رضى الله عنه] : الرجال ثلاثة : رجل ترد عليه الامور فيصدرها برأيه ، ورجل يشاور فيما اشكل عليه وينزل حيث يأمره اهـل الرأى ، ورجل حائر بائر لا يأتمر رشدا ولا يطيع مرشدا .

وقال على بن أبى طالب [كرم الله وجهه] . نعم المؤازرة المشاورة ، وبئس الاستعداد الاستبداد .

* * *

« دعاء عند الخروج من الدار »

يقف الداعى فترة لدى باب داره أو أية دار يريد الخروج منها ويقول : ـ

« بسم الله ، توكلت على الله ، ولا حول ولا قوة الا بالله ، اللهم رب اعوذ بك أن أضل او اضل ، او ازل او ازل ، أو أظلم أو أظلم ، أو أجهل او يجهل على » .

● ثم يمضى فى طريقه قائلا : ـ

« اللهم بك انتشرت ، وعليـك توكلت ، وبك اعتصمت ، واليك توجهت ، اللهم انت ثقتى ،وانت رجائى ، فاكفنى ما أهمنى وما لا أهتم به ، وما أنت أعلم به منى ، عز جارك ، وجل ثناؤك ، ولا آله غيرك ،اللهم زودنى التقوى واغفر لىذنبى ،ووجهنى الى الخير اينما توجهت » .

فقد ورد ان الملائكة تدعو له حينئـذ بالهداية والوقاية والكفاية .

١٣٩٠

العام الهجرى الجديد

"نصر من الله وفتح قريب"

الهجرة النبوية
وأثرها
فى صنع المجتمع المثالى

فضيلة الشيخ ابراهيم الدسوقى

على مشارف مكة وفى لحظة من لحظات التاريخ الخالدة تلفت الزمن وفتح عينيه ليرى كيف يمكن للقلة المؤمنة أن تغير مجرى الحياة • وتقهر تيارها العرم وتفتح فى سجل الخلود باب الامل فى الحياة بعد يأس• والقوة بعد ضعف والحركة المنطلقة الى غايتها بعد طول ركود ودعة• لقد تمثلت كل هذه المعانى فى هذه الفينة من الوقت ، تلك التى كانت الفيصل بين حياة كان الاسلام فيها بأهله غريبا ، فالارض تميد من تحته ، والمؤمنون يسامون العذاب بسببه وتحيط بهم الوان العنت بقسوتها وشدتها دون شفقة أو رحمة • وهم أمام ذلك كله أقوى من الالم وأكبر من الخضوع والاستسلام •

لقد فقدوا الامن على أنفسهم من أعدائهم وقد تحقق لهم من داخلهم باطمئنانهم الى قدر الله فيهم ، وحوربوا فى أرزاقهم فكان فى الكفاف من العيش الغنى كل الغنى لهم ، وقلاهم الاهل والرفاق والاصحاب والاحباب وأبدلهم الله بالرضى عنهم خيرا منهم ، وهكذا كان المسلمون وليس لهم من أسباب البقاء ما يكفل لهم كيانا تراعى مكانته وتخشى سطوته ، أو وجودا يفرض على المجتمعات والامم حقه وحريته ومع ذلك كله فقد كانت شيمتهم الصبر ، وخلقهم الثبات ، وسبيلهم الاستعلاء على جميع الصعاب والعقبات وليس ذلك بالامر العجيب ، فقد صنعهم على ذلك القرآن وزودهم بأقوى الاسلحة الايمان فما وهنوا لما أصابهم وما ضعفوا وما استكانوا لضر حاق بهم ، بل تلمسوا لتحقيق آمالهم كل سبيل وكانت الهجرة التى أرادها الله لتكون

للمؤمنين فتحا ونصرا ودينا ودنيا وتشريعا ودولة .
لقد كانت كذلك وأكثر من ذلك وناهيك بالاغلال وقد حطمت وبالقيود وقد كسرت وبالظلام وقد انقشعت غياهبه ، وبالارض التى كانت ضيقة بالمسلمين ، وقد أبد لهم ربهم بها ما لايحده حد، ولايحيط به وصف ، انه عز الحياة ، ورضوان الله يوم ينظر المرء ما قدمت يداه .

والاسلام الذى جاء به نبينا صلى الله عليه وسلم للناس كافة بشيرا ونذيرا ، لا يستطيع أن يأخذ فى دنيا الناس مكانه الحقيقى ، الا حين تنتظمه باهله أرض يعيش عليها آمنا ، وعلاقات تجمع بين ابنائه على الحب والود ، ويستطيع من خلالها أن يوثق عرى الانسانية بينه وبين مخالفيه ، ولقد كان هذا نهج الدين الاسلامى الحنيف الذى آمن بأن المجتمع كائن حى يقوى اذا قويت أعضاؤه واكتملت وسائل حياته وتوفرت العافية لكل أجزائه .

والاسلام حين أراد أن يقيم المجتمع الصالح نظر اليه من خلال لبناته التى يتألف منها وعمد أولا الى تكوينه التكوين السوى السليم فرباه جسميا وتعهده بكل ما ينميه ويجعله أهلا للقيام بجميع مسئولياته ، ورعاه عقليا وغذاه بالمعارف النافعة وكفل له فى الارض أسباب عيشه ويسر له فى الكون وسائل بقائه وسعادته قال تعالى : **« الله الذى خلق السموات والارض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بامره وسخر لكم الانهار ، وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه »** .

وقال : **« قل أرأيتم أن جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بضياء افلا تسمعون . قل أرأيتم أن جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه افلا تبصرون ، ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون . »**

ولقد كان ذلك كفيلا بتذكير الانسان بمبدع هذه الكائنات فى كل أحيانه كما يذكره به صوت المؤذن لكل صلاة ودعوة الخير تنطلق بها الالسن وتتحرك بها الشفاه ومعالم الهدى والنور فى الارض متمثلة فى بيوت الله التى كانت اول ما فكر فيه صلوات الله عليه حين وطئت مهاجرة قدماه .

لقد أراد الله أن تكون الهجرة خاتمة الطريق لاقامة المجتمع المسلم حيث الارض الهادئة والجو المعتدل والقلوب الوادعة والاخلاق الرحيمة ، هناك فى المدينة (يثرب) التى فتحت ذراعيها لاستقبال المسلمين استقبال الغائب العزيز شوقا اليه وحبا له ورغبة فى لقائه ، وسعتهم أرضا . وأولتهم خيرا وأضفت عليهم من برها ومنحهم أهلها حبا وودا وصفاء وطهرا تمثل فى حياتهم عملا تتمدح به الاجيال وتذكره بالفخر والاكبار ، وتشرق به افاق النفس الخيرة ، عملا استعلوا به على الانانية المقيتة والاثرة البغيضة ، الامر الذى أحال حياة المهاجرين لونا جديدا وكأن شيئا لم يتغير بهم سوى الارض التى درجوا عليها صغارا ونموا عليها وعاشوا كبارا أما الوجوه اليابسة فى مكة فقد أبدلهم الله خيرا منها وجوها مسفرة متبشرة ، والحياة الكالحة المضطربة تغيرت الى حياة هادئة راضية ، وقسوة المجتمع التى عانوا منها الكثير رأوا خيرا منها جوارا غير الجوار ، وصلات هى أكرم الصلات ، وعلاقات الايمان وصلات التقى فى الله الواحد الديان ، جدورها ثابتة وفروعها فى السماء ، انها أصرة وحسبك أنها تستمد وجودها من واهب الوجود ولا تعرف فى أهلها لسانا أو لونا كما تذوب فى بوتقتها الفوارق الاجتماعية والحدود .

ومن هنا كانت الهجرة قوة دافقة زلزلت كيان الباطل ودكت حصونه وهددت وجوده لكنها لم تروع امنا ولم تهدم عامرا ولم تهدر كرامة آدمى أو تتركه فى الحياة مضيعا ، وانما كانت على الانسانية روحا وريحانا وبردا وسلاما أخرجتها من ظلمتها وأنقذتها من ورطتها . وهدتها فى حيرتها ودفعت بها الى طريق الخير والصلاح .

لقد اقامت حياة جديدة فى ظلها أقام المسلمون دولة وطيدة الاركان سامقة البنيان يتغلغل فى أرجائها الحب ، وتزداد على الزمان قوة بالعقيدة التى ازدانت بالقول السديد والعمل النافع الرشيد ، ولقد كان المسجد نقطة الدائرة ومركزها وفى فلكه التقت جميع روافد الخير ومنه انطلقت جميع طاقات البناء الصالحة تسرى فى شرايين الامة مثمرة العزة والسيادة والحرية والتمكين ، لقد كان مدرسة العلم ودار القضاء ونفير الحرب وميدان التربية الروحية والجسمية والسبيل الى تجديد العهد مع الله عز وجل عن طريق الجماعات والجمع وأداء الصلاة حتى كانت كل اعمالهم على عين منه فانتهوا فيما بينهم عن الفحشاء والمنكر ، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ، وتخلصوا من الشح والطمع ، وخلعوا اليأس والعبودية لغير الله، ودانوا بالطاعة لمن له الملك والحمد وهو على كل شئ قدير ، واستجابوا لندائه فى المنشط والمكره والعسر واليسر وعاشوا وكأن الجميع جسم يوجه دفة الحياة فيه فكر واحد وعقل واحد ويدفعه الى العمل ارادة واحدة وقلب واحد . يستمد هداه من معين واحد هو واهب الخير والجود ومانح الحياة لكل موجود .

لذلك لم يكن عجبا أن انصهرت فيهم كل الفوارق وذابت بينهم جميع الحواجز وقضت الهجرة فى محيطهم على كل اسباب الخلاف وهيأتهم لهذا العقد النبوى المبارك عقد الاخوة فى الله تلك التى كانت وهى أعظم ثمار الايمان اليانعة .

ولقد كانت أول خطبة خطبها صلى الله عليه وسلم فى المدينة ما أخرجه البيهقى بسنده الى عبد الرحمن ابن عوف حيث قال قام صلى الله عليه وسلم فى

المسلمين خطيبا فحمد الله وأثنى عليه بما هو آهله ثم قال : أما بعد أيها الناس فقدموا لانفسكم تعلمن والله ليصعقن أحدكم ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ثم ليقولن له ربه ليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه ألم يأتك رسولي فبلغك وآتيتك مالا وأفضلت عليك فما قدمت لنفسك فينظر يمينا وشمالا فلا يرى شيئا ثم ينظر قدامه فلا يرى غير جهنم . فمن استطاع أن يقي نفسه من النار ولو بشق تمرة فليفعل ومن لم يجد فبكلمة طيبة فان بها تجزى الحسنة عشر أمثالها الى سبعمائة ضعف والسلام عليكم ورحمة الله .

نعم لقد كان من آثار هذه التربية الربانية هذا الاخاء الذي يتحرك فيه الفرد بروح الجماعة ومصلحتها وآمالها ، فلا يرى لنفسه كيانا دونها ولا امتدادا الا فيها ، وكان النبي الاعظم صلى الله عليه وسلم الاخ الاكبر لهذه الجماعة المؤمنة لم يتميز عليهم بلقب اعظام خاص أو بصورة معينة أو مظهر فريد ولكن كان فيهما كما قال : « لو كنت متخذا من أمتي خليلا لاتخذته - يعني أبا بكر - خليلا ولكن أخوة الاسلام أفضل » .

والاخاء الصادق انما يقوم على شمائل نقية ومبادىء مرضية وعادات وتقاليد سوية يكون هذا الاخاء امتدادا لها وعنوانا عليها واعلانا عنها ، وكيف لا والانسان الذي قبسوا من نوره وداروا في آفاق عظمته هو الذي تجمع فيه ما تفرق في عالم الانسان من أمجاد ومواهب وفضائل وكمالات وهو القمة التي تهفو اليها البشرية في جميع المكرمات .

ولقد كانت عقود هذا الاخاء وهي فوق ما يمليه اخاء القرابة والدم والمصاهرة والنسب . فكان المهاجرون يرثون الانصار دون ذوي رحمهم للاخوة التي آخى النبي بها بينهم ، وهكذا تمت التربية الروحية وتأكدت العلاقة الاجتماعية على هدى من دين الله الذي لا يضل من اهتدى بهداه ، وناهيك بها علاقة سمت بأصحابها على كل القيم التي يعتز بها الانسان ويحيا بها قرير عين ولو أنفق في سبيلها ما ملكت يداه . روى البخاري عن ابن عباس قال كان المهاجرون لما قدموا المدينة يرث المهاجري الانصاري دون ذوي رحمه للاخوة التي آخى النبي بينهم فلما نزلت «ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون» نسخت ذلك ثم قال والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم ، من النصر والرفاهية والنعيم وقد ذهب الميراث ويوصى له ، وما أجمل الجزاء للانصار ذكرا يتردد في فم الزمان ويتعبد بتلاوته المسلمون في القرآن قال تعالى : والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون .

واذا كان الاسلام لكي يقيم الدولة الفاضلة قد وضع في الاعتبار الاول اقامة علاقات تنظم صلة الانسان بربه وصلة المسلمين بعضهم ببعض عن طريق الاخوة المخلصة . فانه كذلك رعى الجانب الانساني في مخالفيه دون أن يقيم لمعتقداتهم وزنا في توجيه معاملتهم وأقام معهم علاقات تهدف الى تبادل المنافع والتعاون في كل ما تصلح به الحياة ومحاولة توفير كل الحقوق الضرورية التي لا يستغنى عنها . وجعل ذلك كله مقررا في اطار ما أشار اليه قوله سبحانه : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين . انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون . »

وكان ذلك نهج النبي الاكرم في مهاجره ، فانه لما قدم المدينة وجد بها من اليهود ومن المشركين وكلهم ما بين مستوطن أو مستقر ، فقبل عن رضى وطيب نفس معايشتهم وعرض على الفريقين أن يعاهدهم معاهدة الند للند على أن لهم دينهم وله دينه . وضمن هذه المعاهدة من القواعد والشروط ما يكفل للجميع العيش الوادع الامن في ظل الحكم الاسلامي على أن يكونوا مع المسلمين يدا واحدة على من سواهم وأن تتجه همتهم جميعا لخير الجميع في تعاون وثيق واخلاص نقي عميق .

فقد أبى الباطل بأهله الا عنادا وقام في صلف وغرور يصد عن سبيل الله من آمن يريدها عوجا وكان جنده بالمدينة اليهود والوثنيين وكان حتما مقضيا أن يقف جند الحق في وجه الباطل يرده عن غايته ويضربه في قوة حتى يفرق جمعه ويمزق وحدته ويعمل جاهدا في مضمار الخير يمكن له ويرفع رايته وهو بعد الذي لا ينام على ضيم ولا يسكت على ظلم ولا يخدع من غفلة ولا يجبن بين يدي شدة . دستوره في ذلك قول الله سبحانه وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله وقوله وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون .

وشعاره قول القائل

لاتسقني ماء الحياة بذلة
بل فاسقني بالعز كاس الحنظل
ماء الحياة بذلة كجهنم
وجهنم بالعز أكرم منزل

فاذا كان الصهاينة ومشايعوهم اليوم يمعنون في الكيد للمسلمين والعرب فانها طريق أسلافهم يسيرون فيها ويترسمون خطاها ويهتدون بهديها .

وواجبنا اليوم ونحن في مستهل العام الهجري الجديد أن نحذو حذو أسلافنا في صدق لقائهم وأن تجدد العهد على أن نكون أهلا للامانة التي اختارنا الله لحملها ونكون بحق جند الله الذي نذر حياته وجميع ما يعتز به ليوم الفصل بيننا وبين أعداء البشرية اليهود ونمضي على طريق الكفاح حتى النصر غير واتين ولا متخاذلين والله معنا وهو ولينا وهو نعم المولى ونعم النصير .

طلائع الهجرة

الأستاذ عبد الحكيم النجار

ان بداية كل عام هجرى يعد فاصلا بين مرحلة من الزمان انتهت ومرحلة جديدة من الزمان اقبلت .. ولا بد بين هذا الاقبال المشرق المتجدد بمرور هذا التاريخ الطويل على المسيرة الكبرى التى قادها النبى العظيم محمد .. ، ان يقف الانسان وقفة الاعتبار واليقظة والتأمل . ولابد للمسلمين ان يتعرفوا موقفهم من الدنيا .. ومكانتهم من هذا العالم الواسع الشاسع . الذى ملىء بالاحقاد والصراعات المادية والاستهانة بالحريات .. واحتلال الانسان لاخيه الانسان .. فى هذا الجو المشحون بالغيوم وطلقات البارود .. ومع بداية مطلع عام هجرى جديد . يجب ان نتذكر هدى ربنا .. فان كنا على هذا الهدى الربانى زدنا به استمساكا .. وان كنا قد ابتعدنا عنه عدنا اليه سراعا .. فان هذا الهدى خير الدواء ونعم الشفاء .. ومطلع النور الذى يبدد الظلمات .. ويمهد لانطلاقة جديدة .. ترى فيها امة الاسلام والعرب ينبوع حياتها وتحقيق آمالها فى نصر عزيز كريم .. على كل من يريد ان يعتدى على مقدساتنا وحريتنا وكرامتنا واصدق الحديث كتاب الله تعالى وخير الهدى هدى سيدنا وقائدنا الرسول محمد فى حياته ودعوته وكفاحه .

موقعنا الجغرافى

ان المسلمين بضخامة عددهم الذى يبلغ مئات الملايين .. بموقعهم الجغرافى الخطير الذى يمثل عنصر الجلال والاهمية والقوة بين قارات العالم الست ، وبماضيهم المشرف بالبطولات والانتصارات والتضحيات وحاضرهم المشرق بما فى ايديهم من مواريث الهية تهدى الى الحق والى صراط مستقيم .. بذلك كله نستطيع بعون الله ان نحقق الغايات التى نسعى اليها بالعرق والدم والسلاح فى كفاح اسلامى لم ولن يشهده العالم بعد فى سبيل تحرير الارض والعرض . من العدو الغادر الذى لا يعرف سلاما قائما على العدل والحرية والمساواة .

ان المسلمين والعرب بكل هذا يستطيعون ان يواجهوا سفينة الحياة الانسانية خلال الامواج العاتية المتضاربة نحو شاطىء السلامة ومرفأ الامان الى النصر والتحرير ، والمسلمون فى شتى بقاع الارض يطالبهم دينهم بأن يكونوا اقوياء اشداء وان يحاربوا فى أنفسهم معانى الضعف والتفرقة « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين » ويدعوهم دينهم بأن يكونوا شرفاء اعزاء يرفرف عليهم علم القوة والصمود ..

« ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون .. صدق ربنا العظيم ....

رجال تركوا الدنيا وباعوها

ويحق علينا ونحن نستقبل عامنا الهجرى الجديد ان نستعرض النماذج الحية التى كانت طليعة مسيرة

الرسول القائد من مكة الى دارهجرته .. وكانت فى مواجهة هذا الحقد من ابناء قريش .. فقد اشتركوا فى الاعداد لها .. رجالا .. ونساء .. وشبابا.. وفتيانا .. وفتيات .. لم يعرفوا لانفسهم الا النصر او الاستشهاد فى سبيل عقيدتهم الصلبة .. ورفع كلمه قائدهم المصطفى صلى الله عليهوسلم ، فساهموا جميعا فى العمل الفدائى لنشر دينهم الجديد ونجاح رحلتهم الخالدة .. التى آمر الله بها نبيه الحبيب ، فقد كان فيها الصديق رضى الله عنه ، وعلى بن طالب ، وعبد الله بن ابى بكر ، وأسماء ، وعائشة ، وعامر بن فهيرة راعى غنم ابى بكر ومصعب بن عمير .. الذى مهد للدعوة النابتة فى المدينة قبل الهجرة .. وعبد الله بن اريقط وهو الدليل الذى صحب النبى وابا بكر من غار ثور الى المدينة ..

تضحيات وبطولات

لقد كان على .. على ان يبيت فى فراش الرسول .. ولهذا العمل خطورته لما فى قلوب قريش من حقد اسود للدعوة المحمدية .. وعليه بعد ذلك ان يقوم بردالودائع التى كانتعند الرسول لاصحابها ثم يقصد بالحاقه بالقائد الامين.. بعد نجاحهذه الخطة المحكمة فى وسط الصحارى المحرقة .. وكان على عبد الله بن ابى بكر .. ان يبقى فى مكة وسط قريش يسمع منهم مايقولون .. وينقلها الى الرسول .. فأدى عبد الله مهمته فى هدوء وتعقل .. وكانت اسماء تقوم باعداد الطعامللرسول وصاحبه وتحمله اليهما .. فى سرية وحذر .. الكل يعرف مكانه من التنظيم والتخطيط والعمل الذى كلف به ، فنجد عملا دقيقا . فهناك تخطيط للتموين والاخبار ، وعمليات رائعة للتغطية والاتصال المستمر بمكه .. وفتح الطريق الى المدينة .. والعمل على فتح طريق اخر فى الجنوب الشرقى اذا كان هناك خطر على مواصلة الرحلة .. بجانب قاعدة صلدة للعمليات على اعلى مستوى تنظيمى .. هذا بينما القوم الجاحدون يبحثون شمالا وغربا .. والانتظار فى الغار حتى يظن القوم انهم افلحوا فى اختراق الحصار الذى ضربوه ..

عناية الله

وكانت عناية الله تلازم هذه الجماعة المؤمنة .. تدفعهم الى تحقيق غاياتهم لانجاح اشرف قضية عرفها البشر ، قضية الاسلام الخالد .. التى من اجلها تحملوا جميعا .. صنوف العذاب والعنف والوان الكفر من قومهم ..ومعذلك فالتنظيم لم يترك اىشىء لصدفة .. وقد بلغ من دقتـه ان الكافرين كانوا اقرب مايكونون الى الحبيب وصاحبه .. فلم ينالوا منهما شيئا ..

هنا يجب ان نقف طويلا عند قول ابى بكر والايمان يشع من جوانبه ، وينبثق من هذا المكان الضيق .. ليشع نورا على الدنيا بأسرها .. والله يارسول الله .. لو نظر احدهم الى موضع قدميه لرآنا .. فيرد عليه الرسول : وهما فى هذا الموقف الحرج ، لا تحزن ياابابكر . ان الله معنا .. يدور هذا الحديث والقوم منشغلون الى النظر والتأمل لاثر العنكبوت والحمامة والغصن ..

دروس الهجرة

ان الهجرة قد تغير بها وجة الحياة فى المدينة ، ثم الجزيرة العربية ، وبالتالى تغير بها وجه التاريخ الاسلامى ، ودخل الناس فى دين الله افواجا ..

واننا اذ نعود ونستعرض بعض هذه الجوانب التى كانت فى الهجرة المحمدية الخالدة .. والايثار الذى كان فيها .. نود ان نأخذ منها دروسا ونماذج للفداء والتضحية وانكار الذات .. بجانب الاخلاقيات والبطولات .. وان نتاسى بصاحب الهجرة .. وما فيها ..ونحولها الى دروسيستفاد بهافى حياتنا النابضة الثائرة .. التى تدعونا الى التامل والبحث واليقظة .. للتحرك فى انطلاقة جديدة للوصول الى اهدافنا التى نسعى اليها .. والحفاظ على ديننا وبلادنا .. واعادة تخطيط حياتنا وفق تعاليم السماء .

وقد قال ربنـا « **الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لاتحزن ان الله معنا .. فانزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم ..**

عقيدة وكفاح

واخيرا . لقد هاجر الحبيب من مكة الى المدينة ، ومن قبل هاجر أكثر المسلمين ، فهل كانت هذه الهجرة فرارا من لقاء الموت ؟ لا .. ان المهاجرين كانوا وقود الغزوات والمعارك الكبرى التى دارت فى اصرار وصمود لانتكاس كل السلطات المستبدة وزوالها . فقد كان الاسلام يعرض عليهم ان يعيشوا من أجله حتى يكونوا له على ظهر الارض .. أمة راسخة البناء قوية لها اعتبارها فى العالم اجمع ..

انها روعة الهجرة .. انها عقيدة .. وتضحية .. وفداء .. وكفاح واصرار مميت على ترك الدنيا الثائرة الحاقدة .. والتذرع بالصبر والنصر وفعالية النفس المؤمنة وتذكيتها حتى يتحقق النصر الاكبر .. لخير أمة أخرجت للناس .

من ذكريات الهجرة

الأستاذ أحمد وافى

كانت هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، من مكة الى يثرب ، مجازا من عدوة الى عدوة ، على الطريق القاصد ، وانتقالا بالرسالة الربانية من الضيق الى السعة ، ومن الاعداء المشركين الجفاة ، الى النصراء الرحماء المؤمنين ، وقد حقق الله بها ما أراده لعباده من الخير وصلاح الدنيا والدين ، فانتشر النور الذى أراد المشركون أن يطفئوه ، وآمن الناس واعتزوا بدينهم أحرارا ، واجتمعت الامة فى حب وآخاء ، وقامت الدولة قوية وثيقة البناء ؟ ..

وحين كان لابد من اختيار حادث هام يؤرخ به المسلمين لحياتهم ، بديلا مما كانوا قد اصطلحوا على استعماله قبل الاسلام ، كيوم الفيل ، أو حرب الفجار ، أو ما يشبه ذلك من وقائعهم الشهيرة فى الجاهلية ، جمع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أصحابه ، وفيهم الامام على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، فشاورهم فى الامر ، وكان أن استقر الرأى على اتخاذ (هجرة الرسول) مبدأ للتاريخ الاسلامى ، اذ كانت فى تقديرهم أعظم حادث بين الاحداث العظيمة فى الاسلام ، وهو تقدير له وزنه واحترامه لصدوره عمن عاشوا الاحداث ، وكانوا منها فى الاعماق والقمة ، فأثروا فيها وتأثروا بها ، فلا موضع بعدهم لقول قائل : أن التاريخ بالهجرة يقع متأخرا عن مولد الرسول ثلاثا وخمسين عاما ، وعن بدأ نزول القرآن الكريم ثلاثة عشر عاما ، وأيما الحدثين : (مولد الرسول وبدء نزول القرآن) خليق أن يكون هو مبدأ التاريخ الاسلامى ، فكلاهما الاصل والجذور ، والمنبع والشريعة ، ولهما سبق الزمان والحركة الخ .. فذلك أمر لم يكن ليغرب عن فكر أمير المؤمنين عمر وأصحاب مشورته ، فلا شك أنهم قد استعرضوا ، ووازنوا ، وقاسوا ، قبل أن يختاروا ... وكان مناط الاختيار أن الهجرة لا تقع منفصلة عما قبلها ، أو متميزة بما بعدها ، وانما هى جماع الاحداث الخطيرة فى الدعوة المحمدية ، سوابقها ولواحقها على السواء ، فكلها وحدة متماسكة لا تفريق فيها ولا انفصام ! .. والمسلمون مع ذلك ، أو على ذلك ، قد دأبوا على احتفالهم بذكرى المولد النبوى الشريف فى ميقاته سنويا ، أما احتفالهم بالقرآن الكريم ، فهو عندهم شعيرة دينية مقدسة ، يندمجون فيها اندماجا روحيا عاليا ، طوال شهر رمضان من كل عام ، وبخاصة ليلة السابع والعشرين منه ، اذ كانت هى الليلة المباركة التى كان فيها التنزيل القرآنى ، وجعلها الله لذلك خيرا من ألف شهر . فحادثا المولد النبوى ونزول القرآن ، مذكوران باطراد فى حياة المسلمين ، وهما علمان نورانيان يرفرفان بلا انقطاع على تاريخهم ، ومثلهما عندهم فى التكريم والتقديس والاحتفال : يوم الحج الى بيت الله الحرام ، .. وهكذا تتكرر خلال كل عام هجرى احتفالاتهم بالاحداث والمناسبات ذات الصلة بالدين ، ما كان منها قبل الهجرة أو بعدها ! ..

فنحن فى اهلال المحرم - الشهر الاول من عام الهجرة - لا نستقبله ميقاتا زمنيا ضابطا لحساب دنيانا فحسب ، ولكننا نستقبله الى ذلك كتابا منشورا

نستعرض فى صفحاته ، الاحداث الكبرى التى تأشبت حياة الرسول الكريم وأصحابه من يوم مبعثه الى يوم انتقاله الى الرفيق الاعلى وما نجم بعد ذلك ، من أحداث ذات خطر ، الى خلافة عمر ، رضى الله عنه ، أى الى الوقت الذى افتتح فيه التاريخ الاسلامى بحادث الهجرة العظيم ! ..

وما من حادث من هذه الاحداث جميعا ، الا يطالعنا مشرقا بالايمان الخالص والتضحية الغالية ، والجهاد الفدائى الصامد الصابر فى سبيل الله ! ..

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم – كما لا نحتاج أن نقول – كوكب المثاليات العليا ، ومفيض نورها الوهاج على العالمين ، ولهذا فقد كانت تلكم الاحداث العظام تدور فى فلكه وتتحرك حوله ، وتتجمع بأثقالها عليه ، فينال منها وتنال منه .. ثم تتوزع على أصحابه وأتباعه بمقدار صلة كل منهم بها وبه قربا ، أو بعدا ! ..

وكثيرة هى ذكريات الاحداث والمثاليات فى هذا المحيط الزاخر ، على أنها ، جميعا ، تلتقى فى صورتين تختلفان بياضا وسوادا ، . احداهما ، الرسول – صلى الله عليه وسلم – يخرج على قومه مبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه **(ألا تعبدوا الا الله اننى لكم منه نذير وبشير وأن استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا الى أجل مسمى ويؤت كل ذى فضل فضله)** .. ويمضى مستعلنا بدعوته صادعا ، بأمر ربه ، بعد أن اختاره واصطفاه ، ثابت الجأش والجنان ، قوى الحجة والبيان ! ..

وفى الصورة الثانية : مشركو قريش – هم وقتئذ رءوس مكة وسادة العرب – تفجأهم هذه الدعوة الغريبة عليهم بلسان رجل من أصولهم الخيرة ، لم يجربوا عليه من قبل كذبا فى مقال ، ولا وهنا فى عقل ، وهو يتلو عليهم قرآنا بليغا معجزا ليس مما يقوله بشر .. ولكن كيف يؤمنون برسالته وهى تدعوهم الى ترك آلهتهم التى مات عليها آباؤهم ، واليهم طقوسها وكهانتها ، وبها مجدهم وزعامتهم فى الجزيرة كلها ، . وكذلك تنحط بهم الدعوة عن منازل القوة والسلطان الى منازل الضعفة ، وعامة الناس ، أخذا بما تسميه المساواة وتكافؤ الحقوق بين بنى الانسان ، وما عرفوا الحياة بمن فيها وما فيها الا منزلتين : واحدة منهما : للسادة لهم الامر والنهى مطلقين ، ومتع الدنيا وخيراتها بلا منازع ، والثانية : للعبيد والارقاء وكل من يؤمر فيطيع ، أو يأبى فيهلك ، وليس لهم الا ما يتفلت من أيدى سادتهم ليعيشوا كما تعيش الحيوانات ودواب الارض ؟ ..

فهؤلاء المشركون قد نظروا للدعوة المحمدية من زاوية دنياهم التى يعيشونها سادة مرفهين فرفضوها ايثارا لدنياهم .. ثم طفقوا يكذبونها ، ويدفعون زحفها ، وحاولوا ، فيما حاولوا ، أن يفتنوا الرسول عليه السلام ، فعرضوا عليه الملك والسيادة والمال ليترك هذا الامر ، فأبى مشتدا فى الاباء ، وقال مقالته المأثورة : **(والله ، لو وضعوا الشمس فى يمينى ،** والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الامر أو أهلك دونه ما تركته) ، فأعلنوها عليه من ثم عداوة ضارية ، وسلطوا عليه سفهاءهم يلاحقونه بالاذى ، ثم فرضوا عليه وعلى أهله (بنى هاشم وبنى المطلب) حصارا ، وقاطعوهم مقاطعة كاملة فأصابه وأصاب أهله من ذلك بلاء شديد ، الى حد الجوع القاتل ، ولكنه صبر وصبر أهله معه على هذه المحنة ثلاثين شهرا ، فلم يحققوا للمشركين ما أرادوا منهم ، وظل رسول الله عليه السلام على عهده يسعى بين الناس بنور النبوة ووحى السماء ، داعيا .

الى الله ربا واحدا لا شريك له ، ناهيا عن الاصنام التى يتخذها المشركون أربابا من دون الله كفرا وجهالة .. ثم ناشرا مبادىء العدل والاخاء والمساواة فلا يفضل مخلوق مخلوقا الا بالتقوى والعمل الصالح ..

وعلى امتداد الاحداث وتتابعها قبل الهجرة ، نرى المشركين ساخطين أشد السخط حاقدين أشد الحقد على أولئك الذين منحهم الله شرف السبق وشرح صدورهم للاسلام ، فاستجابوا للرسول واتبعوه ، فهم يتتبعونهم حيثما كانوا ، ويعذبونهم عذابا قاسيا ، وينكلون بهم تنكيلا شديدا ويضيقون عليهم فى أعمالهم وأرزاقهم تضييقا خانقا ، فهاجروا الى الحبشة مرتين ، والى يثرب أخيرا ، تاركين موطنهم ودورهم وأموالهم ، وكان منهم من يملك الكثير كعثمان بن عفان ، وعبد الرحمن عوف ! . فلم يبق الا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصاحبه أبو بكر رضى الله عنه ، وكان قد أعد رحلة للهجرة فاستبقاه الرسول ليكون صاحبه فيها فقد اعتزمها أيضا ، ولكنه ينتظر فيها اذنا من الله تعالى ! ..

وكان من أمر المشركين فى هذه الفترة التى يبدو السكون مخيما عليها ، أن أحسوا بالخطر الذى يتهددهم فى الغد القريب ، اذا ما تمكن الرسول من الهجرة لاحقا بأصحابه ، وملتقيا بأنصاره ، فسيكونون به اذاك جمعا كبيرا ، وقوة ضاربة ، حيث يجدون هنالك رحابا فساحا للحركة والعمل ، فيعلو أمرهم ، وتسقط هيبة المشركين ، ويصبحون هدفا لوثبات المسلمين وسيوفهم الى آخر يتوقعونه فى خوف وحذار ! .. فاجتمع رؤوس المشركين من مختلف البطون ، وأداروا الرأى فى ندوتهم وقرروا قتل الرسول غيلة واهدار دمه فى القبائل ، فأعلمه الله بكيدهم **(واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين – الاية ٣ من سورة التوبة) فكانت الهجرة مأذونا بها من الله تعالى ..**

وأنه ليبدو من ثنايا الاحداث المترادفة والرهيبة التى وقعت للرسول وأهله وأصحابه طوال الثلاثة عشر عاما المكية ، أن المشركين فى عدواتهم هذه الشديدة للرسول والرسالة ، كانوا محكومين بتقاليد وأفكار

موروثة ، رسخت وسيطرت على الجزيرة العربية ، بل على المجتمعات البشرية بكل المواطن والاقطار فى ذلك العصر ، ولم يكن يزعج المشركين من الدين الجديد انه دين يخالف ما يدينون به ، فقد كانت العقائد الدينية عندهم حينئذ تعانى قلقا وشكا ، والحياة التى يحيونها كانت انحلالا وبعدا عن الاخلاقيات الدينية الصالحة بوجه اعم ! .. فهذا الجانب الدينى لم يكن مصدر انزعاجهم بالدرجة الاولى ، وانما كان الذى يزعجهم بهذه الدرجة ، أن الدين الجديد سينتزع منهم – كما قلنا – الصدارة والرئاسة ، ويسلبهم وجودهم المتميز المستغل ، ومن هنا ، وبتأثير هذه النزعة ، كان كل منهم يتمنى أن ينزل الوحى بهذا الدين عليه ليزداد به اعتزازا وشرفا فى القبائل ، (وقد تمثل هذا التمنى فيما ظهر بعد ذلك من متنبئين فى بعض الانحاء الاخرى ابتغاء المزيد من الشرف القبائلى .. وقد فشلت هذه الحركة الطائشة فشلا ذريعا وقطع الله دابرها وأهلك مثيرى فتنتها !)

لقد كان أبو جهل بن هشام ، يذهب بليل متسللا بحيث يظن أن أحدا لا يراه ليستمع مبهورا الى القرآن الكريم يتلوه رسول الله فى داره وهو يؤدى صلواته متهجدا ، وكان بعض المشركين أمثاله يذهبون كذلك ذهابه ، فقال له أحدهم حين لاقاه : لقد سمعنا قرآنا عجبا .. فماذا ترى ؟ فقال وهو يشرق بغصته وحقده : (تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف : اطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا حتى اذا تحاذينا على الركب ، وكنا كفرسى رهان ، قالوا : منا نبى يأتيه الوحى من السماء ، فمتى ندرك مثل هذه ؟ والله لا نؤمن به أبدا ! ..)

وهذا موقف حاقد رأينا له شبيها بعد الهجرة ، فيما قاله حيى بن أخطب اليهودى حبر بنى النضير ورئيسهم عندما عاد من لقاء رسول الله ، وكان قد ذهب اليه فور قدومه الى يثرب [المدينة] مستطلعا فيه علامات النبوة التى تبشر بها التوراة ، فسأله أخوه عما قد رأى ، فقال والكآبة تكسو وجهه ، أنه هو ، هو ، بعينه وانسانه ، (أى أنه النبى الذى أنبأت التوراة ببعثه من العرب) .. قال : لكننى سوف أنكره ولا أنفك قط عن معاداته ما حييت ؟ ..

وكان الوليد بن المغيرة سيد قومه فى قريش ، فقال : أينزل هذا القرآن على محمد وأترك وأنا كبير قريش وسيدها ؟ ويترك أبو مسعود عمرو بن عمير كبير ثقيف وسيدها ؟ فنحن عظيما القرشيين ، وكلانا أحرى بهذا الشرف وأولى الخ .. فنزل فى ذلك قوله تعالى : **(ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانا به كافرون ، وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ، أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم] الى قوله : « ورحمة ربك خير مما يجمعون »** الايات ٣٠ – ٣٢ من سورة الزخرف) ..

ومما يذكر الى ذلك من ظواهر هذه العجنهية الطاغية فى هؤلاء الناس ، أن الوليد بن المغيرة هذا كان قد مر ذات يوم برجل من خزاعة وهو يريش نبلا له فتعلق سهم من نبله بأزاره فخدش فى رجله خدشا وليس بشىء) وكان واضحا أن الاصابة وقعت (خطأ) والوليد متحقق من هذا ، ولكن الخدش باهمال علاجه صار جرحا ، وشعر الوليد أن فيه نهاية حياته ، فدعا بنيه وأوصاهم فيما أوصى : ان دمى فى خزاعة ، فلا تتركنه.. والله انى لأعلم أنهم منه براء ولكننى أخشى أن تسبوا به فى العرب ؟ .. فكانت فتنة ودماء ! ..

فهكذا كانت حياتهم أخلاطا من الاوهام والتزييف والتظاهر بالقوة ، بالحق والباطل ، ومكاثرة أقوامهم بشعارات السيادة ، الى ما هو من هذا المعنى بسبيل ؟ ..

فلم يكن غريبا أن يعرفوا الحق الذى جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيتاجفوا عنه ، ويعادوه ويشتطوا فى معاداته ، لانه سيذهب بما يعتزون به من مراكز القوة ومظاهر الكبرياء ! ..

ولا شك فى أن من معجزات الاسلام الكبرى أنه فى أقل من ربع قرن استطاع القضاء على هذه النزعات والتقاليد العاتية ، التى استحكمت فيهم أزمانا ودهورا ممعنة فى الطول والقدم ، .. فقد انتهى أمر هؤلاء المشركين بهزيمتهم ، وتهديم قلاعهم ، وابادة الطواغيت فيهم ، ..

وكانت عداوة المشركين للاسلام – كما رأينا – مخاض تفكيرهم الجاهلى ، مؤزرة بما يملكون من القوة والجاه ، وثراء الحياة ؟ ..

أهدافهم ومطامعهم ظاهرة المعالم والابعاد ، ولا يساورهم شك فى قدرتهم على تحقيقها .

ولكن ماذا عن أولئك النفر الضعاف الذين يعيشون فى أكناف المشركين ويستظلون بظلهم ؟

كيف طوعت لهم أنفسهم ان يخالفوا عن أمر كبارهم وسادتهم فيؤمنوا بمحمد ، ويسلكوا سبيله ويأتمروا بأمره ؟ .وهو – مع جوار عمه وجاه قبيلته – لا يستطيع أن يرد عن نفسه عدوان المشركين السراة الاشداء ؟ ! ..

لقد كان أتباع محمد هؤلاء ، امشاجا مختلفة الانتماء ، فمنهم أصحاب أصول وأعراق ، ولكنهم – على قلتهم وقتذاك – أفراد فى عشائر وبطون تتحكم فى حياتهم وسلوكهم ! .. ومنهم الارقاء والعبدان – وهم الاكثر عددا – ولا يملكون من أنفسهم شيئا قط ، فرقابهم ومصائرهم فى قبضة مالكيهم وسادتهم ؟

كلهم على اختلاف أوضاعهم يدورون فى حلقات المشركين : تجارا أو زراعا ، أو رعاة وخدما ؟

ومعنى هذا أنهم باسلامهم ومتابعتهم محمدا ، سيفقدون موارد أرزاقهم ، ومجالات عملهم عند المشركين ، ولا يجدون عوضا ولا بديلا عند صاحبهم ، الفقير المضطهد ! ..

كانوا بلاريب — يعلمون هذا المصير، ومع ذلك اقبلوا على محمد ظاهرين ، وواجهوا المشركين بما يكرهون ؟ ولم يفقدوا موارد الرزق والعمل فحسب ، وانما فقدوا كذلك الامن والسلامة ، فهم فى متناول أيدى المشركين وفى ثورة غضبهم كحبات الشعير بين شقى الرحى ، كانوا يسحقونهم ، وينفثون فى أبدانهم سعير حقدهم : تعذيبا وتقتيلا ! ..

وهنا تتوارد أسماء وأسماء ، واحداث وراء أحداث ! .. سلسلة ذهبية الحلقات تسطع نورا من الايمان والبطولات ..

أبو بكر الصديق — مثلا — وهو من هو نباهة قدر ، يعمل فى تجارة الحرير ، وفيها مرتزقة ، فيقاطع ممن كانت هذه التجارة لا تنفق الا عندهم ، فتبور تجارته ، وينعدم المورد أو يكاد ، وما كان مدخرا لديه من مال يبذله سخيا فى شراء الضعفاء المعذبين لاسلامهم ، ثم يعتقهم لوجه الله ! .. ويناله المشركون بالعدوان تلو العدوان ، فيضرب علانية ، حتى يدمى ، ويحمل الى بيته أدنى الى الموت منه الى الحياة ! .. ويراه رجل من قريش فيرثى لحاله ، فيبسط عليه جواره ، فيرده عليه لانه يمنعه مما لن يمتنع منه ، وهو الاستعلان بالدعوة المحمدية ، وممارسة شعائرها جهارا ! ..

وعمار بن ياسر وأبوه وأمه ، وبلال بن رباح ، وعبد الله بن مسعود ، وكثيرا أمثالهم ، ما خطب هؤلاء ؟

كان بنو مخزوم يضعون عمارا وأباه وأمه فى كبول وأصفاد ويخرجون بهم اذا حميت الظهيرة ، فيعذبونهم برمضاء مكة ، ولا يزالون بهم كذلك حتى يشرفوا على الموت ، وقتلوا الام فى هذا التعذيب ، فكانت أول شهيدة فى الاسلام ! ..

وأمية بن خلف سيد بلال ، يخرجه مكبلا ، ويطرحه أيضا على ظهره فى بطحاء مكة فى الظهيرة ، ويأمر بالصخرة الثقيلة فتوضع على صدره ، امعانا فى التعذيب ، ويقول له : لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى ، يردد وهو فى هذا البلاء : أحد ، أحد .. لا يكف عن ذلك ولا يزيد ..

وكان عبد الله بن مسعود يرعى غنما لعقبة بن أبى معيط ، اشد المشركين أذى لرسول الله ، فلما اسلم عبد الله لقى من المشركين مايلقى اخوانه من العذاب الهون ، فما يبالى ، وكان أول من أفشى القرآن من فم رسول الله . فى قريش يقرأه على مسامعهم فى المسجد والندوة ، فيضربونه فى وجهه ضربا شديدا ، فلا ينقطع عن القراءة ! ..

ولم يزل أمر هؤلاء وكثير من امثالهم هكذا : تعذيبا وتنكيلا ، الى غير ما حد ، والزمن يطول بهم فى ذلك ، سنين أثر سنين ، فما يزدادون الا ايمانا ، وصبرا ..

وفى غمار هذه المحنة المسعورة ، **الطويلة الامد ، كانت القوى الظاهرة فى الناحيتين — بالمقياس البشرى — غير متكافئة اطلاقا ! ..**

كان أصحاب محمد ، هؤلاء الضعفاء المعذبون فى الارض ، كمن يحاولون تفتيت صخور الجبل الاشم بأظافرهم ؟ !

ولكنهم — ويا للمعجزة — نجحوا تماما فى تفتيت هذا الجبل العاتى ، فحولوا صخوره الى ذرات متطايرة فى الهواء ! ..

ذلك لانهم كانوا الاشد قوة ، بالحق الذى آمنوا به ، وارتخصوا أرواحهم وأنفسهم فى سبيله .. كانوا مع الله اقوى الاقوياء فنصرهم ، وأظهرهم على أعدائه وأعدائهم ، فكانوا حوارى رسول الله المخلصين ، وخلفاءه الصالحين ، ومنهم الائمة وفقهاء الدين ، وقادة الفتوح وأبطال الجهاد ، وتلك عقبى المؤمنين الصابرين .

الفتح المبين

الأستاذ الرفاعي الباز

لم تكن هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم وصحبه من مكة الى المدينة خوفا على حياتهم ولكنها كانت انتصارا لدينهم سجله التاريخ بأحرف من نور على جبين الزمن لرجـال مؤمنين ونسـاء مسلمات آثروا آخرتهم على دنياهم وتركوا ديارهم وأموالهم وتحملوا المشاق فى سبيل اعلاء كلمة الله ونشر دينه القويم وتبديد ظلمات الجهل التى تسـيطر على العـالم وهـدم طواغيت الكفر وأعمدة الفسوق والعصيان ولذلك نرى أن الله سبحانه وتعالى سـماها نصرا فى قوله [الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين أذهما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن أن الله معنا فانزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم .

ولقد فهم المسلمون الاولون ما تهدف اليه الهجرة من مقاصد عالية وأغراض سامية وأسس يترتب عليها سعادة البشرية جمعاء فلم يعتبروها رحلة للترفيه عن نفوسهم بسبب ما لاقوه من ظلم واضطهاد وكفر وعناد وتشبث بالباطل وتفنن فى أسلوب العذاب وضروب الاذى والتنكيل كما لم يجعلوها طلبا للرزق وسعة العيش وانما اعتبروها جبهة أخرى للجهاد ومركزا للنور والعرفان وسيرا بالاصلاح من أرض سبخة لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ الى أرض خصبة تمسك الماء وتنبت العشب وتؤتى أكلها كل حين باذن ربهـا ترك المسلمون أرضهم التى عذبوا فيها وأخرجوا منها بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ولم يقبلوا الذل والهوان والضيم وهل يقبل الذل انسان جرت فى عروقه مبادىء الايمان والحرية وصدق الشاعر حين يقول :

ولا يقيم على ضـيم يراد به
الا الاذلان غير الحى والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته
وذا يشج فلا يرثى له احد

ان الله سبحانه وتعالى يهيب بالاحرار فى كل مكان الا يقبلوا الضيم والا يركنوا الى الظلم والظلمة « ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الارض مراغما كثيرا وسعة » .

ولقد توعد الله الذين يقبلون الظلم والهوان بالعذاب وسـوء العاقبة والمصير حيث يقول « ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الارض قالوا ألم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وسـاءت مصيرا الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا » .

لقد كانت هذه الهجرة فى سبيل الله وفى سبيل ارساء عقيدة التوحيد وتحرير البشرية من الظلم والعبودية وتدعيم المساواة بين الناس جميعا لا فرق بين انسان وانسان فالناس كلهم سواسية كأسنان المشط وكلهم لادم وآدم من تراب كما كانت الهجرة فى سبيل تحرير العقل من الخرافات والخزعبلات وملئه بالنور والمعرفة والايمان .

من أجل هذه المبادىء كافح المسلمون وبذلوا كل غال ونفيس حتى رسخت فى نفوسهم وملأت سمعهم وبصرهم وملكت جوارحهم فباعوا انفسهم لله ووطنوها على الجهاد وأقاموا لانفسهم شعارا يعبر عما يصبون اليه من حياة كريمة تقوم على التوحيد والتمسك بالاخلاق الفاضلة واحلال الوفاق محل الخصام والسلام والامن بدلا من الحرب والدمار والايثار والتضحية نبذا للانانية وحب النفس . من أجل التقدم الثورى المبنى على أساس من العلم والمعرفة والنور

فبفضل هذه المبادىء أصبح المسلمون أساتذة العالم ومعلميها وروادها وسجل التاريخ لهم أروع الامثلة فى التضحية والايثار من أجل هذا الدين وعقائده القويمة .

فهذا فتى الاسلام على بن ابى طالب رضى الله عنه يقوم على تفديه احاط بها الهلاك والموت من كل مكان حينما نام على فراش المصطفى صلى الله عليه وسلم ولم يخش قريشا وما أعدوه من شباب جلد صلب وفى يد كل شاب منهم سيف بتار متآمرين فيما بينهم على قتل الرسول صلى الله عليه وسلم وقد سجل القرآن الكريم هذه التضحية الكريمة الخالصة لوجه الله فى قوله جل شانه « ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله والله رءوف بالعباد » ولا أحدثك عما سجله التاريخ لابى بكر رضى الله عنه حينما ضرب أروع الامثلة فى هذه الرحلة فبذل نفسه وماله وأولاده ومواليه مما يعجز القلم عن تصويره كما لا يستطيع القلم تصوير المواقف الخالدة للانصار الذين ناصبوا قومهم العداء وأصبحوا هدفا للقتال وأثروا اخوانهم على أنفسهم قال تعالى « والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجـر اليهم ولا يجـدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولوكان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون » هذه هى أعلا درجات التضحية والاخوة والصداقة التى استخلصها المسلمون من حادث الهجرة لقد كان الانصار يرون هذا الايثار قليلا بالنسبة لما وجب عليهم لاخوانهم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما أراد أن يمكن بينهم الاخاء أخى بين المهاجرين والانصار فكان كل انصارى ونزيله . أخوين فى الله وهذه أعلا درجات الاخوة ولا عجب فتلك قلوب ألف الله بينها « لو انفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم » .

ما أحوج المسلمين اليوم الى هجر ما تركه الاستعمار وما خلفه لهم من جهل وفقر ومرض ومن سموم نفثها فى عقولهم لتفريق شملهم وتمزيق وحدتهم والنيل من مكاسبهم . ما أحوجهم الى تلمس السعادة فى هذه الكنوز والنفائس من معارف السماء وفى ضوء هداية الانبياء وهدى الاسلام الذى يظهر الله آياته فى الافاق والانفس والذى هو علاج لكل مرض نفسى واجتماعى وسياسى لو ان الناس رجعوا الى كتاب ربهم وسنة نبيهم ومسلك سلفهم لصلح حالهم ولنصرهم الله على عدوهم ولمكن لهم فى الارض كما قال فى كتابه « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استـخلف الذين من قبـلهم وليمكنن لهم دينـهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ... »

الا فليقلع المسلمون عما هم عليه وليفيقوا من غفوتهم وليستيقظوا من سباتهم وليكن لهم فى حادث الهجرة عظة وعبرة وليجددوا العهد بينهم وبين الله على العمل بكتابه والاقتـداء بنبيه واحياء سـنته وليستمدوا من هذه القيم الروحية والتراث الخالد ما يدفعهم الى الانطلاق والتقدم الى الامام بنية خالصة وقلب طاهر ليس للشيطان فيه حظ وليكونوا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

من كفاح الرسول

الهجرة إلى المدينة

فضيلة الشيخ عبد الحكيم محمد سرور

الهجرة هجرة مانهى الله عنه ، والكفاح لون من ألوان الجهاد وهو راية الحق وعنوان الخير .

وكلما ضاقت الامور واجدبت الارض في بقعة من بقاع الارض وعجزت عن ان تتقبل فكرة او تفتح صدرها لمبادىء تنفع اهلها ، كان لابد من التخير خروجا من التحير وكان لابد من جهاد فى الامر وتلمس للخير حيث كان فان القوم اذا ضاقت عقولهم وعتت عن امر ربها ورسله كان لابد من الجهاد معهم حتى تتفتح عقولهم وتستنير افكارهم ويومئذ يقبلون ماكانوا يرفضون ، ويومئذ يجدون الخير الذى يسعون اليه وبذا كانت هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم اعدادا وتمهيدا وجهادا وتمكينا للفكرة التى عاد يحملها عفوا وصفحا عن قوم بغوا عليه واشتدوا به ومنعوه عن ايصال الدعوة حتى لقد كان عفوه صلى الله عليه وسلم يوم ان قال لهم : « أذهبوا فانتم الطلقاء » وكان ذلك يوم الفتح الاعظم .

ولقد كان أعداء الدعوة اعداء الحق الواضح ، والصراط المستقيم فقد كانت عقولهم لا تنفرج لهذه الدعوة ، كما كانت قلوبهم موصدة لا ينفذ اليها ريحها الرخى لانهم كانوا يفاخرون بما ورثوا عن آبائهم فيلتزمونه ويصرون على التمسك به فلا يفتحون آذانهم لغيره ولا قلوبهم لنور الحق ، فماذا فعل الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ « وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا » . انه مأمور بابلاغ الدنيا رسالة الخير والحق وسعادة الانسانية وهناءة البشرية : « يأيها الرسول بلغ ماانزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته » .

ونداء الحق دائما يعصف بالقوى الباغية ويهز العدوان الطاغى ويزلزل الارض تحت اقدام المعتدين ، ومن أجل ذلك فقد شدوا الايدى وعقدوا الخناصر فيما بينهم على طمس هذا النور الذى تغشاهم فأبوا الا ان يعيشوا فى ظلامهم الذى ألفوه وعاشوا فيه وحرصوا كل الحرص عليه فتفننوا فى صنوف الاذى متجردين من كل مروءة وانسانية والحقوا بالرسول وصحبه من ألوان العنت ماتنوء بحمله الجبال الراسيات ولكنه صلى الله عليه وسلم صبر على أذاهم وصابرهم حتى احسوا بالهزائم المتلاحقة ازاء الانتصارات المتزايدة لرسالة السماء التى هزت فسوق الارض وكفر من فيها وعناد المشركين الجبارين وبغيهم فماذا فعل هؤلاء الاوغاد ؟ .

ان الشرك كالاستعمار كلما ضاق باطله بتبعات الحق فلابد ان يفكر ويدبر ليهزم ولا يهزم كما انه لابد ان يخطط ويقدر فكان ان تمخض تدبيرهم عن مؤامرة خبيثة دنيئة خاسرة ، اذ عقدوا ندوة خرجوا منها برأى الخبيث ابى جهل حيث اشار عليهم بأن يأخذوا من كل قبيلة شابا جلدا وسطا نسيبا وان يعطوا الكل واحد سيفا فيضربوا محمدا ضربة رجل واحد ، وبذا يتفرق دمه على القبائل فيرضى بنو هاشم بدية محمد لانهم لا يستطيعون مواجهة القبائل كلها ، يقول : وبذا نستريح منه ومن دعوته ، « واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين »

وبذا اجتمع الشباب لحظة التنفيذ ومعهم سيوفهم تلمع وتتحرك بحركة صدورهم التى تغلى بالحقد غليان

المراحل ، ولكن سبحانك يارب ... ان السماء دائما مع الحق واهله « وان جندنا لهم الغالبون » ، « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » والله سبحانه يحمى الصالحين من عبث الظالمين . « يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون » وهكذا كانت بداية الجهاد العظيم المؤيد بالتنزيل العظيم ، فهل كانت الهجرة قرارا أمل منه محمد صلى الله عليه وسلم أمنا ودعة ؟ .. ورجا من ورائه العافية ؟ أم انه كان الجهاد الذى تستقر به الدعوة ؟.

ان صديق الانسانية وقمة البشرية يعلم ان ارض الله كلها ارضه فمراغمات الارض كلها له واقطارها الفسيحة بساطه ، وهو انسان سوى لاتستهويه مساقط الرؤوس ولا تشده اليها مطارح المهود ومن ثم فهو يريد ان يسمع الكتابيين الذين يسكنون يترب ويحيطون بها ، أراد ان يسمعهم صوت الدعوة وهناك أصلح قمة تنطلق منها انوار الهدى ويسلط عليهم بصائر الحق. أليست المدينة أقرب الى الشام وادنى الى الفرس ؟ ويختلط بأهلها اليهود .

لقد كان جهادا وأى جهاد . فمنها انطلقت الدعوة بعد الوجود الدولى الذى اقامه الرسول صلى الله عليه وسلم واعلى رايته ، انطلقت الدعوة الى آفاق غير عربية ، ومنها نزلت آيات التشريع التى نظمت المجتمع الاسلامى وارست قواعد العلاقات العامة بل انها غدت قاعدة قوية كسرت شوكة الشرك ودحضت شوكة قريش المعتدية .

لقد كانت الهجرة جهادا يحكى فى وضوح ثبات الرسول صلى الله عليه وسلم وفى قوة عقيدة اصحابه وعظم ايمانهم الذى صدوا به هجمات المشركين وبغى اليهود الاثمين وعدوان المعتدين لقد علمتهم الهجرة التعاون والتضامن والتماسك حيث آخى الرسول بين المهاجرين والانصار فبث بينهم حب الايثار فتعاونوا على البر والتقوى ، وغرس فيهم حب الموت على الحياة فكان فيهم الفداء والتضحية والبذل بالنفس والمال : « فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وماضعفوا وما استكانوا » كل ذلك أقوى للنصر على العدو والصمود امامه وهو عدو حشد الحشود وجمع الجموع «ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال » .

« انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد » وشاء الله لرسوله ان تكون هجرته عن تخطيط وان تكون عن دعوة ، وكانت الدعوة هى مرحلة التهيئة لدار الهجرة عن طريق الاجتماع بأهل المدينة الوافدين للحج ، كما حدث فى بيعة العقبة الكبرى التى أخذ العهد فيها عليهم ان يحموا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليهيئوا المجتمع ويحموا الدعوة بعد احتضانها ويحمونه مما يحمون منه انفسهم واهليهم ويومها سألوا رسول الله : « الهم المكافأة على ذلك حيث قالوا : مالنا ان وفينا بذلك ؟ فقال لهم : الجنة .

ومرحلة التهيئة دائما مرحلة اعداد كما هى مرحلة نضال وجهاد ، وهذه المرحلة بالذات وهى مرحلة المعاهدات والمفاوضات للتكوين الجديد وللوجود الدولى العظيم كان المرأة فيه دور وأى دور ، فلقد اثبت التاريخ ان الذين اجتمعوا لمبايعة النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثة وسبعون بينهم امرأتان — نسيبة بنت كعب وهى التى كان لها القدح المعلى فى غزوة احد كما كان لها الاثر الكبير فى حرب مسيلمة الكذاب ، وكذلك أم عمارة احدى نساء بنى مازن — وهكذا ندرك ان الاسلام أعلى شأن المرأة فجعلها تشترك فى مفاوضات تعقد بعدها المعاهدات التى كان لها الاثر الايجابى الفعال فى حياة الاسلام والمسلمين اذ لم ير الانصار بأسا من أن يكون بينهم امرأتان من خيرة النساء كما لم ير الرسول صلى الله عليه وسلم بأسا من ان يكون من بين اعضاء وفد المفاوضة والمعاهدة اثنتان من النساء .

وكأنى بهذا الموقف يعلى من شأن المرأة لاعلان انها مستقلة بالرأى وصاحبة عمل ايجابى فى المجتمع وليست مجرد تابع للرجل — ان فاوض شملتها مفاوضته وان عاهد شملتها معاهدته . لقد كانت الهجرة جهادا ونضالا فى كل مراحلها وظروفها ، كانت جهادا بالنفس والمال وبالولد وكان للمرأة فيها الموقف الواضح ، فهذه أم سلمة رضى الله عنها تقول : « لما عزم زوجى ابو سلمة على الخروج رحل لى بعيرا حملت عليه وحمل معى ابنى سلمة فى حجرى ثم خرج يقود البعير فلما رآه رجال بنى المغيرة قالوا : لقد غلبتك نفسك فآمنت فهاجرت فلماذا نتركك تأخذ هذه وهى ابنتنا وتخرج بها ثم تجاذبوا ولدى حتى خلعوا يده ولكنهم آخذونى فحبسونى عندهم اما ابو سلمة فقد انطلق الى المدينة مهاجرا الى الله ورسوله . تقول هذه الوفية لزوجها : فكنت اخرج كل صباح الى مكان يسمى الابطح بظهر مكة فأظل ابكى من مصبحى الى ممساى . تقول : حتى مر بى رجل من بنى عمى فقال لهم : ألا تتحرجون من هذه المسكينة وما تلقى ، فرقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها فقالوا لى : الحقى بزوجك وردوا الى ولدى الذى كانوا قد اخذوه ، فلما خرجت اريد زوجى بالمدينة وما معى احد من خلق الله قائلة : أستعين بمن لقيت فى طريقى ، فلقيت فى

الطريق عثمان بن طلحة أخابنى عبد الدار فقال لى : الى أين يابنت ابى أمية . قلت : أريد زوجى بالمدينة . فقال : او مامعك احد ؟ فقلت : لا والله الا الله وولدى هذا . فقال لها : والله ماينبغى ان أتركك . فاخذ بخطام البعير وانطلق يسير فى الوادى فاذا بلغ مكان نزول يود ان يستريح فيـــه اناخ بى ثم تأخر عنى فاذا نزلت من فوق بعيرى استأخر بهذا البعير فحط عنه جهازه ثم قيده بالشجرة ثم تنحى الى الشجرة فاضطجع تحتها فاذا قرب الرواح قام الى بعيرى فاعده ثم قدمه ثم تأخر عنه وقال : أركبى فاذا ركبت فاستويت على ظهر بعيرى اتى فاخذ بخطامه فقاده حتى يصل الى مرحلة اخرى ، وهكذا حتى قدمنى الى المدينة فوالله ماصحبت رجلا من العرب قط ارى انه كان أكرم منه فلما ادخلت على ابى سلمة انصرف راجعا الى مكة .

انه الجهاد يجاهده اصحاب الرسول المؤمنين مستمدين العون من الله مؤمنين بالهدف والغـاية محددين المفاهيم فاهمين الطريق والسبيل مناضلين ليبلغوا الغاية . فهذا ابو سلمة رضى الله عنه يروى صراعا يدور حول زوجته وابنه فلم يضره ولا أوهن قوته الوهن ولم ينهنهه ولم يضعف من عزيمته بل لم يمنعه من الذهاب الى قصده والوصول الى هدفه حيث هجرته الى الله لتكون كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى .

وهل تحس بنضال كما احسست بنضال ام سلمة التى صبرت محتسبة على فراق ولدها وعلى فراق زوجها غير آبهة بما يصيبها فى سبيل ماآمنت به وعقدت العزم عليه ، واصرارها على الهجرة بعد مايقرب من عام قضته وهى حبيسة بين أهلها تحت مراقبة دقيقة وبين صراع نفسى حتى انتصرت وابدلها الله من عسرها يسرا ومن ضيعتها فرجا وجعل الله بعد العسر يسرا ، ثم كيف تخطت الصعاب وذللت العقاب حيث سافرت ولازاد معها ولا دليل لها .

وكانت اسماء بنت ابى بكر رضى الله عنها فى قمة المناضلين فى الهجرة النبوية وكذلك ام معبد ادوار قامت بها نساء عظيمات تحملن فيها الصبر والجلد « **انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين** » ، لقد خرج الرسول صلى الله ومعه ابو بكر الصديق رضى الله عنه وخرج المسلمون مهاجرين الى الله ورسوله .

لقد كان الغرض من الهجرة التحيز الى فئة تكثر السواد وتشد الازر ليدفعوا عن دينهم طغاة جبابرة وفئات معاندة يخافون ان يتركوا دين آبائهم فتضيع هيبتهم ويضعف امرهم . ولذا كانت الهجرة جهادا ونضالا وكانت امتحانا فى صد العدو وكسر شوكته واستمر ذلك حتى فتح الله لهم مكة واعزهم ومن ثم كان طبيعيا ان يتغير شكل الجهاد ولونه فقال الرسول صلى الله عليه وسلم بعد ان استقرت الاوضاع « **لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية** » وعلى هذا تكون الهجرة قد انتهت بفتح مكة وبقى بعد هذا الجهاد بالعزم وقوة الارادة والنية الصادقة ففى علم الله سبحانه وهل كانت الهجرة الا جهادا عندما اراد النبى ان يسبر غور المؤمنين وان يعقد لهم اختبارا يكشف به عن مدى قوة ايمانهم وشدة يقينهم فمن ذا الذى يقوى على ترك اهله وماله الا من باع نفسه وماله لله تعالى وقويت عقيدته واستهان بكل المتاعب فى سبيل ايمانه ونصرة دينه ، بل ان الهجرة الى المدينة كانت تجميعا للقوى المتفرقة المبعثرة فى مكة وسكانها وفى الحبشة وغيرها ، بل كانت اظهارا لايمان اولئكم الذين اخفوا دينهم وابرازا لطمأنينتهم .

والمسجد دائما منذ يوم دخل فيه الرسول صلى الله عليه وسلم المدينة كان ومايزال قاعدة نضال وركيزة جهاد فكم تخرج فى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم من كان دينه للاسلام وشدا لازر المسلمين ، لقد ربى فيه الرسول صلى الله عليه وسلم فرسان البشر الذين كانوا يجاهدون بسيوفهم بالنهار ويدفعون شر عدوهم فى الليل يذكرون ربهم ، هؤلاء الذين هزموا الجبابرة وقهروا الاكاسرة واذلوا القياصرة .

انه لقاعدة نضال عندما علمهم الرسول وبصرهم بأمر دينهم وتخرج منه جهابذة المفسرين الذين كانوا خلايا النحل فى ذويهم وكان منهم عمالقة هذه الدنيا فى بطولة وشجاعة ، أليس منهم حنظله الذى غسله الملائكة ، ثم أليس منهم عمير بن الحمام الذى استبطأ موته واستشهاده دخول الجنة ان هو اكل الثمرات الثلاث التى كانت فى يده .

انه مركز نضال .. لانه مكان مركز للقيادة العامة للقوات العامة للجيش المناضل المدافع واين كان يوضع التخطيط الحربى لمواقع القتال ، لم يكن الا فى المسجد . وهناك فى المسجد النبوى كان يتم اختيار القادة الذين تبدو عليهم مخايل النجابة فى القـوة والعقيدة .. من اين كان ينطلق الجيش المجاهد « انما كان يخرج الجيش المجاهد من المسجد ليخرج مليئا بالعقيدة لقد كان يخرج من ساحة المسجد الى ساحة القتال وكان يحمل فى طيات نفسه انه اما الى نصر وغنيمة واما الى استشهاد وجنة فهؤلاء هم الذين اخذوا عن الرسول صلى الله عليه وسلم « **الجنة تحت ظلال السيوف** » وبذا كان يحدوهم الصبر ويسارع اليهم النصر « **ومالنصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم** »

الهجرة

درس تلقيه علينا الأيام

فضيلة الشيخ عبد الحميد بليع

ما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يهاجر من بلده هربا من أذى قومه وما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يغادر وطنه خوفا على نفسه عادية أهله وما كان الرسول يهجر أهله وعشيرته رغبة فى الحصول على مال ولا سعيا وراء منصب وجاه نعم ما كان ولا يكون الرسول من طلاب هذه الشئون التافهة ولا يضيره وعيد قومه ولا تهديداتهم الغادرة فان نفسه اكبر وأفقه أوسع وتفكيره أعمق من أن يفكر فى مثل هذا •

وإذا كانت النفوس كبارا
تعبت فى مرادها الاجسام

والواقع أن الذى دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الهجرة أمر أكرم عليه من الوطن - واسمى عنده من الجاه وأعز لديه من النفس والاهل والعشيرة - نعم هو دعوته - رسالته - قومه عز عليه ما هم فيه من ترهات عقيدية ومهازل أخلاقية - وفوضى اجتماعية فانه يعلم ان هذه كلها وسائل خراب ودمار فعز عليه أن يكون هذا مصيرهم وأحزنه ما رآه من استهانتهم بالدعوة وهو يعلم أن فيها نجاتهم بل كانوا ينفرون منها ويعملون جاهدين على احباطها لذا لم تجد طريقا الى نفوسهم ولا مجالا فى تفكيرهم وعز عليه كذلك مصيرهم السىء الذى ينتظرهم وعدوهم الالد الذى يتربص بهم ومن أجل هذا هاجر الرسول بالدعوة الى وطن تجد فيه أمنها وسلامتها الى وطن تؤدى فيه رسالتها وتنشر تعاليمها ومبادئها فى قوم تجد فى نفوسهم استجابة وفى قلوبهم طمأنينة ورحابة وتثمر فى صفوفهم ثمرتها تؤلف بينهم بعد تخاذل وتوحدهم بعد فرقة وتباغض وتنظمهم بعد فوضى وهمجية ضارية وتحيى فيهم العقيدة الدينية الصحيحة - وتبعث فيهم الاخلاق الفاضلة الكريمة تحيا فيهم هذه العقيدة فيحيون بها حياة طيبة فاضلة ولكن قومه مع هذا كانوا يودون بطلان هذه الدعوة بأى ثمن فكانوا يفرونه بالمال والجاه تارة ويهددونه بالتعذيب والتنكيل والقتل تارة أخرى فما أغراه وعد ولا أثناه وعيد ولله دصدق القائل : أريد حياته ويريد قتلى •

ولقد تحقق للرسول بهذه الهجرة ما كان يرجوه لدعوته وما كان يؤمله لرسالته حيث انتشرت الدعوة ونجحت الرسالة ودخل الناس فى دين الله أفواجا وتلك عاقبة المجاهدين الصابرين المخلصين هذه الهجرة فى ظروفها ووقائعها وما لقيه الرسول وصاحبه أثناءها من مضايقات وعقبات لم يتركه الله عليها بل كان يتولاه فى أزمته ويفرج من كربته وييسر له طريق الوصول الى وجهته لذا كان الرسول يقول لصاحبه « **لاتحزن ان الله معنا : ماظنك باثنين الله ثالثهما هذه الهجرة فى ملابساتها درس تلقيه علينا الايام** ويردده فينا التاريخ وأصداؤه تقرع أسماعنا قائلة « اسمعوا وعوا وانعموا النظر وتدبروا واستحضروا مواقف الرسول مع قومه وقد كانوا يتربصون به الدوائر تدبروا هذا وما كان يبذله الرسول معهم من جهد ليأخذ بيدهم الى طريق الحق ويقودهم الى كريم الخلق » - **هذا نداء درس الهجرة وما يوحى به الينا - وما موقفنا من هذا الدرس الخالد وما استجابتنا لصدى التاريخ الحاكى •**

انى أهيب بالمسلمين فى بقاع الارض جميعا أن يفتحوا آذانهم الى هذا الدرس العظيم وأن يهيئوا مداركهم ويرهفوا أحاسيسهم لتلقى هذا التوجيه القويم الذى ينتهى بهم الى طريق الهدى والنور التى رسمها نبيهم والى أمجاد ضخمة أسسها آباؤهم ويدعوهم الى أن يحتفظوا بهذا ذلك ويسلموه أمانة لمن بعدهم كما تسلموه ممن قبلهم فيخلد بهذا ذكراهم ويتغنى التاريخ الطويل بعظمتهم وينجز الله لهم ما وعد به المجاهدين المخلصين وهذا هو المراد من الذكريات وقطوف يجنيها العاملون فى رحاب الذكريات وهو معنى جميل معبر عن صدق نية المخلصين ووفاء العاملين يربطون تاريخهم بتاريخ صاحب الذكرى كأنهم يعايشونه ويتلقون عنه ما يرفع انسانيتهم ويهديهم صراطا مستقيما •

والهجرة من الهجر وهو الترك - ترك الشىء الضار الى شىء مفيد نافع وأطلقت الهجرة فى العرف العام على هجرة الرسول من مكة الى المدينة وهى بهذا المعنى المفهوم عرفا • وهو الانتقال من وطن الى وطن - كانت أول الامر فرضا على كل مسلم قادر عليها حرصا على الدعوة واكثارا لسواد الامة فقد كانوا قلة وهى بهذا المعنى أيضا لها فضل كبير لا يقادر قدره ولا يعلم حده الا الله الذى امتدح المهاجرين فى غير موضع من الكتاب الكريم فان هذه الهجرة أخلد ذكر وأقدس مجد بناه الرجال الاولون - ولما انتشرت الدعوة وكثر عدد المسلمين وهدأت ثورة المشركين انتهى حكم فرضية هذه الهجرة أعلن ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : (لاهجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية) وبقيت الهجرة بالمعنى العام وهو الترك أعنى ترك الشىء الضار الى شىء نافع ومفيد - ومعلوم أن كل ما نهى الله عنه ضار ويجب تركه وهجره والرسول يقول « والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه والهجرة بهذا المعنى باقية ما بقيت السموات والارض فاذا فات المسلمين فضل الهجرة بالمعنى العرفى المتقدم فارجو لهم أن لا يفوتهم فضل الهجرة التى هى ترك ما نهى الله عنه دون أن يسجلوا لانفسهم فيها ما يخلد ذكرهم ويثبت ارتباطهم بأبائهم وانضواءهم تحت ظلال شريعة نبيهم يحلون حلالها ويحرمون حرامها ويحيون مبادئها وينفذون أحكامها وتعاليمها وهذا هوماتوحيه ذكرى الهجرة الان وتتطلب من المسلمين فى الحاح ان يهاجروا من ظلمات الباطل الى نور الحق ومن فوضى الضلالة الى سكينة الهدى ومن عماية الجهل الى رحاب العلم وأن يفيقوا من سكرة الغرور ويستيقظوا من سبات الغفلة وان يفتحوا أعينهم على واقع الحياة كى تذهب السكرة وتجىء الفكرة فيروا موقفهم ويدركوا مصيرهم ويأخذوا حذرهم ويسلطوا الاضواء على عدوهم يتبينونه - فاذا هو النفس والهوى والشيطان هذا الثالوث الغادر والمضل الفاجر الذى قرر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن جهاده أكبر من جهاد العدو فى ميدان القتال اذ يقول بعد عودته من غزوة تبوك « رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر قيل وما الجهاد الاكبر ؟ قال جهاد النفس والله يقول : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين ويقول ، « وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج » - ان كل مسلم الان وفى هذه الاونة بالذات مطلوب أن يجاهد وأن يكافح ويناضل لا فى خط النار ولا فى الجبهة فقط بل عليه أن يجاهد فى أى مكان من البلاد وفى كل لحظة من الزمان عليه أن يجاهد العدو فى ميدان القتال ان تمكن وأن يجاهد فى كل زمان وفى أى مكان عدوا آخر الد وخصما أنكى وأضر هو النفس وضربها الهوى والشيطان حقا فان النفس دسيسة خبيثة على بنى الانسان تظهر لهم بمظهر الود - وتقودهم الى مواطن السوء وبؤر الفساد فهى عدو فى ثوب صديق كيف وهى صنيعة الشيطان والشيطان عدو للانسان - هى خداعة غرارة تحسن القبيح وتزين المنكر وتهىء وسائل الشر وتذكى نار العداوة وتشعل فحمة البغضاء فهى أعدى عدو وأدهى عشير جهادها واجب وحربها فرض وخير شىء يعين الانسان على الانتصار عليها اقتناعه بضرر ماتوحى به وتسليمه بسوء ما تدعو اليه ولا شك أن العقل السليم لا يمكن صاحبه من الاقدام على ما يضر ولا يجيز له فعل ما يسىء بل يوجهه الى دين الله يمتثل أمره ويجتنب نهيه وهذا أقوم الطرق له واهدى السبل اليه سيماونحن الان فى محنة قاسية ومعركة دامية طاغية مع عدو غاشم وخصم ألد فاجر ولابد لنا من الله نستعينه لابد لنا من الله نستنصره فانه القوى العزيز الذى لايغلب وهو الرءوف الرحيم الذى يقف بجانب الضعيف يقويه وبجانب القليل يكثره ويسانده ويواجه الظالم الطاغى يقصمه ويهدمه نعم ولكن هو لا ينصر الا من نصره ولا يدافع الا عن من اجتنب نهيه وامتثل أمره « ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز الذين ان مكناهم فى الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور » فان أردنا النصر فهذا سبيله وان أردنا الظفر بالعدو فهذا طريقه وان أردنا كسب المعركة فهذا سلاحه ولا سلاح غيره هو طاعة الله والانضواء تحت راية دين الله واللجوء اليه مخلصين ضارعين اليه فانه هو السلاح الذى نصر المسلمين فى غزوة بدر على فقرهم وقلة عددهم وتدبر قوله تعالى : « ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة » فعلى كل مسلم أن يتذرع بهذا السلاح البتار وأن يلجأ الى الله القوى القهار يساند به اخواننا فى المعركة ويرجو لهم المزيد من العون والقوة فى الجبهة والله اذا علم منا صدق النية واخلاص الطوية ومضاء العزيمة فانه لن يتخلى عنا بل يكون معنا كما وعد فانه لا يخلف الميعاد « يأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين » •

إلا تنصروه فقد نصره الله

فضيلة الشيخ محمد حافظ سليمان

يقول الله تعالى فى كتابه الكريم :
الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لاتحزن ان الله معنا . فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى . وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم . التوبة ٤٠

فسبحان ربى : العنكبوت ينسج خيوطه الواهية ليساهم فى الدفاع عن رسول الله والحمامة تبيض عند الباب وتستقر استقرارا هادئا آمنا لتقنع الناظرين بأن ليس حولها ما يزعج امنها !!

والشجرة الجافة تورق وتتدلى بغصونها على الباب لتصد المتآمرين على اغتيال النبى وتقنعهم بأن ليس فى الغار من يريدونه !!

ان عناية الله لم تدع رسول الله قط . فقد نصره الله على أعدائه وايد الله الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين :

ذلك لان الدعوة الحية تشق طريقها معتمدة على أمرين : على عون الله ورعايته وعلى شجاعة الداعى وصدقه وامانته .

وصاحب الدعوة عليه الصلاة والسلام . تحمل مسئولياتها بثبات النبيين ، وشجاعة المرسلين ويقين المخلصين ، وصمود المجاهدين ، وعزيمة الصابرين وقوة الصادقين الابرار . وكان هدف رسول الله صلوات الله وسلامه عليه من دعوته ارضاء الله ونشر الاسلام فى ربوع الارض .

ولكن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وجد أقواما حوله ملأ الحقد الكريه قلوبهم . فأظلمت عن معرفه الحق ، فلم يدركوا ان محمدا يريد أن يبدل ذلهم عزا . وظلام وجودهم نورا ، فكانت مهمته الاولى هى اقتلاع جذور الشرك من نفوسهم ليغرس مكانها بذور الهدايه الى الحق الواضح وهو التوحيد الخالص الذى اعلنه قاعدة لدعوته حيث قال لهم :

والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم » (الله لااله الا هو الحى القيوم) .

ثم اعلن الثورة على عبادة الصنم والوثن . حيث هاجم آلهتهم وسفه احلامهم وقبح تقليدهم فلووا رءوسهم وعاندوا ثم تآمروا .. !!

واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا • حسبنا ما وجدنا عليه اباءنا او لو كان اباؤهم

ولما واجههم رسول الله بالدعوة الى عبادة الواحد الاحد • وقف الطغاة وعتوا عتوا كبيرا • واصروا لا يعلمون شيئا ولا يهتدون) المائدة ١٠٤ على نفورهم وجحودهم وعلى كبرهم المزعوم وكفرهم المذموم •

وكان ابو جهل اذا وجد النبى يصلى بجوار الكعبة نهاه عن الصلاة قائلا له :

الم انهك عن صلاتك ها هنا ؟ فلم يعبأ النبى بقوله. وحذره ان يعود لمثل هذا الغرور الطائش •• فعز ذلك على الطاغية وقال أنا اعز اهل الوادى ناديا

فانزل الله فى امره « أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى • أرأيت ان كان على الهدى أو أمر بالتقوى • أرايت ان كذب وتولى ؛ الم يعلم بان الله يرى ، كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية ، ناصية كاذبة ، خاطئة : فليدع نادية • سندع الزبانيه ، كلا لاتطعه واسجد واقترب) سورة اقرأ •

ولقد واجه رسول الله اعداءه بشجاعة الواثق بربه ، المطمئن لنفسه الذى لا يخشى فى الحق لومة لائم ، وكان النبى حريصا على هداية عشيرته الاقربين وكان حريصا عليهم يريد اخراجهم من الضلالة الى الهدى ولكن الوثنيين القرشيين قد تحالفوا على الشر وتعاونوا على الاثم والعدوان ، ومعصية الرسول بايذائه وقد حرض أبى بن خلف صديقه عقبة بن ابى معيط على الاعتداء على النبى وكان حليفا له على الشر فأطاعه عقبة فنزل قول الله (ويوم يعض الظالم على يديه • يقول • يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا ياويلتا ليتنى لم اتخذ فلانا خليلا لقد اضلنى عن الذكر بعد اذ جاءنى وكان الشيطان للانسان خذولا) ٢٧ الفرقان

ولقد كان لخباب بن الارت دين على العاص بن وائل • فطالبه برد حقه اليه ، فقال له العاص اليس يزعم محمد هذا الذى انت على دينه ان فى الجنة ما يبتغى اهلها • فقال خباب نعم قال فانظرنى الى هذا اليوم فسأوتى مالا وولدا واقضيك دينك • فانزل الله فيه قوله :

« وقال لأوتين مالا وولدا ، اطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا ؟ كلا سنكتب ما يقول !! ونمد له من العذاب مدا • ونرثه ما يقول ويأتينا فردا ،

واذا البينـات لـم تغن شيئا
فالتماس الهـدى بهن عنـاء

وكان يجلس احد العتاة واسمه « الاسود الاسدى » على قارعة الطريق ليتغامز على المسلمين اذا مروا عليه « ليضحك هو ومن معه وليتندر بهم ، اما المسلمون فكانوا اذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه ولم يحفلوا بهم سموا بأنفسهم وترفعا بأخلاقهم وحسبهم ان الله تولى الرد عليهم بقوله :

ان الذين اجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون ، واذا مروا بهم يتغامزون ، واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فكهين ، واذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون : وما ارسلوا عليهم حافظين ، فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الارائك ينظرون هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون) » المطففين » •

ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم صبر وصابر وجاهـد وثابر وتحمل كل هـذه الاستفزازات من المستهترين المستهزئين !!

وهكذا طارد الباطل الحق ، ولكن الحق غلاب يقهر الباطل لان الله مؤيده وناصره ، **(وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا)** •

ان الحق ثابت لا يطيش مهما تجمع السفهاء ليكيدوا له والله يقـول لنبيه صـلى الله عليـه وسلم « **فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين . انا كفيناك المستهزئين ، الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون** » •

وسيظل حديث الصراع بين الحق والباطل امتحانا للثبات والصمود فى البقاء على الحق مهما لقى اصحاب الحق من عنت ومشقة فى الثبات على الخير ولنا فى سبيل ذلك قدوة ولنا فى رسول الله أسوة

« **لقد جاءكم رسول من انفسكم ، عزيز عليه ما عنتم، حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم • فان تولوا فقل حسبى الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ! »** • التوبة •

ولقد كان كبراء مكة يخشون على كبريائهم من دعوة الاسلام الجديدة فوقفوا فى وجهها ثم قالوا له « **لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا ، او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا او تاتى بالله والملائكة قبيلا او يكون لك بيت من زخرف او ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا)** الاسراء ٩٣

فقال ربه :

(**ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون ، فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين)** « الحجر ٩٩ » •

لقد منح الله نبيه صبرا جميلا واحتمالا لا نظير له ، فاستعذب مرارة سوء المعاملة ولقد بغوا وطغوا واستكبروا وتمردوا ، فاذا سمعوا بانسان تفتح قلبه لنور الحق فاستيقظ وجدانه لشعاع من الهدى • قعدوا له كل مرصد • حتى يجعلوا بينه وبين الهداية سدا

ليصدوا عن سبيل الله .

لقد جهلوا ان محمدا – وهو رسول من انفسهم – سوف ينقلهم من العوج الى الاستقامة ومن الضلالة الى الهدى . وسوف يعلم دينه الدنيا قواعد الحرية واصول الحياة وستشرق ارض الصخور بهذا النور الساطع فى الجزيرة العربية .

واخيرا .. تحير الفجار فى امر محمد .. فقالوا . ان كان يريد بدعوته مالا اعطيناه اجرا كبيرا ليسكت عن آلهتنا، وان كان يريد ملكا ملكناه علينا ، وان كان يريد جاها جعلناه سيدا . وان كان قد مسه الجن نعالجه . ثم اقترحوا على عمه ابى طالب ان يفاوضه فى ذلك فذهب اليه ... فقال له قولته المشهورة :

« والله يا عم لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على ان اترك هـذا الامر ماتركته حتى يظهـره الله أو اهلك دونـه » . وهـل بعد هذا الثبات صمود !؟ فى هذا درس فى الثبات على المبدأ الحق ، يقتدى به المناضلون . ان الدعوة الاسلامية كانت ثورة على الصنم والوثن . وهى دعوة الحرية والقوة .. والعدالة الاجتماعية . وهى دعوة لم تر الدنيا اكمل منها ولا افضل وكان صاحبها رحمة للعالمين وماجعله الله الا بشرى، ولتطمئن به قلوبكم **وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم)** الانفال .

لقد فشلت المفاوضات مع النبى صلوات اللـه وسلامه عليه لانه لم يستجب لمطالب الوثنيين ثم ماذا حدث ؟ ثم بعد ذلك ؟ كانت المـؤامرة التى دبرت بليل للاسلام .

« واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » .

لقد صمم طغاة قريش على اغتيال النبى على أن تشترك كل القبائل فى تنفيذ الجريمة بحضورمندوب مجرم منها يشترك فى التنفيذ . فيتفرق دمهفىجميع القبائل فلا يقدر بنو عبد مناف على حربهم جميعا .

وهكذا خطط المؤتمر السرى المنعقد برياسة ابى جهل !! لهدم دعوة الحرية فى مهدها ولكن الله يعصم نبيه ليرفع ذكره ويعلى قدره ويشرح صدره .

ان الله قد أمر نبيه بالهجرة ليتمكن بعيدا عن مؤامراتهم وأحقادهم وأضغانهم . ليترك جو المعوقات والتحديات التى صنعتها ايد آثمة وأظهرتها نفوس غادرة وأعلنتها اخلاق ماكرة وقد زين لهم الشيطان اعمالهم ، ولكن الله غالب على أمره .

ان الله قد شرع الهجرة للذين يريدون العزة لانفسهم . والرفعة لانسانيتهم » .

ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى انفسهم قالوا فيم كنتم ؟ قالوا كنا مستضعفين فى الارض !! قالوا ألم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟ فأولئك مأواهم جهنم . وساءت مصيرا الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لايستطيعون حيلة ولا يهتـدون سبيلا . فأولئك عسى الله ان يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الارض مراغما كثيرا وسعة . ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله وكان الله غفورا رحيما » « النساء » .

لقد كانت الهجرة عبرة وعظة . كما كانت طريقا لاعزاز الحق . ونصرة العدل ، كما كانت ثورة على الظلم الاجتماعى والطبقة الظالمة التى كانتمتمكنة فى مكة وما حولها !! وكيف تمت الهجرة والاعداء ينتظرون امام الابواب بالمرصاد ؟!

وقف المتآمرون المجتمعون يرصدون تحركات النبى صلى اللهعليه وسلم. ولكن اللهالذىاصطنعه لنفسه واصطفاه واجتباه وسيؤيده بنصره ـ اخبره بما فى صدورهم من شر وغدر . وبأنهم يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون » « **هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون** » .

ولما بدأ رسول الله فى تنفيذ خطة الهجرة قال لاصحابه من يبيت مكانى الليلة لألبس على القوم حالهم ؟ فقال على كرم الله وجهه انا يا رسول الله البس ملابسك وانام مكانك لتقع السيوف على واتلقاها بصدرى لتحيا انت للاسلام والمسلمين !!

فهل بعد هذه الروح الفدائية المثالية شجاعة انسانية ؟!

يجود بالنفس اذا ضن الشجاع بها
والجود بالنفس اقصى غاية الجود

لقد نفذ على رضى الله عنه ذلك وخرج رسول الله صلوات الله وسلامه عليه والاعداء ينتظرونه على الباب ليقتلوه فقرأ قول الله تعالى فأغشيناهم فهم لا يبصرون » فلم يبصروه ..

خرج معه صديقه الاول الذى ضحى بنفسه وماله لنصرة الاسـلام وحماية الرسـول عليـه الصـلاة والسلام فاشترك فى دور الهجرة البطـولى مسـتعينا بالله ومسـتظلا برعايته حتى اذا اتيا غار ثور فدخلاه . وتركا الامر لله ولله الامر من قبل ومن بعد ، ولم يسكت اهل مكة فكونوا فرقة تطاردهما واعدوا جائزة كبرى (مائة ناقة) لمن يأت بمحمد حيا او ميتا واذا مات فلا دم له ولا ثأر كما اتفقت القبائل على ذلك . وأنتظر ممثلوا القبائل نبأ العثور عليه ليستريحوا منه ومن دعوته . ولكن الله خيب املهم ورد كيدهم خناجر مسمومة الى صدورهم المحمومة .

ذهب المأجورون الطامعون فى الجائزة ينقبون فى الكهوف والاودية لعلهميجدون محمدا فيأخذون الاجر

المادى المغرى .. وفيهم من خلق الغدر ما هو معروف من سجل اعمالهم التى برزت فى سوء المعاملة مع رسول عزيز عليه عنتهم فقابلوا كل ذلك بالاستعلاء والكبرياء ومخالفة الضمير والفطرة السليمة ..

وصلت فرقة الى الغار . بحثا عن النبى صلى الله عليه وسلم وصاحبه فارتاع ابو بكر عند سماع تحركاتهم وهمس قائلا لرسول الله لو نظر احدهم تحت قدميه لرآنا فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟ « لا تحزن ان الله معنا » .. ثم خرج من الغار ومعه صاحبه وسارا جنوبا نحو المدينة ومعهما عناية الله حتى اسلمهما لاحبابهما فى المدينة المنورة ولازالت مع النبى وصحبه تؤيدهم بنصره ، وفى المدينة عاشت الدعوة الاسلامية فى جو جديد بعيد عن الاحن والفتن مكن لها من بناء وحدة اسلامية عربية متاخية متعاونة قوية ازالت آثار الوثنية من الجزيرة العربية ، والامة المؤمنة اذا بلغ الاخاء المخلص بها هذا المبلغ . لابد ان تصل الى عزة تشيد مجدها وتدعم امنها لقد كانت الهجرة مبدأ لتاريخ عظيم وفاتحة لحياة اسلامية وانسانية فاضلة مليئة بالاطمئنان والحرية .

لقد ترجمت الهجرة عن بطولة ابى بكر الذى لم يدخر وسعا فى نصرة دين الله فقد لازم النبى فى احرج الظروف واعتى ايام الشر والمحن ، مؤمنا بالحق الذى لايبلى ولا يفنى اما على رضى الله عنه فقد ترجمت الاحداث عن موقفه البطولى الانسانى المثالى فقد نام فى فراش النبى فى ليلة تراكمت فيها ظلمات الليل ، وظلمات الظلم ، وظلمات قلوب سوداء معتمة لا انسانية فيها ولا خير ـ فقد بات على السيوف تحيط به وهو ثابت النفس مطمئن القلب كبير الرجاء . لا يهاب الاعداء ، ليلة أن تم الامر فى كتمان ، وحذر ، حتى لا يترامى الخبر لقريش الذين تآمروا فى دار ندوتهم بدعوة كبيرهم ابى جهل على اغتيال رسول الله للبشرية كافة ولكن الله اراد ان يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين الذين عاشوا فى ضلال مبين . ولمثل بطولة أبى بكر ورجولة على فليعمل العاملون ..

ولقد كانت المدينة قبل هجرة النبى اليها تعيش فى خلاف بين الاوس والخزرج ينميه ويقويه يهود حولهم فبدل الله حياتهم الى اخوة وحب وألفة واصبحوا بنعمة الله اخوانا . ان هذه القبائل ساهمت فى بناء الدولة الحديثة فى يثرب ثم ما لبثوا ان اصبحوا جندها وجيشها بعد أن اسسوا بنيان حياتهم على مبادىء الايمان السليم والخلق القويم وعلى الوحدة لا الفرقة وعلى الوئام لا الخصام ، وعلى القوة لا على الضعف وعلى العلم لا على الجهل .

ثم انتصروا على المشركين الوثنيين الذين تآمروا بالامس على النبى والذين معه . كذلك انتصروا على اليهود الذين كانوا حول يثرب وهم الذين كانوا يفسدون على العرب حياتهم ويعكرون صفوهم وجوهم ويفرقون وحدتهم ويمزقون جماعتهم ويوهنون قوتهم والامثلة كثيرة : منها قصة شاس بن قيس اليهودى الذى مر على جماعة من الاوس والخزرج بعد اسلامهم فوجدهم يجلسون فى مجلس واحد يتحدثون فيه . فآلمه هذا المنظر وغاظه صلاح ذات البين . على الاسلام بعد عداوة دامت سنين فى الجاهلية . حتى قال والله اذا اجتمعت قلوبهم ما لنا معهم من قرار ، فامر شابا من اليهود كان معه وكان لبقا لباقة شيطانية خبيثة . امره ان يجلس معهم ويذكرهم بيوم بعاث وما قبله « ويوم بعاث من ايام المعارك التى كانت بين الاوس والخزرج وانشدهم بعض ما كانوا يقولونه من اشعار ـ ففعل ببعض ما كلفه به شاس فتكلم القوم .. حتى تنازعوا وتفاخروا ثم تواثب رجلان من الحيين . ثم تقاولا .. حتى قال احدهما لصاحبه ان شئتم رددناها الان جذعة .. وغضب الفريقان جميعا وقالوا . موعدكم الظاهرة . وتنادوا السلاح السلاح ثم خرجوا بأسلحتهم وكادت تنجح فى مهمتها دسيسة اليهودى وفتنة شاس بن قيس الحقود اللدود لولا ان الرسول صلى الله عليه وسلم تدارك الامر لما بلغه ذلك . فخرج اليهم فقال يا معشر المسلمين الله الله ابدعوى الجاهلية وانا بين أظهركم ، بعد ان هداكم الله للاسلام واكرمكم به وقطع به عنكم امر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر والف بين قلوبكم فعرف القوم المكيدة اليهودية والدسيسة الشيطانية . فبكوا وتعانقوا وتصافحوا . وانصرفوا مع النبى متآخين متحابين ونزل قول الله «واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا .. » .

ولقد تخلصت الامة المحمدية من اعداء الاسلام وطهرت البلاد العربية من الوثنية والشرك ومن العناصر اليهودية ونصر الله دينه والله الذى نصرهم بالامس وايدهم بروح من عنده وأعز الاسلام ورجاله سينصرنا اليوم وسيرد كيد الغادرين الى نحورهم وسمومهم الى صدورهم والله يؤيد بنصره من يشاء وستكون كلمة الله هى العليا . وكلمة الذين كفروا السفلى ، والله غالب على أمره .

هجرة الجهاد والفتح

الأستاذ محمد دياب

التاريخ القديم يروى لنا كثيرا من أخبار هجرة الاقدمين .. والتاريخ الحديث اخباره عن هجرة البشر اكثر .. وربما حمل الينا المستقبل من أخبار الهجرات ما يفوق حدود التصور .

وهجرات التاريخ متنوعة . لقد هاجر الناس للتجارة والرزق . وهاجروا للعلم والمعرفة .. وهاجروا ايضا وراء الطموح والثراء .. ووراء اغراء المتع .. وهاجروا تفريجا للهموم والاحزان وانتجاعا للسلوة والنسيان .

ثم شهد العصر الحديث لونا آخر من الهجرة هو أبشع ألوان الهجرات عبر عصور التاريخ .

لقد استحدث الطغيان الامبريالى فى هذا العصر **نوعا** من الهجرة الجماعية التى تستقطب شعوبا بأكملها ترغم على ترك اوطانها تحت الارهاب المسلح والاضطهاد ، والقتل . وفى الوقت تحشدالامبريالية شرازم المهاجرين من المغامرين وشذاذ الافاق فى كل أرض الى هذه الأوطان لاغتصابها واستيطانها بالقوة .. تحت اسم الشعب والحكومة والدولة .

نوع مزدوج ورهيب من الهجرات .. يقوم على اجراء التجارب الجراحية فى أجساد الدول والاوطان .. وعلى استغلال ذلك النزيف الدامى فى صناعة كيانات بشرية غريبة تسمى ـ بمنطق التدليس والتزييف ـ دويلات .

ولعل ابرز جرائم تلك الهجرة العنصرية الدموية .. هو مايراه العالم اليوم فى فلسطين .. وفى جنوب افريقيا .. وفى روديسيا والمستعمرات البرتغالية وغيرها من مناطق العالم .

مفهوم الهجرات على كل حال يتنوع ويختلف .. واهدافها تتعدد ايجابا وسلبا .. صدقا وكذبا ... سلما وحربا .. امنا وعدوانا .. حقا وباطلا .. وبين هذا وذاك كانت افراح البشر واتراحهم عبر التاريخ .. كانت الابتسامات والدموع .... كان الانتصار والانكسار .. والخير والشر .. والطمأنينة والفزع .. والنور والنار .. والحياة والموت .

هكذا كانت كل هجرات التاريخ .. الا هجرة واحدة وفريدة ظلت منذ اربعة عشر قرنا من الزمان تتألق فى جبين الحياة .. وتثرى وجدان الناس .. وتبهر اخيلة القادة والابطال .. وتهز ضمير الوجود لماذا ؟

لانها كانت هجرة موحدة القصد والوسيلة والهدف . هجرة احتملت بكل البسالة والصدق والشجاعة مسئولية الامانة ورسالة الحق والتوحيد .. هجرة لم تبتغ بما حملت وتحملت غير وجه الله ولم تصدع الا بأمر الله هجرة قلوب وارواح لا هجرة اجساد وأشباح .. هجرة تنزع راضية عن المال والاهل والولد الى قمم من المعانى يتضاءل بجانبها كل متاع الدنيا .

تلك هى هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم واصحابه من مكة منزل الوحى الى المدينة حصن البيعة والجهاد .

وفى ظروف مثل هذه الظروف التى تمر بها الامة العربية والاسلامية ٠٠ يجدر بنا ان نستلهم من معانى الهجرة النبوية ابلغ دروس التضحية ٠٠ والولاء للحق ٠٠ والصمود فى سبيل انتصار العقيدة والمبدأ ٠

لقد كانت الهجرة النبوية ٠ وستظل الى آخر الزمان ـ درسا معلما ورائدا لكل المناضلين ٠٠ وكل عشاق الفدائية ٠

لم تكن الهجرة مجرد رحلة مثيرة الى أرض جديدة تتخللها معجزات الغار والحمام والبيض والعنكبوت ٠ وانما كانت زحفا مصيريا الى حيث البيعة والوحدة والقوة والجهاد ٠

لم تكن فرارا من أرض المعركة كما حلا لاعداء الاسلام ان يلقبوا صاحبها « بالنبى الفار » ـ وانما كانت الهجرة منطلقا الى القتال والتضحية المصابرة من أجل المضطهدين ، الذين اصبح لهم بالهجرة وجودهم الدولى الواسع ، وعلاقاتهم الدولية الواضحة فى السلم وفى الحرب ٠

ولم يهاجر النبى الكريم واصحابه رغبة فى قتال من أجل القتال ٠٠ بل اصرارا على اقرار السلام العادل ٠٠ ولم يهاجروا ضعفا او استسلاما ٠٠بل هاجروا بمنطق القوة والصمود والبذل ٠

وما أروع ان نتأمل هذه الصور على لوحة الهجرة المضيئة أبدا :

● فليحدثنا التاريخ ـ اذا استطاع ـ عن مثل صمود الصديق ابى بكر صاحب الغار ٠٠ عندما اصيب بلدغة ثعبان ٠٠ وكانت آهة واحدة تصدر عن آلامه كفيلة بتغيير وجه التاريخ !

● **وليحدثنا التاريخ ـ ان كان لديه حديث ـ عن مثل شجاعة على بن ابى طالب ٠٠ الفدائى الاول الذى تسجى ببردة الرسول ونام مكانه ليفتديه من تآمر المشركين على قتله ؟**

● ولنقلب صفحات التاريخ كلها ٠٠ هل فيها غير « أسماء » واحدة ؟

ومن التى تنسى من بنات ونساء العرب والمسلمين « أسماء » ذات النطاقين ٠٠ حاملة التموين من مكة الى الغار وسط تحركات المشركين المجنونة بحثا عن محمد وصاحبه ؟!

● وعبد الله بن أبى بكر ٠٠ صاحب المخابرات الصادق وكاشف تحركات الاعداء !

● وعامر بن فهيرة ٠٠ راعى الغنم البسيط الذى كان يبدد آثار أقدام مسيرة الهجرة المباركة بأغنامه ٠٠ ويقدم لبنها بين الحين والاخر الى صاحبى الغار !

● **ثم فليحدثنا التاريخ ـ اذا اسعفته الذاكرة ـ عن مثل ايثار الانصار فى المدينة لاخوانهم المهاجرين على انفسهم ٠٠ ثم ماكان نتيجة لهذا الحب والايثار والتلاحم والوحدة من مجد الاسلام وخير العالم ٠!**

لقد كان النصر العزيز للمسلمين بعد الهجرة بسنوات قلائل ٠٠ كان الفتح المبين ٠٠ وكانت الدولة الاسلامية الكبرى التى نشرت الوية الحضارة خفاقة على ربوع الارض ٠

هذه لقطات سريعة من صور الهجرة ودروسها المبشرة ابدا بأن الفتح والنصر وليدان شرعيان للفدائية والايمان ٠٠ وبأن الفدائية والايمان وليدان مباركان لهجرة القلوب الى مثل الانسانية العليا ٠

وهجرة كل انسان الى ما هاجر اليه

من هاجر الى الله فهجرته الى الله ٠٠ ومن هاجر الى الشيطان فهجرته الى الشيطان ٠٠ والقلب هو سفينة الانسان الى مهجره ٠٠ والعقل هو ربان السفينة الى شاطىء النور او شاطىء الظلام ٠

قال ابن مسعود رضى الله عنه : كان فينا رجل خطب امرأة يقال لها « أم قيس » ولكنها أبت ان تتزوجه حتى يهاجر ٠٠ فهاجر وتزوجها ٠٠ فكنا نسميه « مهاجر أم قيس » ٠

وخليق بنا ـ ونحن نعيش اليوم ذكرى الهجرة ونخوض معركة المصير ضد اعداء الله والانسان ـ ان يهاجر كل منا الى نفسه يسألها :

ـ ماذا قدمت ٠٠ وبماذا ضحيت ؟

ـ كيف ابذل من مالى وصحتى وعيالى ؟

كيف أشارك اخوانى المهجرين من انقتال أعباء الهجرة ٠٠ كيف أبذل لهم من نفسى ومتاعى ٠٠ وأوسع لهم من بيتى ودارى ؟ ٠

كيف أواجه كيد العدو وشائعاته وغاراته وأرتال هجرة بسالة الحق وشجاعة الرجال ؟

تلك هى بعض ايحاءات الهجرة ودروسها والهامها ٠٠ يجب أن نتدبرها ونعيها ٠٠ والا فلن يكون أى متخلف فينا اكثر من مهاجر ام قيس ٠

ويا رب الهجرة ٠٠ يا رب صاحب الهجرة ٠

بدد فى نفوسنا كل هجرة الا اليك ٠٠ امنحنا قوة من قوتك ٠٠ وبأسا من بأسك ٠٠ وجبروتا من جبروتك ٠٠ وأظهرنا على أعدائك واعداء انبيائك ورسلك ومقدساتك حتى يكون لنا بك ومنك النصر يا الله

في ذكرى الهجرة

تحية إلى جنودنا الأبطال

فضيلة الشيخ محمد علي الطعمي

أيها الجنود العرب الرابضون على خط الجبهة ..

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته :

انتم الان على موعد مع ذكرى الهجرة النبوية ، أعادها الله على الامة العربية باليمن والظفر والاقبال ، وأنتم الان على موعد مع نصر قريب ـ بانت تباشيره ـ وبدت معالمه ، فاطمأنت اليه النفس ، وانشرح له الصدر ، وارتاح معه الضمير ، وباركته الجماهير العربية الثائرة ، وذلك بفضل ايمانكم الصامد وعزيمتكم الفتية الشماء .

وذكرى الهجرة التى يتردد صداها اليوم فى مشارق الارض ومغاربها ، حدث تاريخى فاصل ، هدمت ركن الباطل الشامخ ، وأذلت ذويه المعربدين على الله ، المتحالفين مع الشيطان ، فصارت أنشودة فى فم الزمان أخذ منها الأبطال معنى البطولة والرجولة وأخذ منها الاحرار معنى الحرية والكفاح وأخذ منها الجنود دروسا علمتهم احتمال الصعاب فى الساعات الحرجة والصبر حين البأس ، وملاقاة العدو بصلابة وايمان .

... وذكرى الهجرة تتلخص فى أن قريشا لم تطع الله ، ولم تتبع الرسول ، وجنحت الى الهوى ، وبالغت فى العماية والضلالة الخرقاء ، فانذرها النبى باثبور ، وحذرها عاقبة أمرها السفيه فسدت اذنيها عن وصاياه وامعنت فى السير على الخطوط الملتوية .. ثم أرادت أن تغتاله لتستريح من دعوته الجديدة ، التى بدأت تنشط فى مكة وتمثل مركزا مرموقا ..

وشاء الله أن ينجو محمد من المؤامرة الوقحة التى دبرها القرشيون ، وشاء الله أن يترك مكة للمكيين ويلحق بالمهاجرين والانصار المقيمين فى المدينة المنورة ،وشاء الله أن تكون الهجرة فتحا مبينا ، ونصرا مؤزرا للكادحين والحيارى ، والمظلومين وفقراء الناس ...

ولم تكن الهجرة عن خوف من أذى ، أو فرار من عدو ، وانما كانت نقطة تحول كبير ظهر أثره الهادف عندما رجع النبى الى مكة فاتحا لها ، وكان جنوده الابطال تهتف حناجرهم قائلة ، الله أكبر كبيرا ، والحمد لله كثيرا ، وسبحان الله بكرة وأصيلا ، فاستسلم المشركون لهذا الدوى الرنان ، واعترفوا بالله ربا ، وبالاسلام دينا ، وبمحمد نبيا ورسولا ..

وذكرى الهجرة تبرز لنا ملحمة يستحيل على اى بشر ان يقوم بدورها : سوى صاحبها عليه السلام ، وتبرز لنا أن العناية الربانية لاحظتها تماما ، وجعلتها أقوى يدا ، وأعزمددا ، وأقوى عددا ، فقددخل النبى الغار وتقفته قريش شيوخا وشبانا ، حتى وقفت على مقربة منه ، فلم تجد له أثرا ، فسألت عنه راعيا للغنم ، فقال لم أر محمدا بعينى ، ولكن أعتقد انه دخل هذا الغار .. عندئذ قفز قلب أبى بكر الصديق ، واهتز كل عضو فيه ، وظهر عليه شيء من الجزع والارتباك ، فنظر اليه الرسول بعينين حانيتين ، وقال له لا ترتعب ، وكن واثقا بأن هنالك قوة عليا تصد عنا كيد المغيرين ، فقال أبو بكر كيف هذا يا رسول الله ، وقد تسوروا علينا الغار ، ولو نظر أحدهم الى تحت قدميه لرآنا ؟ **فقال له الرسول « لا تحزن ان الله معنا »** فاطمأن الصديق بوعد الله وزادت طمأنينته **« الا تنصروه فقد نصره الله ، اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين ، اذ هما فى الغار ، اذ يقول لصاحبه لاتحزن ان الله معنا ، فانزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها » ..**

أيها الجنود العرب الرابضون على خط الجبهة ..

هذا موقف غير وجه التاريخ ، وزحف بالمجتمع البشرى الى شاطىء السلام ، وجعل الحق يهزم الباطل والخير يتغلب على الشر ، والفضيلة تسحق الرذيلة ...

لقد كان محمد واحدا فى أمة ، وكان رجلا من قريش ، ومواطنا فى مكة ، ومع ذلك هز الدنيا هزا ، وجعل ليلها الدامس يفيض بالنور ، ثم حول متاعبها

وقلاقلها الى راحة وهدوء ، وبذلك عاش الناس اخوة متساوين ، من غير غطرسة ولا كبرياء ..

لقد حارب محمد وفرضت عليه الحرب فرضاً مع المشركين والروم واليهود أعداء السلام : وفى كل معركة كان يشده الامل نحو نصر محقق لا ريب فيه ، بل كان يخوض المعركة والثقة فى الله تملأ جوانبه: انظر اليه فى الميدان ، وهو يقول وسلاحه فى يده ..

أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب

فى معركة بدر التحمت فئتان غير متكافئتين عددا وعددا ، وحين اصطف المسلمون للقتال « قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين » ومن أول وهلة تزحزحت عصابة الشر وهربت من ساحة المعركة تاركة وراءها الاسلحة والذخيرة والاسرى غنما للمؤمنين ..

وينبغى أن نعلم ان هذا النصر تدخلت فيه السماء أيضا ، فقد استنجد المسلمون بالله رغم الاستعدادات الكافية للمعركة ، فاستجاب الله دعاءهم « وانزل ملائكة فى سيما الزبير ، عليهم عمائم صفر مرخاة على أكتافهم ، وهم على خيل بلق » فشدوا عزائم المسلمين والهبوا حماسهم ، وقاتلوا مع المسلمين جنبا لجنب « اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين ، وما جعله الله الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر الا من عند الله » ..

أيها الجنود العرب الرابضون على خط الجبهة ..

أزف اليكم بشرى النصر ، وهذه البشرى مؤكدة لا لبس فيها ولا غموض ، فقد جاء فى تفسير قوله تعالى « **اذ تستغيثون ربكم ..** » أن ابن كثير قال ، **هذه خصوصية للمجاهدين فى سبيل الله ، وهى باقية لهم الى يوم القيامة ، على معنى أن الملائكة تنزل وتخوض المعارك مع المسلمين ، وتقاتل حلف الطاغوت فابشروا بهذه الخصوصية ، واطمئنوا لكلماته التى لا مبدل لها ولا تحريف ..**

ايها الجنود العرب الرابضون على خط الجبهة ..

هذه فرصة كبرى للجهاد فى سبيل الله ، وهذه الفرصة لن تكون الا لمن أراد الله له شرفا ومجدا وثوابا ، ثم انها لاتعطى جزافا ، ولن تخول الا لثلة توفر فيها صدق العزيمة وعمق الاخلاص ، فاستعدوا لنيل هذه المثوبة العظمى و « **اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون** » ..

أيها الجنود الرابضون على خط الجبهة ..

ان الذين تقاتلونهم من الصهاينة والذين من ورائهم انما هم عصابة مهلهلة مفككة ، ليس لها رابط من ايمان ، ولا ضابط من خلق ، وقد عرفتهم البشرية من فجر تاريخهم الاسود اللعين ، يوم أن ائتمروا على أخيهم يوسف ورموه « فى غيابة الجب » ثم رجعوا الى ابيهم يبكون بدموع التماسيح ناسجين له قصة خيالية كاذبة .. انها قصة الذئب المظلوم ..

وبعد هذا كذبوا داود ، واعتدوا يوم السبت بصيد السمك فيه وهو محرم عليهم ، ثم خانوا المسيح وطاردوه فدعا عليهم داود وعيسى ان يصيبهم اللعن الابدى « **لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون** » واللعنة هنا ليس معناها الطرد من رحمة الله فحسب وانما معناها مسخ الاولين قردة فى زمن داود ، ومسخ الاخرين خنازير فى زمن عيسى ، وهذا ما أورده الالوسى فى تفسيره ، ومن هنا كانوا أمة القردة والخنازير ، وكانوا جبناء أذلاء لا يعرفون الا الغدر والمكر والخيانة « **واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم ، وان يقولوا تسمع لقولهم ، كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو ، فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون** » ..

أيها الجنود العرب الرابضون على خط الجبهة ..

ان العالم كل العالم يتطلع باهتمام بالغ الى موقفكم البطولى الرائع ، ويتطلع الى انتصاراتكم الزاخرة التى تحققونها يوما بعد يوم على أرض المعركة ، ولا غرو فانتم ابناء خالد واحفاد صلاح الدين ، ومن سلالات العرب الاشاوس ، الذين ضربوا أروع الامثال فى البذل والتضحية والفداء ، واستطاعوا فى فترة وجيزة أن يهيمنوا على القارات برا وبحرا وجوا ، فانبثقت عنهم الحضارات والمعارف ، وكانوا بناة نهضة ودعاة اصلاح ، ورجالا أمجادا فاشرقت بهم الدنيا وامتلأت عدلا وعلما وانصافا ..

أيها الجنود العرب الرابضون على خط الجبهة ..

الشعب العربى كل الشعب العربى معكم والدنيا كلها تؤيدكم ، فتوكلوا على الله واعتمدوا عليه فى المعارك الدائرة مع الصهيونية ، وخذوا من ذكرى الهجرة ملاحم بطولية ، وهى جديرة ان تمهد لكم الصعب ، وتنير الطريق وتوهب النصر وهى جديرة أيضا أن تلفت المسلمين كل المسلمين الى توحيد الصفوف وتوكيد الرابطة وتماسك الايدى ، ليصبح الدين خالصا لله ، ويصبح المسلمون قوة لها وزنها وخطرها فى دنيا انعدمت فيها موازين العدالة والانسانيات ، وأصبح الحق محتاجا الى القتال العنيف ، وبالقتال يتصحح الوضع وتعود الامور الى نصابها ، وعلى الباغى تدور الدوائر .

الهجرة

ثورة على الضعف وجهاد فى سبيل الله

الأستاذ محمد حسن عبد العزيز

كلما بزغ هلال المحرم الاغر من عام جديد للقمر . احتفل العالم الاسلامى بذكرى احد الاحداث الهامة فى تاريخ الدعوة الاسلامية . ويتتبع كل صاحب قلم خطى النبى صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة يحاول جهده ابراز جانب من جوانب عظمة هذا النبى العربى ، وصموده فى أشد الاوقات حلكة ، وادعاها لليأس .

وحادث الهجرة ، حلقة من سلسلة الصراع بين الحق والباطل ، بين الوثنية المطلقة والتوحيد الصريح .

واذا تتبعنا الاسباب التى دعت الى هذه الهجرة ، لوجدنا أن المجتمع المكى كان من أشد المجتمعات الانسانية تخلفا فى العقيدة ، ففيه عبدت الاصنام من دون الله ، يتوارثها الابناء عن الاباء بالتقليد « **انا وجدنا آباءنا على أمة ، وأنا على آثارهم مقتدون** » تأصلت مع الزمن فى نفوسهم ، وصار من المستحيل استئصالها منهم ، فقدموا لها القرابين والكفارات على أنها الصورة التى ارتضاها الاله الاعظم ، خالق السموات والارض للظهور بها . على الرغم من أنهم عرفوا النصرانية واليهودية والمجوسية عن طريق معاملاتهم التجارية .

وموطنهم قفر جهول ، لا يمسك الماء ، ولا ينبت الحب ، يعتمدون فى معيشتهم على التجارة ، مورد رزقهم الأساسى تأتى بها قوافلهم كل عام فى رحلتين من اليمن والحبشة شتاء ، ومن الشام وفارس وصينا ، ولا حياة لهؤلاء القوم الا بهاتين الرحلتين .

فاذا عرفنا أن الحرم كان بين ظهرانيهم ، قد رصت الاصنام فى ساحته يأتى اليها الحجيج كل عام ، تأكد لنا انهم استغلوا العقيدة الدينية فى نشاطهم الاقتصادى ، فاقاموا الاسواق قريبا من البيت حتى بلغت أربعين سوقا ، أشهرها « عكاظ » واستنوا حرمة بعض الشهور والاماكن التى تقع فيها الاعياد وموسم الحج .

ولم يكن غريبا أن يؤمن هؤلاء بالكهانة والسحر ، ويستسلموا لخرافات وأوهام التطير والتشاؤم والاستبشار بحركات الطيور ، صعودا وهبوطا ، وأن يجعلوا بينهم حكم السهام كأنه القدر المكتوب ، ولا أن يشيع بينهم وأد البنات خشية الفقر والعار ، ويكون الاقتتال لاوهى الاسباب فرصة لاظهار الفروسية والشجاعة ، وينكرون البعث بعد الموت ، فانفقوا حياتهم كما يحبون .

ومن هنا كانت دعوة النبى صلى الله عليه وسلم صرخة غير منتظرة ، ودعوة غير مرغوب فيها فقد نشأ النبى صلى الله عليه وسلم بين هؤلاء القوم محبا للعزلة ، مبغضا للاصنام والخمر واللهو ، يخلو بغار حراء كل عام يتعبد فيه الليالى ذوات العدد ، وبينما هو مستغرق فى تأمله ، والليل قد غشى الكون ، اذا بالسكون المحيط به يتبدد فجأة ، واذا بصوت يناديه « اقرأ » ففزع فمعهده بالمكان دائما خاليا وتردد الصوت بهذه الكلمة ثلاث مرات وهو يقول « ما أنا بقارىء » وقرأ عليه ملك الوحى أول كلمات من كتاب معجز نزل على ذلك الرجل الامى ، وما قرأ من قبله كتابا ، ولاخط بيمينه سطرا اقرأ باسم ربك الذى خلق، **خلق الانسان من علق، اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم ، علم الانسان مالم يعلم »**

وخرج من الغار مع بداية الفجر ، لايدرى أنه بهذا الحدث العظيم قد تلقى من ربه وحيا ، **وأنه يوشك أن يكون سيد العالمين، ونبى هذه الامة، وفى بيته أفضى الى زوجة بما رأى ، وسمع منها أول كلمة تأييد اطمأن بها قلبه « والله يرعانا يا أبا القاسم، أبشريا ابن عم، واثبت فوالذى نفس خديجة بيده ، انى لارجو أن تكون نبى هذه الامة والله لا يخزيك الله أبدا ، انك لتصل الرحم وتصدق الحديث ، وتحمل الكل وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق »**

كان متعبا مجهد الجسم فى حاجة الى نوم عميق ، فاستلقى الى فراشه يريح جسده المكدود وفى الصباح انطلقت خديجة الى ابن عمها ، ورقة بن نوفل وكان قد تنصر وعرف الانجيل ونقل بعضه الى العربية فقصت عليه ما حدث فطمأنها قائلا « **والذى نفس ورقة بيده لئن كنت صدقتنى ياخديجة ، لقد جاء الناموس الاكبر الذى نزل على موسى، وأنه لنبى هذه الامة ،فقولى له فليثبت** » وما عادت اليه تزف البشرى الاوكان الوحى

قد نزل عليه مرة أخرى « **يأيها المدثر · قم فانذر · وربك فكبر · وثيابك فطهر والرجزفاهجر · ولا تمنن تستكثر ولربك فاصبر** فقد انتهى عهد النوم والراحة وان عليه أن ينذر الناس ، ويدعوهم الى عبادة رب العالمين ، وان عليه أن يتحمل المتاعب والاذى ·

وهو نبى · يأكل مثلهم كما يأكلون ، ويمشى فى الاسواق وبينما هويطوف يوما حول الكعبة، اذ لقى ورقة بن نوفل فحدثه فى أمره فقال له « والذى نفسى بيده انكلنبى هذه الامة ،ولقد جاءك الناموس الاكبر الذى جاء موسى ولتكذبن ، ولتخرجن ، ولتقاتلن ، ولتؤذين ، ولئن انا ادركت ذلك اليوم لانصرن الله نصرا يعلمه » ·

اذن عليه أن يتحمل الاذى والمتاعب ، وأكثر من ذلك أن يخرجه قومه ·

وتجرد النبى صلى الله عليه وسلم لاداء رسالته ، فآمن به نفر قليل ، استعمل المشركون معهم كل أنواع التنكيل والتعذيبوالصد والتكذيب، فجادلوهم بالتى هى احسن فقوبلوا بالبهتان ، ورموا النبى بالجنون ، وقالوا عنه شاعر يعلمه الشيطان السحر فانطلق لسانه بهذا الكلام البليغ ·

حاولوا ملاينته واغراءه بالمال ،وبالملك، لكنه ابى وظل صامدا يبلغ دعوة ربه وفى موسم الحج كان يعرض نفسه على القبائل وعند العقبة ، لقى ستة نفر من الخزرج دعاهم الى الاسلام ، فاجابوه · وفى العام القابل قدم اليه أثنا عشر رجلا منهم خمسة من الستة بايعوه ودخلوا فى الاسلام ، وأرسل معهم النبى صلى الله عليه وسلما بن أم مكتوم ، ومصعب بن عمير يقرئانهم القرآن فاسلم على يديهم خلق كثير ، ولم يبق دار من دور الانصار الا وفيه ذكر لرسول الله · وفى العام الثالث قدم منهم سبعون رجلا وامرأتان يدعونه الى بلدهم بعد الذى علموه مما أصابه من قومه وعاهدوه أن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم ·

وأشار النبى صلى الله عليه وسلم على المسلمين بالهجرة الى المدينة ، فتسللوا اليها حتى لم يبقبمكة غير من حبس أو فتن الا رسول الله صلى عليه وسلم وصاحباه أبو بكر الصديق وعلى بن أبى طالب ·

وجن جنون قريش ، وخشى القوم لو خرج محمد الى أصحابه أن تضيع ثمار ثلاثة عشر عاما من الصراع: **وقد يأكد أنه قد أجتمع على حربهم: وقد** أصبح له شيعة وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم · لاسيما والمدينة تقع فى طريق تجارتهم الى الشام ويخشى من التعرض لها ·

وفى دار الندوة اجتمع شيوخهم ، واجمعوا رأيهم على أن يأتون من كل قبيلة بفتى شابا جلدا نسيبا يأخذ كل منهم سيفا ، فيضربونه ضربة رجل واحد ، فيتفرق دمه فى القبائل فلا يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا ·

وجاء وحى السماء يخبره بكيدهم ، مؤذنا له فى الخروج واللحاق باصحابه . فاعد خطة الرحيل بكل احتمالاتها ، فلم تكن نفسه تشغله أكثر مما كان يشغله ذلك الدين الذى تحمل أمانة ابلاغه ·

وحانت ساعة الرحيل بينما هؤلاء النفر يحاصرون بيته ، فى انتظار اللحظة المحددة وانطلق صوت النبى صلى الله عليه وسلم بهذا الدعاء « **وقل رب أدخلنى مدخل صدق واخرجنى مخرج صدق ، واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا** »

وهنا تذكر عبارة ورقة بن نوفل ، « ولتخرجن » وفى غفلة من المتربصين وفى ستار الظلام ، تسلل النبى صلى الله عليه وسلم تاركا فى فراشه ابن عمه عليا بن ابى طالب متسجيا ببرده الحضرمى الاخضر ليؤدى ودائع كانت للناس عنده ، ولتضليل فتيان قريش المتربصين بالسيوف ، ووصل الى دار أبى بكر ، وتسلل الصاحبان من خوخة فى ظهر البيت ، وبينما هما فى طريقهما الى جبل ثور باسفل مكة وهو طريق وعر ، غير مألوف وقف المصطفى على مرتفع ناظرا الى أم القرى يودعها فى نظرة حزينة« **والله أنك لاحب أرض الله الى الله ، وأنك لاحب أرض الله الى ولولا أن أهلك اخرجونى منك ماخرجت**» ووصلا الى الغار وقد دميت قدما النبى صلى الله عليه وسلم ·

وظل الصديقان فى غار ثور ثلاثة أيام كانا فيها على اتصال بمجرى الاحداث فى قريش يأتيهما عبد الله بن أبى بكر كل مساء وييبت معهما ويدلج من عندهما بسحر فيصبح من قريش كبائت وعامر بن فهيرة يرعى عليهما ما منحه ابو بكر من غنم ،فاذا أمسى احتلبا وذبحا ، فاذا غدا عبد الله من عندهما اتبع أثره بالغنم يعفى عليه ، ومع ذلك أستطاع قصاصوا الاثر أن يصلوا الى فم الغار ، وتدخلت المشيئة الالهية ، **واذا بالعنكبوت وهو أضعف الحشرات ينسج على فم الغار نسيجه الهش ، وكانه كان من قبل أن يولد محمد واذا بحمامتين وحشيتين قد باضتا عند الباب ونمت شجرة لم تكن من قبل نامية وأعماهم الله أن ينظروا فيه** ، وكان أبو بكر يتسمع خطواتهم خائفا لا على نفسه وانما على هذا الرجل الذى لو قتل لقتلت أمة باسرها ، أما هو فانسان واحد · ويطمئنه النبى صلى الله عليه وسلم « **ماظنك باثنين الله ثالثهما : لاتحزن أن الله معنا** » **وأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم يروها وجعل كلمة الله هى العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى** ·

وخرج من الغار قاصدا المدينة ، فى غير الطريق المعروف حتى لا تلحقه قريش ، على راحلتين كان أبو بكر قد أعدهما من قبل لهذا السفر الطويل ، ومعهما دليل ماهر فى ضروب الصحراء ومسالكها هو عبد الله بن أريقط والمسافة نحو ٣٣٥ كيلومترا والوقت صيف شديد الحرارة ، واتجه بهما الدليل غربا الى طريق الساحل بين أودية من السفوح ثم عرج شمالا متجنبا مناطق الاستقرار ، مستفيدا فى نفس الوقت من موارد المياه وتابع سيره شمالا مارا بالطريق أسفل عسفان مارا بامج ثم أجاز قديدا ثم سلك الخرار وعند الجحفة سلك الطريق المعتاد بين مكة والمدينة الى بدر وعندها

سار فى المنطقة الجبلية حتى وصل المدينة فى اليوم الثانى عشر من ربيع الاول .

وفتحت المدينة له قلبها وأبوابها ،واستقبلته أروع أستقبال ، ولا تزال اذن الزمان تسمع ذلك النشيد الجميل .

طلع البدر علينا
من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا
ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا
جئت بالأمر المطاع

فاقام فيهم مجتمعا جديدا يقوم على الاخاء والتعاون والشورى والوحدة والايثار وأنهى ما بينهم من النزعات القبلية وأنشأ أول مسجد عبد الله فيه جهرا بعد مسجد قباء

ومع ذلك فان المهاجرين لم ينسوا مكة حتى أن النبى صلى الله عليه وسلم دعا ربه أن يحبب اليهم المدينة كحبهم لمكة واشد .

لقد كانت الهجرة ثورة على الضعف وتضحية فى سبيل العقيدة بكل شىء وانتصارا للحق على الباطل حتى جاء نصر الله والفتح وعاد المسلمون الى وطنهم وبقيت الهجرة ذكريات ومعان .

ورحم الله عمر بن الخطاب الذى كان له الفضل فى تحديد نقطة ثابتة يبدأ منها التاريخ الاسلامى ،فقد جمع وجوه الصحابة يستشيرهم فى هذا الامر فمن قائل اكتبوا على تاريخ الروم وكانوا يكتبون على ذى القرنين ، ومن قائل من تاريخ البعثة أو الوفاة أو المولد ، وأخيرا اتفقوا على التاريخ منذ خرج النبى من أرض الشرك .

ومن المؤكد أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يحدد قبل وفاته ما يؤرخ به المسلمون وكما ذكرت فقد وصل النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة فى يوم الجمعه ثانى عشر من ربيع الاول ، واعتبر المحرم مبدأ التاريخ الهجرى لانه أول شهور السنة عند العرب وتغييره يحدث اضطرابا شديدا والجدير بالذكر أن التاريخ الميلادى لم يحسب من يوم ميلاد المسيح عليه السلام فقد ولد فى خمسة وعشرين من ديسمبر وبدأ الحساب من يناير السابق عليه لان ذلك كان مبدأ حساب السنة المعمول به قبل ميلاده عليه السلام بعدة قرون .

أما العرب فلم يكن لهم قبل الاسلام تاريخ ثابت يؤرخون به أحداثهم والشائع بينهم التاريخ بالحوادث الشهيرة وهذه الاحداث بناء الكعبة سنة ١٨٥٥ ق . م **وانهيار سد مأرب سنة ١٢٠ق.م وموت كعب بن لؤى الجد السابع للنبى صلى الله عليه وسلم سنة ٦٠م وحادث الفيل سنة ٤٠ ق هـ وحادث الهجرة ، ولما شرع القتال فى السنة الثانية الهجرية ولما حج النبى صلى الله عليه وسلم حجة الوداع .**

والثابت أن النبى صلى الله عليه وسلم عند كتابته الى نجران أرخ بالهجرة جريا على عادة العرب المتبعة فى هذا الوقت بالتاريخ بالحوادث الشهيرة .

من وحى

الاسلام يقدر دوافع الاباء التى تجعل الانسان الحر يرفض قبول الدنية . ويهيب بالاحرار من شعوب البلدان الاخرى أن يكرموا وفادته . ويحسنوا مواساته . ومن تعاليم الاسلام المقررة انه يوصى المؤمن بمقاومة الطغيان ، فان عجز عن ذلك ماديا فلن يعجز عنه نفسيا .

والمقاومة النفسية أن يقاطع الطغاة ويأبى موالاتهم . ولو عكروا عليه مقامه فليس الظلم فقط ان يلطمك معتد اثيم ، ولكن الظلم ان تقبل هذه اللطمة ، وتستكين لوقعها — وتتودد لصاحبها — الظلم ان يحتل عدو بلدك — وان يهرع الجبناء لاحسان استقباله .. الاول ظلم للغير باهدار كرامته .. والاخر ظلم للنفس باذلال جانبها .. نعم ، من يصادق المعتدين فهو ظالم ، بل هو الجدير باللوم والتقريع . فاذا استفرغ المرء جهوده فى أداء واجبه فأخفق بعد ذلك ، فان الله لا يلومه على هزيمة بلى بها .. وكثيرا ما يرتب الانسان مقدمات النصر ترتيبا حسنا ، ثم يجىء عون أعلى يجعل هذا النصر مضاعف الثمار ، كالسفينة التى يشق عباب الماء بها ربان ماهر ، فاذا التيار يساعدها والريح تهب الى وجهتها فلا تمكث غير بعيدة حتى تنتهى الى غايتها فى أقصر من وقتها المقرر .

وهجرة الرسول عليه الصلاة والسلام من مكة الى المدينة كانت رفضا للظلم وقطيعة للكفر واكراما للانسانية وتقديرا لها ، لذلك استبقى رسول الله عليه الصلاة والسلام معه عليا وأبا بكر .. واذن لسائر المؤمنين ان يتقدموه الى المدينة .

فأما أبو بكر ، فان الرسول صلى الله عليه وسلم قال له حين استأذنه ليهاجر : لا تعجل .. لعل الله ان يجعل لك صاحبا ، وأحس أبو بكر كأن الرسول صلى الله عليه وسلم يعنى نفسه بهذا الرد ، فابتاع راحلتين فحبسهما فى داره يعلفهما اعدادا لذلك ، وأما على فان الرسول عليه الصلاة والسلام هياه لدور خاص ، يؤديه فى هذه الرحلة المحفوفة بالاخطار . ثم قال أبو بكر لرسول الله عليه الصلاة والسلام يا نبى الله ان هاتين الراحلتين كنت أعددتهما لهذا ، فاستأجرا عبد الله بن اريقط ، وهو مشرك يدلهما على الطريق ودفعا اليه راحلتيهما فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما ولم يعلم أحد بخروج رسول الله عليه الصلاة والسلام الا على وأبو بكر وآله . أما على فان الرسول صلى الله عليه وسلم أمره ان يتخلف حتى يؤدى عنه الودائع التى كانت عنده للناس ، وكان الرسول عليه الصلاة والسلام ، ليس بمكة أحد عنده شىء يخشى عليه الا وضعه عنده ، لما يعلم من صدقه وأمانته . ويلاحظ ان الرسول عليه الصلاة والسلام كتم اسرار مسيره فلم يطلع عليها أحدا الا من لهم صلة ماسة ، كما انه لم يتوسع فى اطلاعهم الا بقدر العمل المنوط بهم ، كما انه استعان بدليل خبير بطريق الصحراء قد استأجره ولم يتقيد ، كما انه نظر

الهجرة

الأستاذ عبد الرحمن السحرتي

فى هذا الاختيار الى الكفاية وحدها ، فاذا اكتملت فى احد ولو مشركا استخدمه . وانتفع بموهبته . واتفق الرسول عليه الصلاة والسلام مع أبى بكر على تفاصيل الخروج وتخيرا الغار الذى يأويان اليه ، تخيروه جنوبا فى اتجاه اليمن لتضليل المطاردين . وحددوا الاشخاص الذين يتصلون بهم فى أثناء اللجأ اليه ومهمة كل شخص . ثم عاد الرسول صلى الله عليه وسلم الى بيته فوجد قريشا بدأت تضرب الحصار حوله ، وبعثت بالفتيان الذين وكل اليهم اغتياله وتفريق دمه بين القبائل . وأوعز الرسول صلى الله عليه وسلم الى على بن أبى طالب فى هذه الليلة ان يرتدى برده الذى ينام فيه ، وان يتسجى به على سريره . وفى هجعة الليل وغفلة من الحرس . انسل الرسول عليه الصلاة والسلام وهو يتلو قوله تعالى [وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون] ، من بيته الى دار أبى بكر ثم خرج الرجلان من خوخة فى ظهرها الى غار ثور — الى الغار الذى استودعته العناية — مصير الرسالة الخاتمة .ومستقبل حضارة كاملة . وسارت الامور على ما قدرا

وكان أبو بكر قد أمر ابنه عبد الله ان يتسمع لهما ما يقول الناس فيهما ثم يأتيهما فى المساء بما حدث من أخبار . وأمر عامر ابن فهيرة مولاه ان يرعى غنمه نهاره ثم يريحها عليهما اذا أمسى فى الغار . فنفذ عبد الله بن أبى بكر ما قيل له ، كما ان عامرا قام بمهمته على خير وجه ، فاذا أمسى احتلبا وذبحا ، فاذا غدا عبد الله من عندهما الى مكة اتبع عامر أثره بالغنم : وتلك هى الحيطة البالغة ، وانطلق مشركو مكة فى آثار المهاجرين يرصدون الطريق ويفتشون كل مهرب ، حتى وصلوا فى دأبهم قريبا من غار ثور ، وأنصت الرسول عليه الصلاة والسلام وصاحبه الى أقدام المطاردين ، تخفق الى جوارهم ، فأخذ الروع أبا بكر ، وهمس يحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو نظر أحدهم تحت قدمه لرآنا ، فقال الرسول عليه الصلاة والسلام : يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما ، لا تخف ان الله معنا . وروى ان المشركين اقتفوا الاثر حتى اذا بلغوا جبل ثور اختلط عليهم ، فصعدوا الجبل فمروا بالغار فرأوا على بابه نسج العنكبوت .. فقالوا لو دخل ها هنا أحد . لم يكن نسج العنكبوت هكذا باقيا . فمكثا فيه ثلاث ليال ، قال الله تعالى [الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا . فأنزل الله سكينته عليه ، وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هى العليا ، والله عزيز حكيم] .

والجنود الذين يخذل بهم الباطل وينصر بهم الحق ليسوا مقصورين على نوع معين أو صورة خاصة من الخوارق ، فقد تفتك جرثومة لا تراها العين بجيش كبير ، وما يعلم جنود ربك الا هو . ومن صنع الله لنبيه انه أعمى عنه عيون عداته وهو منهم على مد الطرف . والله غالب على أمره ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون . مرت ثلاث ليال على مبيت الرسول عليه الصلاة والسلام فى الغار ، وتأهب المهاجران لاستئناف رحلتهما الصعبة . وجاء عبد الله بن أريقط فى موعده ومعه رواحله قد أعلفها لاستقبال سفر بعيد . وتزود الركب ثم سار على اسم الله .. غير ان قريشا ساءها ان تخفق فى استرجاع محمد عليه الصلاة والسلام وصاحبه ، فجعلت دية كل واحد منهما جائزة لمن يجىء بهما على أى حال كان ومائتان او مائة من الابل فى الصحراء ثروة تجعل الانسان يركب المخاطر ويتحمل المشاق . وقد قدر رسول الله عليه الصلاة والسلام ان المشركين لن يألوا جهدا فى الاساءة اليه ، فالتزم فى سيره جانب المحاذرة ، آخذا بالاسباب .. وفى الوقت نفسه متوكلا على الله ، وأعانتهم مهارة الدليل على سلوك دروب لم تعتدها القوافل . ثم اطلق الزمام للرواحل فمضت تصل الليل بالنهار ، وجرت عادة المسافرين ان يأووا فى القيلولة الى أى ظل ، فى بطاح كل شىء فيها قدر ظله . حتى اذا جنحت الشمس للمغيب ، تحركت المطايا اللاغبة تغالب الجفاف والكرى ، وللعربى طاقة على احتمال هذا الشظف : مع قلة الزاد والرى . ومعلوم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسخ أهل الارض يقينا بأن الله ناصره ومظهر دينه . بيد ان الفظاظة التى قوبل بها ، والجحود الذى لاحقه من بدء رسالته حتى اضطره الى الهجرة على هذا النحو العنيف . وها هو قد خرج من مكة ، وقد أعلن سادتها عن الجوائز المغرية لمن يقتاله ، ومما يلفت النظر ان انطلاق الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة شاع فى جوانب الصحراء وكأن اسلاك البرق طيرته الى أقصى البقاع ، فعلم به البدو والحضر على طول الطريق حتى يثرب ، بل أن من الاماكن التى عرج بها وصل نبؤها الى أهل مكة بعد أن انصرف عنها . وقد روى عن أسماء بنت أبى بكر أنها قالت : فمكثنا ثلاث ليال وما ندرى أين وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اقبل رجل من الجن من أسفل مكة يتغنى بأبيات من شعر غناء العرب ، وان الناس ليتبعونه يسمعون صوته وما يرونه حتى خرج من أعلى مكة وهو يقول :

جزى الله رب الناس خير جزائه
رفيقين حلا خيمتى ام معبد

هما نزلا بالبر ثم تروحا
فأفلح من أمسى رفيق محمد

ليهن بنى كعب مكان فتاتهم
ومقعدها للمؤمنين بمرصد

قالت أسماء فلما سمعنا قوله عرفنا حيث توجه رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وان وجهه الى المدينة [وعادة العرب عندهم أنهم كانوا يسمون الشاعر شيطانا] .والراجح ان الابيات المذكورة من انشاء مؤمن يكتم ايمانه بمكة ، كما ان الابيات تشير الى واقعة عرضت للرسول عليه الصلاة والسلام فى أثناء رحلته فقد مر على منازل خزاعة ودخل خيمه ، فاستراح بها قليلا ، وشرب من لبن شاتها . وقد تراءت أخبار المهاجر العظيم وصاحبه الى المدينة ، فكان أهلها يخرجون كل صباح يمدون أبصارهم الى الافق البعيد . ويتشوقون الى مقدمه بلهفة ، فاذا اشتد عليهم الحر عادوا الى بيوتهم يتواعدون الغد . وملء جوانبهم الترقب ، والقلق والرجاء .

وفى اليوم الثانى عشر من ربيع الاول لثلاث عشره سنة من البعثة ، برز الانصار على عاداتهم منذ سمعوا بمخرج الرسول صلى الله عليه وسلم اليهم ووقفوا بظاهر المدينة ينتظرون طلعته ويودون رؤيته . وكادوا ييأسون من مجيئه . فصعد رجل من اليهود على أطم من آطامهم لبعض شانه فرأى الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه يتقاذفهم السراب وتدنوا بهم الرواحل رويدا ، رويدا الى المدينة ، فصرخ اليهودى باعلى صوته : يا بنى قيلة ، هذا صاحبكم قد جاء هذا جدكم الذى تنتظرونه ..

فأسرع الانصار الى السلاح يستقبلون به رسولهم ، وسمع التكبير يرج أنحاء المدينة ، ولبست يثرب حلة العيد ومباهجه ، ومن الطريف ان كثيرا من أهل المدينة لم يكن رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما قدم الركب لم يعرفوه من أبى بكر لاول وهلة ، حتى ان العواتق كن يتراءينه فوق البيوت يقلن : أيهم هو ؟ .. ونزل النبى عليه الصلاة والسلام فى بنى عمرو ابن عوف فاقام فيهم أربع عشرة ليلة ، أسس خلالها مسجد قباء ، وهو أول مسجد أسس فى الاسلام ، وفيه نزل قوله تعالى [لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق ان تقوم فيه فيه رجال يحبون ان يتطهروا] ، وقد استقر عليه الصلاه والسلام بالمدينة حيث وجد بها طمانينة ، والناس ينشدون سعادتهم فيما تعلقت به هممهم ، وجاشت به أمانيهم وهم ينظرون الى الدنيا وحظوظهم منها على ضوء ما رسب فى نفوسهم من عواطف وأفكار .

فمن الناس من يعشق الجمال ويجرى وراء النساء ويجد فى المتعة بهن نهمته التى يسكن بعدها . ومنهم من يبحث عن المال ويقضى سحابة نهاره وشطر ليله يتتبع الارقام فى دفاتره . يحصى ما وقع فى يده ويتربص بما لم يقع . ومنهم من يعشق الجهاد والنضال والذود عن وطنه . ويرى فى ذلك الذ متعة واستقرارا لنفسيته . لانه بهذا أرضى نفسه وربه والناس أجمعين . ورغم ما يعانى للنهوض ببلده . ورفع مستواها . فانه يجد فى ذلك لذة وهذا هو المؤمن حقا .

وصاحب الرسالة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ضرب من نفسه المثل الفذ للمكافحين . فمنذ أخذ على عاتقه تمزيق الاسداف التى القت على العالم ليلا كثيفا من الشرك والخرافة لم يفلح أحد فى ثنيه عن عزمه أو تعويق مسيره . أو ترضيته برغبة . أو ردعه برهبة . وفنيت أمام عينه فوارق الزمان والمكان . فالغريب عنه اذا عرف الحق قريب . ووطنه اذا تنكر للهدى فهو منه برىء . والمؤمنون به آخر الدهر هم اخوته وان لم يشاهدوه . ولقد عاش فى مكة ثلاثة وخمسين عاما الفها والفته . وخرج منها الى وطن جديد يرى فيه امتداد قلبه وثمار غرسه . والرجال الذين تنبع سعادتهم من قلوبهم . ويرتبطون أمام ضمائرهم بمبادئهم لا يكرمون بيئة بعينها الا أن تكون صدى لما يرون . فلا غرو اذا دخل محمد صلى الله عليه وسلم المدينة دخول الواثق المعتز . واستبشر بما آتاه الله فيها من فتح . وتوسم من وراء هذه الهجرة بشائر النصر والخير

ثوى فى قريش بضع عشرة حجة
يذكر لو يلقى حبيبا مواتيا

ويعرض فى أهل المواسم نفسه
فلم ير من يؤدى ولم ير واعيا
فلما أتانا واستقرت به النوى
وأصبح مسرورا بطيبة راضيا
وأصبح لا يخشى ظلامة ظالم
بعيد ولا يخشى من الناس باغيا
بذلنا له الاموال من جل مالنا
وأنفسنا عند الوغى والتآسيا
نعادى الذى عادى من الناس كلهم
جميعا وان كان الحبيب المصافيا
ونعلم ان الله لا رب غيره
وان كتاب الله أصبح هاديا

ان تنظيم الهجرة واستقبال اللاجئين الفارين بدينهم من شتى البقاع ليس بالعمل الهين ولكن . ومتى خلت حياة الرجل العظيم من المشكلات ؟.

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : لما قدم النبى عليه الصلاة والسلام المدينة وعك أبو بكر وبلال فدخلت عليهما فقلت : يا أبت كيف تجدك ؟ ويا بلال كيف تجدك ؟ وكان أبو بكر اذا أخذته الحمى يقول :

كل امرىء مصبح فى أهله
والموت أدنى من شراك نعله

وكان بلال اذا اقلع عنه يرفع عقيرته ويقول :

الا ليت شعرى هل أبيتن ليلة
بواد . وحولى اذخر وجليل؟
وهل أردن يوما مياه مجنة
وهل يبدون لى شامة وطفيل ؟

قالت : فأخبرت رسول الله عليه الصلاة والسلام بذلك فقال : اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة وأشد . اللهم وصححها وبارك لنا فى مدها وصاعها وانقل حماها وأجعلها بالجحفة . وعن أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اللهم اجعل بالمدينة ضعف ما جعلت بمكة من البركة . وعن أبى هريرة قال : كان رسول الله عليه الصلاة والسلام اذا أتى بأول الثمر قال : اللهم بارك لنا فى مدينتنا وفى ثمارنا وفى مدنا وفى صاعنا ، بركة مع بركة اللهم ان ابراهيم عبدك ونبيك وخليلك . وانى عبدك ونبيك . وانه دعا لمكة . وأنا أدعوك للمدينة . بمثل ما دعاك لمكة ومثله معه » .

ثم يعطيه أصغر من يحضر من الولدان .

بهذا التشويق والاقبال ارتفع الروح المعنوية بين المسلمين . واتجهت القوى الفتية الى البناء .

ان الهجرة الخالصة لا تعود فى هبة ولا ترجع عن تضحية ولاتبكى على فائت بل هى كما قال الشاعر :

اذا انصرفت نفسى عن الشىء لم تكد
اليه بوجه آخر الدهر تقبل .!؟

وقام النبى صلى الله عليه وسلم يبنى خير أمة اخرجت للناس فى عقيدتها وسلوكها ومن ورائه الاتباع من صفوة الرجال ممن شرح الله صدورهم للحق . واستجابوا لدعوته . ومن أجل الدعوة بذلوا كل غال ونفيس قال الله تعالى والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله . والذين أووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا » وقدموا أغلى ما عندهم حتى رفعوا للحق أعلاما واعلوا له بناء . وشيدوا للفضيلة صرحا شامخا . وصارت دولة الاسلام منارة لكل وافد وقادم حتى أعادوا للانسانية كرامتها . وللعقل رشده . وللقلب هداه . واذا كان الاسلاف سعدوا بهذا الدين . وتحرروا من عبودية النفس والغير . فليس للاتباع سوى هذا الدين فبه يحررون أرضهم . ويعيدون حقهم . ويرفعون رايتهم ويؤدبون عدوهم . والامر كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [لا يصلح أمر هذه الامة الا بما صلح به أولها] .

وبالله التوفيق . وعلى الله قصد السبيل .

لماذا هاجر؟

الأستاذ محمد محمد السباعي

سؤال لا بأس به يتردد على ألسنة الكثير من الناس ويجيش فى صدورهم وتتحدث به قلوبهم عن وسوسة وعن غيروسوسة وهو (لماذا هاجر نبى الاسلام محمد صلى الله عليه وسلم من مكة مسقط رأسه الى المدينة وهو النبى الصادق الامين الواثق بربه المؤمن الصابر لحكمه المطمئن لوعده ونصره ؟)

والذى يتصدى للاجابة على هذا السؤال أو على هذا التساؤل ينبغى أن يكون ملما أو على علم بحال وبحياة وبسلوك الرسول قبل الهجرة وبعدها .

ليس هذا فحسب بل ينبغى أن يكون دارسا للبيئة وللظروف التى عاشها والمعارك التى خاضها والعبر التى استفادها والجهاد الذى بذله من نفسه وماله وما بذله الاجلاء من الصحابة المقربين من أموالهم ومن أنفسهم وما قاساه من العذاب ومن ضروب الالام أولئك الذين لبوا دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم .

ان الدارس لكل هذه الانشطة من حياة الرسول ومن مواقف صحابته من هذه الدعوة الجديدة ومواقف أعدائه منها يستطيع الاجابة باسهاب على هذا السؤال من غير عنت أوارهاق .

أرسل الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم الى الناس كافة بشيرا ونذيرا بعثه اليهم ليدعوهم الى الهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله . وكان ذلك بعد أن اشرك بالله قوم وحاد عن طريقه آخرون وبعد أن طال العهد بالكتب السماوية السابقة فامتدت اليها الايدى بالزيادة والنقصان والتحريف والتبديل ابتغاء عرض الحياة الدنيا .

والحقيقة التى لا مراء فيها أن دين الله واحد وأن الرسل والانبياء كلهم من قبل الله والايمان بواحد منهم يقتضى الايمان بالكل وتكذيب واحد منهم معناه تكذيب بالكل ولذلك فدعوة الرسل الى أممهم واحدة (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب) .

أما وقد لعبت الاهواء بهذه الكتب وغيرت ما غيرت وبدلت ما بدلت فكان من رحمة الله بعباده الا يتركهم سدى اذ أرسل اليهم نبيا هو خاتم الرسل يجدد ما اندرس من الحنيفية السمحاء وهى دين الله الخالص وتصحيح ما وفد على أفهام الناس وما أدخل على عقولهم من معتقدات فاسدة ونظريات باطلة وفلسفة كاذبة كلها تناقض وتعارض مقام الالوهية . اذ جوهر الدين الحق الصحيح الذى نادى به السابقون والاخرون من الانبياء والرسل هو الاعتقاد بوحدانية الله تبارك وتعالى صانع هذا الوجود ومبدع هذا الكون وفاطر السموات والارض والمنزه عن الصاحبة والولد او أن يكون مثله أحد . لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير .

هذا الاله العلى القدير من رحمته بخلقه وهب الناس عقولا واعطاهم جميعا الفرص المتكافئة ومنحهم حريه العمل والحركة والتفكير وألهم كل نفس فجورها وتقواها وبين للناس الحلال وبين لهم الحرام وحببهم الى الاول لانه يفيدهم فى دنياهم وفى آخرتهم وحذرهم من الثانى لانه يضرهم فى دنياهم وفى آخرتهم ووعدهم بعد البعث يوم القيامة النظر فى أعمالهم فمن عمل خيرا وجد خيرا ومن عمل شرا وجد شرا .

وهذا منتهى العدل وغاية القسطاس المستقيم .

هذا أصل الدين ولبابه فى جميع الشرائع السماوية وقد جعل الله لكل أمة على يد رسولها شرعة ومنهاجا واما الاصل واما اللباب فلا اختلاف فيه ولا اختلاف عليه .

فلما انحرفت الاهواء والنزعات وزاغت البصائر وطغت المادة على الروح تبدلت هذه الكتب فجاء محمد صلى الله عليه وسلم بآخر رسالة وآخر كتاب انه كتاب عربى مبين ليس فيه حرف واحد من عند محمد الامى ولكنه كتاب منزل من عند الله نزل به الروح الامين على قلب رسول الله ليكون من المنذرين وتولى الله حفظه من التحريف والتبديل الى يوم الدين اذ قال جل شأنه (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) .

(ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) .

كتاب كريم ودستور قويم لا شك فى صدقه ولا جدال فى انه من عند الله وما أكثر الادلة على ذلك . فهو كتاب أعجز الخلائق من انس وجن على ان ياتوا بمثله او بمثل اصغر سورة منه (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا

ولقد كلف الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم

أول ما كلف بانذار قومه فقال تعالى (**وأنذر عشيرتك الاقربين**) وكانوا مشركين ضالعين فى الكفر فردوا دعوته وتهكموا به وآذوه واغروا به سفهاءهم ونكلوا بأتباعه وصبوا عليهم ألوان العذاب حتى ضاق أكثرهم ذرعا بهذه الغلظة والفظاظة والمعاملة الوحشية التى لا رحمة فيها ولا انسانية فأذن لهم الرسول صلى الله عليه وسلم بالهجرة مرتين الى الحبشة قائلا لهم ان بها ملكا لا يظلم عنده أحد .

وبقى الرسول يعانى من العذاب الوانا هو وصحابته ومن بقى من المسلمين بمكة واشتد به العذاب بعد موت زوجه خديجة وعمه أبى طالب حيث ماتا فى عام واحد سمى عام الحزن . فى هذا العام اشتد ايذاء الكفار والمشركين للنبى لعله يتزحزح قيد انملة عن موقفه أو يعدل عن دعوته وساوموه أن يعبد آلهتهم يوما وأن يعبدوا هم ربه يوما ولكن محمدا رفض رفضا قاطعا قائلا لهم (**لكم دينكم ولى دين**) .

ترى هل أثرت هذه الشدة فى حياة الرسول وفى موقفه وموقف أصحابه رضوان الله عليهم ؟

الحقيقة ان هذه الشدة زادت المسلمين صلابة وايمانا فما وهنوا لما أصابهم وما ضعفوا وما استكانوا وكان الرسول يقول حين يمر على المعذبين من آل ياسر : صبرا آل ياسر فان موعدكم الجنة .

وكان من اشد ما لقى الرسول وأصحابه وعشيرته من العذاب مقاطعة قريش لهم وحصارهم وكف الناس عن الاتصال بهم أو معاملتهم مدة طويلة وكتبوا بذلك صحيفة وقعوها وأودعوها الكعبة .

كل ذلك لم يفت فى عضد الرسول أو يوهن من عزيمته فلم تزده المحنة الا صلابة فى الحق وقوة فى الايمان — فاجتمعت صناديد قريش فى ناديهم لينظروا نظرة أخيرة فى امر محمد الذى سفه احلامهم وعاب آلهتهم وأفسد عليهم تدبيرهم .

طال جدالهم ونقاشهم فى ناديهم وكان مما قاله بعضهم : نحبسه فاستهجنوا هذا الرأى لان كلامه الحلو سيسمع من بين جدران السجن وقال آخر ننفيه من الارض أى نطرده من مكة فلم يحظ هذا الرأى بأى قبول لانه سينشر الدعوة فى كل مكان يذهب اليه وقال آخر نقتله ونستريح منه وتستريح قريش على شريطة أن يشترك فى قتله أبطال شجعان من صناديد قريش يمثلون كل قبيلة من قبائلها فينقضون عليه بسيوفهم ويضربونه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه فى القبائل وعندئذ يعجز بنو هاشم عن الاخذ بالثأر ويرضون بالدية . وبذلك تموت الدعوة فى مهدها ويقضى على الدين كله ويستمر الشرك فى جزيرة العرب ويستمر الزيف والبهتان فى الكتب السماوية السابقة الى أن يرث الله الارض ومن عليها ولكن الله يأبى ذلك (**يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون**) .

وكيف يرضى الله عن ذلك ويسمح بنفاذ هذه المؤامرة الخسيسة وهو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون استحسن الكفار والمشركون هذه الفكرة وعدوها فكرة صائبة ومكروا مكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال .

لقد اطمأن القوم لفكرة القضاء على رسول الله وعلى دعوته بهذه الطريقة الاجرامية ولكن كان لله تدبير أقوى وأحكم من تدبيرهم فقد أمر نبيه ومصطفاه محمدا صلى الله عليه وسلم بالهجرة فى نفس الليلة التى دبروا فيها اغتياله — هاجر النبى وهاجر معه صاحبه ابو بكر الى المدينة ثم توالت هجرة الصحابة اليها .

وهناك فى المدينة ترعرع اليقين وتنفس الدين وأخذ حرية الحركة والعمل وساعد على ذلك أن الله كان قد شرح صدور بعض أهل يثرب للاسلام فمهدوا لقدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهناك أصلح ما كان بين الاوس والخزرج وآخى بين المهاجرين والانصار فتكون مجتمع جديد مجتمع متكامل متفاضل مجتمع مؤمن قوى مجاهد . مجتمع متعاون متحاب. مجتمع استطاع أن يقاوم اعداء الدين الجديد من مشركين وأهل كتاب الذين تألبوا عليه واستطاع ان يصمدلهم وأن يهزمهم فى مواقع عديدة مع قلة عدده وعدده وأخيرا استطاع أن يوطد دعائم الدين الجديد فى انحاء الجزيرة العربية ومنها امتد شرقا وغربا وشمالا وجنوبا حتى شمل أكثر سكان الارض فى ذاك الحين يحمل معه فى كل مكان اجنحة الرحمة وألوية السلام حصل ذلك كله وحصل أكثر منه على أيدى رجال من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا .

من هنا يظهر لنا فضل الهجرة النبوية الشريفة وكيف كانت خيرا وبركة على المسلمين وعلى العالم فلولا الهجرة لظلت الدعوة المحمدية محبوسة فى مكة يحيط بها الاعداء من كل جانب ولكنها كانت سببا فى قوة الاسلام وفى انتشار الاسلام والدعوة الاسلامية وفى دخول الناس فى دين الله افواجا .

ولما كانت الهجرة بهذا الوصف من العظمة ونظرا لما كشفت عنه من بطولات اسلامية وفتوحات مباركة فقد أرخ بها الفاروق عمر بن الخطاب التاريخ الاسلامى وجعلها مبدأ لهذا التاريخ الخالد المجيد . ذلك لانها تمثل نقطة تحول فى خط سير الاسلام ولا يعلم أحد الا الله ماذا كان مصير الاسلام لو لم تكن هذه الهجرة .

هذا وليست الهجرة النبوية أمرا جديدا مبتدعا ابتدعه النبى محمد صلى الله عليه وسلم فقد هاجر نوح وابراهيم ولوط وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام. ولم تكن هجرتهم خوفا من أعداء الله بقدر ما كانت تدبيرا محكما من الله يوحى به الله الى من يشاء من عباده لتنفذ مشيئته وتتم ارادته . والهجرة حتى الان مشروعة لمن ضاقت به الارض أو حاق به الظلم . ولعل هذا الايجاز الذى بسطته يوضح الاجابة على السؤال : لماذا كانت الهجرة .. ؟

مواقف بطولية رائعة

الأستاذ مهدي عبد الحميد مصطفى

لكل نبات تربة تلائمه ، ولكل شجر أرض تناسبه ، حتى ينمو ويترعرع ، ويزدهر ويثمر ، ويؤتى أكله كل حين باذن ربه ، والرسالات الدينية – أيضا – لها مجالات وبيئات خاصة تناسبها وتلائمها ، وتتقبلها بقبول حسن ، فتنبت نباتا حسنا ، هذه سنة الله في كونه ، ولن تجد لسنة الله تبديلا .

ورسالة الاسلام ضمن الرسالات ظهرت أول ما ظهرت فى أرض يعيش عليها اناس شاع بينهم الضلال ، وتأصل فيهم العناد ، وتشبعوا بأوهام الاباء والاجداد ، فورثوها ، وتمسكوا بها ، وأعلنوا رفضهم لكل تغيير حتى ولو كان فيه صلاحهم ، وقالوا انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون ، ولن نترك ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ، فوقف أهل مكة من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – موقفا مخزيا على الرغم من انهم أهله وقرابته ، وحاربوا الاسلام فى مهده بشتى ألوان المحاربة ، وبارزوه العداء ، فكان لابد لهذه الرسالة السامية ان تبحث عن بقعة أخرى ، ومجال صالح ، وبيئة ملائمة ، فكانت يثرب هى البقعة الطيبة المباركة التى ناسبت الدعوة ، وكان أهلها هم البيئة الصالحة الملائمة لنشر الاسلام وقبوله .

ومع بداية كل عام هجرى جديد ، ومع أول اشراقة لشهر الله المحرم ، نعيش فى رحاب ذكرى الهجرة المجيدة ، التى تعتبر تحولا وانطلاقا للدعوة الاسلامية بعد حبسها وتقييدها فى جو مكة ، وتعرضها لصد عنيف ، وحرب شعواء وتعرض اتباعها لافظع ألوان التعذيب والتنكيل ، وأقسى ضروب المعاملة ، فكانت هناك الحرب الاقتصادية المريرة التى شنها مشركو مكة على الرسول وأهله ، وكل من أنار الله قلبه للايمان ، وهداه الى أقوم طريق وأسلك سبيل ، فآمن بالله ربا ، وبالاسلام دينا ، وبالقرآن دستورا ، وبمحمد نبيا ورسولا ، ومع كل ذلك فلم تؤثر الحرب ولم يؤثر التعذيب والتنكيل على عقيدة المؤمنين ، فكان صوتهم يعلو مع كل لون من ألوان التعذيب والارهاب : أحد .. أحد .

ولئن كانت هذه الذكرى المعطرة قد تناولتها أقلام الكتاب بأساليب كثيرة ، وسرد قصتها الكثيرون من العلماء ، فان فيها جوانب انسانية كريمة ، ومواقف بطولية رائعة ، آثرت أن تكون موضوع مقالى هذا ، لما فى هذه الجوانب ، وتلك المواقف من عظات وعبر ، نحن أحوج ما نكون الى دراستها دراسة وافية مستفيضة عميقة ، خاصة ونحن نعيش فىفترة حرجة من تاريخنا ، وأصبح العدو يجثم فوق بقعة غالية من أرضنا : وصرنا فى موقف يحتم علينا الكثير من الواجبات والتضحيات ، لكى نعوض ما فاتنا ونرد اعتبارنا ، وفى تاريخنا الاسلامى المجيد ما يبعث الامل فى نفوسنا ، ويفتح باب الرجاء على مصراعيه أمامنا ، ويعبىء نفوسنا بطاقة هائلة من الثبات والصمود ، والجلد والتضحية ، ننعيد للاسلام مجده ، وللعروبة عزتها وكرامتها ، لذلك رأيت ان أكتب فى مواقف الصمود والتضحية ، التى تألقت فى حادثة الهجرة العظيمة ، لنأخذ منها العظة والعبرة ، ويكون لنا فيها القدوة الطيبة والاسوة الحسنة :

فهذا على بن أبى طالب – كرم الله وجهه – يضرب أروع صور التضحية والفداء ، فيبيع نفسه لله ، ويقدم روحه رخيصة فداء لرسول الله ، وذلك انه لما عزمت قريش على تنفيذ مؤامرتها بقتل الرسول – صلى الله عليه وسلم – أتاه جبريل ، فقال :

لا تبت على فراشك هذه الليلة ، فلما كان عتمة من الليل ، اجتمعوا على بابه يرصدونه متى ينام ليثبوا عليه ، فلما رأى رسول الله مكانهم ، قال لعلى : ((نم على فراشى ، وتسج ببردى الحضرمى الاخضر فنم فيه ، فانه لن يخلص اليك شىء تكرهه)) ، وهنا تتجلى فدائية على ، فيمتثل لامر رسول الله ، ويقول : فداك أبى وأمى ونفسى يا رسول الله . وهو يعلم الثمن الذى يقدمه بهذا الصنيع ، انه انما يفتدى بنفسه رسول الله ، ويبذل حياته ، ويقدم روحه لله ورسوله عن رضا وايمان ، فاستحق ان ينال التقدير والتكريم من الحق تبارك وتعالى ، فينزل فى حقه قرآنا يتلى : ((ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رءوف بالعباد)) ، بل لقد ورد ان الله سبحانه

وتعالى باهى بعلى ملائكته فى السماء ، وقال لجبريل وميكائيل : انزلا الى على فاحرساه !!!

وهذا أبو بكر الصديق — رضى الله عنه — يقوم بدور عظيم فى الهجرة ، تبدو من خلاله أسمى معانى الاخلاص ، وأعظم دلائل التضحية والايثار ، فقد كانت فرحته بصحبة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى الهجرة لا تعادلها فرحة ، حتى انه كان يبكى من شدة الفرح ، وخرج مع الرسول مهاجرا وقد ترك اولاده بمكة ، وحمل معه كل ماله ، مؤثرا حب الله ورسوله على كل شىء ، مؤمنا بان الله لن يترك ذريته بدون عون ، وكان حرصه على رسول الله لا يدانيه حرصه على نفسه ، وليس أدل على ذلك من انه كان يمشى تارة أمام الرسول ، وتارة خلفه ، ومرة عن يمينه ، ومرة عن شماله ، فسأله رسول الله عن سبب ذلك ، فقال : يا رسول الله . أذكر الرصد فاكون أمامك ، وأذكر الطلب فاكون خلفك ، ومرة عن يمينك ومرة عن شمالك لآمن عليك ، ولما انتهى رسول الله وأبو بكر الى الغار ليلا ، دخل أبو بكر الغار قبل الرسول ، لينظر افيه سبع او حية يقى رسول الله بنفسه ، قال ابن عباس : لما كانت ليلة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى الغار قال لصاحبه أبى بكر : أنائم أنت ؟ قال : لا ، وقد رأيت صنيعك وتقلبك يا رسول الله ، فما بالك بأبى أنت وأمى ؟ قال : حجر رأيته قد انهار فخشيت ان تخرج منه هامة تؤذيك او تؤذينى . فقال أبو بكر : فاين هو يا رسول الله ؟ فاخبره . فسد الحجر وألقمه عقبه . فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : رحمك الله من صديق . صدقتنى حين كذبنى الناس ، ونصرتنى حين خذلنى الناس ، وآمنت بى حين كذبنى الناس ، وآنستنى فى وحشتى . فاى منة لاحد على كمثلك . وروى أنه لما عمى الاثر على المشركين جاءوا بالقافة (الذين يقفون الاثر) ، حتى انتهوا الى باب الغار ، فعندما رأى أبو بكر ذلك ، اشتد حزنه على رسول الله ، وقال : ان قتلت أنا فانما أنا رجل واحد ، وان قتلت أنت هلكت الامة ، فعندها قال له الرسول — عليه الصلاة والسلام — قولة الواثق بربه ، المؤمن بتاييده ونصره : « يا أبا بكر . ما ظنك باثنين الله ثالثهما ، لا تحزن ان الله معنا » !!!

وهذه أسماء بنت أبى بكر وأخوها عبد الله يقومان بدور فعال ، ومهمة خطرة فى الهجرة ، فكانا يتقصيان أخبار قريش ، ويبلغانها لرسول الله وصاحبه فى الغار ، وكانا يؤديان هذا العمل فى حرص شديد ، وسرية تامة ، حتى لا تعرف قريش مكان الرسول ، ولقد تعرضت أسماء لبعض ألوان العنت والمشقة ، تحدثنا هى عن ذلك فتقول : لما خرج رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ومعه أبو بكر — رضى الله عنه — مهاجرين ، أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل بن هشام ، فوقفوا على باب أبى بكر ، فخرجت اليهم ، فقال : أين أبوك يا بنت ابى بكر ؟ فقلت : لا أدرى والله أين أبى . قالت : فرفع أبو جهل يده — وكان فاحشا خبيثا — فلطم خدى لطمة طرح منها قرطى ... وتقول أسماء : لما خرج رسول الله وخرج أبو بكر معه ، احتمل أبو بكر ماله كله [وكان خمسة آلاف أو ستة آلاف] فانطلق بها معه ، وقالت : فدخل علينا جدى أبو قحافة « وقد ذهب بصره » فقال : والله انى لاراه قد فجعكم بماله مع نفسه ، قلت : كلا يا أبت ، انه قد ترك لنا خيرا كثيرا ، فأخذت أحجارا فوضعتها فى كوة فى البيت الذى كان أبى يضع ماله فيها ثم وضعت عليها ثوبا ، ثم أخذت بيده فقلت : يا أبت . ضع يدك على هذا المال ، فوضع يده عليه ، فقال : لا باس ان كان ترك لكم هذا فقد أحسن ، وفى هذا بلاغ لكم ، تقول : ولا والله ما ترك لنا شيئا ، ولكنى أردت ان أسكن الشيخ بذلك .. ولقد كانت أسماء تأتى الرسول وأباها بالطعام اذا أمست وبما يصلحهما ، ولما عزما على الهجرة — من الغار الى المدينة — أتتهما أسماء بسفرتهما ، ونسيت ان تجعل لها عصاما ، فلما ارتحلا ذهبت اتعلق السفرة ، فاذا ليس لها عصام ، فحلت نطاقها وشقته نصفين وجعلته عصاما ثم علقتها به ، فكان يقال لاسماء : ذات النطاقين ، فكان هذا اللقب وسام شرف ، وتاج فخار !!!

وهذا عامر بن فهيرة مولى أبى بكر ، كان يرعى فى رعيان أهل مكة ، فاذا أمسى أراح على رسول الله وأبى بكر فى الغار ، ومعه الغنم ، فيحتلبان ويذبحان ، فاذا غدا عبد الله بن أبى بكر من عندهما الى مكة ، اتبع عامر بن فهيرة أثره بالغنم حتى يضيع آثار مسير عبد الله ، ولما انطلق رسول الله وأبو بكر الى المدينة أردف أبو بكر عامر بن فهيرة خلفه ليخدمهما فى الطريق ، وكان عامر يقوم بمهمة خطيرة خلال الايام الثلاثة التى مكث فيها الرسول وأبو بكر فى الغار ، حيث كان يتسمع أخبار الاعداء ، وينقلها اليهما كل ليلة ، فادى هذا الدور بشرف وأمانة وجدارة وكتمان للسر ، ولو انه كان يتطلع المغنم أدل عليهما الاعداء ، ونال بذلك جائزة كبيرة ، ومكافأة سخية من قريش ، ولكنه آثر الشرف والنزاهة ، ليضرب للدنيا مثلا عاليا فى الامانة وعلو الهمة ! ! !

وهذا صهيب الرومى — رضى الله عنه — الذى وفد الى مكة من بلاد الروم ، وكان فقير الحال ، فهداه الله الى الاسلام ، وملأ قلبه بالايمان ، واشتغل صهيب بالتجارة حتى أصبح ذا مال وفير ، وثروة طائلة ، ولما هاجر رسول الله — صلى الله عليه وسلم — من مكة الى المدينة ، أراد صهيب ان يلحق به ، ولكن قريشا تصدت له ، ومنعته من الهجرة ، وقالوا له : لقد جئتنا فقيرا صعلوكا ، فكثر مالك عندنا ، وبلغت الذى بلغت ثم تريد ان تخرج بمالك ونفسك ، لن نمكنك من ذلك أبدا ، فقال لهم صهيب فى اخلاص وايمان وتضحية : أرأيتم ان جعلت لكم مالى أتخلون سبيلى لالحق برسول الله ؟ قالوا : نعم ، قال : فانى قد جعلت لكم كل مالى ، وضحى بماله كله حبا فى الله وفى دينه وفى رسوله ، فلما بلغ رسول الله ذلك قال : ربح صهيب !!!

وهذا عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — يلقننا درسا فى الشجاعة والشهامة ، لا يخشى فى الحق لومة لائم ، فعندما أراد عمر الهجرة تقلد سيفه ، وتنكب قوسه ، وجعل فى يده أسهما ، ومضى قبل الكعبة ، والملأ من قريش بفنائها ، فطاف بالبيت سبعا متمكنا ، ثم اتى المقام فصلى متمكنا ، ثم وقف على الحلق [بالتحريك : جمع حلقة] واحدة واحدة ، فقال لهم : شاهت الوجوه ، لا يرغم الله الا هذه المعاطس . من أراد أن تثكل أمه ، أو ييتم ولده ، أو ترمل زوجته ، فليلقنى وراء هذا الوادى فانى مهاجر الى محمد . يقول على بن أبى طالب : فما اتبعه أحد الا قوم من المستضعفين علمهم ما أرشدهم ، ثم مضى لوجهه !!!

وبعد .. فهذه نماذج رائعة ، وصور حية ، لمواقف عظيمة ، وبطولات كبيرة نعيش فى رحابها مع ذكرى الهجرة ، فناخذ منها العظة لحاضرنا ، والعبرة لمستقبلنا .. فهذه الومضات ، وتلك اللمحات ، تشحذ هممنا ، وتعبىء نفوسنا ، وتملأ قلوبنا بمزيد من العزم والتصميم ، والارادة القوية ، والصمود والتضحية فى وقت نحن أشد مانكون حاجة الى أن نسير على تلك المبادىء ، ونتفهم تلك القيم ، فلنا فى رسول الله — عليه صلاة الله وسلامه — وفى صحابته الاجلاء خير قدوة ، وأعظم أسوة ، وفى ذلك فليتنافس المتنافسون ، ولمثله فليعمل العاملون .. « ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا .. ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا .. ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به .. واعف عنا .. واغفر لنا .. وارحمنا .. انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين » .

الهجرة النبوية المباركة

أسبابها ومقدماتها
نتائجها وآثارها
الدروس المستفادة منها

فضيلة الشيخ
بسيوني رسلان

مقدمة

لئن عنيت الامم بالذكريات الخالدة . التى هى **مشرق عزتها . وأساس نهضتها فيجدر بالمسلمين فى مشارق الارض ومغاربها. أن يحتفلوا بذكرى الهجرة النبوية المباركة وان يتخذوا منها نبراسا يضىء لهم طريق التضحية فى سبيل العقيدة والمبدأ والاستشهاد فى سبيل الحق فالذكرى تنفع المؤمنين ..**

واذا فاتك التفات الى الماضى

فقد غاب عنك وجه التأسى

فالهجرة تعتبر بحق اروع حدث سجله التاريخ الاسلامى . وأول لبنة فى بناء صرح الأمة الاسلامية الكبرى التى رفعت راية الاسلام خفاقة على الشرق والغرب. فقد انتقل المسلمون بعد الهجرة من ذل الى عز . ومن فقر الى غنى . ومن رعى الغنم . الى قيادة الامم . وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ..

اسباب الهجرة :

بينما العالم يتخبط فى جهل مطبق بمبادىء الحياة الدينية والاجتماعية . والسياسية اذ بنور الاسلام المشرق يملأ فجاج الارض . ويشع عليها ضياؤه . ويبدد مافوقها من ظلمات ومنكرات وآثام ، « **قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم !**

هذا محمد بن عبد الله يحمل فى احدى يديه كتاب انه يدعو به الى الحق والهدى والرشاد . ويحمل فى اليد الاخرى صارما يدافع به عن المبدأ القويم والعقيدة السليمة . ويحطم به قواعد الشرك والطغيان والفساد .

جلجلت صرخة النبى فردت
رجع اصدائها أعالى النجود
وأشاحت يسراه بالمعول الصلب
ويمناه بالكتاب المجيد
فتهادت تلكم الصفوف من الاصـ
ـنام عن أوجه عرشها المعقود

• واجه رسول الله العالم وحيدا وبرز الى ساحة الجهاد ليس معه الا قلبه الكبير ونفسه الابية وعقيدته الراسخة . لم يثنه عن دعوته اغراء . ولم يرهبه وعيد . فقد لجأ اعداؤه فى حربه الى سياسة المقاطعة وسلاح التجويع . وحاصروه مع اصحابه فى شعب بنى هاشم ثلاث سنين لايبيعون اليهم . ولايشترون منهم . حتى اكلوا ورق الشجر . بل اكلوا الشوك حتى مزقت اشداقهم «**فما وهنوا لما اصابهم فى سبيل الله . وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين**»

ثم اتجهوا فى حرب الدعوة الاسلامية الى سلاح الاغراء • فاوفدوا الى النبى صلوات الله وسلامه عليه عتبه بن ربيعة ليفاوضه على امور لعله يقبل بعضها ويترك دعوته • قال له عتبة : يا محمد انك منا حيث قد علمت • من البسطة فى العشيرة والمكانة فى النسب • وقد جئت قومك بامر عظيم • فرقت به جماعتهم • وسفهت احلامهم • وكفرت من مضى من آبائهم • فان كنت تريد مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثر مالا ، وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا وان كنت تريد شرفا سودناك حتى لا تقطع أمرا دون رأيك فقرأ عليه الرسول صلى الله عليه وسلم أول سورة فصلت » **بسم الله الرحمن الرحيم حم • تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون** » **حتى وصل الى قوله تعالى « فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمـود »** والصاعقة فى الاصل كل ما أفسد الشىء وغيره عن هيئته وتطلق على الصيحة التى يحصل بها الهلاك • فناشده عتبة الرحم ان يمسك عن القراءة خوفا من وقوع الهلاك على قومه • ثم عاد الى القوم : فلما جلس اليهم قالوا : ما وراءك يا ابا الوليد ؟ قال ورائى انى سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط • والله ما هو بالسحر ولا بالشعر ولا بالكهانة ، يا معشر قريش أطيعونى وخلوا بين الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت نبأ ، فان نصبه العرب فقد كفيتموه • وان يظهر على العرب فملكه ملككم • وعزه عزكم • وكنتم اسعد الناس به • قالوا سحرك والله يا ابا الوليد بلسانه ، قال هذا رأيى فيه فاصنعوا ما بدا لكم » •

وقف الرسول امام وعيد قريش ووعدها صامدا كالطود لا تلين له قناة • ولا تضعف له عزيمة • وقال كلمته الخالدة التى تحمل اسمى واروع ما خلق الله من ايمان وثبات « **لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الامر ما فعلت حتى يظهره الله او اهلك دونه** » قعد المشركون بكل صراط يوعدون • ويصدون عن سبيل الله من آمن يبغونها عوجا • بل عذبوا المستجيبين • وحرموهم الرزق • وأخرجوهم من ديارهم وأموالهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله • وسفكوا منهم دماء عزيزة . ولكن تلك الدماء كانت عيون العزائم تنفجر من بين صخور الصدر يثبت الله بها قلوب المؤمنين • ويقذف الرعب فى قلوب المرتابين ، اعـداء الحق والـدين

مقدمات الهجرة :

فلما اراد الله اظهار دينه واعزاز نبيه لقيه فى موسم الحج ستة نفر من الخزرج • فقرأ عليهم القرآن • ودعاهم الى الاسلام • فشرح الله صدورهم له ثم قالوا : لقد تركنا قومنا وبينهم من العداوة ما بينهم • وان يجمعهم الله عليك فلا رجل اعز منك : ثم عادوا الى المدينة دعاة مخلصين لهذا الديـن العظيم » •

وقد كان اولئك النفر طليعة الدعوة الاسلامية فى مدينة يثرب • فلم تبق دار من دورها الا وفيها ذكر لرسول الله وللاسلام ••

فلما كان العام القادم وافى الموسم من الانصار اثنا عشر رجلا فيهم الطليعة الاولى ولقيهم النبى صلى الله عليه وسلم بالعقبة فبايعهم على الايمان بالله والتحلى بالاخلاق القويمة • ونبذ المنكرات وأرسل معهـم مصـعب بن عميـر يقـرئهم القـرآن ويفقههم فى الدين • وفى العـام التـالى وفـد على مـكة فى موسم الحج ثلاثة وسبعون رجـلا وامرأتان • ولقيهم النبى عند العقبة ليلا فبايعهم على **الايمان بالله • وعلى ان يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وابناءهم • حتى يبلغ عن الله دينـه • ثم عادوا الى** يثرب • وقد امتلأت قلوبهم بالايمان والثقة بالله ، والاستعداد للتضحية والبذل فى سبيل الله •

الهجرة كحدث تاريخى :

اذن الرسول لاصحابه بالهجرة الى يثرب بعد ان صار له فيها اعوان وأنصار • فهاجروا اليهـا مستخفين تاركين ديارهم وأموالهم • وتجارتهم • فى سبيل نصرة دينهم • وتامين الدعوة اليه وقد رأى المشركون مكة وقد اقفرت من سكانها ، وخلت من أهلها • فهالهم الامر • واشتد بهم الكرب • وايقنوا ان انضمام المهاجرين الى المسلمين من أهل المدينة سيمهد الطريق قطعا لقيام مجتمع اسلامى قـوى بالمدينة • يستطيع ان يدفع الشر بمثله • ويقابل القوة بالقوة فتدور عليهم الدائرة ويتم الامر للنبى صلى الله عليه وسلم فاجتمعوا فى دار الندوة للتشاور فيما يصنعون لدفع هذا الخطر الذى تهدد وجودهم ••

قال بعضهم : نضع القيود فى يدى محمد • ونمنعه الطعام والشراب الى ان يموت : وقال آخر أخرجوه من ارضنا ليلقى مصرعه فى الصحراء : وقال ابو جهل : ارى أن تأخذوا من كل قبيلة فتى جلدا قويا •• ثم نعطى كل فتى سيفا صارما • ثم يضربونه ضربة رجل واحد. فيتفرق دمه فى جميع القبائل. فلا تقدر بنو هاشم على قتال الجميع • وترضى بالدية :

وقد اشار القرآن الكريم الى هذه المؤامرة فى قوله تعالى « **واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك اويقتلوك • او يخرجوك • ويمكرون ويمكر الله • والله خير الماكرين !**

فقد افسد الله عليهم تدبيرهم ومكرهم السيء فأعلم الرسول بما دبروه • وامره بالهجرة الى مدينة يثرب وقد وضع الرسول للهجرة خطة محكمة • فامر عليا ان ينام فى فراشه • ويتسجى ببـروده الاخضر الحضرمى • وفى هجعة من الليل خرج فى رعاية مولاه • واقتحم الحصار المضروب حول بيته وهو يتلو قوله تعالى « **وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون** » واقام ومعه ابو بكر فى غار ثور الذى يقع فى جنوب مكة ثلاث ليال . حتى

انقطع عنه الطلب وقد بالغ فى الحيطة واخذ الحذر اثناء اقامته فى الغار ، فكان عامر بن فهيرة مولى ابى بكر يرعى غنم ابى بكر نهاره ثم يبيت عند الغار ، وكان عبد الله بن ابى بكر ينقل اليهما ما يقال عنهما فى مكة من انباء كل ليلة ، وكانت اسماء بنت ابى بكر ، تجهز الطعام ، وتذهب به اليهما ، فاذا عادت اسماء وأخوها عبد الله بعد انقضاء الليل الى مكة عفى على اثرهما بالغنم عامر بن فهيرة ، زيادة فى الحيطة وحرصا على سرية هذه الرحلة المباركة ..

وانطلق المشركون يفتشون فى كل مكان ، فى شعاب الجبال ، وتعاريج الصحراء ، ويضاعفون نشاطهم فى هذا المجال هنا وهناك حتى انتهى المطاف الى باب الغار ، فوقفوا يترأودون فى اقتحامه ، ويناقش بعضهم بعضا بكلام سمعه من فى الغار ، واشتد الخوف واستبد القلق بابى بكر على حياة النبى صلى الله عليه وسلم .

وفى هذه اللحظات الحاسمة فى تاريخ الجهاد والنضال ، يظهر الفرق واضحا بين ايمان الانبياء وايمان الصديقين فنرى ابا بكر الصديق يمسك انفاسه ويهمس فى اذن النبى صلوات الله وسلامه عليه بقوله « **لو نظر احدهم الى موضع قدمه لرآنا** » ويجيبه النبى بقوله « **ما ظنك باثنين الله ثالثهما ، لا تحزن ان الله معنا** » وفى هذا يقول الحق تبارك وتعالى « **الا تنصروه فقد نصره الله ، اذ اخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار ، اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنافأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا ، والله عزيز حكيم** »

وقاية الله أغنت عن مضاعفة
من الدروع وعن عال من الاطم

فقد كانت عناية الله اقوى من كل عناية ، وحفظه لنبيه اقوى من كل القوى التى عرفتها البشرية ثم بماذا حفظ الله نبيه من اذى المتربصين به الواقفين على باب الغار ، حفظه باوهى شىء ، حفظه بالعنكبوت »«وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون »وفى ذلك عبرة وعظة ، وفيه تحقير الهى لجميع الطغاة والجبارين على مر التاريخ «وما يعلم جنود ربك الا هو » .

وهكذا صرف الله عن رسوله هذه العصابة من المشركين ، فبعد ان طال بهم الجدل حول اقتحام الغار هتف احدهم بقوله : يا قوم لا تضيعوا وقتكم ، ان على باب الغار عنكبوتا اقدم من ميلاد محمد :

وانصرف القوم عن الغار — صرف الله قلوبهم — يبحثون عن الرسول العظيم فى كل واد ، واعلنوا جائزة ضخمة مقدارها مائة ناقة لمن يأتى بالرسول حيا أو ميتا .

قصة سراقة بن مالك :

واراد سراقة ان يظفر بهذه الجائزة الكبرى ، فركب جواده ، وجد فى السير حتى اوشك ان يلحق بالنبى وصحبه ، فدعا عليه الرسول فساخت قوائم فرسه فى الارض فاستنجد بالرسول فانجده ، وقطع سراقة على نفسه عهدا ان يخذل الناس عن النبى ووفى بوعده فقد وقع فى قلبه ان الله مانع رسوله وناصره ، وطلب من النبى كتابا يكون آية بينهما ، اذا اذنت الاقدار باللقاء ، فالقى اليه ابو بكر خرقة فيها اشارة الى هذا الحادث ، وعاد سراقة من حيث اتى ، وصار يخذل الناس وفاء بوعده لرسول الله صلوات الله وسلامه عليه ولما عابه ابو جهل بعد ذلك على اخفاقه فى القبض على النبى اجابه بقوله :

ابا حكم والله لو كنت شاهدا
لامر جوادى اذ تسوخ قوائمه
علمت ولم تشكك بأن محمدا
رسول ببرهان فمن ذا يقاومه

وقد قدر الرسول عليه السلام له هذا الوفاء ، وجازاه اكرم الجزاء بعد غزوة حنين عقب فتح مكة بأيام حين اسلم سراقة ، وفتح له باب الامل بقوله : كيف بك ياسراقة ان لبست سوارى كسرى ؟ . ويقول سراقة مستبعدا ذلك : اكسرى ملك الملوك ؛ فيقول له النبى نعم ثم يفتح الله على المسلمين بلاد الفرس فى خلافة عمر بن الخطاب ويستولون على كنوز كسرى ويدعو عمر سراقة ، ويلبسه سوارى كسرى على ملا من الناس ويقول له : ارفع يديك وقل : الحمد لله الذى سلبهما كسرى ، والبسهما سراقة .

قصة أم معبد :

ويمر الركب المحمدى فى طريقه الى المدينة المنورة فى رحلة الهجرة على خيمة مرفوعة فوق هضبة من الهضاب القائمة فى جوف الصحراء تقيم فيها ام معبد وزوجها ، وليس لهما مورد رزق سوى ماتدره عليهما اغنامهما المعدودة من لبن وصوف ، وقد خرج الرجل مبكرا يرعى غنمه فى كلا الجبال الذى لا يسمن ولا يغنى من جوع ، وترك عند زوجته شاة هزيلة اقعدها الضعف عن الحركة ، وجلست المراة على باب الخيمة تترقب عودة زوجها ، وتنظر الى الافق البعيد ، وهنا ظهر الركب المحمدى ، يحفه الجلال ، وتسبقه الانوار النبوية حتى قارب الخيمة : فاناخوا ابلهم ، وحطوا رحالهم ، وسالها الرسول لبنا أو تمرا يشترونه فقالت المرأة : والله لو كان عندنا شىء ما اعوزكم القرى ، فنظر الرسول الى الشاة الهزيلة وقال : ما هذه الشاة ياأم معبد ، قالت : هذه شاة خلفها الضعف عن الغنم : قال : هل بها من لبن .. قالت : لا : قال أتأذنين لى ان احلبها ، قالت ان رأيت لبنا فاحلبها :

وامسك النبى صلوات الله وسلامه عليه ضرع الشاة ومسح عليه ، وذكر اسم الله وقال اللهم بارك لها فى شاتها : فدرت الشاة لبنا غزيرا ، ودعا الرسول باناء كبير حلب فيه حتى امتلا ، واعطى ام معبد فشربت واسرفت فى الشراب ، وسقى صاحبيه حتى ارتويا ثم شرب وهو يقول (ساقى القوم آخرهم) ، واخذ يحلب الشاة مرة ثانية الى ان ملا

الاناء فاعطاه لام معبد ..

وتحرك الركب الربانى للرحيل . وعاد بعد ذلك زوج ام معبد ورأى اللبن فعجب وقال متسائلا : من اين لك هذا اللبن ولا حلوبة فى البيت : ، قالت زوجته مر بنا رجل مبارك . وذكرت ما كان من امر النبى صلى الله عليه وسلم قال . هذا والله صاحب قريش الذى يطلبه قومه . ويريدون قتله . صفيه لى . ولما وصفته قال لها : والله انه لمحمد رسول آخر الزمان الذى تحدثت عنه الكتب وبشر به ابراهيم وموسى وعيسى . ولو كنت وافقته لالتمست صحبته .

الركب النبوى يواصل سيره :

ويسير ركب المهاجر العظيم تحف به رعاية الله . حتى يصل الى المدينة . ويستقبله اهلها بفيض من الاعزاز والاجلال . والفرح والبهجة . وهم ينشدون هذا النشيد الخالد على الزمن .

طلع البـدر علينـا
من ثنيات الـوداع

المؤاخاة بين المهاجرين والانصار :

وقد بدأ الرسول حياته بالمدينة بالمؤاخاة بين المهاجرين والانصار . وربط بينهما برباط الاخوة فى الدين التى وصلت فى صدقها وعمقها واصالتها الى مرتبة الحب والايثار وقد سجل الله هذه الاخوة فى القرآن الكريم تسجيلا مقرونا بالحب والتقدير والثناء فى قوله جل شأنه « **والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم . ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما اوتوا . ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة . ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** » .

وقد كانت هذه الاخوة التى احكم الرسول رباطها بين اصحابه نقطة انطلاق للدعوة الاسلامية الى آفاق بعيدة . فقد حمل هؤلاء الصفوة من الرجال راية الاسلام وانطلقوا فى أخوة صادقة يجاهدون فى سبيل الله لايبالون أوقعوا على الموت . ام وقع الموت عليهم . ويدافعون عن مبادئه الخالدة حتى امتدت فتوحات الاسلام من الصين شرقا . الى فرنسا غربا . الى سيبريا شمالا . الى المحيط الهندى جنوبا . وعلت فوق جميع الرايات راياتهم وعزت فى العالمين دعوتهم ونصرهم الله نصرا مؤزرا « **وكان حقا علينا نصر المؤمنين** » .

آثار الهجرة ونتائجها :

لقد دخلت الدعوة الاسلامية بعد الهجرة الى طورين من أعظم أطوارها ١ ـ الجهاد المسلح . ٢ ـ التشريع .

١ - الجهاد المسلح : ذلك أنه لما استقر امر المسلمين بالمدينة اخذوا يفكرون فيمن تركوا من الاهل وما صودر من اموالهم وديارهم فاوفدوا عدة سرايا للقيام ببعض المناورات الحربية فى طريق تجارة قريش الى الشام لافهام قريش انهم قادرون على حربها اقتصاديا باعتراض قوافلها وأن مصلحة الفريقين تقضى بالتفاهم بينهما تفاهما . يكفل للمسلمين حرية الدعوة الى دينهم ويكفل لقريش حرية التجارة . وفى خلال ذلك نزل قوله تعالى « **اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير ، الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله . ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا** « الى قوله تعالى » **ولله عاقبة الامور** » وهى أول آية نزلت فى القتال . وكان نزولها فى السنة الثانية للهجرة . وفى شهر صفر على وجه التحديد . ثم كانت غزوة بدر الكبرى التى تعتبر بحق اول خطوات النصر للمسلمين وتلتها غزوات كانت فيها الحرب سجالا بين الحق والباطل . حتى حقق الله النصر للمؤمنين بفتح مكة ودخل الناس فى دين الله افواجا .

٢ ـ اما الطور الثانى من اطوار الدعوة الاسلامية بعد الهجرة فهو طور التشريع والتنظيم فقد ظلت الدعوة الاسلامية بمكة قبل الهجرة تركز جهودها على تحرير العقيدة . وعبادة الله وحده وتدعو الى بعض العبادات . والتحلى بمكارم الاخلاق . ثم اتجهت بعد قيام المجتمع الاسلامى بالمدينة بكل مقوماته الى التشريع العملى الذى وضع مناهج السلوك للفرد والجماعة والذى يقوم عليه صلاح المجتمع . ونهضته من جميع نواحيه الدينية . والاجتماعية . والسياسية . والاقتصادية والعسكرية .

الدروس المستفادة من الهجرة :

ليس المقصود من الحديث عن الهجرة النبوية المباركة ان تكون حديثا ينشر او يذاع لمجرد العلم به وكفى وانما درس نستمده من واقع تاريخنا المجيد . ونتعلم من خلاله كيف كان التخطيط للجهاد فى سبيل الحق والحرية . والعزة والكرامة فى مستهل الدعوة المحمدية التى غيرت من وجه التاريخ . وسعدت فى ظلالها البشرية جمعاء . وكيف تكون التضحية والبذل فى سبيل الله . وكيف تجتمع كلمة المؤمنين المجاهدين حول المبدأ الصحيح . والقيادة الرشيدة . حتى يسقط الباطل سريعا بعد طغيانه وصولته ، ويعلو الحق ويتسامى فى شموخه وعزته .

لقد كان من الممكن ان يستأصل الله الكفار بعذاب من عنده كما فعل مع أمم خلت كقوم نوح وهود وقوم صالح . وأن يثأر لنبيه من اعدائه دون أن يحمله مشقة الخروج من وطنه . ويجشمه عناء الاغتراب عن أهله ولكنها تربية مقصودة وتخطيط لاغنى عنه فى بناء المجتمع الصالح . ومقاومة الطغاة فى كل زمان ومكان حتى تأخذ منه العظة الهادية والعبرة النافعة وهذه بعض الدروس المستفادة من الهجرة

١ ـ حب الوطن ..

ان حب الوطن من أعظم مظاهر الايمان بالله . لان الوطن هو الميدان الذى نطبق فى رحابه مبادىء الحق والخير والعزة والكرامة . وقد ضرب الرسول اروع الامثلة فى هذا المجال ليلة الهجرة فانه كان كلما سار

بضع خطوات تلفت الى وطنه مكة . فلما اوشكت معالمها ان تغيب عن ناظريه قال « والله انك لاحب بلاد الله الى الله . واحب بلاد الله الى . ولولا أن اهلك اخرجونى منك ما خرجت » وبعد ان استقر بالمدينة ظل متاجج العاطفة نحو مكة ، قدم عليه رجل من مكة فسأله النبى عن مكة وما فيها . ومن فيها . فقال : تركت الاذخر وقد أغدق (اثمر) والثمام (نبات) وقد أورق فاغرورقت عيناه بالدموع وقال « يا أصيل دع القلوب تقر »

ب ـ التخطيط للرحلة :

لابد لكل صاحب أمر يريد الشروع فيه ان يعد له عدته . ويحكم خطته ويتخذ جميع الاحتياطات التى تصل به الى الغاية وتحقيق الهدف . وقد حدثنا التاريخ ان الرسول صلوات الله وسلامه عليه ذهب الى الطائف بعد موت عمه ابى طالب وزوجه خديجة يلتمس من اهلها النصره والمنعة حتى يبلغ دين الله فلما ردوه ردا غير كريم اخذ يعرض نفسه على القبائل فى موسم الحج . ويلتمس النصرة من زعمائها . ولقيه ستة نفر من الخزرج من أهل المدينة فقرأ عليهم القرآن ودعاهم الى الاسلام فاسلموا . ثم قالوا . لقد تركنا قومنا وبينهم من العداوة مابينهم ـــ فان يجمعهم الله عليك فلا رجل اعز منك . وعادوا الى المدينة دعاة مخلصين للاسلام . ثم كانت بيعة العقبة الاولى والثانية واصبح للرسول والمؤمنين اعوان وانصار بالمدينة ولم يبق بيت الا وفيه ذكر لرسول الله وللاسلام

جـ ـ السرية والكتمان :

حين عزم الرسول صلى الله عليه وسلم على الهجرة احاط رحلته بالكتمان والسرية . ولم يخبر الا من كانت له صلة بالرحلة وكان موضع ثقة كان امينا فأخبر ابابكر لاعداد الزاد والرحلة . وقال له :

« ان الله قد اذن لى فى الهجرة ، فقال ابو بكر : الصحبة يا رسول الله : قال الرسول » الصحبة يا ابا بكر » .

وأخبر على بن ابى طالب بموعد خروجه ، وكلفه بالمبيت فى مكانه ، وأمره ان يتسجى ببردة الحضرمى الاخضر . مبالغة فى التعمية على الاعداء .

واتجه الى غار ثور جنوبى مكة . مع ان وجهته كانت الى المدينة شمالا واعد للاقامة فى الغار جميع الوسائل التى تكفل نجاح مهمته . فكانت اسماء بنت ابى بكر تأتيهما بالطعام ليلا ، وعبد الله بن ابى بكر ينقل اليهما الاخبار وكان عامر بن فهيرة مولى ابى بكر وراعى الغنم يبيت عندهما فإذا عاد عبد الله واسماء عفى عامر بن فهيرة على اثارهما بالغنم . وقد أحاط النبى صلوات الله وسلامه عليه رحلته بهذه السرية التامة مع ان الله عاصمة من الناس وحافظه من كيدهم ، كما قال جل شأنه « والله يعصمك من الناس » ولم يترك الرسول ثغرة ينفذ منها اعداؤه الا اوصدها وأغلقها ليرشدنا الى وجوب الاخذ بالاسباب .

د ـ وضع الرجل المناسب فى المكان المناسب :

وقد استعان الرسول صلوات الله وسلامه عليه فى هذه الرحلة الميمونة باهل الخبرة بمسالك الصحراء . بغض النظر عن دينهم ، فقد استأجر عبد الله بن اريقط وكان مشركا . ليدله على الطريق بعد ان توسم فيه الامانة والصدق . ومن هنا نأخذ ان الحكمة ضالة المؤمن انى وجدها التقطها لايبالى من اى وعاء خرجت . وانه لا بأس من الاستعانة بالخبراء من اى لون ودين ما داموا اكفاء امناء ..

هـ ـ دور المرأة فى الهجرة :

واذا كان للرجل دور بارز فى نجاح الهجرة . فان للفتاة العربية . دورها المشرف ايضا . فهذه اسماء بنت ابى بكر كانت تجهز الطعام وتحمله الى الغار ليلا فى غير خوف ولا تردد . وقد ذهب اليها ابو جهل وحاول ان ينتزع منها اعترافا بمكان الرسول وصاحبه فلم يستطع أن يظفر منها بجواب رغم أنه استعمل معها القسوة والغلظة ولطمها على وجهها لطمة شديدة طار منها قرطها . فلم يتشرب اليها الوهن وظلت صامدة محتفظة بالسر .

بعد ان استقر أمر المسلمين بالمدينة بدأوا صفحة جديدة مجيدة فى تأسيس الدولة الاسلامية الكبرى . فاقاموا المسجد النبوى الشريف . وعمل فيه الرسول صلوات الله وسلامه عليه بيديه الكريمتين . وكان على بن ابى طالب يعمل ويرتجز :

لايستوى من يعمر المساجدا
يدأب فيها قائما وقاعدا
ومن يرى عن الغبار حائدا

وكان عثمان بن عفان على واسع ثروته وعظيم جاهه يحمل اللبنة فيجافى بها عن ثوبه ، فاذا وضعها نفض كمه ومايكون قد أصاب ثوبه من تراب . فلما رأى النبى يعمل بيديه اقبل على العمل . وكان سائر المسلمين يعملون ويرتجزون .

لان قعدنا والنبى يعمل .
لذاك منا العمل المضلل

وفى هذا المسجد الذى كان بناؤه بسيطا . وكانت جدره من اللبن وسقفه من الجريد وعمده من الخشب النخل تخرج على يدى استاذ الانسانية . وقائد البشرية . ابوبكر وعمر . وعثمان وعلى وطلحة والزبير وغيرهم من عظماء الرجال . الذين أصبحوا اساتذة العالم فى جميع فنون الحياة ، والذين كانوا يفجرون ينابيع العلم اذا فكروا ، ويحملون لواء النصر اذا وقعوا ، ويبسطون لواء العدل اذا حكموا . وانطلقوا يجاهدون ويكافحون ويناضلون فى سبيل دينهم . حتى اتم الله عليهم النعمة . واكمل لهم دينهم الذى ارتضى لهم . ونصرهم نصرا مؤزرا « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » .

والله ولى التوفيق وهو نعم المولى ونعم النصير

الهجرة مبدأ الانطلاق

الأستاذ محمد كمال الدين عز الدين

عاشت الدعوة الاسلامية فى مكة ثلاث عشرة سنة ، تمثل عهد البذرة القوية توضع فى الارض . تسقيها السماء بمائها ، فتشق الارض بجذورها ، وتزاحم مافوقها بفروعها ، تصارع ماتحتها لتثبت خالدة على الدهور ، ممتدة فى الاعماق امتدادا يحفظ توازنها منتشرة الجذور فى اتساع يساوى اتساعها للزمان والمكان الى نهاية الخليقة .. وتصارع ماحولها لتثبت بانتصارها عليه فى المهد ، انها دعوة الحق وانه دعوة الباطل ، تدمغه فاذا هو زاهق ، ناشرة أغصانها المظلة المثمرة باسقة الرفعة ، فسيحة الامتداد ، لاتخرج اقطار الارض عن مد ظلها .

ظهرت دعوة الله فى صورة بيانية ، معجمها هو كلام العرب ، وعلى يد رسول من البيئة التى ظهرت فيها ، يعرفونه قبل الدعوة اربعين عاما كاملة ، مااشترك مع القوم فى مهرجان شعر ولاعرف بقصيدة قالها فى غرض من أغراض الشعر ، ممدوحة أو مذمومة ، ولا وقف خطيبا يخطب الجماعات ، فيلهب شعورهم ببارع بيانه وخلابة لسانه .. ! فهو ذلك اليتيم الذى يعرفون كيف نشأ وكيف تربى ، يحس الغربة وهو فى قومه فينزوى عنهم فى تلال مكة وشعابها ، ليشبع روحه بالتأمل فى الخلق وماوراءه ، له من سكون الليل وهدوء الوحدة ما يزيد انطلاق فكره ، لم يخرج على الناس فيرونه محمدا صاحبهم ، عاد كما ذهب ، هادىء النفس ، متزن الخطو ، عاقل السلوك ، لم يأتهم بفلسفة يدعيها ، ولا بانتاج أدبى أو علمى يفاجئهم .. وهو ذلك الشاب الصادق القول ، الكريم الخلق ، الامين الفؤاد ، تختاره الشريفة الثرية لتجارتها ، فتراه من لايرى الممتحن والناقد فيه مغمزا لغامز ، أمانة فى المال ، واستقامة فى السلوك ، ووفاء للعشير ، وتواضعا للخادم ، وبركة فى الكسب ، وقناعة بالعطاء .. فتحول رغبتها من لون فى التعامل الى لون ، تتخذه شريك حياة وقسيم عيش ، عجز أعاظم قومها أن يكونوه ، لان لها مقياسا مرهفا فى تقدير العظمة فى الاكابر . !

نعم هو ذلك الشاب الذى احتكم اليه فى وضع الحجر يوم التنازع ، فكان حكمه أرضى الحكم واحفظه للدماء .. ماجربوا عليه كذبا قط ، ولاعرفوا منه الا مكارم السجايا . !

ظهرت على يده دعوة الله فى صورة قرآن يتلى ، فنسوا كل مامضى من حياته الفذة ، التى يتقرر بالنظر اليها الايمان به رسولا ، والتصديق بما جاء به دينا ، لشدة وضوح المفارقة ، بين حياة تمضى بلا شعر ولا فلسفة ولامقال ولاخطبة هى أكثر العمر فى الحياة ، ومفاجأة مذهلة بما لايطيقه البشر ، من بيان حاروا فى نعته ، فكان ان ردهم العجز والعزة بالاثم الى انه سحر ساحر ، او شعر شاعر ، كبرا من عند انفسهم ، وافتراء يعرفونه من وجدانهم ، بعدما أقسم صاحبهم : « والله ان لقوله لحلاوة ، وان عليه لطلاوة ، وانه لمثمر أعلاه مغدق أسفله ، وانه ليعلو ولا يعلى عليه ، وانه ليحطم ماتحته » .

ثلاث عشرة سنة والقرآن ينزل ، يأتى به الوحى ويروح ، تمثل المرحلة الاولى فى حياة الحى ، قام فيها الاسلام على ساقه ، واستدارت فى وجهه الصبوح معالم الجمال ، وفى جسده النامى دماء التوثب ، وكلما ازداد قوة وجمالا واتباعا زادت قلوب القساة نارا تلظى ، فيندفعون فى حمق طائشين يؤذون النبى ومن آمن .. حتى أذن للاصحاب فى الهجرة الى الحبشة فهاجر من هاجر ، وبالهجرة الى يثرب فذهب اليها من ذهب ، وبويع الرسول الكريم عليه السلام من أنصاره على التضحية فى سبيله والفداء لدعوته ، واذن الله له بالهجرة اليهم فخرج مهاجرا ، والقوم فى ليلة حالمة بالامل ، غارقة فى أنوار السعادة ، الامل المكذوب الخداع ، والسعادة الزائفة المغرور .. ليلة ظنوها آخر حياة محمد ودعوته ، تذهب بضربة واحدة من مجمع الفتيان البواسل ، باتوا حول داره يرقبون ساعة المصير ! ..

خرج فكانت المعجزة التى تشبه القرآن فى اثبات نبوته ، يتلو مما أنزل الله آيات أغشاهم بها فما أبصروه ، وذر على رءوسهم الرماد فما دروا ، ليكون لهم ذلك فوق الرءوس آية ، وانى للكفر الاحمق أن يكون عاقلا مؤمنا بالدليل .. ؟

انطلقوا بعدما أفاقوا فحاصوا فى ذهول الفجيعة ، ودارت بهم الارض وداروا بها يبحثون عن الناجى .. فتجددت المعجزة فى صورة أخرى ، هى صورة غار يعرفونه ، يسمعون برأسه هديل حمام ، ويرون ببابه نسيج عناكب .. صورة تطوى فى بساطتها سر الله الخالد برهة من الزمن ، لتطلق سر الله الخالد فى كل ساعة من الزمن ، بعدما يطوف حولها الكفر ويطوف ، ثم يرتد فى ذلة الابد .. وعار الابد .. ينتظر مصرعه النهائى ، حينما تحتضن المدينة دين الله ، يتنافس فى نشره المهاجرون والانصار ، فيصهرهم التنافس فى وحدة تتحدى الهزيمة ، تكتسح السدود والحدود بقوة تكشف لهم على السماء منازل الشهداء

فيستبقون الى الشهادة ، وعلى الارض مشارق الفتح فيندفعون الى الرجاء .!

تتالت الغزوات والفتوح بهذه الهجرة ، وشاء الله بعجيبة القدر ، ألا يذهب محمد عليه السلام بجنده الكبير الى مكة ليحطموا كبار الرءوس الكافرة .. فاقبلت يقودها الحتف ويسوقها الردى الى بدر وغيرها ، لتدفع ثمن اللجاج والاذى ، وتبيت العزم على اغتيال الداعى ودعوته .. لتدفع الى سيوف المسلمين الاعناق تنقلها من سعة الحياة الكافرة الى سعة الجحيم الزافرة .

وقضى الله معها على المرجفين واليهود الماكرين ، وانطلق الاسلام فى مسارب الحياة انطلاق الحياة فى مسارب الجسد ، وبدأت دنيا الكفر والفسق والعصيان تتحول الى دنيا من الايمان والعفاف والهدى ، تستبدل من قبح بغى قلب بتول زكى ، ليعرف الناس الى قيام الساعة ان القرآن الذى غير وجه الحياة وقلبها بديئا هو القرآن الذى لم يتبدل منه حرف ولاحركة ، فيغيروا به وجه الحياة اليوم ان شاءوا .. فلاجل ان يحفظ الى يوم الدين كانت الهجرة .. ولاجل ان يعتز وينتشر على ربوع الارض كانت الهجرة .. وسر الهجرة وسر القرآن خالدان مابقى الدهر ، يناديان بأجلى صوت : ليكن لكم معشر المسلمين فى رسول الله أسوة حسنة .. وفى أصحاب رسول الله قدوة صالحة .. فما ضنوا بشىء حتى دم الحياة على البذل ، وماعاقهم شىء من نفائس القلب عن الجهاد ، لان انفس النفائس فى ميزان الايمان ان يسعد المؤمن مدى الحياة ويخلد ، وانما تنال هذه السعادة الخالدة فى ظلال الدفاع عن الحق ، فاما الفتح والنصر المبين واما الموت فى رحاب اليقين !.

فلينفخ المؤمنون الروح فى السلاح والذخيرة ، حين يقاتلون اليهود أعداء الله والسلام .. ليحيا السلاح وتحيا الذخيرة فتقاتل فى ايديهم وتقتل ، ويصدق عليهم قول الله : « قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ، ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم »

ولاينفخ الروح فى السلاح والذخيرة الا من امتلا وجدانه بقول الله : « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون ، وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله .. »

هؤلاء هم الذين تنتقل الى السلاح أرواحهم ، فتنطلق ضرباتها واعية هادفة ! وتلك هى هجرة الامة بعد الفتح ، انما هى جهاد ونية ، فمن جاهد فى سبيل الله أعداء الحق كان مهاجرا الى الله ورسوله ، ووقع أجره على الله ، فاللهم ألهم المؤمنين رشدهم ، لتحقق لهم ماوعدتهم ، وهب السلاح فى أيديهم روحا من ايمانهم ، به يثخنون الطغاة ويهلكون الظالمين .

شركة اسطوانات صوت القاهرة تقدم بخصم كبير

وفى مجموعات
المصحف
المجوّد
وبصوت الشيخ
عبد الباسط
عبد الصمد

المجموعة	الاسطوانات	السعر قبل الخصم مليم جنيه	السعر بعد الخصم مليم جنيه
المجموعة الأولى	١٠ اسطوانات من فاتحة الكتاب الى سورة آل عمران	١١,٠٠٠	٩,٠٠٠
المجموعة الثانية	١٠ اسطوانات من سورة آل عمران إلى سورة المائدة	١١,٠٠٠	٩,٠٠٠
المجموعة الثالثة	١٠ اسطوانات من سورة المائدة إلى سورة الأنفال	١١,٠٠٠	٩,٠٠٠
المجموعة الرابعة	١٢ اسطوانات من سورة الأنفال الى سورة الرعد	١٣,٢٠٠	١٠,٨٠٠
المجموعة الخامسة	٨ اسطوانات من سورة الرعد الى سورة الإسراء	٨,٨٠٠	٧,٢٠٠
المجموعة السادسة	١٠ اسطوانات من سورة الكهف إلى سورة المؤمنون	١١,٠٠٠	٩,٠٠٠

تباع بمعارض شاهر سنتريلك وجميع محلات بيع الاسطوانات بمصر والخارج ، وقطان اخوان شارع بشارة الخورى بناية طرازى ص . ب ٥٩٤٢ بيروت لبنان ، وسعد وخالد نصار الشريعان ص . ب ١٥٦ الكويت ، ومحمد عارف جقماقجى شارع الرشيد بغداد / العراق ص . ب ١١٠٠١٦

في الهجرة نصر و فتح

الأستاذ أحمد عمر هاشم

ان حادث الهجرة النبوية لمن اروع الاحداث الشاهقة فى تاريخ الاسلام فقد انتصرت به امة ، وفتحت له دنيا ، وتواكبت على مساره اجيال ، ولئن حفت به مخاطر مهولة ، وتلاحقت عبر ايامه ظلمات جامدة . فقد كانت بوارق الامل تشرق فوق صحراء الزمن وتنبثق بين صخور الظلام رافعة شعارها الاخضر : « لاتحزن ان الله معنا » .

ولقد عاشت الدعوة الاسلامية فترة ماقبل الهجرة على اشواك من الحياة الجافة تحيط بهـا ضلالة الوثنية الرعناء ، وجهالة الشرك العنيد ، وانطلقت من هذه الظلمات المتراكمة ، عداوات واحن ، اخذت طريقها فى مطاردة الدعوة والداعية ، ومحاولة الاجهاز عليهما فى وقت واحد ، واتخذت قريش كل الوان الاذى والعنت لتصرف الناس عن هذه الدعوة ، وتطفىء نورها بينهم ، وداق المستضعفون من هذا الاضطهاد ماذا قوا الا انهم كـانوا يستعذبون العذاب فى سبيل الله ، وكلهم يقين وثقة ان ليـل التآمر والغدر لابد ان يسفر عن نصر قريب ، فكان المؤمنـون متمثلين قول ربهم سبحانه وتعالى : « ام حسبتم ان تدخلـوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأسـاء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسـول والذين آمنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب » .

ولابدع فى هذا ، فان قائدهم البطل صاحب تلك الرسـالة السماوية تميز بسمات التفوق الايمانى الرشيد من صبر وجلـد وثبات مما جعل أصحابه المخلصين يحذوه فى المصـابرة على مايلاقون ، والمثابرة فى دعوتهم الكبيرة .

فها هو ذا يثبت فيهم روح الايمان والصبر فى الازمات ، يقول خباب ابن الارت : شكونا الى رسول الله صلى اللـه عليه وسلم وهو متوسد بردة فى ظل الكعبة ، فقلنا له : الا تستنصر لنا ؟ فقال عليه السلام : كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له فى الارض فيجاء بالمنشـار فيوضع على رأسه فيشق ملدون لحمه وعظمه ، ومايصده ذلك عن دينه ، والله ليتمن هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لايخاف الا اللـه عز وجل او الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون »

والهجرة فى مفهومها الصحيح لم تكن فرارا ضعيفا من مطاردة عنيدة من المشركين لتختفى الدعوة واصحابها عن تلك العيون المحدقة ، والعداوات المتلاحقة ، وانما كانت انتقـالا ببذور الدعوة الى تربة صالحة يخرج نباتها باذن ربه ، واتجاها الى مناخ ملائم تترعرع فيه لتؤتى اكلها كل حين .

والحرب المادية والنفسية التى شنها اعداء الاسلام على الدعوة لم يكن القصد منها القضاء — فقط — على الداعية والمؤمنين التابعين له وانما كان اهم مايعنيهم يومها ان تنتصر الوثنية وجندها ، وتنهزم هذه الدعوة الجديدة فلا يبرق لهـا شعاع بين انحاء البلاد ، ولكنهم لم يستطيعوا اطفاء نورهـا لان الله سبحانه يأبى الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون ، وفى مكرهم ومؤامرتهم لم يصلوا الى شىء لان رب الدعوة حـارس لها ، ومؤيد رسوله - ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين »

لذا كان تمسك اصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم بدعوتهم وتغلغلها فى دمائهم وارواحهم انتصارا للدعوة اى انتصار مهما بالغ الاعداء فى التنكيل بهم .

ان امثلة الايمان والشجاعة التى ضربها امثال « بـلال » و « آل ياسر » وغيرهم .. انما كانت انماطا صادقة الرؤى لانتصار الدعوة لدى هؤلاء المؤمنين الكبار .. حتى ولو انتهى بهم الامر الى القتل او الموت خلال تمسكهم بدينهم وهجرتهم بدعوتهم ..

قال تعالى : « والذين هاجروا فى سبيل الله ثم قتلوا او ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وان الله لهو خير الرازقين ».

وتطييبا لقلب الرسول صلوات الله وسلامة عليه ، وتثبيتـا لاصحابه المؤمنين كانت شعلة الدعوة — حتى فى احلك ازماتها — تزداد وهجا واشعاعا ، فحين لجأ الىذلك البستان بالطائف بعد ان نال منه السفهاء مانالوا يأتيه ذلك الغلام « عداس »ويقطف من العنب بعث به اليه صاحبا البستان ابنا ربيعة اللذان تحركت عاطفتهما بالرحمة ، فلما وضع « عداس » العنب بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم وقال له : كل ورفع النبى يده قائلا : بسم الله .. فنظر عداس وقال : والله ان هذا الكلام لايقوله اهل هذه البلاد ، فقال له صلى الله عليه وسلم : ومن اى البلاد انت ياعداس ؟ ومادينك ؟ فأجابه : انا نصرانى مـن اهل نينوى فقال صلوات الله وسلامه عليه : امن قرية الرجل الصالح يونس بن متى ؟ فقال عداس : ومايدريك مايونس ابن متى ؟ فقال النبى صلوات الله وسـلامه عليه ذلك اخى كان نبيا وانا نبى عند ذلك اكب عداس على رسول الله عليه الصلاة والسلام يقبل رأسه ويديه وقدميه فقال احد ابنى ربيعـة بصاحب الغلام : اما غلامك فقد افسده عليك ، وحينما رجع الغلام قالا له : ويلك ياعداس مالك تقبل رأس ذلك الرجل ويديه وقدميه ؟ قال : ياسيدى ماعلى ظهر الارض خير من هـذا الرجل ، لقد اخبرنى بأمر لايعلمه الا نبى فقالا له : ويحك ياعداس لايصرفك عن دينـك فان دينـك خير من دينه ولكن الغلام لم يستمع لمقالتهما فقد تغلغل حب النبى صلى الله عليه وسلم فى قلبه فآمن به بعد ان شرح الله صدره للاسلام ، فكان فى هذا اطمئنان وارتياح لقلب النبى الكريم عليه الصلاة والسلام

كذلك عند عودته صلى الله عليه وسلم من الطائف الى مكة عند موضع يسمى « نخلة » من ضواحى مكة كان الرسـول صلى الله عليه وسلم قائما يصلى فى جوف الظلام ، يناجى ربه فى آيات تصعد بها انفاسه الطاهرة الحبيبة الىالسماوات، حيث كان يتهجد ، ويتعبد منغمسة احاسيسه فى روحانيـة صافية ، متجهة جوارحه الى حيث القداسة والنور بينما هـو فى مناجاته تلك يتلو من القرآن ماشاء اذ صرف الله اليـه سبعة من اشراف الجن فاستمعوا لقراءته ، وآمنوا به ، وولوا الى قومهم منذرين فكان هذا اطمئنانا لقلبه وتثبيتا له ، وانتصارا لدعوته التى يزداد معتنقوها من الانس والجن فى احلكالاوقات، واشد الازمات ..

كذلك حيـن تجمهـر الشرك بأسلحته الحاقدة ، وشبابـه الاهوج وسيفه المجنون يريد ان يجهز على الدعوة ، ويقضى على

الرسول فى ضربة واحدة .. فما تخلت السماء عنه فى لحظة من اللحظات بل كانت تهتز من اجله ، وترسل اصداء العافية والرعاية وحيا على يد الموكل بالامر جبريل الامين ليحمل امر الله لرسوله ان يخرج من حجرته ، فى امن وطمأنينة فلا يكترث بما يتخرصون به ، ولايحزن لما يسرونه له لان حافظه الله الذى يعلم السر واخفى « فلا يحزنك قولهم انا نعلم مايسرون وما يعلنون » . ووسط صفوفهم المترقبة ، وبين عيونهم المحدقة يخرج الرسول صلى الله عليه وسلم فيغشاهم النوم ، ويغطيهم الذهول « وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لايبصرون » ، وينام « على » رضى الله عنه مكانه ويودعه النبى صلى الله عليه وسلم بكلمة اليقين والثقة : « لن يخلص اليك شىء تكرهه » وكان الامر كما قال النبى صلى الله عليه وسلم ..

فكان هذا انتصارا لارادة الايمان وهى تشق طريق الخطر ، وتعبر مسافة الفداء والتضحية ، واعداء الاسلام يتحرفون على النبى وصاحبه تحرقا ، ولم يستطيعوا ان ينالوا منه منالا ، ان دنياهم الفائرة الفضوب قد سخرت فى طلب الرسول وصاحبه عيونها ورجالها يتتبعون الخطى ويتلمسونه فى كل مكان من البقاع ولكن عناية الله سبحانه التى احاطت النبى صلى الله عليه وسلم بسياجها المنيع جعلتهم يبوءون بخيبة الامل وضياع الرجاء ، لقد وصلوا فى تتبعهم له الى المكان الذى كان فيه هو وصاحبه ولو نظر احدهم تحت قدمه لرأى الرسول وصاحبه ولكن عناية الله سبحانه جعلتهم يرجعون حين رأوا نسيج المنكبوت فظنوا الغار مهجورا لتتحقق للنبى النجاة ، ولدعوته الفتح المبين ، ويسجل القرآن الكريم هذا المشهد الرائع ، ويصوره ابلغ تصوير اذ يتحدث عنه حديث الانتصار ، فى بطولة فذة لم يسبق لها مثيل ولن تأتى الحياة بما يضاهيها ، وكيف لا وقد حملت يقينها واصرارها ايمانا شامخا لم تستطع قوى الشرك ان تجعل اليأس يتسرب الى طريق تلك البطولة ، فلا خوف ولا حزن ، فقد تنزلت السكينة وترقبت السماء ، وتحقق النصر فى احلك اللحظات ، هكذا يتحدث القرآن : « الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذهما فى الغار اذ يقول لصاحبه لاتحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم » .وايضا فقد اتضحت ملامح النصر والفتح خلال تلك الاخوة الصادقة التى ظهر تأثيرها فى وحدة المسلمين مهاجرين وانصارا ، اولئك الذين تآخوا بروح الاسلام على الحق والمواساة والتوارث بعد الموت حتى نسخ الله ميراث الاخوة بآيات المواريث ، وبقيت المؤاخاة على الحق والمواساة وقد اشاد القرآن بايثار الانصار لاخوانهم المهاجرين على انفسهم اذ يقول : « والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولايجدون فى صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .

لتنظر الى ما اثمرته تلك المؤاخاة بعد ان ابرم الرسول وثيقتها فتلاقت القلوب على كلمة سواء ، وكونت اساسا اصيلا اقيم عليه اعظم مجتمع مثالى تألقت فيه معانى الحب والاخاء ، واشرقت بين جنباته بطولة العقيدة التى حققت النصر فى الغزوات ، وتحقق على يديها الفتح المبين ، كل هذا كان انطلاقا صادق الرؤى من المجتمع القوى العظيم الذى اسسه القائد الاعظم رسول الانسانية صلوات الله وسلامه عليه .

وهكذا من يترسم خطى الاصلاح التى خطاها اولئك المخلصون الاماجد يتحقق له النصر فى الدنيا ويستوجب لنفسه الجنة فى الاخرة مصداقا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجبت له الجنة » .

« فضل الجهاد فى سبيل الله »

قال الله تعالى : « ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص »

ولقد مر برسول الله [صلى الله عليه وسلم] اعرابى وهو يقرأ قوله تعالى : « ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن اوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم » .

فقال الاعرابى : كلام من ؟ قال : كلام الله تعالى. قال بيع والله صريح لا نقيله ولا نستقيله فخرج الى الغزو فاستشهد [رحمه الله تعالى] .

وعن ابى هريرة [رضى الله عنه] ان رسول الله [صلى الله عليه وسلم] قال : « مثل المجاهد فى سبيل الله كمثل الصائم القائم الذى لا يفتر عن صلاة ولا صيام حتى يرجع » .

ومن صحيح مسلم متصلا عن ابى سعيد الخدرى ان رسول الله [صلى الله عليه وسلم] قال : « يا أبا سعيد ، من رضى بالله ربا ، وبالاسلام دينا ، وبمحمد نبيا وجبت له الجنة ، فعجب لها أبو سعيد فقال : اعدها على يا رسول الله ففعل ، ثم قال : واخرى يرفع الله بها العبد مائة درجة فى الجنة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض . قال : وما هى يا رسول الله ؟ قال : [الجهاد فى سبيل الله ، الجهاد فى سبيل الله ، الجهاد فى سبيل الله] .. الدرجات المنازل فى الجنة بعضها فوق بعض جاء ذلك فى كتابه الكريم قال تعالى : « لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية » .

أول هجرة في الإسلام

وأثرها في الصومال !

فضيلة الشيخ حامد محمود اسماعيل

سجل التاريخ أن أول هجرة اسلامية من مكة كانت الى بلاد الحبشة .. وقد أشار النبى صلى الله عليه وسلم على المسلمين المعذبين فى الارض المضطهدين فى العقيدة الرازحين تحت الضغط والايذاء أن يهاجروا الى بلاد الحبشة فان بها ملكا عادلا يكرم وفادتهم ويحسن لقاءهم ويعيشون فى رحابه فى أمن وطمأنينة ..

وقد شد المسلمون رحالهم الى تلك الديار متجشمين فى ذلك الكثير من المشقات باذلين الكثير من الصبر والتحمل ..

وقد سلكوا فى تلك الهجرة الفيافى والقفاز ووصلوا الليل بالنهار والعشى بالاسحار .. ترفعهم رافعة من الجبال وتخفضهم خافضة من الاودية والوهاد حتى وصلوا الى جنوب الجزيرة العربية حيث عبروا خليج عدن الى الحبشة مارين بالصومال..

فليس لهؤلاء المهاجرين الى الحبشة من سبيل يسلكونها بعد ان عبروا خليج عدن الا الاجزاء الشمالية من الصومال مثل بربرة وزيلع وجيبوتى وغيرها فهذه المناطق الصومالية هى ممرهم الوحيد فى هجرتهم الى الحبشة ..

وان هؤلاء المهاجرين لم يكونوا تجارا ولا مرتزقة ولا عابرى سبيل وانما كانوا دعاة اسلاميين تحملوا فى سبيل دعوتهم الكثير من المصاعب والمشقات التى لا يطيقها الا أولو العزم الجبار وذوو الايمان القوى والصبر البالغ ..

ومن هنا فليس ببعيد أن يكون هؤلاء المهاجرون قد وضعوا حجر الاساس للدعوة الاسلامية فى هذه المناطق الصومالية سواء فى حلهم وترحالهم أو فى ذهابهم وعودتهم كما لم يكن صعبا على الافهام أن تستسيغ نشر الدعوة الاسلامية فى تلك الجهات على أيدى أولئك الذين وهبوا أنفسهم لدين الله حتى يتم نوره وتسطع شمسه فى العالمين ؟.

ولعل ذلك يفسر لنا بعض الروايات التاريخية التى تذكر ان الصومال قد استقبل نور الاسلام من قبل أن تستقبله المدينة المنورة .. وانه قد دخل الى الصومال من قبل أن يخرج من مكة .. وان لم تتوفر بعد الادلة الكافية على تحقيق هذه الروايات وان كانت تؤيدها بعض الظنون والاحتمالات ثم بعد هؤلاء المهاجرين الاولين توالت على الصومال هجرات عربية اسلامية من جنوب شبه الجزيرة العربية اما بقصد التجارة لوجود الصلات التجارية مع الصومال من قديم الزمان حتى قبل ظهور الاسلام . واما لنشر الدعوة الاسلامية كجزء من مخطط هؤلاء العرب المسلمين الذين كرسوا حياتهم لنشر الدعوة الاسلامية فى ربوع الافاق ..

ويعتبر انتشار الإسلام على ايدي المهاجرين الاولين حدثا تاريخيا هاما تميز عن غيره من انتشار الشعوب وهجرتها فى العهود التاريخية .

ذلك لان الهجرة العربية الاسلامية كانت تجمع بين العقيدة والحركة فى حيوية بالغة عبر القرون التى استمرت فيها موجات المهاجرين وسلالاتهم .. كما كانت هذه الهجرات الاسلامية ظواهر انسانية وحركات سلمية تحمل بين جنباتها رسالة روحية بعيدة المدى باقية الاثر وفى طياتها مبادىء ثقافية وعقائدية تمثلت فى انتشارها دينا قويما وايمانا راسخا ..

وحينما دخل الاسلام فى هذه البلاد على أيدى هؤلاء المهاجرين انتشر انتشارا سريعا وبصورة مذهلة وذلك راجع الى بساطة العقيدة الاسلامية بحيث لا تحتاج فى فهمها وهضمها الى نظر فلسفى أو بحث علمى . وليس فيها من الغموض أو الجمود ما يجعلها معقدة ملتوية بعيدة عن الافهام . فهى تدعو الى وحدانية الله والى أن البشر جميعا سواء فى عبوديتهم لهذا الاله لا فرق بين جنس وجنس ومن غير تمييز لعنصر على آخر ولا فضل لعربى على أعجمى ولا لابيض على أسود الا بالتقوى « ان أكرمكم عند الله أتقاكم » وبذا تتفق هذه العقيدة مع فطر الناس ومصالحهم وتتمشى مع تطورات الحياة وظروفها لانها تأمر بمكارم الاخلاق والبعد عن سيئها وتدعو الى عبادات وتشريعات لا ترهق الناس من أمرهم عسرا بل هى غاية فى اليسر والسهولة .. ان هذه العقيدة الاسلامية البسيطة لا بد أن يقبلها العقل وأن ينفعل بها ويتجاوب معها كل انسان حر التفكير والضمير سليم الفطرة والوجدان ..

هذا بالاضافة الى اخلاص هؤلاء الدعاة من المهاجرين ورغبتهم الاكيدة فى نشر الاسلام واتباعهم كل سبيل يحقق هدفهم ويوصل الى غايتهم . وقد ذكر أن المسلمين المهاجرين الى تلك البلاد عبر الاجيال والقرون كانوا يختلطون بالسكان ويصاهرونهم وينشرون الاسلام بينهم كما أنهم أقاموا مراكز اسلامية فى المدن الرئيسية كمقديشيو وبربرة وزيلع وغيرها وأنشأوا بها الكثير من المدارس لتحفيظ القرآن الكريم والفقه فى الدين على أيدي

البقية ص ١٣٦

العام الهجرى الجديد

الأستاذ حسن الشيخة

اذكر هنا ما زلت اتذكره من هذا الاحتفال الشعبى البديع ، الذى كان يقام فى كل رأس سنة هجرية .

كنا فى النصف الثانى من العقد الاول من هذا القرن العشرين نسمع شعرا مليحا من شاعر الشعب حافظ ابراهيم ، وكان الاحتفال بهذه المناسبة الكريمة بالغ الروعة والجلال ، وكان محل تمثيل الشيخ سلامة حجازى بحى الازبكية ليس فيه موضع لقدم زيادة على ما ضمه واحتواه ، من شدة الاقبال بشغف عجيب على هذا الحفل الحولى الذى لا نرى وجهه النضير الا كل عام مرة ، وما زال فى ذاكرتى بعض ما شاهدته وسمعته فيه .

أول ما سمعت من حافظ قوله فى مطلع قصيدة له :

اطل على الاكوان والخلق تنظر
هلال رآه المسلمون فكبروا

ثم ثنى على ذلك فى العام التالى بقصيدة مطلعها :

كن أنت بعد أخيك خير هلال
وأضىء لمصر سبيل الاستقلال

ثم ثلث فى العام التالى بقصيدة مطلعها :

لى فيك حين بدا سناك وأشرقا
أمل سألت الله أن يتحققا
اشرق علينا بالسعود ولا تكن
كأخيك مشئوم المنازل أخرقا

ثم فترت الاحتفالات بعد ذلك لما وظف حافظ ابراهيم فى دار الكتب .

كان البارز من الشعراء فى هذا الوقت أحمد شوقى ، وحافظ ابراهيم ، أما حافظ فقد أكثر من وطنياته ، لانه شاعر الشعب ، وأما شوقى فلم نر منه دائبا على قول الشعر فى هذه المناسبة الكريمة ، وأذكر ان الذى قرأته له فى ذلك لا يعدو بيتين هما من شعر القلة — كما يقول النحويون — لا من شعر الكثرة ، هما قوله :

العام أقبل قم نحيى هلاله
كالتاج فى هام الوجود جلالا

هذه هى خلاصة الناحية التاريخية الادبية الشعبية ، التى رأيتها رأى العين ، فى ابتداء العام الهجرى .

اما من ناحية ما نحن فيه من الاشتباك مع وحوش البشر الصهاينة ، فسنذكر قوله تعالى :

ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين

واذا ربطنا بين قول حافظ المتقدم ذكره :

لى فيك حين بدا سناك وأشرقا
أمل سألت الله أن يتحققا

وبين موقفنا الذى نحن فيه لسألنا الله جاهدين ان يحقق هذا الدعاء ، وان يمن علينا بهذا الرجاء ، انه نعم المولى ، ونعم النصير .

• • •

شهر المحرم من الاشهر الحرم السرد [ذى القعدة ، وذى الحجة ، والمحرم] ، وانما سمى بهذا الاسم لانه صريح فيما سمى به من حرمة وصيانة له من كل عبث ، أو حرب ، أو صراع ، واتماما للفائدة اذكر جميع ما اطلعت عليه فى مراجع التاريخ من أسباب تسمية هذه الاشهر باسمائها ، فشهر رجب سمى بهذا الاسم لان الناس كانوا يرجبونه ، أى يهابونه ويعظمونه ، فلم يكن يسمع فيه صوت مستغيث ، ولا قعقعة سلاح ، ولهذا وصف بانه شهر الله الاصم ، والاصم من الايام والشهور ، هو الذى لا يتسامع فيه باى صوت لملهوف ، أو شاك أو مظلوم ، وسمى ذو القعدة بهذا الاسم لانهم كانوا يقعدون فيه عن الحرب والقتال ، مهما توفرت فى نفوسهم أسباب الضغائن والاحقاد ، وسمى ذو الحجة بهذا الاسم لانه شهر حج بيت الله ، هذا البيت الذى كان معظما عندهم فى الجاهلية ، كما هو معظم الان عند المسلمين ، ولذلك كانت سدانة هذا البيت وخدمته : ورعاية شئونه ، مفخرة كبرى لمن تؤول اليه هذه السدانة .

شهر المحرم من الاشهر التى لها أحاديث طويلة عند علماء التاريخ ، مثل ان يقولوا انه فى اليوم السادس عشر منه جعلت القبلة الى بيت المقدس ، وفى السابع عشر منه اغار اصحاب الفيل على الكعبة المكرمة ليهدموا بيت الله ، فارسل الله عليهم طيرا أبابيل ، ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول .

ندور مع هذا الشهر فى دورته التاريخية ، فنجد ان اليوم العاشر منه يسمى يوم عاشوراء ، وليوم عاشوراء قصة تاريخية أرويها فيما يلى :

رووا عنه صلوات الله وسلامه عليه ، انه لما قدم الى يثرب وجد قوما من اليهود يصومون اليوم العاشر من شهر المحرم ، فسأل عن ذلك فاخبروه انه اليوم الذى فلق الله فيه البحر ، فنجا سيدنا موسى ومن معه ، وغرق فرعون ومن معه ، فقال صلوات الله وسلامه عليه [انا أحق بموسى منهم] ، ولهذه الاحقية رأى ان يصوم المسلمون هذا اليوم ، ولا يزال الكثيرون منهم على تعود صيامه للان ، ولا ريب فى ان الصيام يتبعه عادة شىء من الاحسان ، وشىء من الصدقات ، لان روحانية الصائم تدفعه الى الخير دفعا ، وما زال هذا اليوم محفوظا من النقائص الى أن وقع فيه المكروه الاكبر ، وهو مقتل الامام الحسين . فقد قتل فى هذا اليوم بكربلاء .

وفى هذا المعنى تقول بنت عقيل بن أبى طالب :

ماذا تقولون اذا قال النبى لكم
ماذا فعلتم وأنتم آخر الامم
بعترتى وباهلى بعد مفتقدى
منهم أسارى وصرعى ضرجوا بدم
ما كان هذا جزائى اذ نصحت لكم
ان تخلفونى بسوء فى ذوى رحمى

والعام الهجرى منسوب الى الهجرة ، ويراد بها هجرته صلوات الله عليه من مكة الى المدينة ، ولقد كانت هذه الهجرة المباركة كالنـواة الطيبـة التى غرست فى أرض صالحة للغـرس فاينع بها الاسلام ، وكانت خيرا وبركة على هذا الدين الجديد ، الذى قام به صاحب الرسالة المحمدية ، والحديث عنها وعن آثـارها فى نجاح هذه الرسالة اصبح حديثا معروفا ، لا يجهله مسلم يفقه من أمر دينه شيئا ، ولذا لا أكرر فيها القول ، ولا أعيد فيها الكلام ، اكتفاء باثبات الآيات التى جاءت فى الحث عليهـا ، فمن ذلك قول الكتاب الكريم .

١ — والذين هاجـروا فى الله من بعد ما ظلمـوا لنبوئنهم فى الدنيا حسنة .

٢ — فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم ، وأوذوا فى سبيلى وقاتلوا وقتلوا لاكفرن عنهم سيئاتهم .

٣ — ان الذين آمنوا ، والذين هاجروا ، وجاهدوا فى سبيل الله ، أولئك يرجون رحمة الله

٤ — والذين هاجروا فى سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا .

٥ — ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟

٦ — فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا فى سبيل الله

٧ — والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم ، يحبون من هاجر اليهم .

٨ — ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الارض مراغماكثيرا وسعة

٩ — يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بايمـانهن ، فان علمتموهن مؤمنـات فلا ترجعوهن الى الكفر .

واستيفاء للبحث اذكر أنواع الهجرات التى وقعت بالفعل أثناء الدعوة الى الاسلام . وهى

١ — الهجرة الاولى الى أرض الحبشة .

٢ — الهجرة الثانية الى أرض الحبشة ايضـا .

وهاتان الهجرتان كانتا للصحابة ، اما الرسول الكريم فلم ير الحبشة رأى العين

٣ — هجرة النبى الكريم من مكة الى الطائف فى العام الذى سماه هو عام الحزن ، فقد مات عمه أبو طالب فى السنة العاشرة قبل هجرته من مكة الى المدينة بثلاث سنين ، ثم ماتت بعد ذلك السيدة خديجة ، وسبب هذه الهجرة أنه أراد أن يدعو ثقيفـا الى الدخـول فى الاسـلام ، ولـكنهم آذوه ، حتى اختضب نعله بالدماء ، وكان يرافقه فى هذه الهجرة زيد بن حارثة فشج رأسه .

٤ — هجرة الصحابة الى المدينة فى العام الثالث عشر من مبعثه ، وكانت من أهل بيعات العقبات الثلاث ، الذين كانوا هم نواة ظهور الدين الاسلامى بيثرب .

٥ — الهجرة الكبرى ، وهى هجرته صلوات الله عليه من مكة الى يثرب ، وكان فيها الفتح المبين ، والتوفيق الكامل .

هذه كلمتى الوجيزة فى ابتداء العام الهجرى الجديد ، التى اختمها بقول القرآن الكريم كما اسلفت .

ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين .
حقق الله الامل ، ونصرنا على شر أعدائنا .

ليست هجرة

الأستاذ فتحى أحمد مصطفى

لقد تم زواج عبد الله بن عبد المطلب من آمنة بنت وهب بعد حادث الذبح والفداء .. والذى انتهى بذبح مائة من الابل .. بدل ان يذبح شيخ قريش ابنه وفتى القبيلة المدلل .

تزوج الفتى العربى الذى كان يجمع الى شرف الاسرة وطيب العنصر .. جمال الخلق والخلق .. ومروءة العربى الشهم .. تزوج بفتاة كريمة العنصر .. شريفة الاصل .. وأنجبا للبشرية .. خير هاد وخير معلم .. أنجبا نبى هذه الامة ورسولها .. محمد بن عبد الله .

اختاره الله لرسـالته .. وأمره أن ينشر بين النـاس دعوته .. فصدق من صدق .. وكذب من كذب .. ونفر منه القوم .. وتفرقوا عنه . فوقف وحده فى جانب .. ووقفت عشيرته .. بل وقفت الدنيا كلها فى جانب آخر .

ولكنه لم يستسلم للباس ولم يلن فى الحق .. وصمد وقاوم .. وناله من الاذى ما ناله .. فما وهن ولا استكان بل ظـل ينشر دعوته .. دعوة السلام والاسلام .

لم يكن كفار قريش يحاربون رسول الله لشخصه ولا لصفاته .. فهو فيهم من أشراف القوم .. وعرف بينهم قبل الدعوة بالصادق الامين .. كما عرفوا عنه الشجاعة والاقدام والحـكمة وحسن التصرف .. بل ولمسوا ذلك يوم حادث الحجر الاسود حينما قبلت قبائل العرب تحكيم الرسول صلى الله عليه وسـلم ، « وقالوا رضينا بحكم الصادق الامين بعد أن كادوا يقتتلون » .

لم يكن كفار قريش يحاربون محمدا .. بل يحاربون دعوته .. لماذا ؟

لان الاسلام لم يات ليصرع الوثنية وحدها .. بل جاء ليرسى القواعد والدعائم لمجتمع يقوم على العدل والمساواة فى الحقـوق والواجبات .. اء الاسلام فى وقت كان مجتمع الجاهلية فيـه يجرى وراء المكاسب والمتارف . وحركة المال فى أسوأ عصورها .. من مواعيد ومماطلات وغش ومخادعة .. والناس فى تفاوت فى الطبقات واختلاف فى الاجناس . وما تبع ذلك من اختـلاف فى الحقوق بين السادة والعبيد .. والذكر والانثى .. وبين القريب والدخيل .

فجاء الاسلام لينزل الطغاة من عليائهم ، ويحطم جبروتهم ، ويقضى على المماطلة والكذب والغش والخـداع ، وكل مظـاهر التفرقة ، ويساوى بين الاجناس وبين الانواع ، ويضع الاحكام

..بل فتحا!

والاداب .. ويسن القوانين والشرائع .. ويعد لكل شيء نظاما.. ويوجد لكل مشكلة حلا .

وبذا سلب السلطة من يد سادة قريش ، وجعل الكل سواء .. لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى .

ومن هنا قام صراع بين محمد صلى الله عليه وسلم وبين سادة قريش وطغاتها .. صراع بين حق محمد الذى آمن به ونصره .. وبين باطل كفار قريش الذى ذكوه بنار عصبيتهم .. وآزروه بجاهليتهم .. صراع عنيف استمر مدة طويلة من الزمن .

كانت هذه الاعوام حافلة بالاحداث .. زاخرة بالعنف . لقى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب كل الوان الايذاء .. كما لقى المؤمنون أشد أنواع التعذيب .

واشتد الامر برسول الله صلى الله عليه وسلم حين فقد نصرة عمه أبى طالب بعد وفاته : ومن بعده بوفاة شريكة حياته ورفيقة جهاده .. السيدة خديجة رضى الله عنها .

ففكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الهجرة .

ولم يكن تفكيره عليه الصلاة والسلام فى الهجرة .. أن يترك مكة الى الابد .. ابدا . وكيف يتركها وفيها بيت الله الحرام .. وعلى أرضها خطو أبيه ابراهيم وولده اسماعيل .. وفيها مهبط الوحى .. ومنبع الرسالة .

ولكن الرسول كان يبحث عن منطلق جديد لدعوته .. يبحث عن قوم ينصرونه وينصرون دين الله .. ثم يعود الى مكة بعد أن يكون قد ازداد منعة وقوة ليواصل دعوته وينشر رسالته .

فانطلق الرسول صلوات الله عليه وحيدا الى الطائف يلتمس العون فيعرض نفسه على ثقيف لعله يجد فيهم مجيرا ونصيرا يمنعه من قومه ويستجيب لدعوته .

ولكن العرب يومها كانوا عميا عن الحق .. صما عن سماع كلمة التوحيد .. فردوه ردا غير كريم .. وأغروا به السفهاء حتى أوى الى حائط لشيبة وعتبة ولدى ربيعة فاحتمى به وجلس تحت ظل شجرة يرفع رأسه الى السماء ضارعا الى الله فى شكاية .. يبث فيها روحه فى نجوى تعتبر تاريخا بأكمله .. ودرسا للبشرية .. فهو لم يهن ولن ييأس ولكنه خشى أن يكون ما حل به هو من غضب الله عليه .

وقد عاد الرسول الى مكة .. ويستمر النضال بين الحق والباطل.

والرسول ثابت فى موقفه وتشهد رمال مكة البلد الامين صراعا بينه وبين طغاة مكة .. تمتحن شجاعته كل يوم .. ويعجم عود صبره كل ساعة . فما تطرق الوهن الى شجاعته ولا اليأس الى صبره.

وكانت بيعة الانصار الاولى والثانية مثارا لتفكير الرسول الكريم فى الهجرة .

فمبايعة الانصار للرسول بعد قليل من السابقين من أهل مكة .. جعلت النبى يفكر فى أن يتخذ لنفسه قاعدة أخرى غير قاعدته الاولى التى تشبث أهلها بمعاداته بغيا وعدوانا .

ومع أن الانصار كانوا أبعد اتصالا بالنبى من أهل مكة وأقل معاشرة له ، فقد قدموا دليلا من الاسلام ذاته على قوته وصلاحيته للامكنة المختلفة مع فروق ما بينها من معايش وأحوال .

فلما تحطمت كل أسلحة قريش من الايذاء والسخرية والبطش ، ورأى كفار قريش القبائل قد وفدت على رسول الله صلى الله عليه وسلم لتبايعه أجمعوا على قتله وتآمروا على ذلك . فأخبر الله عز وجل رسوله بما عزم عليه الكفار . وهنا أحس الرسول فى نفسه بأن أوان الهجرة قد حان .. ولم يتردد الرسول فى التفكير الى أى البلاد يتجه .. وان ظل ينتظر أمر الله .

وحينما أتاه أمر الله بالهجرة الى المدينة .. فرح الرسول لأن يثرب هى التى كانت بخاطره .

وان كان قد حزن لفراق مكة فانه كان واثقا من عودته اليها ثانيا .. واثقا من انه سيطهرها حين يعود من شرك الوثنيـة ومظالم الجاهلية ..

فخرج الرسول مستخفيا مهاجرا .. مستصحبا معه أبا بكر رفيق عمره بل كفاحه .. ذلك الصديق الذى صدقه وصاحبه .. صدقه فى الرسالة وصاحبه فى الكفاح من أجل نشر الدعوة .

وحين كان الرسول فى الغار مستخفيا يقول لصاحبه : [لا تحزن ان الله معنا] كان هذا ايذانا بابتداء ذلك اللون من الصراع الذى لمع فيه السلاح كما لمعت فيه النفس البشرية التى صقلتها الشجاعة والتى قواها الحق .

حين قال الرسول لصاحبه لا تخف ان الله معنا .. انما كان يؤكد لصاحبه ان الله معهم وسينصرهم وسيردهم الى مكة منصورين، بعد أن يزداد الاسلام قوة ومنعة بالانصار .

فلم تكن الهجرة فى نظر الرسول حتى وهو فى الغار هى ترك للديار أو رحيل عنها الى الابد .. انما كانت فى نظر الرسـول مرحلة .. مرحلة من مراحل الجهاد فى سبيل نشر الدعوة .

واستقبلت المدينة النبى أعظم استقبال .. وأقبل الانصار على النبى يقتدون به ويتبعون سنته ويمتثلون أوامره ويجتنبون نواهيه. وشرفوا بالاسلام وشرف الاسلام بهم .

ولقد استطاعت المدينة بكل ما فعلت أن تكتل كل القوى التى ردت عن الاسلام كيد المغيرين وغارة الكائدين من خارج المدينة ومن داخلها .. ثم تجهزت كل القوى التى زحفت تحت راية الاسلام لتحقق الفتح العظيم وتتجه نحو مكة لتخضع قريشا وكفارها وتقهر الشرك فى داره .

وهكذا تم نصر الله للقلة المؤمنة التى خرجت مهاجرة على الكثرة الباغية المعتزة بعدتها وعددها .. وعاد المهاجرون الذين طردوا من ديارهم وأوطانهم الى بلدهم الامين ترفرف فوق رؤوسهم أعلام الفتح .. وتخفق فوق هاماتهم رايات النصر .. يرددون فى فخر واعزاز أناشيد كلها حمد وثناء وشكر وولاء .

وبذا تحقق أمل الرسول فى الهجرة فلم تكن الهجرة اذن مجرد هجرة أوطان ولا ترك ديار .. بل كانت هجرة فى سبيل الله .. وفى سبيل نصر دينه .. واعلاء كلمته .. ونشرة دعوة الحق والدين .. بل كانت فى الحقيقة فتحا للاسلام .

الدعاة والمعلمين الذين كانوا ينتشرون فيها هداة مبشرين بهذا الدين العظيم الذى سرعان ما يتخذ سبيله الى القلوب والعقول والافهام وقد أشاد ابن بطوطة فى رحلته الى مقديشيو بالدور الكبير الذى قام به هؤلاء العرب المسلمون فى نشر الاسلام بالصومال عن طريق الاختلاط بالسكان ومصاهرتهم . وعن طريق مدارسهم التى أنشأوها ومراكزهم الدينية التى أقاموها والتى صارت منارات هداية ومراكز اشعاع فى طول البلاد وعرضها وشمالها وجنوبها ..

كما ذكر بعض المؤرخين أن جماعة من المهاجرين المسلمين نزحوا الى الصومال والحبشة من صعيد مصر بقصد نشر الاسلام والدعوة الى هذا الدين وذلك فى القرنين السادس عشر والسابع عشر .. وهؤلاء كانوا يسكنون مدينة قوص بين قنا والاقصر ويتخذون لانفسهم اسم الكارمية . وهم على جانب كبير من الورع والتقوى وفيهم فقهاء ومحدثون وقراء . وقد اتخذوا التجارة حرفة لهم كوسيلة لبث الدعوة الى الاسلام بين القبائل . وكان يفد الى هذه البلاد عدة مئات منهم فى كل عام وقد ساعدهم على أداء رسالتهم طول اقامتهم فى البلاد واختلاطهم بالاهلين ومعرفتهم بعاداتهم ولغاتهم وتقاليدهم حتى أسلم على أيديهم عدد كبير من الوثنيين .. وعاد الى الاسلام الصحيح من كان منهم يمارس بعض العادات الوثنية ولا يعرف من الاسلام الا اسمه ..

وكانت القبائل الصومالية والحبشية تقبل عليهم بحفاوة بالغة وتقدير فائق . ولعل تسمية بعض البلاد الصومالية باسم (مصريو) و (مصروين) أى مصر الصغرى ومصر الكبرى كانت رمزا للمحبة الصادقة وتقديرا للجهود المثمرة فى نشر الاسلام والدعوة اليه من قبل هؤلاء المهاجرين المصريين .. ولقد كان من أثر هذه الهجرات الاسلامية أن انتشر الاسلام على أكمل صورة وأوسع نطاق حتى بلغت نسبة المسلمين هناك مائة فى المائة تقريبا كما أن الصوماليين متمسكون بعقيدتهم ويعنون كل العناية بتحفيظ أولادهم القرآن الكريم وتعليمهم قواعد الدين وأحكامه على مذهب الامام الشافعى رضى الله عنه باعتباره أول مذهب اسلامى دخل الى هذه البلاد . كما انهم يحافظون على اقامة الشعائر الدينية ويهتمون بالاحتفال بالاعياد والمناسبات الاسلامية ..

كذلك انتشار المساجد بصورة طيبة فى جميع المدن والقرى.. وهذه المساجد ليست مهمتها فى الصومال مقصورة على اقامة الشعائر الدينية فحسب بل تدرس بها العلوم الاسلامية كالتفسير والفقه الاسلامى وكذلك فنون الادب والبلاغة .

كما أن الصوماليين لم يتأثروا الى حد كبير بالدعوة التبشيرية التى تقوم بها بعض الارساليات الاجنبية المعروفة هناك .. فعلى الرغم من جهود هؤلاء المبشرين ومحاولات المستعمرين فان الاسلام ما زال غضا طريا فى قلوب الصوماليين فاستمساكهم به متين وايمانهم به قوى وحرصهم عليه شديد .

ثم هو دائما يقف حجر عثرة وعقبة كاداء فى وجه كل محاولة للنيل منه والوقوف أمام امتداده ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

تحية لاولئك المهاجرين الاولين الذين غرسوا هذا الغرس الطيب فى تلك الربوع ..

تحية لهم فى ذكرى الهجرة النبوية .. وتحية لاولئك الذين حافظوا على تراثهم وأثمر فيهم غرسهم والسلام على من اتبع الهدى .

الجمعية التعاونية للبترول

ش. م. ع

● اقامت الجمعية أكبر شبكة من محطات الخدمة والتموين لتمد وسائل النقل بالطاقات المحركة لآلاتها لخدمة النهضة العمرانية التى عمت البلاد من أقصاها الى أقصاها .

فان سهولة المواصلات تستطيع أن تقدم المعجزات فى تحقيق الوحدة الانتاجية فى الوطن . ومن ثم تؤدى الى وحدة الرخاء على ارضه .

ويقوم بالخدمة فى هذه المحطات عمال مهرة مدربون تدريبا راقيا يضعون كفاءتهم لخدمة جميع وسائل النقل .

التاريخ الإسلامى

ماذا تعرف عن العالم الإسلامى

دوله وشعوب

الجمهورية التركية

الدكتورة عنايات الطحاوى

تمتد الجمهورية التركية فى كل من قارتى آسيا وأوربا فتركيا الاسيوية تسمى [آسيا الصغرى] وتركيا الاوربية تسمى (تراقيا) وتبلغ مساحتها ٣٠٠ر٠٠٠ ميل مربع يخص الجزء الاوربى منها ٩٠٠٠ ميل مربع أى ٣ فى المائة من المساحة الكلية

وتحد الجمهورية التركية شرقا بالاتحاد السوفيتى وإيران وجنوبا بالعراق وسوريا والبحر المتوسط وشمالا بالبحر الاسود وغربا باليونان وبلغاريا •

وتنقسم الجمهورية التركية الى الاقسام الطبيعية الاتية

١ — الاقليم الساحلى لبحر ايجه وسهول [انتاليا واضنة] ويمتاز هذا الاقليم بمناخ البحر المتوسط بشتائه الدفىء الممطر وصيفه الحار الجاف • كما يمتاز أيضا بعظم خصوبته فهو ينتج القطن والتبغ والموالح والحبوب والفاكهة •

٢ — الاقليم الساحلى للبحر الاسود ومطره أكثر من الاقليم السابق وموسم سقوط المطر أطول • ويبلغ متوسط كمية المطر السنوى فيه ٧٠ بوصة وهى أكبر متوسط فى تركيا •

ويعتبر التبغ أهم غلاته •

وتكثر الزلازل فى هذا الاقليم ولذلك يقل به عدد السكان رغم خصوبته •

٣ — هضبة الاناضول : وهى خصبة واسعة عديمة الاشجار تتخللها المستنقعات • وتأخذ هذه الهضبة فى الارتفاع من مستوى ٢٠٠٠ قدم فوق سطح البحر فى الغرب الى ٦٠٠٠ قدم فى الشرق ومناخ الهضبة متطرف تتدرج حرارته من [— ١٥ درجة فهرنهيت] الى أكبر من (١٠٠ درجة فهرنهيت) • أى أن صيف الهضبة شديد الحرارة بينما يتساقط الثلج فى الشتاء •

أما المطر فقليل وغير منتظم فوق أغلب أجزاء الهضبة وتتراوح كميته السنوية بين ٨ ، ١٦ بوصة •

وأهم أعمال السكان فى هذا الاقليم زراعة الحبوب ورعى الاغنام ويحد الهضبة من الشمال سلاسل منبسطة جبلية مرتفعة تكسوها الغابات وتنحدر بشدة نحو البحر الاسود •

كما يحد الهضبة من الجنوب جبال طوروس العظيمة • وأعلى قمة فى هذه الجبال هى (قمة أرارات) بالقرب من الحدود الفارسية ويبلغ ارتفاعها ١٧ر٠٠٠ قدم

وينشأ عن ذوبان الثلوج بالجبال التركية كثير من الينابيع والمجارى المائية والانهار • ومعظم هذه المجارى يجف فى أواخر الصيف بينما تغمره السيول فى الربيع •

وأهم أنهار تركيا هو (قيزل ارماك) (أى النهر الاحمر وينبع على بعد نحو ١٠٠ كيلومتر من (سيفاس) ويجرى متخذا شكل علامة استفهام مقلوبة حتى يصب فى البحر الاسود عند (بغره)

وسواحل تركيا قليلة الموانى الطبيعية فيما عدا موانى اسطنبول وازمير واسكندرونة •

والساحل الايجى كثير التعاريج بينما ساحل البحر الاسود غير صالح للملاحة •

ثانيا الاقتصاد التركى

تمتلك تركيا الارض الواسعة والثروة المعدنية الوفيرة ومع ذلك فان الشعب التركى لم يصل بعد الى درجة متقدمة فى استغلال ثرواته الزراعية والمعدنية وقد أخذ فى السنوات الاخيرة يكتسب الخبرة فى سبيل النهوض باقتصادياته ورفع مستوى المعيشة فى البلاد وتبعا لتقدير سنة ١٩٥٩، ١٩٦٠ نجد استعمال الارض فى تركيا يسير بحسب الارقام الاتية •

جدول رقم (١)

١ — و نبدأ بعرض الانتاج الزراعى

على الرغم من التقدم السريع فى استخدام الالات فى الزراعة فانها فى القرى مازالت بدائية ومعظم الارض يمتلكها الفلاحون ويزرعونها بأنفسهم • وحوالى ٦٢ فى المائة من ملاك الارض يمتلكون أقل من ١٢ ونصف فدان ومتوسط ملكية العائلة فى الدولة كلها ١٩ فدانا • وعليه فان الملكية الزراعية عامة فى تركيا تتسم بضآلتها •

الجدول رقم (١)

٢٥ر٦ ٪	اراضى زراعية	[٢٢ر٩٤٠ر٠٠٠ هكتار]
٤٢ر٤ ٪	مراعى	[٢٩ر٠٠٠ر٠٠٠ هكتار]
٢ر٢ ٪	حدائق وبساتين وكروم	[٢ر٠٣٢ر٠٠٠ هكتار]
١٣ر٦ ٪	غابات	[١٠ر٥٨٤ر٠٠٠ هكتار]
١٦ر٢ ٪	ارض غير منتجة	[١٣ر١٤٢ر٠٠٠ هكتار]
		٧٧ر٦٩٨ر٠٠٠ هكتار

ومن معوقات الزراعة فى تركيا قلة رءوس الاموال المستثمرة فيها ولكن مع المساعدات الامريكية الفنية والمالية زادت الاموال المستثمرة فى الزراعة ٠

ومن معوقات الزراعة أيضا فى تركيا عدم وجود الهيئات المدربة التى تعمل على تجديد اساليب الزراعة ولكن فى الوقت الحاضر أمكن لكلية الزراعة والبيطرة أن تخرج المدربين الزراعيين ورجال البحوث .

وقد أقيمت مشروعات رى كبيرة تخدم أغراض الرى وتوليد الكهرباء ٠ ومن أهم هذه المشروعات مشروع (السيحان) الذى يشمل ضبط مياه الفيضان ورى ٤٠٠ر٠٠٠ فدان . كما أقيم سد [ساديار] لضبط الفيضان فى وادى [أدا بازارى]. واقيم أيضا سد [دمير كوبرو] لرى ٢٥٠ر٠٠٠ فدان .

كما زادت نسبة استخدام الالات الزراعية وصيانتها وتوجد حاليا محطات تجارب ومحطات تربية الحيوان ومعاهد حماية النبات ومزارع حكومية لانتاج الحبوب ٠

وبذلك حدث تحول فى طبيعة الانتاج الزراعى فلم يعد للاكتفاء الذاتى الصرف كما كان فى الماضى وانما أصبح يهدف الى تحقيق بعض الربح عن طريق التجارة الداخلية والخارجية

أهم الغلات الزراعيه فى تركيا

تنتج تركيا غلات متنوعه فتنتج مجموعة من الحبوب أهمها القمح وهو الغذاء الرئيسى للسكان والمحصول الرئيسى فى الهضبة الوسطى ٠ وتتمتع تركيا بالاكتفاء الذاتى فى الحبوب ٠

وقد ارتفعت مساحة الارض المخصصة لزراعة الحبوب من ٧ر٧ مليون هكتار فى عام ١٩٥٠ الى ١٢ر٣ مليون هكتار فى عام ١٩٥٦ ٠

ومحصول القمح هذا لا يكفى الاستهلاك المحلى ولذلك عقدت تركيا اتفاقية (نوفمبر سنة ١٩٥٦) مع الولايات المتحدة لتزويدها بقمح قيمته ٤٦ مليون دولار . وقد جددت هذه الاتفاقية فى عام ١٩٥٧ ولم تشمل القمح وحده بل شملت كذلك الشعير والذرة واللحوم المعلبة والالبان وزيوت الخضروات وتبلغ قيمة هذا كله حوالى ١٩ مليون دولار ٠

أما القطن فيزرع فى أقليم (أضنة) وفى غرب الاناضول ويزرع بعضه فى اقطاعيات كبيرة والبعض الاخر فى الملكيات الصغيرة

وأخذ القطن يحتل مكانة بارزة فى قائمة الصادرات ٠

ومن الغلات الزراعية الهامة فى تركيا أيضا الفواكه والجوز فتزرع الفاكهة فى كل أجزاء تركيا ٠ وخاصة زراعة الكروم وتنتج تركيا النبيذ الجيد من زراعة الكروم كذلك تزرع تركيا الشاى وخاصة على الجانب الشرقى للبحر الاسود ٠ وتزرع أيضا البنجر ويكفى حاجتها من السكر .

وفيما يلى احصائية بالمساحة المزروعة والانتاج للغلات الرئيسية (سنة ١٩٥٦)

انظر الجدول رقم [٢]

٢ ـ الثروة الغابية

تعرضت غابات تركيا للازالة لسنوات طويلة ورغم الجهود الكبيرة التى بذلت لاعادة زراعة غابات الاناضول فان هذه الجهود لم تحقق نجاحا يذكر لان قوى تخريب الغابة مازالت تعمل فى نفس الوقت ومن هذه القوى الحرائق والحيوان والمناخ الجاف هذا فضلا عما يقطع من الاخشاب لاغراض الصناعة والوقود ٠ وحتى سنة ١٩٥٥ كان قد خرب ما مساحته ٣٠ فى المائة من غابات تركيا خلال النصف الاول من القرن العشرين فاذا سارت تركيا فى القضاء على غاباتها بنفس المعدل فانها ستتحول الى صحراء

ولذلك وضع مشروع للعناية بزراعة الاشجار وصيانتها

٣ ـ الثروة الحيوانية

هضبة الاناضول أقليم رعوى جيد حيث ترعى ملايين الرءوس من الاغنام والماعز والماشية ٠

والاغنام من النوع ذى الذيل السمين والصوف الخشن وهى تربى لالبانها ولحومها وأصوافها ٠ وكذلك البقر والجاموس فيربى أيضا لالبانه ولحومه ٠ اما الماعز فهناك نوع يربى لاصوافه التى تشتهر بها تركيا خاصة وتسمى (الانجوراه)

واليك احصائية بتطور الثروة الحيوانية من سنة ١٩٤٨ الى سنة ١٩٦٤ ٠

انظر الجدول رقم [٣]

٤ الثروة الحيوانية بالالف رأس

٤ ـ الثروة السمكية

على الرغم من طول سواحل تركيا الا أن العناية بالثروه السمكية ضئيلة وقد حدث أخيرا تقدم بسيط فى تنمية هذه الثروة وتصدر تركيا معظم صيدها الى الدول المجاورة ٠

٥ ـ الثروة المعدنية فى تركيا

لم تستغل الثروة المعدنية فى تركيا على الوجه الاكمل الا فى السنوات الاخيرة ٠ وتركيا من أولى

جدول رقم ـ ٢ ـ

الغلة	المساحة بالالف هكتار	الانتاج بالألف طن مترى	الغلة	المساحة بالألف هكتار	الانتاج بالألف طن مترى
القمح	٧ر٤٢٨	٦ر٦١٢	الكروم	٠٠٠٠٠	٢٠
الشعير	٢ر٦٦٠	٢ر٩٠٠	حبوب القطن	٦٣٥	٢٩٥
الذرة	٧١٤	٩٠٠	نسالة القطن	٦٣٧	١٦٥
البطاطس	١٠٦	١ر١١٦	التبغ	١٥٦	١٠٩
بنجر السكر	١١٢	٢ر١٥٠			

جدول رقم (٣)

النوع	١٩٤٨	١٩٥٨	١٩٦٢	١٩٦٣	١٩٦٤
اغنام	٢٥ر٨٤٠	٣٠ر٨٢٢	٣١ر٦١٤	٣٤ر٤٦٣	٣٢ر٦٥٤
ماعز عادية	١٤ر٦١٢	١٨ر١٩٦	١٦ر٤٢٠	١٥ر٠٦٤	١٥ر٥٩٩
ماعز انجورا	٣٩٤	٦ر٠٣٦	٥ر٦٥٥	٥ر٩٩٦	٥ر٥٦٣
ماشية	١٠ر١٧٩	١٢ر٤٨٤	١٢ر٦٦٢	١٢ر٤٣٠	١٣ر٢١١
جاموس	٩٣٧	١ر١٦٢	١ر١٦٠	١ر١٤٠	٢٩٣
جمال	١٠٩	٥٧	٥٣	٦٥	٤٦
خيول	١ر١٦٤	١ر٣٣٣	١ر٢٣٩	١ر٣١٢	١ر٢٠٧
حمير	١ر٧١١	١ر٨٤٠	١ر٨٨٠	١ر٨٩٢	١ر٩١٨
بغال	١٠٢	١٥٤	٢٠٨	١٧٠	٢١٦

دول العالم انتاجا لمعدن الكروم كما يوجد بها أيضا الفحم والحديد والنحاس والمنجنيز والبترول ٠

واليك احصائية بانتاج تركيا من المعادن الرئيسية) سنة ١٩٥٦)

انظر جدول — ٤ —

وفيما عدا هذه المعادن الرئيسية تنتج تركيا بكميات قليله معادن الملح والكبريت والرصاص والزنك والبوكسيت والزئبق والانتيمون

وأول ظهور للبترول فى تركيا كان فى (رامان وانج) سنة ١٩٤٠ ويقدر الاحتياطى بحوالى ١٠ مليون طن مترى ٠ وقد دخل البترول التركى السوق ابتداء من سنة ١٩٥٦ ٠ **ويوجد معمل تكرير فى (باثمان)** وكفاءته ربع مليون طن من البترول الخام سنويا ٠

وقد ظهر حقل بترول غنى فى (تراقية التركية) فى سنة ١٩٥٦ كذلك يقدر احتياطى الفحم بحوالى ١٣٠٠ مليون طن وتمتد حقوله بحذاء ساحل البحر الاسود بالقرب من (زنجلداك) وقد كشفت حقول فحم أخرى بالقرب من أنتاليا ٠

٦ — الانتاج الصناعى

منذ قيام الجمهورية والنشاط الصناعى فى ازدياد وتنوع وأهم منطقة تتركز فيها الصناعة هى اسطنبول)

وفى الوقت الحالى تنتشر الصناعة على طول الساحل الاسيوى لبحر مرمرة بين أسطنبول وعصمت ٠ وان كانت تقوم أيضا فى معظم المحافظات ٠

والصناعات الثانوية هى السائدة فى تركيا والتى من أهمها حفظ الطعام والنساجة ٠ ومنذ سنة ١٩٥٠ قامت نهضة صناعية ملحوظة شملت صناعة النسيج والاسمنت والسكر والفحم والصلب ٠

هذا وتمتاز تركيا بتنوع صناعاتها كصناعة المنسوجات القطنية والصوفية وصناعة الزجاج والورق والاسمنت والتبغ والنبيذ والسوبر فوسفات وفحم الكوك وصناعة الحديد والصلب ٠

وصناعة النسيج من أكبر الصناعات التركية فيعمل فيها حوالى ٥٨ر٠٠٠ عامل وهى تسد حوالى ٨٠ فى المائة من حاجة البلاد . **وتمتلك الدولة ٦٠ فى المائة من صناعة القطن ، ٥٠ فى المائة من صناعة الصوف** كما تمتلك كل صناعة الورق والسكر ٠ وتحتكر الحكومة ايضا انتاج السجاير والكبريت والملح ٠

٧ — النقل والمواصلات

أ — السكك الحديدية يبلغ طول الخطوط الحديدية ٨٠٠٠ كيلومتر ومعظم الخطوط مفردة ٠ وتمتلك الحكومة جميع الخطوط الحديدية بعد شرائها من الشركات الاجنبية ٠

وقد تم مد الخطوط الحديدية فى شرق الاناضول وبذلك **أصبحت شبكة السكك الحديدية تربط كل أجزاء تركيا ببعضها** وتقع كل المدن الكبرى على خطوط حديدية ٠

وهناك خط حديدى يصل تركيا بايران ٠

وفى سنة ١٩٥٦ كان لتركيا أول خط حديدى يسير بالكهرباء فيصل بين قلب اسطنبول وبين ضواحيها ٠

ب — الطرق البرية

سارت عملية مد الطرق البرية بعزم وحماس نظرا لانها الوسيلة الوحيدة لربط الشعب التركى بعضه

جدول رقم — ٤ —

المعدن	الانتاج سنة ١٩٥٦ بالطن	المعدن	الانتاج سنة ١٩٥٦ بالطن
فحم	٨ر٦١٠ر٠٠٠	نحاس	٢٥ر٠٠٠
كروم خام	٦٤٩ر٠٠٠	منجنيز	٥٠ر٠٠٠
حديد خام	٦٢٥ر٠٠٠	بترول خام	٣١٠ر٠٠٠

ببعض من ناحية وبالعواصم الكبرى من ناحية أخرى .

ونظرا لتباعد التجمعات السكانية من ناحية ووعورة الارض من ناحية أخرى فان عملية تمهيد الطرق ورصفها من الصعوبة بمكان وقد تلقت تركيا معونة من الولايات المتحدة لصيانة طرقها الحالية ومد طرق جديدة وبذلك أمكن التقدم فى هذه الناحية .

ج ـ الملاحة البحرية

أهم موانى تركيا (اسطنبول) التى تعتبر من أحسن الموانى الطبيعيه فى العالم والتى تستحوذ على ٧٠ فى المائة من مجموع تجارة تركيا الخارجية . هذا فضلا عن ميناءين آخرين هامين هما أزمير والاسكندرونة

أما أزمير فتختص بتجارة الغلات الزراعية من انتاجها المحلى . والاسكندرونة الميناء الذى أغتصبته تركيا من سوريا فان قيمته تزداد بتنفيذ مشروع مد أنابيب بترول ايران والعراق وتركيا اليها .

ومنذ سنة ١٩٥٠ وتركيا تعمل على بناء موانى جديدة أهمها (هيدرباسا ـ سمسون ـ مرسين ـ ترابيزون ـ أماسرا ـ زنجلداك ـ أريفلى)

د ـ الخطوط الجوية

تشرف مصلحة الطيران الحكومية على كل الخطوط الداخلية ـ كذلك يعمل عدد كبير من شركات الطيران الاجنبية فى تركيا . ومركز هذه الشركات اسطنبول ويوجد فى كل من أسطنبول وانقرة مطاران دوليان . هذا فضلا عن المطارات الثانوية فى انحاء تركيا الاخرى

٨ ـ التجارة الخارجية

لا تؤلف التجارة الخارجية الا ٧ فى المائة من الدخل القومى لتركيا ومعنى هذا أن الدولة تكفى نفسها بنفسها من المواد الغذائية ولكنه يعنى كذلك أنه ليس لدى الدولة غلات نقدية هامة وتتمثل أهم واردات تركيا فى الالات ومعدات النقل والحديد والصلب ومواد الوقود السائلة ثم فى خيوط الغزل والمنسوجات والادوية والبويات والاصباغ وغيرها من السلع الاخرى . وتبلغ قيمة هذه الواردات تبعا لاحصاء سنة ١٩٦٤ (٥٤٢ مليون دولار)

أما الصادرات فأهمها التبغ والفواكه المجففة والقطن والدقيق والحبوب الزيتية والحيوان وغيرها من السلع الاخرى .

وتبلغ قيمة الصادرات تبعا لاحصاء سنة ١٩٦٤ (٤١١ مليون دولار) وعليه فالميزان التجارى ليس فى صالح تركيا .

أما عن اتجاه التجارة الخارجية التركية فقد ظلت فترة طويلة مركزة فى دول أوربا الغربية . وكانت المانيا قبل الحرب العالمية الثانية أكبر سوق للسلع التركية وأكبر مورد لها فى نفس الوقت .

ولكن بعد هزيمة المانيا فى سنة ١٩٤٥ نجد الولايات المتحدة ثم بريطانيا أكبر عميلتين لتركيا من حيث الصادرات والواردات . كما بدأت ألمانيا الغربية تستعيد مكانتها الرئيسية فى التجارة التركية ابتداء من سنة ١٩٥١ ويلى هذه الدول الثلاث ايطاليا ثم فرنسا وبلجيكا . وفيما يلى الميزان التجارى التركى مع الدول الرئيسية لسنة ١٩٥٦ .

مقدرا بملايين الليرات التركية

انظر الجدول رقم ـ ٥ ـ

مما سبق يتبين عجز الميزان التركى بمقدار ٢٨٦ مليون ليرة تركية . وربط تركيا بالاقتصاد الغربى سبب لها صعوبات أقتصادية كبيرة ولا تستطيع تركيا أن تخفض قيمة الليرة التركية كجزء من الحل لتحسين الميزان التجارى . والحل الوحيد فى نظر الاتراك هو القروض الطويلة الاجل الصغيرة الفائدة من الولايات المتحدة الامريكية .

ثالثا الشعب التركى

يبلغ عدد السكان فى تركيا تبعا لاحصاء سنة ١٩٦٠ حوالى ٢٨ مليون نسمة ومتوسط كثافة السكان ٣٢ فى الكيلومتر المربع . ويبلغ سكان القرى ٧١ فى المائة من عدد السكان بينما ٢٩ فى المائة من السكان يقيمون فى المدن .

وحوالى ٨٥ فى المائة من السكان يشتغلون بالزراعة .

ويمكن تقسيم السكان على أساس لغوى كما يلى :

أتراك (٢١ر٧٩٢ر٠٠٠ نسمة)

أكراد (١ر٥٠٤ر٠٠٠ نسمة)

عرب (٣٤٦ر٠٠٠ نسمة)

يونانيون (٨٢ر٠٠٠ نسمة)

شراكسه (٩١ر٠٠٠ نسمة)

جورجى (٥٤ر٠٠٠ نسمة

آرمينى (٤٧ر٠٠٠ نسمة)

يهودى (٢٩ر٠٠٠ نسمة)

جدول رقم ـ ٥ ـ

الدولة	الوارد	الصادر	الميزان التجارى
المانيا الغربية	٢٦٩	١٤٢	ـ ١٢٧
الولايات المتحدة	٢٤٠	١٦٧	ـ ٧٣
بريطانيا	٩٣	٦٥	ـ ٢٨
ايطاليا	٧٣	٨٥	+ ١٢
فرنسا	٥٣	٤٥	ـ ٨
بلجيكا	١٠	٩	ـ ١
	١١٤٠	٨٥٤	ـ ٢٨٦

بلغارى (٣٢٫٠٠٠ نسمة)
لاز (٢٧٫٠٠٠ نسمة)

وعلى الرغم من وجود بعض العناصر الغير تركية فان تركيا منسجمة سكانيا ومجموع العناصر الغير تركية حوالى مليونين وربع منهم ربع مليون فقط غير مسلمين **أما بقية سكان تركيا فجميعهم مسلمون .**

ويعتبر الاكراد اكبر الاقليات غير التركية عددا وهم أهل جبال تغلب عليهم حرفة الرعى ولكنهم آخذون فى الوقت الحاضر فى الاستقرار فى قرى ثابتة . وهم مطالبون من وقت لاخر بمنحهم الاستقلال الذاتى وهم يختلفون عن الترك جنسا ولغة ويكرهون الخضوع لحكومة مركزية كشأن البدو فى كل مكان .

أما الاقليات الاخرى فهى تندمج فى الحياة التركية بدون تفرقة .

وخلال العشرينات من هذا القرن هاجر ١٫٥ مليون يونانى ارثوذكس من تركيا الى اليونان وذلك فى مقابل ٧٠٠٫٠٠٠ مسلم هاجروا من اليونان الى تركيا . وكان الهدف من هذا التبادل السكانى خلق التجانس التام فى تكوين تركيا .

وقد اتبعت تركيا سياسة تشجيع هجرة الاتراك من جهات العالم المختلفة اليها وتبذل اقصى جهدها لاستقرار المهاجرين واعطائهم منحا سخية وسلفا كما عملت على منح الفلاحين منهم أرضا .

رابعا : موجز تاريخ تركيا وسياستها

أصل الامة التركية من الرعاة وفدوا من وسط آسيا فى القرن الحادى عشر الميلادى واستقروا فى آسيا الصغرى . ثم لم يلبث الترك ان كونوا فى القرن الثالث عشر امارة عثمانية من عدد المقاطعات التركية فى آسيا الصغرى .

ولم تلبث هذه الامارة أن تحولت الى امبراطورية عثمانية كبرى فى القرنين السادس عشر والسابع عشر امتدت رقعتها من الخليج العربى فى الشرق الى الجزائر فى الغرب ومن جنوب روسيا فى الشمال الى السودان فى الجنوب .

وتوغلت هذه الامبراطورية فى قلب أوربا الشرقية فشملت بودابست ووصلت حتى أبواب فيينا .

ولكن بحلول القرن التاسع عشر أخذت هذه الامبراطورية فى الضعف امام التفوق التكنولوجى والادارى فى أوروبا .

وفى الحرب العالمية الاولى (سنة ١٩١٤) دخلت تركيا هذه الحرب الى جانب المانيا . وانتهت الحرب بهزيمة المانيا ومن معها وسمح الحلفاء للجيش اليونانى باحتلال ازمير فى ١٥ مايو سنة ١٩١٩ فثار شعور الاتراك وقامت ثورة شعبية واستطاعت القوات التركية بقيادة (مصطفى كمال) من ايقاع هزيمة تامة بالجيش اليونانى مما ارغم الحلفاء فى معاهدة (لوزان) سنة ١٩٢٣ على الاعتراف لتركيا بسيادتها التامة على أراضيها .

وقضى مصطفى كمال على السلطنة فى سنة ١٩٢٢ ثم **فى ٢٩ اكتوبر سنة ١٩٢٣ اعلنت تركيا جمهورية ذات سلطة عليا تتمثل فى المجلس الوطنى أو الجمعية الوطنية التى يحكم بواسطتها .**

وفى ٢٠ ابريل من سنة ١٩٢٤ اعلن الدستور الذى ما زال قائما حتى وقتنا هذا - ويحقق الدستور الحرية والديمقراطية كما يحقق المساواة امام القانون ويعطى الناس حرية الفكر والكلام والنشر والاجتماع .

والامة مصدر السلطات يمثلها (المجلس الوطنى الكبير) وينتخب هذا المجلس رئيس الجمهورية الذى يختار بدوره رئيس الوزراء - ورئيس الوزراء يختار الوزراء . وهؤلاء جميعا مسئولون امام المجلس الوطنى فى الشئون التنفيذية .

خامسا : انتشار الاسلام فى تركيا

عندما نتكلم عن الاسلام فى تركيا لانعنى تركيا فى

البقية ص ١٥٧

قضية فلسطين من بدايتها إلى ذروتها

الأستاذ عثمان عبد السميع العدل

- قرية السموع تحطم جدار الصمت من حول العمل الفدائى .
- ٩ ، ١٠ يونيو .. معجزة ، بل هى عناية الله ادركت هذه الامة .
- العمل الفدائى يتخطى كل عوامل اليأس والذهول التى أصابت الجماهير عشية العدوان الغادر .
- كيف اتخذ قرار بدء المقاومة المنظمة فى الارض المحتلة ؟
- فلسفة العمل الفدائى الفلسطينى .. ولمحة ضوء على جوانبه السياسية ..
- الشباب الفلسطينى كيف كان .. وكيف عرف طريق الكفاح المسلح .
- الشرط الاساسى للانضمام للعمل الفدائى ..

فى لقائنا السابق تابعنا قصة الخطوة الاولى على طريق الدم.. قصة أولى عمليات النضال المسلح الفلسطينى ضد أهداف العدو الاسرائيلى المحتل مع فجر اليوم الاول من يناير عام ١٩٦٥ .. وقلنا انه بالرغم من الاهمية القصوى لميلاد العمل الفدائى الفلسطينى فان اذاعة أنبائه أو نشرها كانت تحتاج الى تخطيط وتدبير لا يقل عن التخطيط للعمليات العسكرية ، ذلك أن ستارا من الصمت كان يسدل عليها من جانب الصحافة وأجهزة الاعلام العربية ، وكأن أحدا لم يكن يصدق ما حدث .. فما حدث كان فعلا معجزة فى كل الظروف التى مر بها الوطن العربى عموما .. وشعب فلسطين خصوصا ..

ويقول أبو اياد عضو اللجنة المركزية لمنظمة فتح : « وطبعا لم نقف ساكتين أمام جدار الصمت .. عمدنا دائما الى اختراقه بكل السبل ، أصدرنا نشرات سرية وزعت فى كل أنحاء الوطن العربى .. ورغم العدد الكبير الذى كنا نوزعه منها فلا شك أنها بالنسبة لكل المنطقة كانت محدودة » .

وظل الحال على هذا المنوال عاما وبعض عام .. الى أن وقع العدوان الاسرائيلى على قرية السموع فى الضفة الغربية .. عندها هبت الجماهير لتعلن تأييدها للعمل الفدائى والمطالبة باعطائه حرية الحركة والعمل .. ولم تكن المظاهرات التى عمت مدن الضفة الغربية وترددت أصداؤها فى مظاهرات كثيرة فى العواصم العربية الا تعبيرا تلقائيا نابعا من وجدان الشعب .. وهذه حقيقة يسجلها التاريخ ، اذ لم يكن هناك أى تخطيط مسبق لهذه المظاهرات ..

وهذا وحده دليل قاطع على تأصل فكرة النضال فى روح الشعب الفلسطينى ..

لكن ثمة نتيجة هامة أسفرت عنها الاحداث التى تلت العدوان الاسرائيلى على قرية السموع ، الا وهى أن جدار الصمت الذى فرض من حول العمل الفدائى الفلسطينى قد انهدم من أساسه هدمته صيحات الجماهير ، وصرخاتها التى دوت فى الافاق تنبه ضمير الانسانية فى كل مكان الى الخطر الداهم ، وتطالب بالسلاح .. وكأن وجدان الجماهير كان يستشعر ما كان الغيب ينطوى عليه من أحداث جسام !

واذا كانت الجماهير بتحركها التلقائى هى التى نبهت الى الخطر .. فان الجماهير أيضا هى التى أقامت باجسادها حاجزا منيعا درأ عن الامة العربية مخاطر الاستسلام .

كان العدو الصهيونى يخطط ويدبر ، وفى لحظة خاطفة وجه ضربته .. وكان يتصور أنه سيفرض الاستسلام ، وبالتالى يصفى نهائيا القضية الفلسطينية ، ويصفى معها ارادة التحرر متمثلة فى الثورة الاشتراكية العربية ..

ولقد خلقت أحداث يونية ١٩٦٧ غداة العدوان حالة ذهول للجماهير العربية ، ولكنها رفضت فى نفس الوقت الاستسلام .. ولم يكن العدو الاسرائيلى يتصور أنه خسر الحرب رغم انتصاره عسكريا فى معركة العدوان أو ما أطلق عليه اسم « حرب الايام الستة » ..

ان ما حدث يومى ٩ و ١٠ يونيو ١٩٦٧ كان معجزة .. بل عناية الله سبحانه وتعالى أدرك بها هذه الامة ، فانتشلها من حضيض اليأس فى لحظة ، ووضعها من جديد على بداية الطريق..

وفى الوقت الذى بدأ فيه الشعب المصرى الباسل بقيادته المؤمنة يبنى قواته المسلحة بصبر وجلد ، ويستقر ما كمن فى مجتمعه من طاقات بشرية واقتصادية وحضارية يعيد التنسيق والتخطيط استعدادا ليوم يثأر فيه للكرامة العربية ، ويستعين بالقوة ما أخذ بالقوة ، فى هذا الوقت بالذات ، ووسط الحطام وعوامل اليأس الجارف كانت كل أرض فلسطين قد أصبحت تحت سيطرة الاحتلال الاسرائيلى ، فضلا عن أراضى أخرى لدول عربية مجاورة ..

الا أن الاحتلال الصهيونى احتل الارض ولكنه لم يستطع أن يسلب البشر ارادتهم ، وهذا هو المهم ..

فمن متناقضات الاحداث أن وجود حوالى مليون نسمة من الجماهير الفلسطينية فى الاراضى التى احتلتها اسرائيل بعدوانها الغادر فى يونيو ١٩٦٧ قد خلق بيئة أكثر ملاءمة للعمل الفدائى الفلسطينى .. وذلك بالرغم من الحقيقة الماثلة ، ألا وهى اجراءات القمع الوحشية التى تتبعها سلطات الاحتلال الصهيونى ضد الاهالى فى المناطق المحتلة ..

وفى اليوم التالى للتحرك العظيم لجماهير الامة العربية .. فى ١١ يونيو بالذات اقتحم رجال العاصفة ، كبرى المنظمات المسلحة الفلسطينية ، الارض المحتلة لاول مرة بعد الهزيمة .

وتكمن قيمة المبادرة بالعمل الفدائى فى تلك اللحظة فى تخطى كل عوامل اليأس والذهول .. وترجمة ارادة الشعب العربى عامة والفلسطينى خاصة فى عدم الاستسلام ومحاربة العدو دون انقطاع .

وبدأت بعدها تتوالى دوريات المقاتلين الى داخل الارض المحتلة .. وبالتدريج بدأ قادة فتح يصلون سرا الى مدن الضفة الغربية بجانب من كان موجودا بها من قبل ، وذلك لتنظيم مقاومة الجماهير الفلسطينية .

وهذه العملية لم تكن فى البداية من السهولة بمكان .. فقد واجهت الرجال صعوبات كبيرة .. منها مثلا صعوبة التدريب على القتال فى ظل وجود قوات الاحتلال .. ورغم التكتم الشديد .. فقد كان العدو نشطا فى تحريك مخابراته ومراكز رصده ، هذا فى الوقت الذى لم تكن مراكز الرصد للتنظيم الفلسطينى المسلح قد تكونت بصورة قادرة على المواجهة كما هى الان .. من هنا كان العدو يكتشف بين آن وآخر مجموعات تتدرب فى

الجبال ، وكان يضربها بعنف وشراسة ، ولم يكن فى استطاعة الفدائيين أن يردوا بصورة فعالة على ضربات العدو نظرا لان الاسلحة التى كانت فى أيديهم بدائية جدا ومن مخلفات الحروب الماضية ، وسقط كثير من الشهداء امتزجت دماؤهم الذكية بالارض الطيبة .. أرض فلسطين ..

وكان لا بد من عمل سريع يجلب السلاح الحديث ، واستكمال التدريب رغم كل المصاعب .

ولقد حصلت المقاومة بالفعل على السلاح من مصادر عديدة ، منها العدو نفسه ! ! وهنا يقول « أبو أياد » : ركزنا بشكل أساسى على التدريب وسلاح العدو أمر أساسى لحرب العصابات وهذا كان ولا يزال وسيظل دائما فى تقديرنا ، ولكننا ما زلنا نعتبر كمية الاسلحة التى أخذناها من العدو ليست بالكم المطلوب وأستطيع أن أحدد نسبتها فى التسليح الكلى بما لا يزيد عن ١٠ فى المائة فقط ، وطبعا هذه النسبة لا بد وأن تتضاعف أكثر من مرة وهذا أمر محسوب ومخطط ..

ومع عملية التسليح كان التدريب القتالى على حرب العصابات من ناحية ، وعلى اعادة تنظيم المجموعات السرية وانشاء مجموعات جديدة لمواجهة الموقف بعد أن أصبحت فلسطين كلها تحت الاحتلال الصهيونى ، وكان الاقبال على التنظيم والالتحاق بالمقاومة فوق كل ما كان متوقعا ، ومن الحماس الهائل للشعب استمد حركة النضال المسلح طاقات عظيمة .

ومجمل القول فى هذا الصدد هو أن هذه المرحلة من التدريب وتنظيم الخلايا قد انتهت فى ٢٩ أغسطس ١٩٦٧ لتبدأ مرحلة جديدة هى مرحلة بدء عمليات المقاومة المنظمة والواسعة النطاق نسبيا .

وكان لا بد فى ذلك التاريخ أن تبدأ المقاومة المنظمة .. كما بدأت بالفعل بعملية فى القدس وعمليات أخرى فى طولكرم وغزة وغيرها ..

وهذا التحرك كان مرجعه لعدة اعتبارات هامة :

أولا : لانه لم يكن من السليم سياسيا وعسكريا ونفسيا أن نجمد التنظيمات والمقاتلين عن العمل بعد هذه الدرجة من التدريب والتنظيم وحشد السلاح ، حتى رغم أنها لم تكن وصلت بعد الى القدرة على شن هجمات مواجهة مع العدو .

وثانيا : لان التجميد عن العمل والحركة كان يجعل المجموعات الفدائية عرضة أكثر للمخاطر ..

ثالثا : لان العدو كان قد بدأ يشعر بالخطر ، ويطلق عيونه تبحث وتستكشف القواعد السرية للفدائيين .

وهنا لابد أن نتطرق فى الحديث الى جانب هام من جوانب العمل الفدائى الفلسطينى ، ألا وهو الجانب السياسى . فليس من الانصاف أن يتصور انسان رجلا يحمل مدفعا رشاشا أو قذيفة بازوكا يمارس بها القتل — حتى ولو كان قتل عدو غادر — الا اذا كان هذا الرجل يتحرك طبقا لمبدأ سياسى .. وليس المبدأ السياسى بالطبع هو مجرد تحرير الارض .. بل هو أيضا تحرير الانسان . وتحرير الانسان يتطلب بالدرجة الاولى تنظيما سياسيا وقيادة سياسية .. توجه وتصدر القرار وتتابع التنفيذ ، وتراجع وتصحح ..

الى هذه القيادة السياسية ينتمى الرجل الفدائى ، كما تنتمى الجماهير .. وهنا يحدث التفاعل الذى يخلق بدوره طاقات متجددة ..

ومعنى هذا أن كل المقاتلين الفلسطينيين فى العاصفة — مثلا — مروا أولا بعضوية التنظيم السياسى لفتح وارتبطوا به ، والتنظيم هو الذى قدمهم للعمل العسكرى .

هذا هو الاساس الان .. ولكن حدث استثناء من هذه القاعدة فى المرحلة التالية مباشرة لعدوان يونيو ١٩٦٧ .. ولكن كان لهذا الاستثناء مشاكله التى كان من شأنها أن تعمق من الايمان بضرورة الالتزام بالقاعدة الاساسية وهى : أن المناضل الفلسطينى سياسى أولا ومقاتل ثانيا .

وهذا يوضح أن التنظيم السياسى والعقل السياسى هو القائد..

وعلى ضوء هذه الحقيقة نعود الى سؤال عما حدث عندما تقرر أن الوقت قد حان لبدء المقاومة المسلحة المنظمة والواسعة النطاق ، بعد أن كانت العمليات تجرى فى صورة حوادث فردية متباعدة مكانا وزمانا ؟

ومرة ثانية يقول « أبو اياد » : « كان اخواننا فى الداخل — يقصد فى الارض المحتلة — والكثرة منهم من العسكريين والسياسيين قد طلبوا أن تبدأ المقاومة فى ٢٠ أغسطس ١٩٦٧ وفى الخارج كان هناك رأى آخر ، ماذا فعلنا ؟ استدعينا القيادة السياسية كلها بما فيهم من كان فى الداخل مثل الاخ « أبو عماد » (اسم حركى) وذلك خصيصا لمناقشة الامر سياسيا وعسكريا بدقة تراعى كل الظروف والاعتبارات . وطلبنا من الداخل تأجيل بدء العمليات فى ٢٠ أغسطس حتى تنتهى القيادة السياسية الى قرار . وبالفعل لم تبدأ العمليات فى ٢٠ أغسطس وتمت المناقشة وانتهت بنضوج الموقف للقيام ببدء المقاومة المسلحة واستلزم ذلك ٩ أيام كاملة . ولهذا لم تبدأ المقاومة الواسعة الا فى ٢٩ أغسطس . وهذا يؤكد أننا لا نندفع الى عمل عسكرى الا فى ضوء خط سياسى شامل . ذلك أن ضربات المقاومة وان كانت بطبيعتها عسكرية ، الا انها فى نفس الوقت ضربات سياسية لها أهداف سياسية مقصودة » .

وأمام هذه الحقيقة تمزقت الصورة المشوهة التى حاول العدو ترويجها فى العالم عن العمل الفدائى الفلسطينى ..

بل ان صورة المقاتل الفلسطينى هى فى الواقع صورة مشرفة لهذا الشعب الذى استطاع أن يجمع أشتاته ، وأن يبزغ من جديد رغم كل عوامل الهلاك التى تكالبت عليه .. ولا يوجد فى حركة التحرير الفلسطينية [فتح] عسكرى أو قائد عسكرى محترف . لا يوجد فى هذا التنظيم مقاتل فى أى مستوى الا وكان طالبا جامعيا ، أو مهندسا أو عاملا .. ومن هنا تأتى العبرة فى حروب التحرير ..

ففى حروب التحرير يتعلم المقاتلون والقادة فنون الحرب من الحرب نفسها ، وبذلك يصبحون جيشا وقيادة ، وفى حروب التحرير الشعبية — بأسلوب حرب العصابات — لا تحتاج الشعوب الى مخازن مكدسة بالسلاح ، بل يتعلم الفدائى كيف يحصل على سلاحه من عدوه ، وهكذا من خلال المعاناة اليومية ، والصدام المستمر مع العدو تزداد صلابة الشعوب واصرارها على انتزاع النصر النهائى ..

ولكن هذا لا يتعارض مع توزيع المسئوليات وتحديد الاختصاصات .. فهناك القيادة العامة .. واللجنة المركزية .. ومسئولون سياسيون ، وآخرون يتولون مهام عسكرية ..

والقيادة الجماعية مبدأ أساسى تلتزم به فتح .. وسوف يظل هذا الجانب بعيدا عن دائرة الضوء فى الوقت الحاضر .. لضرورة السرية فى هذا العمل النبيل والرسالة السامية .

ولعل أعظم عمل قامت به هذه المنظمة هى أنها قبلت وهى فى مرحلة التكوين أن تجمع كل الشباب الفلسطينى الذى غرق فى دوامة الاحداث وانتسب الى أحزاب متعددة تعبيرا عن شعوره بالالم الذى يعانيه كفلسطينى لاجىء .

وهكذا أتيح للشباب الفلسطينى أن يعيدوا النظر فيما مارسوه من عمل سياسى غير منتج ليمارسوا عملا سياسيا منتجا وفعالا ومسلحا بالقوة .

انطوى الجميع تحت لواء الكفاح المسلح ، والكفاح المسلح يطهر النفوس ويلغى الحساسيات ويجعلها تسير فى خط تقدمى حقيقى .

الشرط الوحيد هو أن يؤمن الشباب الفلسطينى بالتحرير وبالكفاح المسلح وسيلة لتحقيقه ..

لكن هيكل التنظيم السياسى للشعب الفلسطينى لم يكن فى تلك المرحلة التى بدأت فيها المقاومة تدخل نطاقها العملى المنظم قد استكمل بناءه بعد .. وكانت هناك أمام هذا الشعب مراحل كثيرة لا بد أن يتخطاها فى مسيرته الدامية ..

كذلك هناك من حول المجتمع الفلسطينى المشتت ظروف عربية وشبه عربية ، وظروف عالمية .. وكان على العمل الفدائى الفلسطينى أن يحطم الاسوار التى تفرضها من حوله قوى معادية للتقدم ، معادية للتحرر ، معادية للانسان ..

وتدخل قضية فلسطين مرحلة جديدة .

« للبحث بقية »

فكر وفن

أدب • شعر
قصة • مسرحية
فن
إسلامي

أثر الدين في بناء الفرد والمجتمع

للكاتب الاجتماعي الأزهري

فضيلة الشيخ الصاوي شعلان

ان فقدان الحياة برمتها اهون من وجود الحياة بغير دين هكذا تعلمنا الفطرة التى فطر الله الناس عليها .

وعندما ترى المنحرفين عن الجادة فى دينهم تشعر من أعماق مشاعرك بفزع يستولى على فكرك ووجدانك .

ان لما يوحى به الدين من المعانى السامية اثرا فى تكميل حياتك داخل النفس وخارجها . فى المجال الفردى والاجتماعى على سواء ذلك عندما تصغى الى فوائد وتسير نحو غايات الوجود على هدى من ضيائه .

ان المهابة التى يحسها المرء عند المتعة الروحية بنعمة السجود لواهب الحياة الاعلى واستشعار الخضوع والانابة بين يدى فاطر السموات والارض تغمر كيانه بغبطة لا يشعر بها من اصبحت كنوز الارض طوع بنانه .

الا يسرك ان تعتز بانك وارث تلك الامجاد الروحية التي سادت بها أمتك فكانت خير أمة اخرجت للناس وانك الامل المنشود للمستقبل الباهر الذى تثبت فيه الجدارة بكسب معركة النصر فى معترك الحياة التى مهد لك السابقون سبيلها المشرق لتحصد ثمار ما غرسوا وتؤدى بدورك نفس الرسالة للاجيال القادمة الصاعدة المتطلعة مع التاريخ الى ماتبذل من جهود ولا يكلفك هذا الا انتطيع الخالق العظيم وتذكره فى سرك ونجواك وتجند لياليك وأيامك فى العمل لخدمة نفسك ووطنك وخير الانسانية شكرا لمن وهبك الليالى والايام .

اننا فى كل لحظة من حياتنا تحت نظر الخالق ورقابته الدائمة وهو أقرب الينا من حبل الوريد . وعلينا ان نستخلص العبر والعظات من احداث الشعوب التى سبقتنا والاجيال التى انطوت صحائفها قبل ان تخرج الى هذه الدنيا . علينا ان نغوص بافكارنا فى لجج المحيط المجهول الذى كان يعبره الزمن حين لم يكن ثمة صوت يغمر الفضاء ولا ضوء ينبعث فى فراغ اللانهاية سوى جلال الله الذى بيده الحركة والسكون .

ولنضع فى حسابنا الموازنة بين حياة كانت فيها الكائنات البشرية ممزقة الاوصال ضاربة فى مهامه الغابات والادغال تعانى الجهود الشاقة فى صراعها الدامى مع الخلائق فى رعودها القاصفة وسباعها الضارية ، وبين حياة انسانية اشرق فيها وحى الله وهدايته بما تحمل من الحب والشفقة والرحمة والاخاء الذى لو تحقق لوحد عناصرها فى توحيد خالقها وجعل من فضائلها اكليلا فوق جبين الدهر على تعاقب عصوره .

كيف تم تقدم البشرية ؟ وكيف انشئت المدن واخرجت المدنية علومها وفنونها ، وكيف سطع على الدنيا فجر الحضارة والعمران ؟ لو فكرنا قليلا لأيقنا ان هداية الله والهامه كان اليهما الفضل فى صنع هذا الكون بمشيئته .

وحين نفكر فى المصير المرتقب لرقى البشرية وتتحقق آمالنا فى الخير وتنعدم الشرور وتتلاشى الاحقاد من قلوب الاحياء وتصدق أحلام البشرية فى وجود المثل العليا للفضائل يتبين لنا ان الله وحده هو الذى سيدفع خليقته الى أمام ليخرجهم من الظلمات الى النور .

ان الله معنا دائما اقرأ هذه الحقيقة فى صفحة السماء وفيما ينير المسكونة من ضياء اقرأها فى يقظتك ومنامك فى ظعنك واقامتك ولن تندهش أبدا فلا توجد فى العالم بأسره قوة تستطيع ان تمحو كلمة الايمان من صدرك كما ان الزوابع العاتية مهما اشتد هبوبها لن تعصف بك ولن تستطيع الاراجيف الملحدة والاهواءات الزائغة ان تنال من يقينك ولن تجد المخاوف طريقها الى قلبك مادمت مستيقنا بان الذى فطر السموات والارض هو الذى يحميك وان عنايته تكلوك فى مطلع الشمس ومغربها وفى سطوع القمر وأفوله ، فى ظلمات الليل وفى لجج البحار وفى وحشة القفار .

الدين فطرة فى روح العالم ترفعه الى الطهر والنقاء وتحصنه بالايمان وتنسج له حلل السكينة والاطمئنان وتطيل عمره فى مبادلة سعيدة وسرور مشترك، وليس فى النواميس ولا فى اللغات كلمات تفى لوصف مزايا الدين التى هى التأمين لحياتنا ضد المخاوف والاحزان واليأس الذى هو موت قبل الموت وفناء قبل انقضاء الحياة .

والدين فتح لابواب النصر الحيوى والصمود لمشاكل الكفاح وتبعاته .. انه الشعور الصادق فى وجودنا بقدرة الله وحكمته .. وهو العزم الكامن فى صميم مشاعرنا يدفعنا لان نقف جهودنا على الحياة العالية التى تنتظرنا غير خادعى نفوسنا ولا تاركى مهامنا وواجباتنا بدون اكتراث .

ان حياتنا ترتبط ارتباطا وثيقا بغيرنا ، فلسنا فى معزل عن مجموعة هذا العالم . نحن جزء من هذا الكل الذى يكون الحياة للجميع . وعلينا ان نعلم بأننا نأخذ لنعطى ونعيش لغيرنا بقدر مايعيش غيرنا لنا وعلى الجميع رقيب هو الله العلى الحكيم .

الدنيا مكان وعر وسبيلها صعب المرتقى لكن الخلال الصالحة التى يوصى بها الدين ويغرسها فى نفسك ، على استعداد لتقف الى جانبك وتشد أزرك وتنير لك السبيل عندما تجابهك تجارب الحياة المريرة .

ان الدين يوصى بنقاء الضمير ويدعو الى الاخلاق النبيلة والشجاعة التى تنهزم امامها الصعاب ، ويقوى الارادة التى تدفعك الى ان تمنح العالم كل فضائلك ومزاياك كل هذه المعانى تبنى رجولتك وتمنحك الثبات والمقاومة للنجاة اولا وللفوز أخيرا .

الدين شجاعة وتقدم وانتصار بالفضائل فلا فوز للجبان ولا كرامة للنذل المتخاذل لانه ينشد الرجولة المنتصرة ويحتقر اليائس الخسيس الذى يهزم عند الجولة الاولى به فازت الاجيال الغابرة فى امتحان الحياة فهل انت فائز فى نفس الميدان ؟ ارفع الصوت قبل خفوته وانفذ بصيرتك الى السماء قبل ان يصيبها الكلال وامدد ساعدك قبل ان يوهنه الضعف واسرع خطاك قبل ان تتوكأ على عصاك .

بضع عشرات من الناس يستطيعون المثول فى حضرة الملوك فى شجاعة ومقدرة بينما يرى الملايين أن الطريق الى ذلك شائك مرهوب ، ولكن الطريق الى ملك الملوك معبد واضح المعالم للجميع .

فى الوقت الذى تستطيع فيه أن تفصل بين حياة الفضيلة والرذيلة تكون قد ادركت المعجزة وبلغت النعمة الكبرى ، ساعد البعيد عن ربه ليصبح قريبا منه فتعاليم الدين ليست قاصرة على نقاء السريرة فى حياتك الفردية بل هى تدفعنا الى بناء سعادة اجتماعية ينضوى تحت لوائها الافراد جميعا . لتقديم الخبز للجائع والثوب للعارى والسلوى للمحزون والعلاج للمريض والانس للمستوحش والعزاء للمتألم والحرية للمستعبدين ، ولا تدع شيئا يحطم ثقتك فى الحق . ارفع وجهك بالضراعة لله فى مطلع الفجر يحفظك طيلة يومك ، واشكره عند الغروب يمنحك أياما أخرى ترى فيها دورة الارض حول الشمس كل صباح ومساء .

ان وقت العبادة الصحيح يبدأ من الساعة التى يمتحن الله فيها ايماننا وصبرنا ، لو بقينا نسمع الانغام الموسيقية طول حياتنا لفقدنا عندها نشوة الطرب ، فلنستمع كذلك الى ضوضاء الحياة وانينها أحيانا كما نستمع الى الالحان السحرية ، وما دمنا نعيش فى صبر ويقين فنحن فى حصانة ومناعة من أن تقضى علينا الهموم والاحزان .

ان أداءنا للواجبات فى عبادتنا هو الدليل على اهليتنا لاحتمال المسئولية ومن لا خير فيه لفرائض خالقه لا خير فيه لمعاملة الناس ، والامين لخالقه أمين لخلوقاته .

الدين يتقاضاك أن تقدم فلذات أكبادك لساحة العدل والقصاص ان هم خانوا أوطانهم ويمدك بالشجاعة التى تدفعك الى المخاطرة فى سبيل رقى أمتك ، ومنه تستمد البشاشة التى تلقى بها من هم دونك وتعطف بها على من هم حولك .

من الدين بذل التضحية عندما تصادف ضعيفا يحتاج الى معونتك او ملهوفا يتطلع الى نجدتك ، انه كلمة الشرف التى تدعوك الى مناهضة الظالمين

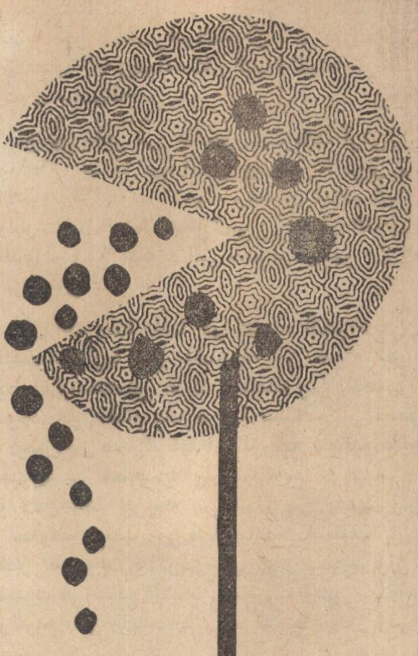

قطوفا

الأستاذ على الجندى

وصوت الضمير الذى يصيح بك اذا جنحت بك النفس الى هاوية الاثم والعدوان ويهيب بك الى التسامى من الكمال الى الاكمل ·

ليس فى الدين تكليف بما لا يطاق (ما جعل عليكم فى الدين من حرج) لذلك يستطيع العالم أن يبنى آمال سعادته على أسسه القويمة التى تحفظ المرء من التردى فى الهاوية وتنير له وضح الطريق فى ظلام الليل الحالك · ان الدين ينادى قائلا :

كن متسامحا ولا تدع شمس يومك تغرب وفى قلبك جمره من الغضب ، كن صادقا فان جمال الصدق لن يشوه أبدا ، وقيمة الصدق ستبقى فى قيمة الجوهر حتى مطلع فجر القيامة ·

كن رفيقا بارا حتى بالحيوان الذى لا يستطيع أن يسأل الرفق والاحسان ·

يجب أن يحمل كل منا من أعباء الاخرين ما تزيد عن طاقة احتمالهم ·

فليكن الدين اذن معنا ·· مع أسرتنا بالمنزل ، مع الجماهير فى الطريق ، مع الزملاء فى العمل · ولنكن آباء الايتام ، وأطباء المرضى ، وكفلاء الارامل ، وأخوة المساكين ، وأصدقاء الغرباء ·

يجب أن نعيش طاهرى الضمائر والايدى ، أعفاء النية والاهواء ، محبين للحق باحثين عنه حتى النهاية ، ذوى عزم صادق وصبر لا يعرف الهزيمة · وأن يكون العدل سبيلنا فى كل الامور ·

ان المروءة فى غير من أو اعلان تكلفنا بذلا قليلا ولكن أثرها أكثر من كل كثير ·

ان الدين يجعل من الشعوب المتفرقة اخوة متحابين متساندين متضامنين يعيشون معا فى سلام واطمئنان ، أسرة واحدة فيها من قوة الله قوة ومن رحمته نور وهدى يكافح الاحزان لانها عدو البشرية ، ويرفع به كل فرد شعلة للحق مقرها الضمير يسير على ضوئها الصغير والكبير ·

دعوا الدين ينتزع من قلوبنا المصانعة وينقيها من شوائب الخيانة والغدر والبغضاء والختل والرياء ، نؤدى الواجب لذاته لا لاننا مضطرون لادائه ·

دعوا الدين يهبنا القوة التى ننمو بها فى قلب هذا العالم المزدحم بضوضائه حتى نحمل نصيبا من أعبائه ·

ان للعمل الصالح نتيجته الصالحة وعند الله الجزاء الاوفى وللعاملين عنده الحسنى وزيادة ·

لاتخش العثار وأنت فى الطريق الذى تنشد فيه الحق ولا يعتريك الخوف طالما كان كشاف الطريق امامك هو نور الله ·

السور العتاق

عن ابن مسعود رضى الله عنه : ان النبى صلى الله عليه وسلم ـ قال « فى سورة الاسراء ، والكهف ومريم وطه والانبياء : هن من العتاق الاول، وهن من تلادى »

والعتق ـ بكسر العين ـ من معانيه : الكرم والجمال والشرف ·

والعتاق ـ ككتاب ـ من الطير : الجوارح ، ومن الخيل النجائب ·

وكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقرأ سورة الاسراء والزمر كل ليلة ـ كما روى عن السيدة عائشة ·

البيت العتيق :

البيت العتيق ، الكعبة ـ شرفها الله تعالى ـ قيل : سمى بذلك ، لانه أول بيت وضع بالارض ، أو لانه أعتق من الغرق زمن الطوفان ، أو أعتق من الجبابرة ، أو من الحبشة ، أو لانه حر لم يملكه أحد ·

المعراج :

قال بعض العلماء : أمر المعراج أجل من أن يكيف ، وماذا عسى يقال : سوى أن المحب القادر الدى لا يعجزه شىء ، دعا حبيبه الذى خلقه من نوره الى زيارته ، وأرسل له من أرسل من خواص ملائكته ، الى ان وصل الى ماوصل ، ثم تولى أمره ـ سبحانه بما شاء حتى حصل ، فأى مسافة تطول على ذلك الحبيب الربانى ، وأى جسم يمتنع عن الخرق لذلك الجسم النورانى ؟

جز بحزوى فثم عالم لطف

من بقايا أجساده الارواح

والاسراء الى بيت المقدس قطعى ثبت بالكتاب ، والمعراج ثابت بالسنة ، لذلك قالوا : من أنكر الاول فهو كافر ، ومن أنكر الثانى فهو مبتدع ، وكأنه ـ سبحانه ـ لم يصرح بالمعراج ، كما صرح بالاسراء رحمة بالقاصرين ·

ويقول بعض المفسرين : ان فائدة ذكر المسجد الاقصى فقط دون السماء ، أنه لو ذكر صعوده اليها ـ عليه الصلاة والسلام ـ لاشتد انكارهم لذلك · فلما أخبر من طريق القرآن انه أسرى به الى بيت المقدس وبان لهم صدقة فيما أخبر من العلامات التى فيه ، وصدقوه عليها ، أخبر بعد ذلك ـ من طريق السنة ـ بمعراجه الى السماء ، فكان الاسراء كالتوطئة للمعراج ·

شهادة فرنسى للقرآن :

يقول الفيلسوف الفرنسى « ألكسى لوازون » فى كتابه « حياة محمد » : خلف محمد للعالم كتابا هو آية البلاغة وسجل الاخلاق · وكتاب مقدس · وليس بين المسائل العلمية المكتشفة حديثا ، أو المكتشفات الحديثة ، مسألة تتعارض مع الاسس الاسلامية ، فالانسجام تام بين تعاليم القرآن والقوانين الطبيعية ،

آية علمية :

ذكر ياقوت الحموى فى معجم الادباء : أنه ورد على السلطان محمود بن سبكتكين ، رسول من أقصى بلاد الترك ، فحدثه بما شاهد فيما وراء البحر نحو القطب الشمالى ، من دوران الشمس عليه ظاهرة فى كل دورانها فوق الارض ، بحيث يبطل الليل ·

فتسرع السلطان على عادته فى التشدد فى الدين ، ونسب الرجل الى الالحاد والقرمطة !

فقال نصر بن مشكان : ان هذا الرجل لا يذكر ذلك عن راى يرتئيه ، ولكن عن مشاهدة يحكيها ، ثم تلا قوله ـ تعالى ـ » ··· وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا » والضمير فى وجدها للشمس : أى لا يحول بين طلوعها ليل ·

فسأل السلطان « البيرونى عن ذلك » فاخذ يصف ذلك له على وجه الاختصار ، ويقرره على طريق الاقناع ·

فقبل السلطان منه ذلك ·

وفى هذا دليل على أن التفسير العلمى للقرآن الكريم مشروع ، ثم هو معروف من القديم ·

علاج خدر الرجل :

كان العرب قديما يداوون خدر الرجل ـ ما يسمى بالتنميل ـ بذكر الانسان اسم من يحبه وقد بقى ذلك حتى جاء الاسلام ·

وقد روى الامام النووى فى كتابه « الاذكار » عن مجاهد : أن رجلا خدرت رجله عند ابن عباس : رضى الله عنهما ـ فقال له ابن عباس : اذكر أحب الناس اليك ·

فقال : محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فذهب خدره ·

وروى الهيثم بن حبشى ، قال : كنا عند عبدالله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ فخدرت رجله ، فقال له رجل : اذكر أحب الناس اليك · فقال : يا محمد ·

فكأنما نشط من عقال ·

وكان أهل المدينة المنورة يعجبون من حسن بيت أبى العتاهية :

وتخدر فى بعض الاحايين رجله

فان لم يقل يا « عتب » لم يذهب الخدر

وعتب مرخم « عتبة »وهى جاريةللخيزران زوجة المهدى العباسى ، كان أبو العتاهية ينسب بها ·

ويقول بعض الشعراء فى ذلك المعنى :

الى كم تهجرين فتى معنى

اذا خدرت له رجل دعاك

وأقول : ليس ذلك بعيدا اذا كان القائل مخلصا صادق المحبة ، وهناك أشياء تحدث ونعجز عن تعليلها « وما أوتيتم من العلم الا قليلا » ·

شعر الاحلام !

قال سعيد بن نصر الواعظ الحيوانى : كنت خائفا من الخليفة لحادث نزل ، واشتد الطلب لى ·

فاختفيت فرأيت فى النوم ليلة من الليالى : كأنى فى غرفة جالسا على كرسى ، وأنا أكتب شيئا ·

فجاء رجل فوقف بازائى ، وقال : اكتب ما أملى عليك ثم أنشدنى :

ادفع بصبرك حادث الايام

وترج لطف الواحد العلام

لاتيأسن وان تضايق كربها

ورماك ريب صروفها بسهام

فلله « تعالى » بين ذلك فرجة
تخفى على الابصار والاوهام
كم من نجى بين اطراف القنا
وفريسة سلمت من الضرغام

قال : فلما أصبحت أتى الفرج ، وزال الخوف والحرج .

أم اللغات

هى اللغة العربية ، لغة الكتاب المعجز ، ولغة النبى العاقب الخاتم ، ولغة الملة الحنيفية السمحة البيضاء . ولغة الشعب العربى ، المخاطب أولا ، والمختار أولا لحمل رسالة الهداية الى جميع الافاق على مر العصور !

اللغة التى يقول فيها الامام الشافعى : لسان العرب أوسع الالسنة مذهبا ، وأكثرها ألفاظا ، ولا نعلم أنه يحيط بجميع علمه انسان غير نبى .. فالعلم به عند العرب ، كالعلم بالسنة عند أهل الفقه ، لايعلم رجل جميع السنن .

اللغة التى يقول فيها الجاحظ : اذا أبغض الانسان شيئا ابغض أهله ، وان أبغض تلك اللغة ، ابغض تلك الجزيرة ، وان أبغض تلك الجزيرة ، أحب من أبغض تلك الجزيرة ، فلا تزال الحال تنتقل به حتى ينسلخ من الاسلام ، اذ كانت العرب هى التى جاءت به . وكانوا السلف والقدوة .

اللغة التى يقول فيها الثعالبى : من أحب الله ـ تعالى ـ أحب رسوله محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومن أحب الرسول العربى ، أحب العرب ، ومن أحب العرب ، أحب العربية ، ومن أحب العربية ، عنى بها وثابر عليها ، وصرف همته اليها . ومن هداه الله للاسلام ، وشرح صدره للايمان ، وأتاه حسن سريرة ، اعتقد ان محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ خير الرسل ، والعرب خير الامم ، والعربية خير اللغات والالسنة .

سعة اللغة العربية :

يكفى أن نعلم فى ذلك : أن الصحاح يضم أربعين ألف مادة ، والقاموس ستين ألفا ، والتكملة ستين الفا ، واللسان ثمانين الفا ، والتاج عشرين ومائة ألف ، مع أننا لا نستعمل من كل ذلك أكثر من عشرة آلاف مادة .

وهذا الذى ضمته المعجمات ، هو بعض ما وصل الينا ، يقول يونس عن ابى عمرو بن العلاء : ماانتهى اليكم مما قالت العرب الا أقله ، ولو جاءكم ، لجاءكم علم وشعر كثير .

العمل فى الحروب :

قيل لاكثم بن صيفى : صف لنا العمل فى الحرب ، فقال : أقلوا الخلاف على أمرائكم ، فلا جماعة لمن اختلف عليه ، واعلموا أن كثرة الصياح من الفشل ، فتثبتوا فان أحزم الفريقين الركين ، ورب عجلة تهب ريثا ، وادرعوا الليل ، فانه أخفى للويل ، وتحفظوا من البيات . وسئل حكيم عن أحسن الامور تدريبا للجنود وشحذا لهم ، فقال : تعود القتال وكثرته ، وان يكون لهم مواد من ورائهم .

فرائد :

لا تكن ممن يلعن ابليس فى العلانية ، ويطيعه فى السر .

اياك والسكنى مع ذوى الشحناء ، فخيرك فيهم يطوى ، وشرك يروى .

انما تأكل ما تشتهى ، والذى لا تشتهيه يأكلك .

ما الدخان على النار ، ولا النجاح على الريح ، بأدل من ظاهر الانسان على باطنه .

لا تطلب سرعة العمل ، واطلب تجويده ، فان الناس لا يسألون فى كم فرغ منه ، وانما يسألون عن جودة صنعته .

لكل شىء صناعة ، وصناعة التأليف العقل .

ان المصيبة اذا نزلت ، انما هى واحدة ، فان جزع صاحبها كانت اثنتين .

اذا أحب أحدكم اخاه فليعلمه .

اذا جلست فى مجلس ، ولم تكن المحدث ولا المحدث ، فقم .

فروع الشر ستة : حب الدنيا ، وحب الترؤس ، وحب الثناء ، وحب الشبع ، وحب النوم ، وحب الراحة .

سبع لذات لا يملن : خبز البر ، ولحم الضأن ، والماء البارد ، والثوب الناعم ، والرائحة الطيبة ، والفراش الوطىء ، والنظر الى الحسن من كل شىء .

الرجال أربعة : رجل يدرى ، ويدرى أنه يدرى ، فذلك عالم فسلوه .

ورجل يدرى ، ولا يدرى أنه يدرى ، فذلك غافل فنبهوه .

ورجل لا يدرى ، ويدرى أنه لا يدرى ، فذلك مسترشد فعلموه .

ورجل لا يدرى ، ولا يدرى أنه لا يدرى ، فذلك جاهل فارفضوه .

الرجل السعيد ـ ترجمها عن الفرنسية شوقى :

عفيف الجهر والهمس
تقضى الواجب بالامس
ولم يعرض لذى حق
بنقصان ولابخس
وعند الناس مجهول
وفى السنهم منسى
وفيه رقة القلب
لآلام بنى الجنس
فلا يغبط ذا نعمى
ويرثى لاخى البؤس
وللمحروم والعانى
حوالى زاده كرسى
ينام الليل مسرورا
قليل الهم والهجس

لا عذر في ترك الجهاد

فضيلة الشيخ محمود خليل الخطيب

ياذا الـذى تركَ الجهـاد لمؤلم
ان العـدو أذاه مثـل أذاكا

مـع انه لا يـرتجى مـا ترتجى
منه تعـالى ههنـا وهنـاكا

واذا امتنعت لزوجة جملت فقل
ابهـا تبيـع الحـور ما أغبـاكا

واذا أبيت لمـا ملكت فزائل
أو أنت عنـه فحزبه أخراكا

واذا خشيت على بنيك اضاعة
فاللـه أكرم كافـل أبنـاكا

واذا أبيت لمن هويت فهم عـدى
ان لم يكن فى الله كان هـواكا

واذا خشـيت به الحمـام فانه
لا بـد منـه متى يحين مـداكا

لم يدنه منك الجهـاد وما ونى
بالسلم عنك فاين منـك نهاكا ؟

واذا رأيت ثواب من شهدوا الوغى
مستشهدين لاجل من انشاكا

ورأيت فوزهمو تقول تأسفا
يا ليتنى فى اللـه كنت كذاكا !

وقلت فى بشرى العاشقين : فى الحرب فى الاسلام :

ان الألى زعموا ان الحنيفة قد
نشرت بالسيف هم فى غاية الوهم

الحق بان فمن يبغى الهدى فله
ومن يشأ غيره فى النـار ينقحم

لقيت فى عشرة فيهم جهرت بهـا
والصحب مالا يحدالوصف من ألم

وكلما أمعنوا فى اللؤم لم يجدوا
والله منك سوى الامعان فى الكرم

من يبغ قتلك أوصدا لدينك أو
هتـكا لعرضـك ان تقتله لم تلم

ما قاتل النـاس الا من يقاتله
أو صد عن دينه أو خاس بالذمم

فهـل يلام ؟ وأنى وهـو متبـع
أمر المدبر فى حرب وفى سـلم ؟

من قصص البطولة

القناص

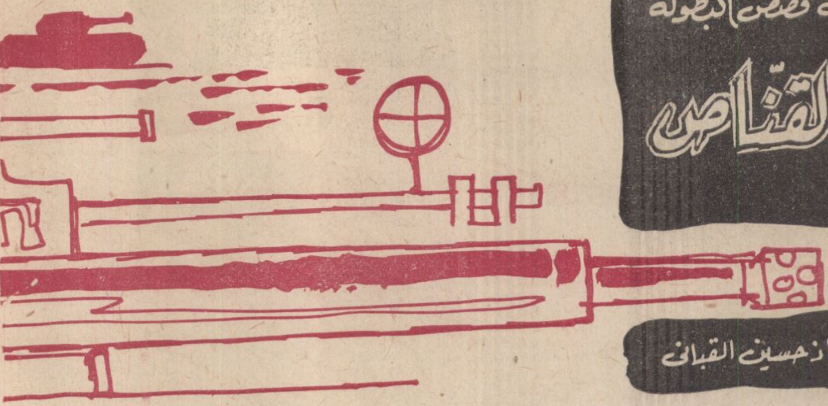

الاستاذ حسين القباني

كان قابعا بجوار مدفعه المضاد للدبابات وراء الدشمة ·· الموقع من المواقع الامامية على الجبهة ·· وكان يستطيع بالمنظار المقرب ان يرى بعض التحركات المريبة لليهود وراء خط الحدود ·· وعض على نواجذه وهو يمسح بيده على جانب من المدفع ثم يقول كانما يحدث نفسه :

– لو حاولوا الاقتراب من هذا الموقع ··

وسمع احد زملائه يقول :

– لو عرفوا ان ابو دراع دهب وراء هذا المدفع لما فكروا ··

ابو دراع دهب !!

وتطايرت الصور فى ذهنه لحظة خاطفة ··

كلية الهندسة ·· التخرج ·· الاسراع الى مركز التجنيد ·· ماضيه – التدريب العسكرى مع زملائه اثناء دراسته بالكلية ·· قدرته العجيبة على اصابة الهدف بطريقة طالما أثارت دهشته هو قبل دهشة الآخرين ·· عبثا حاول ان يعرف سر هذه المقدرة فى اصابة الهدف ·· لقد اصاب الهدف ذات مرة وهو مغمض العينين ، لكانما هناك يد خفية توجه يده وتسيطر عليها وصاح مدربه الضابط حين رآه يصيب ستة اهداف بست طلقات فى طرفة عين :

– دراع دهب والله··

ومنذ ذلك اليوم وهو يعرف بين زملائه فى التدريب العسكرى ثم فى صفوف المقاتلين بهذا الاسم :

ابو دراع دهب :

وتلاشت الصور المتطايرة حين لمح من خلال منظاره المقرب بعض مدرعات الاعداء تتحرك فى خط مستقيم نحو موقعه . وكاد الا يصدق عينيه ! هل حانت بكل هذه البساطة تلك اللحظة التى عاش فى انتظار منذ استلم رئاسة هذا الموقع ·· اللحظة التى سيطلق فيها ذراعه الذهبية لتدمير هذه المدرعات الزاحفة ووقف تقدمها :

وفى يوم المعارك ·· العشرين من يوليه ، ركع حمدى وراء مدفعه المضاد للدبابات ·· بجواره طاقم المدفع ·· وبجانبه اخوه الدكتور راجح يراقب بعينين تنمان عن الثقة الكاملة ··

وتلفت حمدى حوله فى صمت الذى يفيق من نوم طويل ، فلا هو مستغرق فى نوم ، ولا هو فى يقظة تامة ·· وتمتم :

– المعركة لا زالت مستمرة !؟

وقال راجح :

– نعم يا حمدى ·· وستظل مستمرة حتى النصر ·

ونظر حمدى فى وجه راجح على ضوء خافت منبعث من نجوم السماء :

– راجح !

– نعم

– متى جئت من الخارج ··

– منذ اسبوعين

– حمدا لله على السلامة ·· وماذا تعمل هنا ··

– فى جولة للاطمئنان على سلامة جنود المعركة ··

ثم اردف وهو يضع يده على ذراع اخيه :

– لا تزال من ذهب

– سوف ترى بنفسك ·· ولكن ·· اين نحن !

– آه ··

وفى تلك اللحظة سمع حمدى صوت ضابط السرية وهو يقول لا سلكيا :

ـ انتباه .. بعض مدرعات العدو بدأت تتحرك ..

وراح الضابط يحدد مدافع تحركات العدو وحمدى يتابعه فى انتباه وتركيز ، وفجأة قال وهو يرى اشباح الدبابات بمنظار المدفع القريب ..

ـ اضرب يا فندم

ـ اضرب .. اضرب .. يا حمدى .. اضرب يابو دراع دهب ..

وانطلق مدفع حمدى يهدر بين زفير المدافع الاخرى .. وتحول فى لحظة السكون الشامل الى بركان ثائر من النيران والهدير .. وكان حمدى يسمع زملاءه فى الموقع يهتفون كلما اصاب دبابة واشعل فيها النار او ارسلها منفجرة .

ـ واحد ..

ـ اثنين ..

ـ ثلاثة ..

ـ اربعة ..

ولم يكن بين الرقم والاخر غير لحظات .. وكان العدو ، بعد الرقم الثالث يتوالى عندما اخذت دبابات العدو تتراجع الى مواقعها هاربة ..

وفى الفترة التى كان بعض افراد السرية يغيرون فيها ماسورة المدفع ، عانق راجح اخاه حمدى وهو يقول :

دراع دهب .. دراع دهب والله ..

واقبل قائد الموقع يصافح حمدى قائلا :

ـ حمدا لله على السلامة يابو دراع دهب !

حقائق عن فلسطين

الأستاذ ظفر الاسلام خان

انه لبديهى أن القضية العربية تقف على أرض صلبة من دعائم الحق والمنطق • واذا مادار نقاش وجدال أمين ، **بحديث الارقام والحقائق تبين جليا صدق وعدل المطالب العربية فى فلسطين المحتلة والاراضى العربية الاخرى •**

والامر الذى يجعل النقاش المنطقى صعبا لرجال الاعلام العرب هو ايمانهم ببداهة وعدالة قضيتهم ، ومن ثم اذا ما عارضهم أحد فى نقطة ما أداروا ظهرهم عنه وشكوا فى نواياه • ولكن يجب أن نعرف أنه لكى نكسب أحدا لابد من اقناعه كاملا ، بعيدا عن الحماس والانشاء •

وحيث أن هناك تقييم جديد للعمل الاعلامى بعد النكسة المشئومة (التى ندعو الله تعالى أن يحولها الى نصر مبين) ، وهناك انطلاق عظيم فى هذا المجال ، رأيت أن أضع بضع حقائق أمام القائمين بأمر الاعلام العربى ، عسى أن تفيدهم بعض الشىء •

« لا نريد من الصديق غير الصدق : وفى نفس الوقت لا نريد من العالم الذى نعيش فيه غير الحق وفهم القضية » جمال عبد الناصر •

- اسرائيل ليست لها حدود سياسية فى الدستور !
- اسرائيل عضو غير شرعى فى الامم المتحدة !
- اسرائيل بدأت كل عدوان فى الشرق الاوسط !
- قرار وقف القتال ، أغرب ما صدر عن مجلس الامن !
- العرب لم يهربوا من قراهم !
- الفلسطينيون لم يبيعوا أراضيهم !
- أغرقوا اسرائيل بالاموال !
- لا وجود لقرار التقسيم !
- أهداف عدوان سنة ١٩٦٧

١ – اسرائيل هى الوحيدة فى العالم التى لا توجد لها حدود سياسية معينة فى دستور الدولة • وذلك لان الذين أقاموا اسرائيل كانوا يعرفون جيدا كيف ستتوسع هذه الدولة المختلقة ، وكيف ستحاول ابتلاع أراضى فلسطين ولبنان وسورية والسعودية ومصر !!

• • •

٢ – لم تقبل اسرائيل عضوا بالامم المتحدة الا بعد تعهدها بحل مشكلة اللاجئين العرب ، وهى لم تف بوعدها الى الان رغم مضى ما يقرب من عشرين سنة ، مما يجعل عضويتها نفسها غير شرعية !

• • •

٣ – اسرائيل هى التى بدأت كل عدوان فى الشرق الاوسط •

■ ففى سنة ١٩٤٦ بدأت العصابات الصهيونية تهاجم وتغزو المناطق العربية فى فلسطين مما أدى الى هروب أكثر من مليون مواطن فلسطينى ، والى اندلاع الحرب سنة ١٩٤٨ •

■ وهاجمت مصر سنة ١٩٥٦ بالتواطؤ مع فرنسا وبريطانيا ، مع أن اسرائيل لم تكن لها علاقة ما بالاحداث التى ساقت الى ذلك العدوان •

■ وهاجمت الاردن وسورية وج • ع • م سنة ١٩٦٧ •

ولا تزال تحتل أراضى هذه الدول بالاضافة الى قطاع غزة ، رغم صدور قرار مجلس الامن فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ ، الذى يدعو الى الانسحاب غير المشروط من جميع الاراضى المحتلة نتيجة للعدوان •

• • •

٤ – قرار مجلس الامن الدولى بوقف القتال فى الشرق الاوسط (٨ يونية ١٩٦٧) كان أول قرار فى تاريخ الامم المتحدة لم يتضمن المطالبة بانسحاب القوات المعتدية (١) ، كما أن قرار مجلس الامن بشأن تسوية الازمة (٢٢ نوفمبر ١٩٦٧) لم يبطل قرار وقف القتال السابق !! ولم يحدد القراران كذلك من هو المعتدى والمعتدى عليه ، ولم يتضمن شيئا يدين المعتدى •

• • •

٥ – اسرائيل لم تصل الى مواقعها الحالية على قناة السويس الا بعد ثلاثة أيام من صدور قرار وقف القتال !!

• • •

٦ ـ لا صدق لما كانت تروجه الصهيونية من أن المواطنين العرب (اللاجئين) هربوا من ديارهم سنة ١٩٤٨ نتيجة لطلب من الاذاعات العربية ..

انهم هربوا نتيجة الذعر الذى شاع فى كل مكان على اثر الارهاب والقتل الوحشى الجماعى الذى قامت به العصابات الصهيونية منذ سنة ١٩٤٩ .

وقد تأكد كذب الصهيونيين بعد ان استمع عدد من الصحفيين الانجليز كل التسجيلات الموجودة للاذاعات العربية لدى اذاعة لندن (بى بى سى) وأذاعوا أن دعوى الصهيونية محض افتراء !!

وقد بلغت نسبة من طردتهم العصابات الصهيونية سنة ١٩٤٨ ٧٠ فى المائة من مجموع الشعب الفلسطينى ، وكان تعدادهم حتى مايو ١٩١٧ مليون و٢٦٤ الف لاجىء ، أما بعد حرب ١٩٦٧ فقد بلغ العدد المليونين من المشردين .

هـ ـ الاراضى التى باعها الفلسطينيون للصهاينة نسبتها ضئيلة جدا . فالاراضى الكبيرة باعتها عائلات سورية ولبنانية اقطاعية اضطرت للرحيل من فلسطين نتيجة للارهاب الصهيونى . ولم يكن عند الصهاينة الا أربعين الف هكتار حتى سنة ١٩١٤ .

وكل ما يشاع حول أراضى اليهود فى فلسطين ، وبالتالى حقهم على ارضها كلام لا اساس له . فأكثرية الاراضى التى كانت فى حوزة اليهود سنة ١٩٤٧ أراضى الدولة الفلسطينية التى اقتطعتها الحكومة البريطانية المنتدبة لليهود . والاراضى الزراعية التى كانت فى حوزة اليهود لم ترد ١ر٥ فى المائة من مجموع الاراضى الفلسطينية ، ورغم ذلك خصص لهم مشروع التقسيم لسنة ١٩٤٧ : ٥٦ فى المائة من فلسطين ، ولم يلبث الصهاينة أن احتلوا ٨٠ فى المائة منها حتى آخر سنة ١٩٤٨ !

واليك مثال بسيط يؤكد سطحية هذه الدعاوى ـ أن مشروع الامم المتحدة لتقسيم فلسطين تضمن اعطاء اليهود النقب (وهو نصف فلسطين) رغم أن اليهود لم تزد ملكيتهم فيه الا ٢ر١ فى المائة !!

● ● ●

٨ ـ حصلت اسرائيل على اعانات لاحد لها من الدول الغربية ، حتى أنه لا يوجد لها مثيل فى التاريخ !!

أ ـ بلغت الاعانات التى قدمتها الولايات المتحدة رسميا ، من سنة ١٩٤٩ حتى ١٩٦٥ فحسب ١١١٨ مليون دولار !!

ب ـ بلغت الاموال التى جمعها « النداء اليهودى المتحدة » من سنة ١٩٤٦ الى ١٩٦٢ ، لتقديمها الى اسرائيل كتبرعات : ١٤٨٩ مليون دولار .

وقد خسرت الولايات المتحدة ٤٥٠ مليون دولار ، لان التبرعات معفاة من الضرائب بحيلة استعمالها للخدمات الاجتماعية ، بينما هى تستغل لادارة « دولة » !

جـ ـ أعطت الولايات المتحدة امتيازا غريبا للصهاينة ، هو فى الحقيقة تحد للسيادة القومية ، بمنحهم حق بيع السندات فى أمريكا لصالح اسرائيل .

وبلغت الاموال التى جلبت بهذه الطريقة كقروض طويلة الامد ، ٨٤٠ مليون دولار فى الفترة من ١٩٥١ الى نهاية ١٩٦٥ !!

ويجب ألا يغيب عن اذهاننا ان الاسرائيليين بعد العدوان حصلوا على آلاف الملايين من الدولارات كتبرعات ومعونات من اليهود والدول الخاضعة للنفوذ الصهيونى مثل الولايات المتحدة وبريطانيا وكندا وجنوب افريقيا واثيوبيا .

د ـ لم تكتف الولايات المتحدة بفتح خزائنها لاسرائيل وانما أجبرت المانيا الغربية على دفع تعويضات باهظة لاسرائيل عن الاضرار التى لحقت الارواح والممتلكات أثناء الحكم النازى .

وقد بلغت هذه التعويضات لحكومة اسرائيل حتى مارس سنة ١٩٦٠ مبلغ ٨٦٢ مليون دولار .

(والرجل يستغرب ما صلة من لحقهم الظلم النازى بحكومة اسرائيل التى لم توجد حينذاك ؟ والصلة الوحيدة التى يمكن البحث عنها فى هذه الفضيحة المكشوفة هى صلة الديانة . وأى قانون فى العالم لا يعتبر الصلة الدينية ذات اعتبار فى مسألة الارث !!

ولم تكتف ألمانيا الغربية بدفع التعويضات لاسرائيل وانما دفعت كذلك لليهود الالمان (أو غيرهم من الدول التى اجتاحتها جيوش النازى) أو لاقربائهم ، تعويضات شخصية ، بلغت ٥٢٥ مليون دولار حتى نهاية سنة ١٩٦٥ !

وحيث أن المدة المقررة لدفع التعويضات انتهت ، فعقدت سنة ١٩٦٠ معاهدة بين اسرائيل والمانيا الغربية ، دفعت الاخيرة بمقتضاها ٥٠٠ مليون دولار اعانة لدولة اسرائيل ، خلال عشر سنوات !!

وللرجل أن يتساءل هنا :

ماذا عن الذين قتلتهم وشردتهم اسرائيل واستولت على ممتلكاتهم وبيوتهم وأراضيهم ؟

لقد اعتبرت اسرائيل هؤلاء من « الغائبين » ومن ثم استولت على أراضيهم . (وقد رجع هؤلاء الان ليفرضوا وجودهم على كل شبر من أرضهم السليبة) .

ومن هذا يتبين للرجل جليا خرافة التقدم الصناعى والزراعى والاقتصاد المتين لاسرائيل . فأى دولة على هذا القدر من الصغر ، والخصوبة ، وهذا القدر الكبير من المعونات ، ثم المدة الكبيرة للسلام والامن الحقيقى (الذى تمتعت به اسرائيل منذ الهدنة حتى ١٩٦٧) ، يمكنها أن تجعل من أى دولة جنة على الارض ، ولكن الواقع المؤسف لاسرائيل ، من عجز مستمر فى ميزان المدفوعات ، وتخفيض العملة الاسرائيلية غير مرة (وهناك شائعات عن تخفيضها مرة أخرى) ، والبطالة ، والهجرة العكسية والتمييز العنصرى بين الاشكنازيم والسفارديم ، ثم التمييز الشنيع بين اليهودى وغيره والتنكيل بالعرب والعقاب

الجماعى الذى لم يفترقه النازيون أيضا تؤكد أن الامور ليست كما حاولت طبول الدعاية الاسرائيلية عرضها على العالم عن (جزيرة السلام والديمقراطية المثالية) فى الشرق الاوسط !!

● ● ●

٩ – والان نأتى الى ما يسمى بقرار التقسيم ، الذى وصفته صحيفة (شيكاغوا ديى تريبون) الامريكية فى عدد ٩ فبراير ١٩٤٨ بأنها :

(« أعظم فضيحة سياسية فى التاريخ الدولى كله » »)

■ الامم المتحدة لا يوجد فى ميثاقها بند واحد يعطيها حق تقسيم البلاد !

■ من الخطأ الفاحش تسمية أصدر مجلس الامن بشأن تقسيم فلسطين « قرارا » ، لانه ليس من حق المنظمة اصدار قرارات بشأن تسوية « المسائل الاقليمية » ، وانما هى تستطيع التقدم (بتوصية) فقط ، وذلك هو الذى طلبته الحكومة البريطانية المنتدبة على فلسطين !

■ قبل صدور القرار (الذى سمى رسميا بمشروع التقسيم) طلبت دول

كثيرة استشارة المحكمة الدولية عما اذا كان تقسيم البلاد من اختصاصات الامم المتحدة ، ولكن الولايات المتحدة استطاعت هزم هذا المشروع بأغلبية ٢١ صوتا ضد ٢٠ !!

■ تأخر التصويت على « مشروع التقسيم » مرتين لان أمريكا والدول المتواطئة مع الصهيونية لم تتمكن من التأمين على أغلبية الاصوات المطلوبة لتمرير المشروع .

وفى المرة الثالثة أقر المشروع ، بعد أن أجبرت الولايات المتحدة ، بحيل مكشوفة وتهديد المقاطعة الاقتصادية ، كلا من براغواى ولكسمبورغ وهايتى وليبيريا وفلبين . وكانوا كلهم ضد انشاء الدولة اليهودية .

■ ارتفعت فى العالم كله وفى أمريكا بالذات صيحات تستنكر هذا المشروع ، وكان مما قاله عضو الكونجرس الامريكى ادوارد جوسيت

« يوم السبت (يوم اقرار المشروع) كان أكثر الايام سوادا فى التاريخ الامريكى . ان أمريكا هى المسئولة عن تقسيم فلسطين وايجاد دولة لليهود . لعل أمريكا بفعلتها هذه قد غرست بذور الحرب العالمية الثالثة . لقد أدينا لليهود خدمة غاية فى السوء ، فانها ستنشط لعنة كراهية السامية . »

■ بدأت العصابات الصهيونية المسلحة غزو القرى والمدن العربية ، بعد صدور المشروع ، فورا .

■ فاجتمع مجلس الامن مرة أخرى لبحث قضية فلسطين ، بناءا على طلب مندوب أمريكا ، وأصدر قرارا يتضمن النقط الاتية :

أ – تجميد المشروع السابق (للتقسيم) .

ب – ارسال مبعوث دولى الى المنطقة لبحث الوسائل الممكنة لتنفيذ المشروع .

جـ – وضع فلسطين تحت الوصاية الدولية ، ريثما ينتهى المبعوث الدولى من تسوية المشكلة .

■ اذن لا وجود لقرار التقسيم نفسه ، كما أن مشروع التقسيم لا يزال مجمدا ، فاليهود قتلوا الكونت برنادوت لانه لم يوافق على مخططاتهم ولم يرض لاعطائهم الا جزءا صغيرا من شمال فلسطين .

■ وفى هذه الاثناء تجدد القتال بين العرب واليهود مرة بعد أخرى ، وأخيرا اعلنت بريطانيا فجأة الانسحاب من فلسطين يوم ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ ، وأعلن اليهود قيام دولتهم فى نفس اليوم ، كما أن الرئيس الامريكى هارى ترومان أعلن اعترافه باسرائيل يوم ١٤ مايو سنة ١٩٤٨ قبل أن أعلن اليهود رسميا قيام دولتهم !!

● ● ●

١٠ – وليكن آخر هذه النقط هنا : أهداف عدوان سنة ١٩٦٧ :

لقد تأكد جليا أن اسرائيل لم تكن البتة فى حاجة الى شن هجوم على الدول العربية لمجرد أن وجودها كان فى خطر . وذلك لان « **اسرائيل ، بطبيعة الحال : كان لديها تأكيد من الولايات المتحدة الامريكية بأنها ستدافع عن اسرائيل فى حالة أى هجوم عليها .** »

وعلى ذلك يبنى الصحفى البريطانى تشارلس دوجلاس هوم قوله : « اننى لا أعتقد أنه لم يكن لدى اسرائيل بديل غير الحرب . »

وهو يكشف كذلك عن أن الجمهورية العربية المتحدة لم تكن فى نيتها الحرب على الاطلاق ، وذلك لان « طبقا لمعلومات المخابرات الامريكية واجه الاسرائيليون الجيش المصرى المكون من ٨١٠٠٠ جنديا على الحدود الفلسطينية بجيش بلغ تعداده مائة الف جندى . »

(وقد أدلى الرئيس **جمال عبد الناصر** أخيرا بحديث الى التليفزيون الامريكى ، قال فيه أنه لو كان فى نيتنا الحرب لاستدعينا الالوية الثلاث التى وجدت ابان الحرب فى اليمن .)

وقد انتهى تشارلس دوجلاس هوم فى كتابه الى أن « **القول بأن اسرائيل كانت فى وقت من الاوقات مهددة بالقاء رجالها فى البحر ، هو مجرد » خرافة !**

■ أما السبب الحقيقى وراء عدوان سنة ١٩٦٧ فكان التوسع ، الذى هو من طبيعة اسرائيل ، كما بيناه فى النقطة الاولى . واسرائيل بتهديدها سورية بالغزو واحتلال دمشق كانت تعرف جيدا كيف ستتطور الامور حيث تستطيع هى الاستفادة بها لتهاجم البلدان

العربية ، وتوسع رقعتها الارضية على حسابها .

أما السبب الثانى لهذا الهجوم فكان ضرب التقدم الاقتصادى والصناعى الذى وصلت اليه الجمهورية العربيه المتحدة وسورية . ولا أريد أن يفوتنا هنا أن الدافع الاكبر للدول الراسمالية لخلق اسرائيل واحتضانها هو استخدامهم اياها فى ضرب تقدم البلاد العربية بعد كل بضعة أعوام ، حتى لا تتمكن من انجاز أى تقدم . (وهذا ليس مجرد قياس وانما يدعمها درس الماضى) . واسرائيل بطبيعتها هذه تجعل الدول العربية فى حالة طوارىء دائمة وتجعلها بالتالى تنفق النصيب الاكبر من الدخل القومى على الدفاع .

أما الهجوم على سيناء واحتلالها ، « فالذى هز ديناميكية الاسرائيليين حتى أقدموا على هذه المغامرة هو البترول والثروات الطبيعية بها !! »

والاخبار التى أذيعت عن محاولة استغلال الاسرائيليين ثروات سيناء ، وتنقيب شركات أمريكية وبريطانية عن البترول فى سيناء وشواطئها ، (وخصوصاً « شركة كنج ريسور سينر ») ، تؤكد جليا عن حقيقة مطامع اسرائيل والخطر الناجم عن مجرد وجودها وبقاءها فى هذه المنطقة من العالم .

✻✻✻✻✻✻✻✻✻✻✻✻✻✻✻✻✻✻✻✻✻✻✻✻✻✻✻✻✻✻✻✻✻

بقية مقال : ماذا تعرف عن العالم الاسلامى

حدودها الجغرافية الحالية لكننا نقصد اسلام الجنس التركى منذ بضع مئات من السنين

لما اشرق الاسلام فى القرن السادس الميلادى واتجهت فتوحه نحو بلاد الترك قاوموه وخاصموا رجاله ثم بدأوا يتحولون من خصوم لهذا الدين الى حماة .

ولم يمض على ظهور الاسلام نحو قرن حتى خفقت رايات الاسلام على مقربة من حدود الصين عندما استمال المسلمون أهالى التبت البوذيين .

ويمكن القول أنه بانتهاء الدولة الاموية انتهت الفتوحات العربية فى بلاد الترك . وما كادت الدولة العباسية تبدأ حكمها حتى دخل الترك فى الجامعة الاسلامية . وبعد أن **كان الاتراك أعداء للمسلمين وحلفاء صادقين لاوروبا انقلبوا عقب اسلامهم الى خصوم الداء لاوروبا وكرسوا قوتهم لخدمة ذلك الدين وهكذا نجد أن الاسلام اسرع خطاه فى بلاد الاتراك فى عهد العباسيين .**

وقد كان للعثمانيين اليد الطولى فى انتشار الدعوة الاسلامية فى اوروبا عن طريق شرقيها وذلك عقب عودتهم اليها وضمهم الى ملكهم دولة بعد اخرى حتى توقفت انتصاراتهم المطردة أمام ابواب فيينا فى سنة ١٦٨٣ .

وقد رأى الاتراك أن اعظم خير يستطيعون تقديمه لاى فرد هو أن يهدوه الى دين الاسلام وبذلك دخل كثير من مسيحى أوروبا فى الاسلام من تلقاء أنفسهم وبمحض ارادتهم .

ولابد أنه كان لتفوق المجتمع التركى من الناحية السياسية والخلقية شأن كبير فى هذا التحول الى الاسلام الذى كان كثير الحدوث فى القرن الخامس عشر . واستمر رعايا الاتراك فى البلدان الأوروبية المفتوحة يدخلون فى دين الطبقة الحاكمة ولا سيما خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر .

ولكن فى اثناء القرنين الثامن عشر والتاسع عشر فترت روح نشر الدعوة الاسلامية بين الاتراك . بينما كان الاسلام قد استقر نهائيا فى البانيا والصرب واليوسنة وجزيرة كريت .

وعلى الرغم من التيارات السياسية التى تحد من نشاط العناصر الاسلامية فى تركيا الحديثة وبرغم عشرات السنوات من السيطرة الاتاتوركية والحد من نشاط الاسلام فى الحياة التركية فان جذور الاسلام فى تركيا اثبتت بأنها راسخة متمكنة لم تزعزعها الرياح او الزوابع .

وتركيا غنية جدا بمساجدها ففيها اكثر من ٢٨٥٠ مسجدا منها ٨٣٣ فى استانبول تعتبر من الاثار الفخمة كما نجد عددا كبيرا من المساجدايضا فى كل من أدرنة وبروسه واسكى شهر وانقرة .

وتوجد فى تركيا رئاسة للشئون الدينية ومنذ سنة ١٩٤٩ زادت العناية بالتعليم الدينى فى المدارس الابتدائية مما ادى الى ازدياد الاقبال على هذه المدارس . وفى نفس الوقت نظمت دروس للائمة والوعاظ ويلتحق بالتعليم الدينى المتخرجون ايضا من المدارس المتوسطة . **كما انشئت كلية دينية فى جامعة انقرة .**

وفى سنة ١٩٥١ افتتحت سبع مدارس للوعاظ والائمة ارتفع عددها الى ١٦ مدرسة سنة ١٩٥٥ . **واصبحت دروس الدين ضمن مناهج التعليم الابتدائى منذ سنة ١٩٥٢** وضمن مناهج المدارس المتوسطة منذ سنة ١٩٥٦ .

ولو لم تفعل الحكومة ذلك لتعرضت لانفجار الشعب ولقيام المنظمات الدينية العنيفة مثل منظمة التيجانى بمعارضة الحكومة التى تؤدى الى اسقاطها .

وأخيرا فيمكن القول ان احياء علوم الدين فى تركيا عائدة الى الروح الدينية التى تسيطر على الشعب التركى الذى ساهم فى نشر الاسلام فى أوروبا فى فترة عصره الذهبى وامبراطوريته العظمى .

« حمى الله الاسلام ودعاة الاسلام ، فى مشارق الارض ومغاربها آمين »

وحدة الصمود

الأستاذ محمد المتولى النظامى

ان وحدة الهدف والمصير التى ظهر أثرها فى جونا العربى لتفرضها روابط عميقة فى القلوب عمق مبادئنا ، ممتدة فى أعماق التاريخ امتداد مجدنا ، باقية مع الزمن بقاء النور والحياة ، تمنحنا قوة الصمود والنضال اذا ما اشتدت الازمات ، وتفرض علينا المشاركة فى آلام الحياة وآمالها ، وتحمل الغرم واقتسام الغنم ، والقيام بواجبات الجهاد ومتطلباته من تضحية وفداء ، وبذل وعطاء ، وتعبئة روحية ومادية ، حتى نحرر الارض السليبة ونحقق الكرامة العربية على أرض العروبة . وصدق قوله تعالى « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » وقوله « واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا » وقال « وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » .

فالله آخى بيننا بمبادىء الحق والعدل ، ومنحنا العزة بشريعة الايمان ، وربط ما بيننا بوشائج مكينة من اللغة والدين ، والحقوق والواجبات ، والاواصر الروحية ، والعلاقات الثقافية والتاريخية ، ووحد بيننا فى الغايات والاهداف ، والالام والامال ، فاصبحت آلامنا واحدة ، وغدت مشتركة ، مشتركة فى الظلام والضياء ، ونتعاطف فى السراء والضراء ، ونفرح لما يصيب أى جماعة من امتنا الكبرى من خير ، ونحزن ونأسى لما يصيبها من أذى وضير ونتحمل مسئولياتنا ازائها بصدق وايمان ، وندافع عن عزتها بصمود واصرار ، ونضحى فى سبيلها بالنفس والنفيس ، صيانة لارض العروبة والاسلام ، واعزازا لمبادىء الدين والمسلمين ، اذ الوطن متى تحكم العدو فيه فانه يعمل جاهدا لانتهاك حرامته ، وتدنيس أماكن العبادة فيه ، ومحاربة الدين باعتباره مصدر القوة لدى المسلمين ، اذ أن الدين هو الذى يجعل حب الوطن والدفاع عنه جزءا من الايمان ، وعلامة من علامات الصدق واليقين ، وهو الذى يوحد المسلمين ويجعلهم كالبنيان المرصوص ، وهو الذى يربى الاعتقاد لديهم بأن الله ناصرهم متى نصروه ، وهو الذى يخلق قوة الروح المعنوية ، ويعتبر أعظم حافز للصمود والاباء ، والتضحية والفداء ، والموت فى سبيل الحق ، حفاظا على القوة ، وخلودا من وراء هذا الموت . قال تعالى « وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، واصبروا ان الله مع الصابرين » . وقال « ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص » وقال « وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور » وقال « انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون » ، وقال النبى عليه الصلاة والسلام « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » وقال « ما من مسلم ينصر امرءا مسلما فى موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته الا نصره الله فى موضع يحب نصرته فيه ، وقال « كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له فى الارض ، فيجاء بالمنشار فيشق به اثنتين : وما يصده ذلك عن دينه ، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب ، وما يصده ذلك عن دينه ، والله ليتمن هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله أو الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون . والدين يحثنا على أن نكون صامدين فى أزماتنا ، صادقين فى تحمل مسئولياتنا ، محافظين على مرافقنا ومنشآتنا مجاهدين فى سبيل الله فى جميع تصرفاتنا ، مجاهدين بأعمالنا وأقوالنا ، وأموالنا وأنفسنا ، نراقب وجه الله والوطن فى كل ما نأتى وما نذر ، ونتحمل الاذى والالام من أجل المبادىء حتى تنتصر ، ومن أجل الكرامة حتى تتحقق ومن أجل الوطن حتى يتحرر . قال تعالى « انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون » ، وقال « يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ، ورابطوا ، واتقوا الله لعلكم تفلحون » ، وقال النبى عليه السلام : « جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم » وقال « رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما عليها ، والروحة يروحها العبد فى الجهاد فى سبيل الله ، والغدوة ، خير من الدنيا وما عليها »

والمجاهدون عن عقيدة لا يخذلون ، لانهم يقاتلون أعداءهم قتال أصحاب المبادىء ، ويستميتون فى سبيل صيانة القيم التى بها يدينون ، ويضحون فى سبيل اعلاء كلمة الله ، ورفعة شأن الوطن ، ويسجلون فى صفحات التاريخ أمثلة عليا من البطولة والفداء ، ويقبلون على الاستشهاد بثغور باسمة وقلوب مؤمنة قال تعالى : « فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالاخرة ، ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما » ، وقال « والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم ، سيهديهم ويصلح بالهم ، ويدخلهم الجنة عرفها لهم » وفى الحديث القدسى « تضمن الله لمن خرج فى سبيله ، لا يخرجه الا جهاد فى سبيلى وايمان بى ، وتصديق برسلى ، فهو ضامن أن أدخله الجنة ، أو أرجعه الى منزله الذى خرج منه بما نال من أجر أو غنيمة .

أمـة صامدة :

ونحن شعب عريق بين الشعوب ، وأمة أصيلة بين الامم عمرها ستة آلاف سنة أو يزيد ، ورثت من الصحراء خشونتها ، ومن الجبال صلابتها ، وغذتها العقيدة بقوة الايمان وعظم اليقين فجاهدت عن عقيدة ، وضحت عن ايمان ، وغدت أمة الصمود والنضال ، وحفل تاريخهـا بالبطولات والتضحيات ، وسادت العالم أحقابا طويلة بفضل تصميمها وايمانها وقوة نضالها .

أمة تستمد العون من الله فى جهادها ، وتكمن روح الصمود فى تكوينها ، وتنبع دوافع النضال من ذاتها ، تحل الازمات بساحتها فتكشف عن معدنها الاصيل وتزيدها قوة ومنـاعة ، واصرارا وعنفا ، وتتكالب قوى الشر والعدوان عليها فلا تهن ولا تلين ، ولا تصبر على ضيم أو ذل ، بل تتخذ للنوازل أهبتها وللكوارث عدتها وتجتاز الازمات والمحن بصبر لا ينفذ ، وعزيمة لا تلين وتناضل حتى تحرز النصر ، وتحقق الفوز بايمانها وجهادها وتضحياتها ، وقوة صمودها .

واسأل التاريخ يجبيك أن فئة قليلة مؤمنة هزمت المشركين ودحرت الفرس والروم ، ونشرت عقيدة الايمان ، ووطدت دعائم الحضارة والامن والعمران .

واسأل التاريخ يجبيك أن غارات الصليبيين ، قد استمرت على أمتنا خلال مائتى سنة وأن الصليبيين قد انتزعوا أجزاء عزيزة منها ، وأجروا مذابح للمسلمين تقشعر من هولها الابدان وأقاموا مملكة لاتينية فى القدس وانطاكية والرها ، ثم استردت منهم أمتنا بالعزم والتصميم والصمود والنضال ما انتزعوه ، ووضع صلاح الدين حدا لنهايتهم فى معركة حطين ، وكتب الى ريتشارد قلب الاسد ملك الانجليز رافضا لشروط الصلح التى عرضها بعد الهزيمة ، مبينا أن استيلائهم على أجزاء من بلاد العرب والمسلمين انما كان أمرا طارئا قد زال ، فقال : « أما القدس فهو لنا كما هو لكم ، وهو عندنا أعظم مما عندكم ، فانه مسرى نبينا ، ومجمع الملائكة ، فلا تتصور أننا ننزل عنه ، وأما البلاد فهى لنا فى الاصل ، والاستيلاء عليها انما كان طارئا لضعف من كان فيها من المسلمين فى ذلك الحين » .

واسأل التاريخ يجبيك أن التتار قد أشاعوا الخراب والدمار ، وسفكوا الدماء غزيرة فى بلاد العرب والمسلمين ، وأقاموا حكما مجوسيا فى بغداد استمر نيفا وستين عاما ، ثم وضع المسلمون حدا لهم فى معركة (عين جالوت) ، و (مرج الصفر) بقيادة سيف الدين قطز والظاهر بيبرس والناصر قلاوون ، وعادت للاماكن المقدسة قدسيتها ، ولبلاد الاسلام عزتها وعروبتها ، واعتنق باقى المغول الاسلام .

واسأل التاريخ يجبيك أننا كنا مناطق نفوذ للاستعمار ، وغنيمة له ، ادعى وصايته علينا ، وفرض نفسه علينا فرضا ، ثم صمدنا وجاهدنا وضحينا ، حتى أعدنا للارض العربية عزتها وكرامتها وحريتها واستقلالها .

وان أمة يكون النضال فى طبيعتها ، والصمود من عقيدتها ، والتضحيات من مقتضيات مبادئها ، لأمة تسير فى طريق النضال حتى النصر ، وتستهين بالتضحيات مهما عظمت ، وتستعيد الحقوق المسلوبة مهما طال المدى ، وامتد الطريق ، قال تعالى « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا » ، وقال « أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين » ، وقال النبى عليه السلام « ان الله عز وجل قال لعيسى بن مريم يا عيسى انى باعث بعدك أمة ان أتاهم ما يحبون حمدوا وشكروا ، وان أصابهم ما يكرهون احتسبوا وصبروا ، أعطيهم من حلمى وعلمى » .

وها هو ذا التاريخ يعيد نفسه ، وتتكتل من جديد ضدنا قوى البغى والعدوان ويقيم الاستعمار اسرائيل سرطانا فى قلب الوطن العربى ، ويعينهـا على العدوان بالمال والسلاح والرجال ولكن الصـمود العربى لا يضـعف ولا يلين ، وأكبر دليـل على صـمودنا وعلى اسـتعدادنا لخـوض معارك مسـتمرة مع العدو حتى يهزم كما هزم أنداد له سابقون ، ان اثنتى وعشرين سنة أو يزيد تمضى على اغتصاب فلسطين ، وليس هناك من دولة عربية تمد يدها لاسرائيل ، أو تتوانى عن نصرة القضية ، وان مؤتمر الخرطوم الذى انعقد فى أحلك أوقات النكسة لم يرتفع فيه صوت يطالب بالمفاوضات المباشرة مع اسرائيل ، وانمـا كـان اجمـاعا على نصرة القضـية : والعمـل لتحرير فلسطين ، ومقـاومة هذا العـدو الهمجى مهما كانت التضحيات ، وأكبر دليل على أننا أمة الصمود نزداد مع التحدى ضراوة ، ومع الايذاء صلابة ، ومع الاعتداء صمودا وعنفا ، ومع تصاعد العمليات اصرارا على الجهاد وثباتا حتى النصر ، ان الاصوات التى كانت تنادى فى الماضى بيننا بعودة اللاجئين الى ديارهم ازدادت اليوم مع التحدى ضراوة فاصبحت تنـادى بعودة الكيان الفلسطينى ، والوجود الفلسطينى كله بالتضحية والفداء وصدق قول الله سبحانه « قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم » وقوله « فاما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض » .

ومهما أصيبت أسرائيل بداء الكلب فاخذت الان تغير هنـا ، وتعتدى هناك فان فى ذلك أكبر دليل على نفاذ حيلها ، وضعف صمودها ، وقلة احتمالها ، وأنه قد أحيط بها ، وضيق عليها الخناق كما يضيق الخناق على قطيع من القطط والكلاب وخذئاب فتخمش وتنهش وتعض ، وتمد مخالبها ، وتكشف عن أنيابها ، وتدل بذلك على مدى ضيقها ، وعدم أمنها أو استقرارها ، وأننا لن نتركها تهدأ ، أو تستقر ، أو تشعر بالامان ، مهما طال الزمن وامتد العدوان ، وفدحت التضحيات ، وصدق قول الحق سبحانه « قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده ، أو بايدينا ، فتربصوا انا معكم متربصون » .

وصوت الحقيقة اخذ يطرق الاذان ، والضمير العالمى أخذت يقظته تشتد ، ودعايات العدو المسمومة أو المحمومة لا تلبث أن تذوب أمام حرارة الحقيقة ، فاسرائيل قد كشفت القناع عن نياتها الخبيثة باعمالها الخسيسة ، فلقد كانت تدعى فى الماضى أن كل ما تطمع اليه أن تعيش فى سلام وسط خصم عربى ، فاذا بها تكشر عن أنيابها وتكشف عن نياتها ، وتعتدى ثم تعتدى ، وتحفر قبرها باظافرها وما أروع قول الشاعر العربى :

صوت الحقيقة خالد   باق على مر السنين
ان خلته يوما خبـا   فالنار تـكمن لا تبين

وما دام هذا الدم العربى يجرى فى عروقنا ويغذينا ، وما دام هذا التاريخ المجيد يهتف بنا وينادينا ، وما دامت مبادىء الحق قائمة فينا فهى تحيينا وتهدينا الى الحق وتدفعنا الى الثبات ، وما دام اصرارنا على التضحية والفداء فى ازدياد فلا شك أن التاريخ سيعيد نفسه ، وستروى الارض العربية بدم الشهادة لتنبت العزة والكرامة وتضيف الى تاريخ أمتنا أمجادا فوق أمجاد ، وتثبت للعالم أجمع أن عزمنا لم يهن ، وان أمتنا لم تهزم ، وان بلادنا عربية ، وستظل عربية الى ان يبدل الله الارض غير الارض والسماء غير السماء ، وكما هزم السابقون سيهزم اللاحقون . وصدق قول الحق سبحانه « سيهزم الجمع ويولون الدبر ، بل الساعة موعدهم ، والساعة أدهى وأمر » .

وحي الهجرة

الشاعر علي سيد عاشور

اسطع بنورك حبذا أن تسطعا
وابسم لدين الله والدنيا معا

واكشف هلال [محرم] غسق الدجى
عن كل فج لا تغادر موضعا

وانشر سلامك رافلا فى ثوبه
ومرفرفا فوق البرية أجمعا

وازل من الدنيا المساوىء والاسى
فالناس من هذين عضوا الاصبعا

من لم تفده الكارثات ويتعظ
بالحادثات النازلات فلا لعا

او يتخذ درسا بليغا ناجعا
من سيرة [الهادى] ، فما خيرا وعى

اذ جاء ينقذ قومه من كفرهم
وليرتقوا أوج العلاء لهم دعا

واتى ليهديهم من الغى الذى
قد باء بالخسران من فيه سعى

نادى الى الحسنى بعذب حديثه
وتلا عليهم خير قول أبدعا

يا ويحهم لم يرعووا عن جهلهم
وأبى كثير أن يلين ويسمعا

آذوه لكن ما انثنى لمذلة
حاشا [لطه] أن يذل ويخنعا

جعل الجهاد شعاره ودثاره
والصبر أبداه الكريم مدرعا

تخذ السبيل [لهجرة] ميمونة
غراء كانت للبرايا انفعا

ترك [الامام] مكانه مستصحبا
قلبا جريئا والاله له رعى

ذر التراب على الوجوه وقد تلا
[يس] لم يخش العيون الطلعا

واستصحب [الصديق] فى اسفاره
دخلا معا [غارا] شذاه تضوعا

واهتزت الاركان منه [بأحمد]
[ورفيقه] والنور فيه مشعشعا

نسجت عليه [العنكبوت] خيوطها
وشدا [الحمام] على ذراه مرجعا

كيما يظن المشركون اذا أتوا
أن [الرسول] نأى وعنهم أقلعا

قد قلت يا [مختار] [للصديق] لا
تحزن وكن بين الصعائب اشجعا

الله ثالثنا ومن يك ربه
معه فلا يك يائسا ومزعزعا

قالوا [سراقة] ان أتيت بـه فخـذ
مـالا فتخلع عنك فقـرا مدقعـا

فأجاب لكن قد هـداه ربـه
للحق والعدوان عنـه تقشعا

قد أسلمته خوارق [للمصطفى]
جعلت رشاد المشركين مضيعا

ومضى النبى [ليثرب] فـزهت بـه
جنبـاتها وغـدت كروض أينعا

وتعطـرت بقـدومه وتطلعت
للقـائه ولهـا الرسـول تطلعا

بشـرى فقد لاقى الحبيب حبيبـه
يا بلبل الافـراح فاصدح مبدعا

[والصحب] و [الانصار] قد بلغوا المنى
ظلوا سـجودا للمهيمن ركعـا

كانوا على الاعـداء سـما ناقعـا
ولربهم كانوا عبـادا خشـعـا

كانوا البـدور اضاءة ووضاءة
و [محمـد] كالشمس فيهم مطلعـا

نصروا [النبى] وأيـدوا دين الهـدى
أعظم بهم وبمن لهم قـد شرعـا

ثـار الأباة فأذهبوا الرجس الـذى
مـلأ القلـوب تخنثـا وتخنعـا

ثـار الأباة فصيرونا سـادة
ونفـوق فى مجـد تليـد [خفرعا]

ونفـوق من حفظ الزمـان خلوده
حتى [القيـاصرة] العظام و [تبعـا]

ربـاه فاكلأهم لحسن صـنيعهم
وتولهـم وأعـز دينـا ممرعـا

دين تـكامل عقـده ونظـامه
أمـا سـواه انظـر تجـده مجدعا

دين سـرى بين البريـة فارتقت
فى عـزه والخير فيـه تنوعـا

دين لأخلاق الفسـاد أزالهـا
بئس الفسـاد وبئس من فيـه ارتعى

دين لـه انعطف الانـام لانهم
فى ظل عـدل منـه ظلوا رتعـا

واحفظ [جمـالا] للعروبة فهو من
رقت مشـاربه وطـابت منزعـا

واعـز دين اللـه وهـو معزز
بالدين بل حـاز المكـارم أجمعـا

فانصر بـه العـرب الأباة جميعهم
وأعـد لهـم مجـدا تليـدا أرفعـا

واخـذل بـه أعـداءنا وأذلهم
وأذقهم كأس الحمـام المترعـا

لا زال فى أوج انتصـار كلمـا
غنى الهـزار على الغصـون وأبدعا

اعرف عدوك

التسلل الإسرائيلي في آسيا

الأستاذ اسماعيل السوسي

لقد سبق لنا التحدث عن التسلل الاسرائيلى فى أفريقيا وقدمت قائمة الدول التى تقيم علاقات دبلوماسية معها وكيف أن الاستعمار يقوم بتموينها للتغلغل داخل القارة ، والاسباب التى تدعو الاستعمار أن يزرع جذورا له قبل خلعه من الدول التى كان يستعمرها فى أفريقيا ليظل مسيطرا بصورة أو بأخرى كالاخطبوط السرطانى وهذا هو الوجه الجديد للاستعمار ..

قد تكون هذه المقدمة ردا على السؤال الذى ينادينى للاجابة عليه .. لماذا التسلل الى أفريقية وآسيا ؟ والرد من أفواههم حيث يقول « مردخاى كرنين » « ثمة مميزات واضحة لسعى اسرائيل من أجل كسب أصدقاء لها وسط الكتلة الافرو - آسيوية المتزايدة الاهمية . فبسعيها فى ذلك تكسر اسرائيل طوق العزلة الاقتصادية والسياسة التى تعانى منها فى الشرق الاوسط » .

ويقول دافيد بن جوريون الاهم الحديث « ونحن أكثر من غيرنا مطالبون بأن لا نغلق أعيننا عن رؤية دول آسيا وشعوبها » .

وكانت الدوائر السياسية الصهيونية سريعة فى ادراك تلك الحقيقة خاصة أنها أحيطت على حدودها بسور من الحصار الاقتصادى والسياسى . وكان شيئا طبيعيا أن تبادر اسرائيل الى اخراج نفسها من العزلة المحيطة بها فى العالمين الاسيوى والافريقى فوجهت جهودا مبكرة فى محاولة منها لفتح ثغرة فى القارتين وهذا بدأ بعملية التسلل الاسرائيلى الى آسيا وأفريقيا .

ومما لا شك فيه أن تغيير الخارطة السياسية العالمية لظهور دول جديدة فى آسيا وأفريقيا وانضمام هذه الدول الى الامم المتحدة ، كان حافزا اضافيا لاسرائيل لتكثيف نشاطها من أجل فك حلقات السلسلة السياسية المحيطة بعنقها .

واسرائيل تسعى الى هاتين القارتين لسببين الاول سياسى والثانى اقتصادى .

الاهداف السياسية :

أولا ، لاحظنا فى العرض السابق أن اسرائيل منذ اللحظة الاولى لقيامها أحست بالعزلة فى وسط الكتلة الافرو - آسيوية فلابد أن يكون البند الاول فى الاستراتيجية الاسرائيلية سياسيا هو التخلص من نطاق العزلة المضروبة حولها وهذا الهدف هو الاهم بلا منازع .

ثانيا : أما السبب الثانى فناتج من ازدياد الوزن المعنوى للمجموعة الاسيوية - الافريقية على الصعيد الدولى وازدياد وزنها الفعلى فى الامم المتحدة حيث حاجة اسرائيل لاصوات هذه الدول ماسة .

ثالثا : سعى أية دولة لتوسيع اتصالاتها السياسية من أجل الحصول على مركز بارز فى العلاقات الدولية ومن أجل رفع أسهمها فى أعين الغرب عبر ابراز دورها ومركزها بين الدول النامية وكيف لا والاستعمار كما سبق أن أوضحت يرغب فى زرع خليفة له فى الارض التى يتركها .

الاهداف الاقتصادية :

فى واقع الامر ، فان الحوافز الاقتصادية التى تحدو باسرائيل لاقامة علاقات مكثفة مع دول آسيا وأفريقيا تغدو ثانوية بالمقارنة مع الاسباب السياسية ، فليس هدف اسرائيل الاول أن تجنى مكاسب اقتصادية سريعة فى الدول النامية بل هو الكسب السياسى . لذلك فانها كثيرا ما تضحى ببعض الجوانب الاقتصادية أولا أو تقدم بعض المساعدات الاقتصادية لدول آسيا وأفريقيا فى أول الامر لتثبت أقدامها السياسية فى هاتين القارتين ليس الا . ولقد كانت المساعدات أو العلاقات الاقتصادية التى بنتها اسرائيل مع دول آسيا وأفريقيا - وبارشاد من الاستعمار القديم وبمخطط من ذوى الخبرة فى هذه المنطقة - بمثابة وضع الحصان أمام عربة التسلل الاسرائيلية الى هاتين القارتين .

والدليل على ذلك من أفواههم فيقول الكاتب الصهيونى ناداف سفران :

« ان فكرة استخدام المعونة الفنية والتعاون الاقتصادى من قبل اسرائيل لتبرير وتدعيم العلاقات الدبلوماسية ، ترجمت عمليا لاول مرة مع بورمة وأشكال التعاون التى تبلورت مع التطبيق العملى للفكرة عممت بعد العام ١٩٥٧ فشملت بلدانا عديدة أخرى » .

ويقول ميشيل بريشر ،

« يعتبر الاسرائيليون العالم العربى حاجزا لابد من تجاوزه سياسيا واقتصاديا اذا ما أرادو التخلص من عزلتهم . وتسلق الحاجز الى أفريقيا وآسيا هو الهدف الحيوى والاكثر الحاحا لتقديم المساعدات الفنية لدول القارتين » .

أما المكاسب الاقتصادية التى تجنيها اسرائيل نتيجة لكل علاقة وثيقة تقيمها مع الدول الافريقية والاسيوية فيمكن ايجازها فيما ياتى :

أولا : الدول الاسيوية والافريقية بحكم التخلف الاقتصادى الذى فرضه عليها الاستعمار وكذا الغياب الذهنى عن التصنيع المحلى التى تجبرها على الاعتماد كليا على الصناعات الخارجية وأن تظل منبعا للمواد المعدنية والنباتية الخام التى تستوردها دول الاستعمار واسرائيل منها بأبخس الاسعار .

ثانيا : أن آسيا وأفريقيا فى الوقت نفسه سوق واسعة لتصريف المصنوعات الاسرائيلية .

ثالثا : تصدير المهارات المتزايدة فى اسرائيل فى مجالات الاقتصاد وهى وان كانت قليلة ولكن تجلب لاسرائيل أموالا طائلة .

نتيجة هذا التسلل

الواقع الدبلوماسى الاسرائيلى فى آسيا وأفريقيا

هذا الواقع باعتباره الهدف الاساسى للاستراتيجية الاسرائيلية ماهو الا نتيجة للجهد الدبلوماسى الاسرائيلى بكل ما يلاقيه من أسباب تسهل له الاتصال واقامة العلاقات عبر المساعدات الناجمة عن تعاون اسرائيل مساعداتها الاقتصادية لدول القارتين ، أو من خلال ضغط المنظمات الصهيونية والحكومات الاستعمارية لصالح اسرائيل .

فمن أصل مجموع ٣٥ دولة آسيوية [عدا الدول العربية) طبعا نرى أن عدد الدول التى لاسرائيل تمثيل دبلوماسى فيها على مستوى سفارة أو مفوض أو قنصلية بلغ ١٣ دولة . أما عدد الدول الاسيوية الممثلة فى اسرائيل على مستوى سفارة ومفوضين فقد بلغ ثمانى دول .

وفى أفريقيا نرى أن الواقع الدبلوماسى الاسرائيلى واقع أرسخ وأوسع منه فى آسيا للاسف الكبير . فمن أصل واحد وثلاثين دولة أفريقية نجد عدد الدول التى يقوم فيها تمثيل اسرائيلى (على مستوى السفارة أو القنصلية أوالمفوضين] بلغ ثمانية وعشرين فى حين بلغ عدد الدول الافريقية الممثلة فى اسرائيل على مستوى سفارة احد عشر دولة . ثم ان عدد البعثات الافريقية فى القدس بلغ سبع بعثات فى الوقت الذى نجد فيه أنه ليس لاى من دول آسيا أية بعثة فى القدس المحتلة .

وان ما يدعو الى تبسيط هذا التغلغل هو قيام مجهود متواصل من جامعة الدول العربية ولجنة المقاطعة مع وجود منظمة الوحدة الافريقية .

الواقع التجارى الاسرائيلى فى القارتين :

ولعل هذا الواقع هو أفضل دليل على أن ما تهدف اليه اسرائيل فى توجهها وعلاقاتها بدول القارتين ليس الكسب الاقتصادى بقدر ماهو الكسب السياسى وكل ما يهم اسرائيل هو أن تكون لها علاقات (مهما كان نوعها) وبغض النظر عن حجمها مع دول آسيا وأفريقيا .

فمجموع صادرات اسرائيل الى أفريقيا فى الاعوام ١٩٦٢ ، ١٩٦٣ ، ١٩٦٤ على التوالى ١٠٧٢٩ ، ١١٥٦٤ ، ١٢٧٣٩ بألوف الدولارات . فى حين كانت وارداتها فى الاعوام ذاتها ومن القارة ذاتها على التوالى ١٩٩٢٥ ، ٢٢٠١٥ ، ٢٦٨٦٧ بألوف الدولارات .

أما مجموع الواردات من آسيا فقد بلغت فى نفس الاعوام وعلى التوالى ١٣٢٧٣ ، ١٦٧٦٤ ، ٥٨٠٨٨ بألوف الدولارات .

فما هى المعانى الاساسية لهذا الواقع التجارى ؟

أولا : ان آسيا وأفريقيا مصدر أساسى للخام التى تحتاجها اسرائيل وتحصل عليها بأسعار بخسة وخاصة اذا ما أدركنا أن مادة الماس هى واحدة من المواد الاساسية المستوردة التى تدر أرباحا هائلة بعد صقلها (واسرائيل تصدر ربع مجموع مبيعات العالم من الماس) .

ثانيا : ان القارتين أصبحتا سوقا لتصريف منتجات اسرائيل الصناعية وخاصة وأن صادرات اسرائيل تشمل المواد الزراعية والكيمائية والاسمنت والبلاستك والمعلبات والاجهزة الطبية والبرادات وأنابيب الفولاذ والاطارات والحمضيات .

ثالثا : ان ثمة تركيزا واضحا على آسيا بالرغم من الصعوبات الجغرافية والسياسية والتجارية لسيطرة الدول الاستعمارية القديمة على هذه الاسواق ولكن فى نفس الوقت فان اسرائيل تحاول مد أكبر عدد ممكن من الجسور الاقتصادية مع دول آسيا تمهيدا للوصول الى علاقات سياسية أفضل كما هو فى الوقت نفسه اعلان من اسرائيل وتذكير بوجودها .

رابعا : رغم العجز فى ميزان اسرائيل التجارى مع دول القارتين لم يكن عامل تثبيط لنشاطها التجارى فنمو العلاقات التجارية وازدياد حجمها واضح على تعاقب السنين ولعل ذلك عائد الى رغبة اسرائيل وحاجتها الى اثبات وجودها على الصعيد الدولى ومؤازرة الصهيونية العالمية والامبريالية ماديا لصمودها الاقتصادى فهل للدول الاسلامية والعربية باتخاذ خطوة مماثلة ٠

نوعية المساعدات الاسرائيلية الى آسيا و أفريقيا :

١ ـ تصدير الخبراء : ويعمل هؤلاء الخبراء فى مجالين المجال المدنى والمجال العسكرى ففيما يتعلق بالمجال الاول فان ستمائة خبير اسرائيلى أرسلوا للعمل فى أفريقيا خلال عام ١٩٦٥ بالاضافة الى سبعين خبيرا أرسلوا فى السنة ذاتها الى آسيا. وقد بلغ عدد الخبراء الذين أرسلوا الى أفريقيا فى العامين ١٩٥٨ ، ١٩٦٦ : ١٠٩٨ خبيرا ٠ ويعمل هؤلاء الخبراء فى كل مجال تقريبا ٠

وغالبيتهم اما أطباء أو مهندسون أو أخصائيون زراعيون واجتماعيون ٠

أما المعونة العسكرية الاسرائيلية فتتم عبر تصدير نوعين من الخبراء ، الخبراء فى الشئون العسكريه العادية والخبراء فى نقل التجربة الاسرائيلية الخاصة بتنظيمات الشبيبة العسكرية مثل النحال والجدناع .

٢ ـ الدورات التدريبية والتعليمية :

وعلى عكس الشكل الاول من المعونة التى تتم فى آسيا وأفريقيا فان الدورات التدريبية والتعليمية تتم بشكلها الاكبر فى اسرائيل ذاتها ، مع أن اسرائيل قامت أحيانا بايفاد مدربين ليؤدوا مهمات معينة فى بلدان آسيا وأفريقيا .

وتتم عملية التدريب للوافدين من آسيا وأفريقيا فى أربع معاهد لكل منها اختصاصه :

١ ـ المعهد الافرو ـ آسيوى للدراسات العمالية والتعاونية التابع للهستدروت (الاتحاد العام للعمل اليهود) فى اسرائيل وقد سبق لى الكتابة عنه فى عدد سابق (تل أبيب)

٢ ـ مركز التدريب للمدرسين فى حقل الارشاد المهنى (نتانيا) ٠

٣ ـ مركز تدريب المدرسات فى حقل الخدمة الاجتماعية المحلية ـ حيفا ٠

٤ ـ معهد ونجيت للمدرسين فى حقل التربية الوطنية وتساهم الجامعات ومؤسسات التعليم العالى الاخرى فى عقد الندوات والمؤتمرات والدورات الاستثنائية الخاصة وفى برنامج تدريب الوافدين الافرو ـ اسيويين ٠

وقد بلغ عدد الذين دربوا فى المعهد الافرو ـ آسيوى وحده ، عند انتهاء دورته العاشرة ابريل سنة ١٩٦٥ ـ ٨٧٥ طالبا جاءوا من ٦٢ دولة أسيوية وأفريقية وكاريبيا ٠ أما مجموع عدد الوافدين من آسيا وأفريقيا للتدريب والدراسة فقد بلغ زهاء ٦٠٠٠ شاب وشابة .

وحتى لا يعتقد بأن اسرائيل تتحمل جميع مصاريف برامج التدريب هذه ، فان الرد من أفواههم فيقول مردخاى كرنين وهو كاتب صهيونى : « لا تلتزم اسرائيل بجميع المصاريف فهى تطالب المنظمات الاجنبية التى ترعى برنامج التدريب بتحمل نفقات السفر من والى اسرائيل وهذا ينطبق أيضا على الوفود الاجنبية الزائرة والمشتركة فى الندوات أو الجولات الدراسية أو التى تحصل على منح دراسية من اسرائيل ٠ وحين ترسل اسرائيل خبراء الى الخارج يطلب من الدولة المعنية دفع المصاريف والمعاشات لهؤلاء الخبراء ٠ وهكذا فمن الناحية المالية فان عروض المساعدة الاسرائيلية تكون أقل جدا من المساعدات المقدمة من بلدان أخرى أو من الامم المتحدة ٠ وفى الحقيقة ، فانه لامر منطقى أن يتساءل المرء كيف أمكن اعتبار النصائح التى يقدمها الخبراء الاسرئيليون فى الخارج مساعدة فنية .

٣ القروض

بالرغم من اعتماد اقتصاد اسرائيل أساسا على سبل المعونات الصهيونية الامريكية والالمانية الغربية ، وبالرغم من العجز الواضح فى الميزانية الاسرائيلية والذى يقدر بـ ٤٤٥ مليون دولار سنة ١٩٦٧ فان اسرائيل تقدم قروضا وان كانت صغيرة لدول آسيا وأفريقيا وحسب ما ورد فى احد المصادر فان مجموع القروض التى قدمتها اسرائيل الى الدول الافريقية بلغ ٢٠ مليون دولار ٠

ان معرفة هذا الواقع الاسرائيلى فى آسيا وأفريقيا يدعو الدول العربية بصفة عامة والجمهورية العربية بصفة خاصة أن تتصدى لنشاط اسرائيل بل وتحقيق وجود عربى نشيط وفعال من خلال تسديد الضربات الى مكامين الضعف الصهيونى من جهة ومن خلال تمتين العلاقات العربية مع الدول المختلفة على أسس راسخة وهذه المهمة تتجاوز خنادق الدفاع الى مواقع الهجوم ، وهذا ما فعلته الجمهورية العربية المتحدة فى مؤتمرات منظمة الوحدة الافريقية ولكن على جامعة الدول العربية أن تكمل المشوار بالنسبة لباقى الدول وأن توصى بذلك ٠

مبدأ توازن القوى فى السياسة الغربية والتشريع الإسلامى فى العلاقات الدولية

الأستاذ محمود كمال

١ — لقد أدركنا ، نحن العرب ، منذ وعد بلفور ، ثم اغتصاب فلسطين ، وما عاصر هذا وذاك من كشف الغطاء عن الحركة الصهيونية التى قامت ، وما تزال قائمة ، على أكتاف الاستعمار الغربى ، تتلقى منه العون والمساعدة ، فى شتى صورها ، مادية وأدبية وسياسية ، فى كل المحافل الدولية ، والهيئات العالمية وذلك بمختلف الوسائل ظاهرة كانت أو خفية ، تقول لقد أدركنا منذ بداية هذه الحركات كلها ، حقيقة العوامل والدوافع التى حملت ، وتحمل ، دوائر الاستعمار على هذا المسلك فى تأييد اسرائيل والصهيونية .

فلقد تأكد لدينا أن هذا التأييد انما يرتجى منه تمكين اسرائيل من تثبيت أقدامها فى قلب العالم العربى ، والتوسع فى أراضيه خدمة للاستعمار وتمكينا له من أهدافه وسط هذا العالم العربى.

ولقد أصبح هذا التأييد سافرا يشكل أساسا من الاسس التى تقوم عليها سياسة الغرب ، وخاصة الولايات المتحدة الامريكية .

على أننا لم نسكت أمام الاحداث الجارية ، ولم نلتزم الصمت كما كان يراد منا أن تفعل ، ولكننا أبرزنا هذه الخطة فى ثوب شفاف يراه كل انسان ، تنويرا للرأى العام العالمى ، وتبصيرا له بحقائق هذ هالسياسة وأغراضها ، حتى لقد أصبحت هذه الحركات الاستعمارية مرئية رؤيا العين .

وكان من المساعدات التى يبذلها الاستعمار لاسرائيل ملايين بل بلايين ، الدولارات ، والعون العديد من صفقات الاسلحة والعتاد الحربى ، بأنواعه المختلفة ، لا من أمريكا وانجلترا وحدهما ، ولكن من ألمانيا الغربية أيضا .

على أنه يبدو أن ألمانيا الغربية قد قدمت ما قدمته الى اسرائيل من معاونات هائلة تحت الضغط الامريكى المتزايد بحجة « عقدة الذنب » التى قيل لها انها ذات أثر سىء لدى اسرائيل والصهيونية وانه يجب التكفير عنها ، « وعقدة الذنب » هذه التى أوهموا العالم بها هى عبارة عن الذنب الذى ارتكبه هتلر بتعذيب اليهود ومعاملتهم معاملة وحشية قاسية ، كما يقولون ، ومطاردتهم فى كل مكان كان له فيه سلطة وسلطان .

وطالما أن هتلر قد فعل ذلك فلا بد أن تتحمل ألمانيا نتائج فعلته بأن تعوض اسرائيل ، التى وصفوها بأنها ممثلة لليهود فى العالم كله ، وذلك بدفع القناطير المقنطرة من الذهب والفضة — والذهب والفضة هما المعبودان اللذان يسجد لهما الاسرائيليون أينما يكونان .

ولم يقتنع العالم بهذه العقدة المفككة الاوصال ، لان الاضطهاد الذى لقيه اليهود من هتلر انما كان جزءا من سياسته وسياسة حكومته النازية ، ولقد تجرع العالم كله صاب هذه السياسة وعلقمها ، وعانى منها ما عانى من آلام ومآسى تفوق الوصف ، فلم تكن سياسة قاصرة على اليهود دون غيرهم ، فهل كان واجبا على ألمانيا الغربية ، اذن ، أن تعوض العالم الذى أصابته هذه المحن من جراء سياسة هتلر ؟ .

على أن التأييد الذى تتمادى فيه الدول الاستعمارية لاسرائيل لم يتوقف عند حد ، ولم يقتصر تبريره على الحجة السالف ابداؤها من حيث « عقدة الذنب » بل لقد أبدى الاستعمار ما فى جعبته من حجج أخرى فى محاولة لاقناع الرأى العام العالمى بسلامة موقفه ، وكان من ضمن هذه الحجج والمبررات القول « بضرورة توازن القوى فى الشرق الاوسط ، وضرورة مراقبة سباق التسلح بين العرب واسرائيل » .

ومعنى هذه الحجة التى يتذرعون بها أمام الرأى العام العالمى تمويها وتضليلا ، هو أن الاستعمار يمد اسرائيل بما تحتاج اليه من الدولارات والمعدات الحربية لتكون ذات قوة مساوية وموازية للقوى العربية المضادة لها .

فهل يجوز فى شرعة الحق والعدل والانصاف .

وهل يجوز فى شرعة السياسة التى رسمت لعصبة الامم ثم لهيئة الامم من بعدها .

وهل يجوز فى عرف الرأى العام العالمى :

الانتصار للظالم على المظلوم ، ومعاونته على التمادى فى ظلمه ؟

أو هل يجوز مناصرة المغتصب لكى يبتلع ما اغتصبه قوة وقهرا بينما يقف منه المغتصبون عاجزين عن مناصبته ومدافعته عن أرضهم المسلوبة ووطنهم الضائع ؟

اللهم ان تلك حجة ينطق بها لسان القوة المادية ، ولا يمكن أن ينطق بها لسان الحق ، لانها زيف فى زيف ، وزور وبهتان غير خافيين على أحد . وان هذه الحجة « لتلغى تماما كل قيمة أصيلة من القيم التى ينبغى أن تقوم عليها علاقات الدول وسياساتها ، وتهدر الاختلاف الرئيسى بين موقف المعتدى عليه ، وتسوى فى المعاملة بين صاحب الحق ومغتصب الحق ، وهى – بهذا كله – تعنى تجريد السياسة الخارجية لتلك الدول من كل أثر للضمير الذى تتعلل به حين تتحدث عن الشعور بالذنب » .

وبهذه المثابة فان تلك السياسة تعتبر مماثلة للسياسات التى كانت سائدة فى عهود قديمة ، موغلة فى القدم ، من حيث أنها كانت محكومة لا بمعايير الاخلاق والاداب الفاضلة ، ولكن بمعيار عتيد ، من نوع آخر ، يوازن بين القوة والضعف ويقدر أنه « عندما يتعلق الامر بالقضايا الانسانية الهامة لا يتحقق الخضوع للعدالة الا اذا اقتضت الضرورة ذلك ، والقاعدة الوحيدة فى هذا هى : السلطان بالنسبة للقوى ، والخضوع بالنسبة للضعيف ، وأنه فى كل مكان توجد فيه القوة تقتضى الضرورة المحتومة أن توجد السيادة » .

واننا لنلمس – بعد هذا البيان – أن السياسة التى تجرى عليها دول الغرب ازاء موقف العرب واسرائيل ، وعلى الاخص فى الوقت الراهن بالنسبة للمواجهات الدائرة فى جبهات القتال هى سياسة متحيزة مغرضة معقدة بقوتها المادية وسلطانها المتحكم فى الدوائر العالمية .

٢ – هذا وقد حدا بنا موقف هذه الدول من الدول العربية ان نعقد مقارنة هادئة سريعة ، بين سياستها هذه التى تجرى عليها فى العلاقات الدولية ، كما شرحناها فيما تقدم ، وبين سياسة الاسلا مبالنسبة لتلك العلاقات .

واليك البيان :

من المعلوم أن القرآن الكريم جاء شاملا لاصول الاحكام فى شئون الديـن والدنيـا ، ومن أهم ما ورد من هـذه الاحكام ، الاحكام المتعلقة بالكيفية التى تجرى عليها الصلات بين الدول بعضها وبعض والسياسة التى تتبع فى هذا الشان وتعنى بذلك « العلاقات الدولية » التى أختيرت عنوانا لهذا المقال

ولقد أقام القرآن الكريم هذه العلاقات على أسس صريحة ، واضحة من العدالة المطلقة ، وتجنب المظالم ، وتحاشى الاعتداء بغير مبرر شرعى أو مقتضى أخلاقى ، كما حذر القرآن المسلمين من اقامة علاقاتهم مع الـدول الاخرى على أسس مخالفة أو مغايرة لتلك الاسس ، أو اقامتها على موازين ومعايير فيهـا انحراف عن مقتضى هذه الاحكام .

ولسوف نرى ، فى هذه السطور ، أن هذه الاحكام المنزلة من لدن العليم الخبير انما تدعو الى النصفة فى العـلاقات العـامة والخاصة ، وعدم الانسياق مع رغبات الغزو والفتح ، وغريزة الطمع ، والجشع ، والنهم الى اغتيال الاخرين وسلب حقـوقهم المشروعة .

ليس هذا فحسب بل ان الاسلام وضع قواعده هذه لتنظيم العلاقات الدولية ليس فى أوقات السلم فحسب ، ولكن فى أوقات السلم والحرب معا ، حتى لا يترك للمسلمين مجالا للاندفاع وراء الرغبة فى الغلبة والقهر على الاخرين ، وجر مغانم لا هـ قلهم فيها ، كلما آنسوا من أنفسهم قوة دافعة ، أو رغبة جامحة فى سلوك هذا المسلك الذى لا ترتضيه الفضائل ، ولا هو من الاخلاق فى شىء ، والاسلام انما بعنى ، اول ما بعنى بمراعاة الفضائل والاخلاق ، والحث عليها ، وهو يدعو الى التمسك بأهدابها فى كل شئون الحياة ، كما يحذر ، دائما ، من الخروج عن حدودها ، أو الانزلاق فى سبيل غير سبيلها .

واليك ، أيها القارىء ، آيات كريمة تجلو هذه الحقائق التى نعرضها عليك فى هذه السطور السريعة :

استمع الى قول العزيز الحكيم : « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والاقربين » [سورة ٤ آية ١٣٥ .

« وجزاء سيئة سيئة مثلها ، فمن عفا وأصلح فاجره على الله انه لا يحب الظالمين » . (سورة ٤٢ آية ٤٠) .

« وعنت الوجوه للحى القيوم ، وقد خاب من حمل ظلما » (سورة ٢٠ آية ١١١)

« فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرفا ولا نصرا ، ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا » (سورة ٢٥ آية ١٩) .

فهذه الايات ، كما ترى ، سداها ولحمتها فرض العدالة المطلقة على المسلمين ، والزامهم بالقسط فى المعاملات كافة ، عامة وخاصة ، ومراعاة هذا المبدأ واجب محتوم حتى ولو ترتب عليه اساءة الانسان الى نفسه ، أو اصابته نصر مهما يكن ، أو ترتب عليه الاساءة بشىء من ذلك الى الوالدين ، وهم أولى الناس بالاحسان اليهم من لدن أبنائهم ، وأحق خلق الله بعدم جلب أى مضرة عليهم ، لان لهم ، أو يجب أن يكون لهم ، فى نفوس هؤلاء الابناء أسمى منزلة وارفع مكانة ، تلك سـنة الله التى استنها ، وحكمته التى شرعها، للعلاقات بين الاباء والابناء، فاذا كان هذا التشريع الاسلامى قد حذر من الجور ، واختلال الميزان ، فى المعاملات الجارية بين الناس ، والجارية بين الدول الى هذا الحد فانما هو قد فعل ذلك لان أحكام الخالق كلها تقوم على تقديس الفضائل والاداب ، بمختلف صورها ، فى كل مقتضى من مقتضياتها دون أى استثناء ، وقد حذرت هذه الايات من مخالفة هذه الاسس جميعها ، اذ صرحت بأن الله ، سبحانه وتعالى : « لا يحب الظالمين » ، فكيف بانسان الله لا يحبه أو هو يكره منه أن يرتكب نواهيه ، ويقدم على معصيته فيما أمره به كما نبهت هذ هالايات ، أيضا ، الى أن مغبة الظلم الخيبة والخسران فى الحياة الدنيا ، وفى الاخرة عذاب أليم ، وناهيك عن التهديد فيها بالخيبة فالانسان الذى يخل بالعدالة ، ويجرى على سنة الاقدام على المظالم سوف يجد فى الحياة مالا قبل له به من المكاره ، والمتاعب ، يقاسيها ويتجرع عواقبها من صاب وعلقم ، وله فى الاخرة عذاب أليم .

هل ترى ، أيها القارىء ، من حث عل ىالتمسك بهذه الخلال الكريمة أفضل من هذا ، أو تجد تعبيرا أوضح من هذا التعبير أو أكثر منه جلاء ؟

واذن فان الاسلام قد شرع العدالة فى العلاقات الدولية ، فلا ظلم ولا عدوان ، ولا اغتصاب ، ولا انتهاز لفرص ضعف فى الاخرين ، ولا مساعدة للظالمين على المظلومين ، ولا انسياق وراء رغبات جامحة فى الاضرار بالافراد أو الجماعات أو الدول، اللهم الا أن يكون لهذا مقتضى من المقتضيات الحتمية التى سوف يأتى الكلام عليها توا فى بيان عن الاحكام الاسلامية فى هذا الصدد .

ونضيف الى ما تقدم أن الاسلام يكره الاستعلاء وحب السيادة والسيطرة والفساد ، الى أقصى درجـة من درجات الكراهية اذ يقول تعالى : « تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا ، والعاقبة للمتقين » .

فكل فرد أو جماعة أو دولة تتيه بقوتها أو تفتن بعظمتها ، أو يتملكها الغرور بما لها من سلطة فى العالمين ، فتعبث ما شاءت لها نفسها أن تفعل ، بحقوق الاخرين ، وتعتدى عليهم ترتكب مخالفة لما شرع الله لعباده ، ولسوف تدور عليها الدوائر يوما من الايام ، فتتجرع الكأس نفسها التى أذاقتها من قبل للمستضعفين : « وتلك الايام نداولها بين الناس » .

٣ — وقبل أن ننتهى من الكلام على تشدد الاسلام فى اقامة الميزان فى العلاقات كافة ، ومنها العلاقات الدولية ، نذكر أن فريقا من الاجانب بلغ به حد الاعجاب بهذه المبادىء القويمة الى القول « بان هذه الحقوق توشك أن تكون هى المبدأ الثانى الذى نادى به الاسلام بعد التوحيد ، ويذكر هذا الفريق للتدليل على عناية الاسلام الفائقة برعاية حقوق الغير تلك العبارة الاسلامية المأثورة وهى أن الظلم الذى يقع على الناس من أفراد أو جماعات حتى لو كان على غير معرفة من المظلومين يبقى عبئا على فاعله أو فاعليه ، ويظل فى عنقه حتى يعترف أمام المظلوم ويرد اليه حقوقه كاملة ، ويظفر منه بابراء ذمته فى وضوح لا يعرف المواربة ومعنى هذا فى صراحة أن الاسف والندم النظريين لا يجديان فتيلا » .

٤ — والى هنا نكون قد فرغنا من الحديث ، فى اختصار ، عن العلاقات الدولية فى السلم ، كما بينها الاسلام ، وبقى أن نتحدث ، فى اختصار أيضا ، عن هذه العلاقات فى الحرب .

ولما كان البشر قد جبلوا على التنازع على البقاء ، وعلى حب السيطرة والاستعلاء والطمع فيما هو فى يد الغير من ثروة وخير، واغتيا ل الضعفاء عند الفرصة المواتية ، فان ذلك يولد الخلافات ويخلق المنازعات ، فيحل الخصام محل السلام والوئام .

٥ — (أ) وأول مبدأ من المبادىء الاسلامية التى تعرضت لحالة الحرب ، هو دعوة المسلمين الى تجنب الاعتداء ابتداءا ، ونهيهم عن ذلك فالله ، سبحانه وتعالى يقول : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا، ان الله لايحب المعتدين » (سورة ٢ آية ١٩٠) .

« ولا يجر منكم شنآن قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا ، وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان : واتقوا الله ان الله شديد العقاب » .

فالابتداء بالعدوان دون مبرر مشروع منهى عنه فى الاسلام ، كما ترى من هاتين الايتين .

والاسلام لم يفته أن يندد فى هذه النصوص بالاعتداء بهذه الكيفية ، وأن يمنع المسلمين من الالتجاء اليه ، والتعاون عليه ، لانه ينطوى على منافاة للعدالة والفضيلة والاخلاق .

وفضلا عن هذا النهى والتنديد فان الاسلام ينبه الى ما يترتب على مخالفة هذا المبدأ من غضب الله على المعتدين ، وينبه أيضا الى ضرورة عدم التعاون على العدوان لانه اثم من الاثام

وهذا المبدأ الاسلامى جدير بالاعتبار ويوضعه موضع التقدير لانه يهدف الى الحيلولة دون وقوع الحرب وما تسببه من كوارث تصيب طرفيها ، سواء منهما المنتصر أو المنهزم .

(ب) — وأما المبدأ الثانى فهو أمر من الله بقتال المعتدين ظلما وبغيا ، والنهوض الى جهاد فى سبيل الوطن والدين ، وفى سبيل اجلاء هؤلاء المعتدين عن الارض السليبة ، التى دخلها العدو عنوة ، وطرد منها أهلها وأصحابها قوة واقتدارا .

فالله جل شانه يقول : « اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وان الله على نصرهم لقدير ، الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله ... » .

« وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ، أن الله لايحب المعتدين : واقتلوهم حيث ثقفتموهم (أى وجدتموهم) وأخرجوهم من حيث اخرجوكم، والفتنة أشد من القتل ولاتقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم

ومن مقتضى هذا المبدأ أن لا يسكت المعتدى عليهم على أى اعتداء وعدوان ، بل لا بد لهم ممن المبادرة الى حرب المعتدين ومناجزتهم ، وتتبعم حيث يوجدون ، وتقصى آثارهم أينما يكونون ، واثخانهم ، والفتك بهم ، وتقتيلهم دون رحمة أو اشفاق ، جزاء ما أقدموا عليه من عدوان دون مسوغ أو مبرر ، وقصاصا من ترويع الامنين فى ديارهم ، وتشتيت شملهم : وتفريق جمعهم ، وطردهم من أعز بقعة عليهم فى الارض ، وهى وطنهم الذى يفتدونه بالمهج ، وكل نكوص أو توان عن هذا الواجب المحتم على كل مسلم غيور على دينه ، وشرف بلاده وأوطانه ، وحرمة أهله ودياره ، هو جريمة فى حق الامة ، وجريرة لا تغتفر .

٦ — (ج) — والمبدأ الثالث — حث للمسلمين على التطوع لاغاثة المظلومين ، واعانة المضطهدين ، والقتال فى صفوفهم ضد المغيرين ان دعت الضرورة لقتال ، وليس للمسلمين فى هذه الحالة من غرض فى كسب أو منفعة ، وانما هم يسعون الى التعاون مع المظلوم والى حماية الضعفاء من النساء ، والاولاد ، والشيوخ ، والاخرين المتخلفين عن الحرب فى سبيل أوطانهم لاسباب تعجزهم عن أداء ذلك الواجب المحتوم ، كما أنهم يسعون لمشاركة المظلوم فى الدفاع عن الاعراض والاموال وغيرها .

والواقع انه ليس من تشريع على الارض يرتفع بالانسانية الى مثل هذه الدرجة السامية فهو يستنهض همة الرجال للخير ودفع الظلم لوجه الله وللمروءة دون نفع مرتجى أو كسب مأمول .

ولعلك ترى الفارق الواسع الشاسع بين هذا التشريع الذى يهدف الى حماية المستضعفين ونجدتهم وبين ما تبيحه الحرب فى هذا العصر الذى يصفونه ظلما بانه عصر الحضارة والمدنية — تلك الحرب التى تسمح بترويع الآمنين فى عقر دارهم ، ومهاجمتهم فى غير ميدان ، وهم عزل لا حول لهم ولا قوة ، ورميهم بالقنابل الخانقة والحارقة وغيرها من معدات التخريب والتدمير .

ان دول الغرب المشبعة بروح الاستعمار ، والمقودة بروح السلب والنهب ، لا تسعى لانصاف مغبون ومظلوم ، ولكنها تشجع الظالم على ظلمه ، وهى لا تاخذ بيد الضعيف الى النجاة ، ولكنها تجره الى التهلكة ، ولله عاقبة الامور .

٧ — (د) — والمبدأ الرابع — تقول الاية الكريمة « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ، ان الله لا يحب المعتدين، واقتلوهم حيث ثقفتموهم، واخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ، ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم ، كذلك جزاء الكافرين ، فان انتهوا فان الله غفور رحيم ، وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله ، فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين .. »

شملت هذه الاية أحكاما سبق بيانها فى المبادىء السابقة ولكننا نتصدى الان للكلام على ما اشتملت عليه من أسباب وقف القتال ومن هذه الاسباب « لاتكون فتنة فى الدين ويكون الدين لله »وذلك لكى يحصل الناس على حريتهم الدينية من غير اضطهاد فيها وتعذيب عليها ، فاذا ما تحقق هذ الفرض واطمانت اليه النفوس وجب وقف القتال .

وكذلك يجب وقف القتال عندما يكف المعتدون عن اعتدائهم ويرجعون عن محاربة المسلمين ، فلا تغمد السيوف الا بعد أن ينال المسلمون نصرا مؤزرا بحطم العدوان والمعتدين .

وأكتفى بهذا القدر توخيا للاختصار .

ياهلال

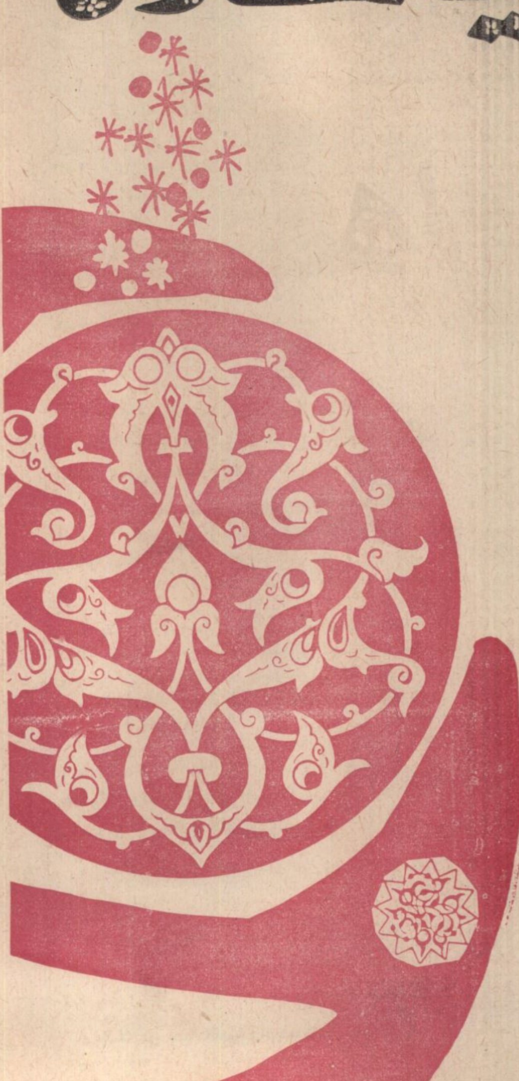

[الاذان] الهفهاف رجع فى الكو
ن تحاياك .. فرحة بلقائك

وعيون الاحباب ترقب مسرا
ك .. وتحلو لها كئوس ضيائك

وتعب الامال يحرسها اللـ
ـه فتجلى الالام عن آفاقك

بدء عام .. وانت بدء حياة
جدد المجد فى ديار آذانك

واحتضن بالحنان كل فؤاد
يتسامى بالدين من أبنائك

ليس للكون من دواء سواه
حين يجلو الارواح فيض صفائك

* * *

ترقب الارض والسماء خطانا
وجلال الاسلام فى محرابك
ذكر المسلمين .. ان يد اللـ
ـه ستفنى الاوغاد من أعدائك
حرقوا المسجد العظيم .. وعاثوا
حرقوا .. مزقوا جلال كتابك
وتنادوا على المفاسد .. والشـ
ـر .. وجاءوا بالسادرين فى بغضائك

—

ذكر المسلمين .. ان هدى اللـ
ـه .. يؤاتى المقربين من خلصائك
ذكر المسلمين .. ان يتباروا
كى تسير الحشود تحت لوائك
ان نصر الرحمن يدنو لقوم
قد تلاقوا على قداسة آيك

* * *

يا هلال المحرم .. اليوم تاتى
ولهيب الاحداث ملء ديارك
فى ديار الايمان يعتنق الشـ
ـرك .. ويمضى مراده لاضطهادك
مثلما كان [للمغول] ببغدا
د .. شرور وحدة فى عدائك
واندفاع الشيطان .. ينهب فيها
وعلى الشام مطبق بالمهالك
[ولهولاكو] صولة الذئب فى النا
س .. ويلقون فى غياهب حالك[1]

---

[1] بعد ان استولى المغول على بغداد وقتلوا الخليفة ، ونهبوا وسلبوا فى المحرم عام ٦٥٦ هـ وأطبقوا على الشام ، وتطلعوا الى مصر جهز قطز جيشا بزعامة بيبرس من ثلاثين الف مصرى ودارت الدائرة على كتبغا قائد المغول ، وبددت مصر جموعهم فهبت الشام وانقضت على من فيها وسلمت العروبة.

المحرم

الشاعر محمد حليم حامد غالى

وتلظت على الشآم نفوس
وتوالى الدعاء نحو سمائك
فاستجابت ارادة الله للحـ
ـق وهبت أفواجنا للمعارك
نبعث العزم فى الشبيبة والشيب
بروح منور من صباحك
فتسامى [بعين جالوت] شعبى
وتهاوى المغول بين المسالك

* * *

عد الينا .. وجدد المجد .. واذكر
يوم جاءوا الى هنا لقتالك
توالت مواكب الشرك .. حتى
[أرض دمياط] [1] بين فيض ضيائك
تحت راياتهم يرفرف معنى
عنصرى .. يجد فى اطفائك
ليس باسم الاديان جاءت ولكن
كى تذل الالاف من أقوامك
فتنادت عزائم الشعب فى مصـ
ـر .. وردت بعزمها عن كيانك

* * *

[ولشدوان] فى المحافل ذكر
قد أعادوا الامجاد من أيامك
فتية النيل فى المعارك هبوا
فأضاءوا العلا بروح شبابك
وأعادوا على جزيرة شدوا
ن .. بطولات صانعى محرابك
قلة تملك العقيدة والصبـ
ـر .. فتغنى بمعطيات ثباتك
ثم صلوا بأرضها فى جلال
فوق ساح الدما .. وتحت قبابك

* * *

فخذ اليوم فى ذراعيك شعبى
طف بأمجاده على أجوائك
طر به فى عوالم الخلد واهتف
فى روابيه .. فى قداسة شانك
لم تلن مصر يا هلال .. وعاشت
فى ظلال الاسلام .. أرض مناسك
كانت الدرع للعروبة والشرق
.. وضد الاحقاد من أعدائك
رادها [عمرو] بالصلاة وبالذكـ
ـر .. فصارت منارة لكتابك

1] فى ليلة الاربعاء ٣ من المحرم سنة ٦٤٨ هـ بعد ان حاصر الصليبيون المنصورة واستعصت عليهم القوا نظرة كاسفة عليها ثم وضعوا قنطرة على البحر الصغير ليعبروا عليها الى فارسكور ودمياط وتركوها وراءهم فانطلق الجيش المصرى خلفهم ومزقهم وطردهم من مصر كلها .

رجال صنعوا التاريخ

الأستاذ محمود الجرسى

وقف وقفة المزهو بين أركان حربه وهو يتابع من حمص مسيرة هذا الجيش العجيب الذى بلغ أربعين ومائتى ألف مقاتل أو يزيدون وسيره الى الجنوب لملاقاة الغزاة ..

وقف فى ساحة المدينة الكبرى ، وأشعة الشمس الوضاءة تنعكس على شرائط الذهب وقطع الماس التى طرز بها طيلسانه ، فتتوهج بها توهجا يخطف الابصار ، ويعشى النظر ! ! وقف فى كامل زينته تداعبه الامال ، وتطوف به أحلام مسعده ، ويحدوه أمل فى النصر على تلك الشراذم التى انطلقت من صحرائها تحاول ان تنطح بقرونها الواهية هذا الجبل الصلد الوكيد !!

وكان من حق هرقل « امبراطور الروم » ان يتيه ويزهو ، فقد خرج منتصرا من حرب مريرة مع أكبر امبراطورية فى الشرق وهى امبراطورية الاكاسرة فى الفرس . وكان الفرس قد أدالوا من الروم ، وهزموهم ، وحاصروا عاصمتهم القسطنطينية ، وانساحوا فى أملاك الروم حتى ملكوا الشام وفلسطين ومصر ، ونقلوا الصليب المقدس من بيت المقدس الى المدائن ، ثم تولى هرقل أمر الروم ، فجمع من عزائم قومه ما تبدد ، ومن قوتهم ما وهن ، وكانت له فى « نينوى » وقفة الظافر المنتصر ، فاسترد بلاده الضائعة ، وطارد الفرس حتى أبواب المدائن ، وأعاد الصليب المقدس الى « أورشليم » فى حفل دينى لم تشهد البلاد مثيله ، ودخل به المدينة المقدسة عارى الرأس حافى القدمين شكرا للاله الذى منحه النصر ، ومكنه من أعدائه .

كان هرقل بعد هذا الانتصار الساحق من أبطال الاساطير فى نظر الرومان ، وتناول شعراء الروم أمجاد انتصاراته على الفرس فتغنوا بها فى كل مكان ، فكيف يعمل حسابا لهذه الجيوش التى انحدرت من بيداء العرب لتغزو الشام ، وتجترىء على الروم فى أمنع حصونهم ؟ ؟ .

ان انتصار هؤلاء العرب على الفرس فى سواد العراق لا يعتبر مقياسا لقوتهم حتى يخشاها أو يحذرها ، فقد دار فى خلده أن هذه الانتصارات ليست راجعة الى قوة خارقة فى هؤلاء الغزاة كما يتحدث الناس عنهم بقدر ما هى راجعة الى احوال فارس . اذ كان عرش فارس فى مهب الرياح تدور من حوله المؤامرات والدسائس وجنودها يقاتلون العرب ، وكان قوادها يتآمرون على السلطة والنفوذ ، وفوق ذلك كانت فارس لاتزال تدوى فى آذانها أصداء هزيمتها أمام الروم فى نينوى ، ولما تلعق جراحها بعد !!

أما هنا .. هنا فى مملكة الروم، فالامر يختلف جد الاختلاف : امبراطور واحد تلتف من حوله القلوب ، وجند مجهزون بأحدث أسلحة القتال ، وقادة متفاهمون لا يشجب آراءهم خلاف ، وبلاد وفيرة الخيرات تمد الجيش بكل ما يحتاج اليه .

وكان فى نية الامبراطور أن يلاقى جيوش المسلمين التى انحدرت الى الشام منفردة قبل ان تجتمع فى اليرموك حتى تسهل ابادتها جيشا بعد جيش ، ولكنهم تداعوا الى اليرموك حين بلغتهم أنباء هذه الحشود الضخمة ، واستمدوا أبا بكر ، فامدهم بخالد كما أسلفنا .

عند ذلك تطامن هرقل قليلا ، وخفف من غروره وزهوه ، فقد أدرك أن فرصة الانفراد بكل جيش على حدة قد ضاعت منه ، وأن ما كان من السهل ادراكه والجيوش متفرقة بات بعد أن اجتمعت فى اليرموك يتطلب منه جهدا وتضحية .. وزاد من هواجسه وقلقه ما ترامى اليه من أنباء هذا القائد العربى الذى انحدر الى أرض المعركة من الشمال ، يعتسف الصحراء ويفض الحصون ، ويقتحم المعاقل . والذى طارت فى العراق أنباء معاركه المظفرة .. كل هذا خفف من حدة غروره ، وجعله يحشد كل طاقاته لمعركة اليرموك ، وأصبح كل من الفريقين ينظر الى معركة اليرموك على اعتبار أنها المعركة الفاصلة فى مصير كل منهما كما قلنا فى مقالنا السابق .

ولقد وقفنا بخالد بعد أن خطب الجيوش ، وجمعها تحت قيادته وقسم الجيش كراديس بلغ عددها اربعين كردوسا ، وكان رؤساء الكراديس من أهل النجدة والغناء ، وابطال الملاحم فى كل معترك ، من أمثال أبى عبيدة بن الجراح ، والقعقاع بن عمرو وعكرمة بن أبى جهل ، وعياض بن غنم ، والحارث بن هشام ، وضرار بن الازور ، وغيرهم .

ولما ان تم لخالد ما أراد من حسن التعبئة ، وكمال الاستعداد والهاب الحماس ، وحفز المشاعر ، رأى أن الفرصة قد سنحت للانقضاض على عدوه ، بعد ان طال انتظار الجيشين امام بعضهما البعض شهورا كثيرة . ولكن خالدا راى ابراء لذمته ، وحقنا لدماء المسلمين ان يرسل وفدا الى قائد الروم وأميره « تيودور » يدعوه الى الاسلام أو الجزية أو الحرب ، وكان الوفد مكونا من ابى عبيدة ويزيد بن أبى سفيان والحارث بن هشام وضرار بن الازور ، ولما وصل الوفد أمام جيش الروم نادى أبو عبيدة : انا نريد كلام أميركم وملاقاته ، فدعونا ناته ونكلمه ، فاذن لهم ، وأراد « تيودور » أن يهولهم بالبذخ والثراء ، ويكسر نفوسهم بما يريهم من حلل الابهة والنعيم ، فاقام لهم سرادقا من فاخر الحرير يستقبلهم فيه ، ومن حوله ثلاثون سرادقا مثله تموج بالحرير والطنافس ، فلما انتهوا اليها أبوا أن يدخلوا عليه منها ، وقالوا : ان ديننا يمنعنا أن نفترش الحرير والديباج ، فابرز الينا ، فبرز الى فرش ممهدة ، وتكلم معهم ، ولم يتات بينهم وبين المسلمين صلح ، فرجع أبو عبيدة وأصحابه الى خالد ، وأخبروه بما تم بينهم وبين قائد الروم ، فلم يبق بد من امتشاق الحسام ، وخوض المعركة .

أمر خالد مجنبتى القلب أن ينشبا القتال ، وكان عليهما القعقاع ابن عمرو وعكرمة بن أبى جهل ، فخرجا فى حماس ، وانشبا القتال ، والقعقاع يرتجز .

يا ليتنى ألقاك فى الطراد   قبل اعترام الجحفل الوراد

وعكرمة يجاوبه بقوله :

قد علمت بهكنة الجوارى   انى على مكرمة أحامى

ثم التحم الجيشان ، ودارت رحى المعركة ، والتحمت الاجسام بالاجسام ، وتكسرت النصال على النصال ، وتطارد الفرسان ، وخرست الالسنة ، وصمت الاذان الا عن قعقعة السيوف ، وأزيز الرماح ، وزئير الفرسان ، وخرج من صفوف الروم قائد قلب جيشهم ، فوقف أمام الصفين ، ونادى بأعلى صوته : ليخرج الى خالد ، فخرج اليه خالد : واقام أبا عبيدة مكانه ، فوافقه

بين الصفين حتى اختلفت اعناق دابتهما ، وقد أمن كل منهما صاحبه ، فقال جرجة قائد القلب لخالد : يا خالد ، أصدقنى ولا تكذبنى ، فان الحر لا يكذب ، ولا تخادعنى فان الكريم لا يخادع ، هل انزل الله على نبيكم سيفا من السماء فاعطاكه ، فلا تسله على قوم الا هزمتهم ؟ قال : لا ، قال : فبم سميت سيف الله ؟ قال : ان الله عز وجل قد بعث فينا نبيه صلى الله عليه وسلم ، فدعانا فنفرنا عنه ونأينا عنه جميعا : ثم ان بعضنا صدقه وتابعه ، وبعضنا باعده وكذبه ، فكنت فيمن كذبه وباعده وقاتله ، ثم ان الله أخذ بقلوبنا ونواصينا ، فهدانا به ، فتابعناه ، فقال لى : أنت سيف من سيوف الله سله الله على المشركين ، ودعا لى بالنصر ، فسميت سيف الله بذلك ، فانا من أشد المسلمين على المشركين . قال : صدقتنى ، ثم أعاد عليه جرجة : يا خالد ، أخبرنى الام تدعونى ؟ قال : الى شهادة أن لا اله الا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ، والاقرار بما جاء به من عند الله ، قال : فمن لم يجبكم ؟ قال : فالجزية ونمنعهم ، قال : فان لم يعطها ! ! قال : نؤذنه بحرب ، ثم نقاتله . قال : فما منزلة الذى يدخل فيكم ويجيبكم الى هذا الامر اليوم ؟ قال : منزلتنا واحدة فيما افترض الله علينا ، شريفنا ووضيعنا ، وأولنا وآخرنا . ثم أعاد عليه جرجة : هل لمن دخل فيكم اليوم يا خالد مثل ما لكم من الاجر والذخر ؟ قال : نعم ، وأفضل . قال : وكيف يساويكم وقد سبقتموه ؟ قال : انا دخلنا فى هذا الامر ، وبايعنا نبينا صلى الله عليه وسلم وهو حى بين أظهرنا ، تاتيه أخبار السماء ، ويخبرنا بالكتب ، ويرينا الايات ، وحق لمن رأى ما رأينا ، وسمع ما سمعنا ، أن يسلم ويبايع ، وانكم أنتم لم تروا ما رأينا ، ولم تسمعوا ما سمعنا من العجائب والحجج ، فمن دخل فى هذا الامر منكم بحقيقة ونية كان أفضل منا . قال جرجة : بالله لقد صدقتنى ولم تخادعنى ولم تالفنى !! قال : بالله لقد صدقتك وما بى اليك ولا الى أحد منكم وحشة وان الله لولى ما سألت عنه . فقال ! صدقتنى ، وقلب الترس ومال مع خالد ، وقال ! علمنى الاسلام ، فمال به خالد الى فسطاطه ، فشن عليه قربة من ماء ، ثم صلى ركعتين .

ولما رأت جيوش الروم اقتحام جرجة عسكر المسلمين مع خالد ظنوا أنها منه حملة ، فحملوا على المسلمين ، حتى أزالوهم عن مواقفهم ، الا المحامية من أبطال المسلمين ، فلم تذهلهم هذه الحملة النكراء ، فثبتوا فى أماكنهم ، ونـادوا على الناس فثابوا ورجعوا الى أماكنهم ، ومن طارت نفسه منهم شعاعا حصبته حجارة المجاهدات من عقائل البيوت القرشية التى كانت تقف خلف الجيش باعمدة الخيام والحجارة لتحصب بها كل فار ، فيعود الى مكانه من الصفوف .

وكر سيف الله زاحفا بالقلب على صفوف الروم ومعه جرجة حتى تصافحوا بالسيوف ، ولهذ خالد يقد بسيفه جموع الروم من لدن ارتفاع النهار الى جنوح الشمس للغروب ، حتى تضعضع الروم ، واختـرق القلب صفوفهم حتى كان بين خيلهم ورجلهم ، وكان مقاتلهم واسع المطرد ضيق المهرب ، فلما وجدت خيلهم مذهبا ذهبت ، وتركوا رجلهم فى مصافهم ، وخرجت خيلهم تشتد بهم فى الصحراء ، وعندما شاهد المسلمون خيل الروم توجهت للهرب ، افرجوا لها ، ولم يحرجوها ، فذهبت فتفرقت فى البلاد وأقبل خالد والمسلمون على الرجل ففضوهم ، فكأنما هدم بهم حائط ، فاقتحموا فى خندقهم ، فاقتحمه خالد عليهم ، فعمدوا الى الواقوصة ، وكـان فيهم من اقترن بالسلاسـل ، فهوى فيهـا المقترنون وغيرهم ، فمن صبر من المقترنين للقتال هوى به من خشعت نفسه ، وانخلع قلبه ، فيهوى الواحد بالعشرة لا يطيقونه وكلما هوى اثنان كانت البقية أضعف ، فتهافت فى الواقوصة عشرون ومائة ألف ، ثمانون ألف مقترن ، وأربعون ألف مطلق ، سوى من قتل فى المعركة من الخيل والرجل ، فكانت من أشد المعارك هولا ، حتى أن قواد الروم ورؤساءهم عظم عليهم أن يروا هزيمتهم باعينهم ، ففضلوا أن يريحوا أنفسهم من عـار الهزيمة ، فتجللوا برانسهم ينتظرون الموت وقالوا : لا نحب أن نرى يوم السوء اذ لم نستطع أن نرى يوم السرور ، واذ لم نستطع أن نمنع النصرانية ، فأصيبوا فى تزملهم ! !

ولم يسفر وجه الفجر فى تلك الليلة حتى كان خالد فى فسطاط « تيودور » تحيط به خيله ، وحتى كانت أعلام النصر ترفرف على رءوس المسلمين .

وفى اليرموك كانت بطولات لا يستطيع الزمن أن يفض من شأنها أو يتحيف من قدرها ، أو يجود بخير منها .. بطولات لا تصدر الا عن هؤلاء الصناديد الذين أشربت قلوبهم بنور الاسلام ، وتعاليم الاسلام ، فضربت للناس أروع الامثال ! !

من هذه البطولات ان عكرمة بن أبى جهل حين رأى هجمة الروم على صفوف المسلمين فى أول المعركة ، ورآهم يزيلون المسلمين عن مواقفهم ، صرخ فيمن حوله صائحا : أيها الناس ، لقد قاتلت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل موطن وآخر منكم اليوم ! ثم نادى : من يبايع على الموت ؟ فبايعه الحارث ابن هشام ، وضرار بن الازور فى اربعمائة من وجوه المسلمين وفرسانهم ، فقاتلوا قدام فسطاط خـالد ، حتى أثبتوا جميعا جراحا ، وقتلوا الا من برأ ، وأتوا بعد ما أصبحوا بعكرمة جريحا الى خالد فوضع رأسه على فخذه ، وجاءوه بابنه عمرو ابن عكرمة فوضع رأسه على ساقه ، واخـذ يقطر لهما الماء فى حلوقهما ، ويمسح عنوجوههما . ويقول: هنيئا لكما الشهادة !!

واقتحم الزبير بن العوام صفوف الروم أكثر من مرة ، وهو ينادى على أصحابه ان يتبعوه أما الى النصر أو الشهادة .

وخرجت جويرية ابنة أبى سفيان تقاتل فى المعركة بجوار زوجها وما زالت تقاتل حتى أصيبت ، وأعياها النزف عن الاستمرار فى القتال ! ! .

وحملت اسمـاء بنت يزيد الاشهلية عمود خبائها ، وهجمت به على صفوف الروم ، تضرب به كل من تقابله ، فقتلت بهذا العمود تسعا من جنود الاعداء :! .

ولما سقط فى المعركة أبان بن سعيد ، والحارث بن هشام ، وعياش بن أبى ربيعة ، دعا الحارث بماء ليشربه فنظر اليه أبان فرد الماء وقال : ادفعوه الى ابان ، فلما أخذه ابان نظر اليـه عياش ، فقـال : ادفعوه الى عياش ، فمـا وصل الى عياش حتى مات ، ولا وصل الى واحد منهم حتى ما توا جميعا .

وحين حمى وطيس المعركة صاح عمرو بن العاص فى الجنود وهو يتقدمهم : غضوا الابصار ، واجثوا على الركب ، وأشرعوا الرماح ، فاذا حملوا عليكم فأمهلوهم ، حتى اذا ركبوا أطراف الاسنة فثبوا فى وجوههم وثبة الاسد ، فوالذى يرضى الصـدق ويثيب عليه ، ويمقت الكذب ، ويجزى بالاحسان احسانا ، لقد سمعت أن المسلمين سيفتحونها كفرا كفرا ، وقصرا قصرا ، فلا تهولنكم جموعهم ولا عددهم ، فانكم لو صدقتموهم الحملة تطايروا تطاير الحجول ! ! وقال مثل هذا الكلام معاذ بن جبل والقعقاع ابن عمرو وابو سفيان .

وبلغت الهزيمة هرقل وهو دون مدينة حمص ، فاغرورقتعيناه بالدموع،وراح يودع البلاد المقدسة التى حارب طويلا لاسترجاعها من الفرس ، ليعود فيخسرها للعرب بقوله : سلام عليك يا سوريا سلاما لا لقاء بعده ، وامتطى جواده وهو منكس الرأس ليعبر جبال طوروس متجها الى الغرب .

وفى المقال التالى سنناقش أقوال المستشرقين عن هـــذه المعركة ، التى تعتبر من معارك الاسلام الفاصلة ، لنرى كيف تكون نظرة الحقد الى هذه الامجاد الرائعة .

للرد على الأضاليل الصهيونية

الأمة الإسلامية ورسالتها الحضارية

الأستاذ محيى الدين الألوائى

رأينا من خلال التجوال الذى قمنا به فى أحاديثنا السابقة حول مآثر المسلمين المجيدة فى ميدان الحضارة الانسانية الشاملة ، جانبا من العبقرية الاسلامية فى شتى فروع العلوم والفنون والاداب والفلسفة ، ومنهجها القويم الذى يرجع اليه الفضل الاكبر فى تطور الفكر الانسانى وتقدم المنهج العلمى الحديث . ثم قمنا بعرض عام لبعض رءوس الفلاسفة المسلمين وفضلهم على هذا التطور فى مختلف العصور .

دعنا الان نسرح ببصرنا الى المقومات الاصيلة لتلك الحضارة وعناصر الخلود فيها ، لاننا نرى اليوم الصهيونية وأبواقها المختلفة تقوم بدعايات ، مباشرة وغير مباشرة ، ضد أصالة الحضارة الاسلامية ومقوماتها ، وذلك للتشكيك فى مقدرة المسلمين على السير مع التقدم العصرى المتطور ، ولينحرفوا عن صبغة دينهم الاصيلة ، ويتأثروا بالعناصر الدخيلة ، وعندئذ تتحقق للصهيونية الماكرة ، الاهداف الخبيثة التى ترومها من وراء المؤامرات العديدة ضد هذه الامة وكيانها ومصائرها .

ان المهتمين بتراث الامة الاسلامية الحضاري والفكرى ، يجدون انفسهم أمام حقيقة واضحة تسبب لهم الكثير من بواعث التأمل ، فان الاسلام قد ظهر ، وما هى الا فترة قصيرة حتى شمل شبه الجزيرة العربية جميعا ، ولم يمض على وفاته صلى الله عليه وسلم وقت قليل الا وأعلام الاسلام ترفرف على أنحاء شبه الجزيرة ، ثم خلفه خلفاؤه الذين حفظوا الدين والدنيا ، فان هى الا فترة وجيزة أخرى حتى رأينا الاسلام يخضع أعظم الامبراطوريات التى عرفها العالم القديم .

بينما كان جنود الفتوحات يفتحون البلاد للدعوة الاسلامية ، كان جنود العلم يدونون العلوم المختلفة ويضعون القواعد ويرسونها لاقوى نهضة فكرية علمية عرفها تاريخ البشرية حتى عصرهم . ولما قارب القرن الثانى الهجرى على الانتهاء ، كانت العلوم العربية الاسلامية ــ كلها أوجلها ــ قد وضعت أصولها ومبادؤها وبنيت دعائمها على أسس متينة . وان حضارة فكرية تبلغ هذه الدرجة فى تلك الفترة القليلة ، لهى حضارة قائمة على مقومات خاصة ، جعلتها تسبق حواجز الزمن لكى تصل الى مدارج الكمال ، كما أنها حضارة جديرة بالبقاء .

ان الشىء الذى يلفت النظر فى هذا المضمار هو : كيف وصلت النهضة الفكرية لدى العرب المسلمين الى هذه الدرجة بهذه السرعة ؟ فان الاسلام دين علم وحضارة ، وانه قد أمد اتباعه بطاقة روحية جعلت منه ثورة حقيقية فى جميع مناحى الحياة . وهو الى جانب ذلك ، دين ايمان وعمل يجمع بين الحماس الروحى والاخلاص السلوكى ، كما أنه دين يخاطب العقل ويقبل الاجتهاد ويدعو اليه . ولم يبق امامنا اذن ، لمعرفة هذه الحقيقة والرد على تلك الاضاليل ــ الصهيونية الاستعمارية ــ المسمومة ، الا البحث فى موقف القرآن الكريم ازاء « البحث والنظر » وازاء « العلوم العقلية والكونية » . وبدراسة موقفه فى هذا المضمار يتبين لنا أن مدى حياة تلك العلوم وبقاءها بين الامة الاسلامية ، كانت مرتبطة بمبلغ وقوف هذه الامة على مبادىء هذا الكتاب الحكيم والتمسك بتعاليمه الفطرية السليمة .

ونزل القرآن أول ما نزل فى أمة أمية بعيدة عن المباحث العقلية والمسائل الكونية والطبيعية ، وقد ملكت قلوبهم أساطير آبائهم الاولين ، وما كانوا عليه من التقاليد والاوهام ، كما أشار اليه القرآن الكريم : « هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين » (الجمعه ٢) . فكانت المهمة الاولى للقرآن تحرير العقول البشرية من رق التقليد الاعمى وانهاضها واستحثاثها فى سبيل التفكير والنظر ، فحفز النفس البشرية لتقرأ صحف الطبيعة وتتدبر الايات التى أودعها الله فيها .

وبفضل مساعى القرآن بدىء عهد « البحث والنظر » فى ارض القرآن وولت فى ظله قيود الجمود والحجر الفكريين واستنارت البصائر وتحررت العقول فوطئت أمة القرآن معاقل الفلسفة والحكمة وعلوم الكون بعد أن ماتت أو كادت فى كل مكان ، وكان رائدها فى ذلك ارشاد نبيها العظيم : « الحكمة ضالة المؤمن » وقد علمتهم هذه الحكمة أن العلم ليس بعربى ولا عجمى ، وليس بشرقى ولا غربى ، فصار لاهل القرآن السبق فى كل مضمار من شعب الحياة ، وعقدت لهم قيادة عامة فى ميادين الحضارة والعلم والادب ، والفن والسياسة والصناعة والزراعة ، فاغتنموا ، بفضل الاسلام ، الثروات العلمية والذخائر الفلسفية فى بلاد العالم وترجموا الى العربية ، ما كان موضوعا منها باللغات الاخرى . وما زالت الامة الاسلامية تمسك بزمام الامور فى هذا

« البقيــة صفحة ١٧٥ »

لماذا الأمة العربية ؟

الأستاذ عبد السميع البطل

بينا فى المقالة الاولى تحت هذا المعنوان ، ان العرب من بين سائر الامم اختصوا وحدهم بشرف الانتساب الى الاسلام اولا، وان نبى الساعة كان منهم ، وان خاتمة الشرائع كانت فيهم ، وبينا العلل التى اقتضت هذا التفاضل ، ونزيدها ايضاحا فنقول :

كان الاسلام دينا سمحا ، لا عسر فيه ولا حرج ، وهـذا يتفق وطبيعة العرب الذين كانوا يعيشون على الفطرة التى فطر الله الناس عليها ، فهم لا يعرفون التعقيد فى حياتهم ، لا فى مسكنهم ، ولا فى مأكلهم ومشربهم ، ولا يتكلفون خلقا من الاخلاق، ولا امرا من الامور ، ولا يعرفون القابا خاصة للامـراء ، او الخلفاء ، ينادونهم باسمائهم عارية عن التبجيل والتعظيم يقدمون النصحية لهم دون لجلجة او تردد ، هكذا كان الامر زمن النبى — صلى الله عليه وسلم — والخلفاء الراشدين ، ومـع ان الاسلام أباح لهم الطيبات ، وقال عز من قائل [يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ، انه لا يحب المسرفين . قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنـوا فى الحيـاة الدنيا خالصـة يوم القيامة » ولكنه قيد هذا التمتع بالاعتدال وترك الاسراف بقـوله [وكلوا واشربوا ولا تسرفوا] .

فقد كان هـذا الطور الاول معانقـا لطور البـداوة ، حتى كان الامام على — رضى الله عنه — يرى ان أكل الحنطة المنخولة من النعيم ، وهو امير المؤمنين ، ولما استفحل امرهم واتسـع سلطانهم اقتضى ذلك التوسع فى النعيم والزينة : وما كان ينكر عليهم ذلك احد الا اذا رأوا انغماسا فى الترف والتوسع فى المباحات ، لما يستتبعه ذلك من الضعف والرخاوة فى الاجسام، والعجز عن حماية البيضة ، والدفاع عن الذمار ، كما هو سنة الله ، وقد نبه الى ذلك العلماء الاجتماعيون وفى مقدمتهم المؤرخ الاجتماعى ابن خلدون ، وهو يتحدث عن البداوة والحضـارة وما تمتاز به كل واحدة .

وقد ينكر المنكرون على من يتصدى لارشاد الناس من العلماء والوعاظ ، لانهم قدوة وعزاء لاهل البؤس ، وقد كان الرسول — صلوات الله وسلامه عليه — وصحابته المقربون يؤثرون شظف العيش عامة احوالهم لاجل هذه القدوة .

ذكر الغزالى فى الاحياء ، ان يحيى بن يزيد النوفلى كتب الى الامام مالك بن انس « بسم الله الرحمن الرحيم » وصلى الله على سيدنا محمد سيد الاولين والاخـريـن ، من يحيى بن يزيد ابن عبد الملك الى مالك بن انس ، أما بعد فقد بلغنى انك تلبس الدقاق ، وتأكل الرقاق ، وتجلس على الوطىء وتجعل على بابك حاجبا ، وقد جلست مجـلس العلم ، وضربت اليك المطى ، وارتحل اليك الناس فاتخذوك اماما ، ورضوا بقولك ، فاتق الله يا مالك ، وعليك بالتواضع ، كتبت اليك بالنصيحة حتى ما اطلع عليه غير الله سبحانه وتعالى والسلام .

فماذا كان جواب مالك امام دار الهجرة ؟ لقد كان جواب المسلم الذى يسمع القول فيتبع أحسنه ، ولا يحمله عظم مركزه على الترفع عن سماع النصيحة او اهمالها ، فكتب اليه يقـول : [بسم الله الرحمن الرحيم] وصلى الله على محمد وآل وصحبه وسلم . من مالك بن انس الى يحيى بن يزيد ، سلام الله عليك ، اما بعد فقد وصل الى كتابك ، فوقع منى موقع النصيحـة والشفقـة والادب ، امتعك الله بالتقوى ، وجزاك بالنصيحـة خيرا ، وأسأل الله تعالى التوفيق ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ، فاما ما ذكرت لى انى آكل الرقـاق ، والبس الدقاق واحتجب واجلس على الوطىء فنحن نفعل ذلك ونستغفر الله تعالى فقد قال الله تعالى [قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق] وانى لاعلم أن ترك ذلك خير من الدخول فيه ، ولا تدعنا من كتابك فلسنا ندعك من كتابنـا ، والسـلام .

ولقد أنكر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب على معاوية ما كان فيه من رائق المنظر ، وأبهة الملك ، وهو أمير الشام ، فاعتـذر معاوية بانه يجاور أقواما لا يهابون الحاكم اذا كان رث الهيئة ، فقال عمر : لا آمرك ولا أنهاك ، وقد لبس النبى — صـلى الله عليه وسلم — الطيالسة الكسروية ، والجبة الرومية وغيرها من الملبوس الفاخر لئلا يتحرج الموسرون من ذلك، وقد بالغ أبو ذر رضى الله عنه فى الزهد والتقشف ودعا الى انفاق كل ما زاد عن الحاجة ، بأن يأخذه الحاكم وينفقه فى وجوه المصالح العـامة ، فنفاه معاوية من الشام الى المدينة ونفاه عثمان الى الربذة حتى مات فيها ، وكان ذلك من الحاكم والخليفة تقية ان ينتشر رأيه فتضعف الهمم عن المكسب والعمل ، والامة لا تزال فى مهدها ، وهى بحاجة الى كل يد عاملة ، والى كل درهم يكتسب .

ثم أكب ملوك بنى أمية على زخارف الملك والاسـتمتاع بمـا زخرت به المملكة من النعـم ، وفترت هممهم عن القيـام بحقوق الخـلافة ومـا يجب من السـهر على الرعية ، فانتشرت الاراء والمذاهب المختلفة ، ومنها التغالى فى التزهيد فى الدنيـا ، والدعوة الى الاعتقـاد بأن الدنيـا والاخره ضرتان متعـاديتان لا يجتمعان ، وقد كان هجيرى الخطباء والوعاظ هذه الدعاوى ، واستخدمها القصاص فى المساجد ، فزرع ذلك فسيل الكسل .. وقعد بكثير من الناس عن العمل ، ونسوا تعاليم القرآن [انا جعلنا ما على الارض زينة لهـا لنبلوهم أيهم أحسن عملا] ، وبجانب هـذا الفريق فريق آخـر يصرف الناس عن النظر فى العلوم الكونية والعقلية ، بدعوى انهـا مفسـدة للعقـائد ، مشككة فى أصل الدين ، ومن ذلك انهم حرموا تعـلم المنطق الذى يسمونه معيار العلوم :

فابن الصـلاح والنواوى حرما
وقال قـوم ينبغى أن يعلمـا
والقولة المشـهورة الصحيحة
جـوازه لـكامل القريحـة
ممـارس الشـعر والـكتاب
ليهتـدى به الى الصـواب

كل علم يدعو الى تثقيف العقل ، وتهذيب النفس ، واصـلاح الفرد والمجتمع ، فهو علم نافع ، أيا كان مصدره ، فالعلوم التى وردت لنا من أوربة ما دامت بعيدة عن فساد العقيدة ، أو انحراف الإخلاق ، فهى علوم يجب ان نتعرف عليها ونزاولها ، وديننا يحض على التعلم ، وطلب العلم ولو من أبعد البلاد ، ولدينا الان آلاف من المتعلمين على الطريقة الاوربية فى كل مناحى العلم ، وبعضهم عنده استقلال فكرى ، ونرجو ان يكون لديهم استقلال ارادى ، والعلوم التى نسميها أجنبية أكثرها مصدرها منا ، نقلها الغرب عنا أيام زهو الحضـارة الاسـلامية ، ويعترف بذلك الغربيون مع الشرقيين .

ان الزمان قد استدار ، وانا لسائرون فى طريق الوحدة العربية والاسلامية ، وسوف يعود الينا مجدنا كما بدأ ، لقد بدأ غريبا ، وسيعود غريبا كما بدأ [كما بدأكم تعودون] ، وان التـاريخ ليعيد نفسه ، فالاصول والاعمال التى أخذ بها المسـلمون فى أول الاسلام ، هى هى الان ، ما زالت باقية ، فاذا نحن أخذناها بجد ، وبعدنا عن البدع التى شوهت جمال الدين ، عاد الاسلام فتيا جميلا على الرغم من الذين يثبطون الهمم ويملئون النفوس قنوطا وبأسا ويعادون الاصلاح باسم الغيرة على الدين ، وما للدين آفة غيرهم .

معجم ألفاظ المصطلحات العلمية الحديثة

الأستاذ محمد عبد الجواد الأصمعي

[حرف القاف]

[قضيب الصاعقة] — أنظر [باراتونير] .

[قلم الحبر] — وضع له اليازجى [المداد] .

[القلى] — سماه الافرنج باسمه العربى [راجع مجلة المقتطف] ج ٥٧ ص ٦ ، وانظر [كربونات البوتاسيوم] .

[حرف الكاف]

[الكازين] — مادة صفراء تطفو على وجه الحليب ، وقد اختار لها صاحب الاثار ج ٢ ص ١٩١ كلمة [المرق] ، واشتق منه التمريق للكازينوجين .

[كبريتات الحديد] — فى مجلة الضياء ج ٤ ص ٧٩ ، انه [الزاج] ، واسمه عند العرب انظره فى مجلة المقتطف ج ٤١ ص ٣٠٤ ، وفى ج ٥٧ قبل آخر ص ٦ ، انه [الزاج الاخضر] .

[كبريتات النحاس] — استعمل له « الشب الازرق » . مجلة الضياء ج ٥ ص ١٧ .

[الكبريتوس] — عبر عنه ببخار الكبريت . مجلة الضياء ج ٦ ص ٥١٧ .

الحامض [الكبريتيك] — سؤال عنه فى مجلة المقتطف ج ٤٣ ص ٦٠١ ، وهو « زيت الزاج » ، وأحال فى السؤال على أعداد من المقتطف نشر فيها معجم لهم ، وانظر ص ٣٠٤ ، وانظر ج ٥٦ ص ١٠٢ ، و ص ٥ و ج ٥٧ ص ٦ .

[كتركتا] — ظلام البلورية . مجلة الطبيب ص ٣٧٥ .

[كربونات البوتاسيوم] — هو القلى . انظر مجلة المقتطف ص ١ — ٢ ج ٥٧ ، وانظر [القلى] فى حرف القاف .

[كربونات الصديوم] — الطبيعى هو [النطرون] ، ويسمى [البورم] ، انظر مجلة المقتطف ص ١ — ٢ ج ٥٧ .

[كروكى] — فى الرسم .

[كريات الجسم] — اختار لها اليازجى فى مجلة الضياء ج ٣ أول ص ٢٢٧ [الرواعى] .

[كلس] — انظر [نوره] .

[كلوروسنس] — الداء الاخضر . انظر مجلة الطبيب أواخر ص ٢٦٥ .

[كلوريد الصديوم] — فى مجلة الطبيب ص ١٥٩ ، هو [ملح الطعام] . وانظر مجلة المقتطف ج ٥٦ ص ٢٤ .

[كيمياء] — أنظر نبذة فى تاريخها فى المجلد ٤٤ من مجلة المقتطف ص ٣٧ — ٤٢ ، وشفاء العليل للخفاجى ص ١٩٠ [كيمياء] .

[حرف اللام]

[لمقاوى] — فى مجلة الطبيب ص ٥٧ [الاخرجة البلغمية] اللمقاوية ، وانظر أواخر ص ٢٨٢ — ٢٨٣ .

[حرف الميم]

[ماء الذهب] — مما عرفه العرب . راجع مجلة الهلال ج ٣٠ ص ٨٢٩ من مقالة [آثار العرب العلمية] .

[ماء الفضة] — مما عرفه العرب . راجع مجلة الهلال ج ٣٠ ص ٨٢٩ ، من مقالة [آثار العرب العلمية] .

[الماء المعقم] — استعمل له [الماء المجرد] فى مجلة البيان ص ٥ بالحاشية .

[مكرسكوب] — استعمل له [المجهر] فى مجلة الطبيب آخر ص ٢٩ ، وانظر أيضا [السيكترسكوب] و [التلسكوب] .

[مكروب] — أنظر بحثا فى [البكتيولوجيا] وأول من سمى [المكروب] بذلك فى مجلة المقتطف ، مجلد ٤٥ ص ٣٨١ ، وفى مجلة المنار ج ١٨ ص ٤٥٢ فى الحاشية ، انه سمى [المكروب] بالجن والجنة . أنظر فى اللغة : [السفجر] : صفار الشىء ... الخ ، فلعله يقرب منه . فى مجلة الطبيب ص ١٨١ ، [النقاعيات] للمكروب ، ويسمى : [البكتريا] ، نسبة الى البقاعة وتفصيل الكلام فيها . وفى ص ١٨٢ أسماء أنواعها . وفى ص ١٩٩ «الانبوبيات» الباشلس ، وانظر أواخر ص ٢٢٢ ، وفى أول ص ٢٢٤ [التفيفات] لميكروب الهواء الاصفر ، وفى ص ٢٢٥ استعمل [الهنيات] ، وانظر ما مراده بها . وفى ص ٢٩٠ مقالة فى الرد على من رد على تسمية [النقاعيات] ، وفيها [الراجبيات] ، وسبب تسميتها بذلك . وفى أوائل ص ٢٩٣ [الراجبيات] و [الانبوبيات] و [الذريرات] ، ثم أفاض فيما يراه المحافظون على الاعجمى . وفى أواخر ص ٢٩٤ [المتمعجات] . وفى ص ٣٢٨ مقالة فيها بسط وايضاح للموضوع . وفيها فى ص ٣٣٤ المتمعجات [الوبريون] .. وفى مجلة الضياء ج ٢ قبل آخر ص ٣٦٩ استعمل الانبوبيات للباشلس . وفى مجلة الجنان ج ١٤ ص ١١٦ [الحيوانات المكروسكوبية] ، وسماها بالحويوينات .

[ملح البارود] — مما عرفه العرب . راجع مجلة الهلال ج ٣٠ ص ٨٢٩ من مقالة [آثار العرب العلمية] ، ويسمى : « نترات البوتاس » ، راجع مجلة الضياء ج ٢ ص ٤٨ .

[حرف النون]

[نترات البوتسا] — فى مجلة المقتطف ج ٥٦ ص ١٠٢ ، هو [ملح البارود] . وانظر [النتروجين] . وانظر ج ٥٧ أواخر ص ٥ .

[نترات الصودا] — استعمل لها صاحب الضياء [محلول النطرون] . راجع مجلة الضياء ج ٢ ص ٣٥٩ .

[نترات الفضة] — فى مجلة المقتطف ج ٥٦ ص ٤٦٢ ، انها [ماء النار] .

[النتروجين] — فى مجلة المقتطف ج ٥٦ ص ٩٧ ، اى مولد النتر ، او [ملح البارود] . وانظر قبله [نترات البوتسا] .

[الحامض النتريك] — فى مجلة المقتطف ج ٥٦ ص ١٠٢ ، هو [ماء الفضة] . ويقول الافرنج ان مكتشفه [جابر ابن حيان] ، وانظر ج ٥٧ ص ٦ .

[روح النشادر] — مما عرفه العرب . راجع مجلة الهلال ج ٣٠ ص ٨٢٩ من مقالة [آثار العرب العلمية] .

[نورة] — فى سلوة الغريب ، رحلة ابن معصوم ص ١٦١ استعمل الكلس للنورة .

[حرف الهاء]

[الحامض الهدروكلوريك] — فى مجلة الطبيب ص ٤٦٧ ، انه [روح الخل] . وفى مجلة المقتطف ج ٥٦ ص ٤ ، ٥ ، انه [روح الملح] . وفى آخر ص ١٩٣ ، ان الصناع تسميه [روح الملح] . وفى ج ٥٧ ص ٦ ، انه [روح الملح] .

[هيبوخندريا] — السوداء ، راجع مجلة الطبيب أواخر ص ٢٣٦ .

[حرف الواو]

[وبربون] — راجعه فى [مكروب] .

[وظائف الاعضاء] — استعمل لها [منافع الاعضاء] فى مجلة الطبيب أول ص ١٢١ .

بقية موضوع : للرد على الاضاليل الصهيونية

المضمار ، ما دامت تتمسك باصول القرآن وتعاليم نبيه ، عن فهم وادراك ، ولم تتخلف هذه الامة قليلا عن ركب التقدم العصرى الا بعد أن انحرفت قليلا عن صبغة دينها الاصيلة ، وشابتها العناصر الدخيلة .

ان الامة الاسلامية تعيش اليوم حاضرا حافلا بالتطورات والتقلبات العصرية وتستشرف آفاق التقدم والنهضة فى جميع المجالات ، وتتطلع الى مستقبل مشرق باهر ، يتفق وحضارتها العريقة القائمة على الرسالات السماوية التى أنارت للبشر طريقهم السوى الى سعادتى الدنيا والاخرة . وكل أمة فى محاولتها الدائبة للتقدم وفى سعيها المتواصل للرقى ، لا بد لها ان تلقى بانظارها ، حينا فآخر ، الى ماضيها المجيد ، تستفيد منه العبر المؤثرة لتكون نبراسا ينير الطريق الى المستقبل الذى ترنو اليه . واذا نظر المرء بعين التحقيق والانصاف ، فيدرك أن ركود المسلمين فى السنين الاخيرة لا يرجع سببه — فى قليل أو كثير — الى تاثير دينهم أو نبيهم ، بل الى بعض الاسباب الخارجية الطارئة والى تاثير المؤامرات العديدة التى حيكت ضد هذه الامة . ولا يخفى على من له الملم بروح الاسلام انه النصير الاكبر للعلم والحضارة والحليف الغيور على الحرية الفكرية والفلسفية .

ثم نسال التاريخ : ماذا كان شان القرآن ازاء العلوم الكونية والنظرية ، وازاء البحث العلمى ؟ اذ شجع الحركة الفكرية والنظرية فى العالم الانسانى ورد الحياة الى كيانه ، بعد أن كان فى دور الاحتضار ، بهذه الايات القرآنية الواضحة :

١ — « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، انما يتذكر أولوا الالباب » . (الزمر ٩) .

٢ — « وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون » (العنكبوت ٤٣) .

٣ — « ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لايات لقوم يعقلون » (البقرة ١٦٤) .

٤ — « أفلم يسيروا فى الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » (الحج ٤٦) .

٥ — « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » (المجادلة ١١) .

٦ — « قل سيروا فى الارض فانظروا كيف بدأ الخلق » . (العنكبوت ٢٠) .

٧ — « أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شىء » (الاعراف ١٨٥) .

٨ — « ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون » (الاعراف ١٧٩) .

٩ — « واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة » (البقرة ٢٣١) .

١٠ — « ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا » . (البقرة ٢٦٩) .

ثم نسال تلك الابواق المضللة عن ماذا كان دور هذا الكتاب فى ان يمنح العالم الانسانى ، ومن اتباعه ، الالاف من فطاحل العلوم العقلية من الرياضيات والطبيعيات وما وراء الطبيعة وكذلك الفلاسفة والادباء والفنانين ، من أمثال الكندى والفارابى وابن رشد وابن الهيثم وابن سيناء والخوارزمى والطوسى وغيرهم ؟ وليس يصح فى الاذهان شىء اذا احتاج النهار الى دليل

العام الجديد

الشاعر
حسين جبالى منشاوى

١٣٩٠

اقدم فكل الى لقياك مشتاق
الاذن مصغية والقلب خفاق
والقلب يخفق من خير يتوق له
ونحن فيما نرجى فيك عشاق
يا عام أشرق لعل الثغر مبتسم
على العباد وعلى الوجه الاق
باتت غراسى عطشى غير مورقة
فهل لغرسى من سقياك ايراق ؟
وهل لديك شفاء للذى فعلت
يد الشقيق وهل للجرح ترياق ؟
فى كل بيت له من جوره حدث
وكل دار جرت بالدمع آماق
ان رحت أحصى جميلا من صنائعه
أضاعه جارف بالهدم دفاق
يا عام جئت وحال الكون مضطرب
والناس للناس قرصان وسراق
ارى المواثيق للهيجاء مبرمة
وليس للسلم فى الحسبان ميثاق
قد سخروا العلم يرسى كل هالكة
والعلم للخير لا للشر خلاق
لو انصفوا تركوا الاطماع ناحية
وبسروا العيش لا فقر واملاق
انى اروى نفسى أن أطالبها
بالصفح منى فان الصفح اخلاق
عساك يا عام تدنى كل أمنية
وان تقر بطيب الصنع احداق
وتنشر السلم بين الناس قاطبة
فطالما حطم الاعصاب اقلاق
وتبعث العيش فى يسر وفى سعة
أما كفى القوم ما لاقوا وما ذاقوا ؟
يا عام أقدم شعوب العرب ماضية
رغم الألى عبثوا أو رغم من عاقوا
تهفوا الى الوحدة الكبرى فليس لها
بغير وحدتها للنصر احقاق
فالشعب ان قال فالدنيا تجاوبه
والشعب ان شاء فالهامات اطراق
يا ناصر الشعب سر بالشعب منتصرا
فقد بدا من خيوط الفجر اشراق
حاشا تدنس اسرائيل تربتنا
وبين جنباتنا فى الصدر دقاق
يا عام اقدم فان النصر مرتقب
يا عام اشرق فكل الناس اشواق

الهجرة وهلال المحرم

الشاعر عز الدين على السيد

وقفت عبرك من عام الى عام
أحدو الامانى فى قلبى بأنغامى

يا طارقا بجلال الامس امتنا
فى فيض نورك تجديد لالهامى

هلال يمن وخير .. عدت تذكرنا
صبر النبى فجدد عزمنا النامى

ارسل ضياءك للارض التى دخلت
بحر الدجى وهوت من حالق سام

يا لجة البحر رفقا .. لن تطول بنا
ما غيب الرشد من قصف وارزام

[محرم] جاء والكشاف فى يده
يهدى الى البر قلب العاثر الدامى

هلاله صفحة بالبشر مشرقة
فيها الشفاء لاسقام وأفهام

فى كل حرف لها وحى يطالعنا
بعمق ما دونه للمجتلى الظامى

اليس وجه هلال كان مطلعه
تحول الدهر من كفر لاسلام .. ؟

جاء الهدى للورى ذكرا بأحرفه
محو الجهالات من ظلم واظلام

نورا يشع بأعماق الوجود كما
تسرى الاشعة فى أعماق أجسام

الى نبى تعالى الله ارسله
لينقذ الارض من شر وآثام

ويهدى الناس للرب الجليل وقد
ضلوا فهاموا بأوثان وأصنام

فكذبوا الحق واستعدوا ضلالتهم
ليطفئوا النور فى حقد وارغام

آذوا نبى الهدى جهد استطاعتهم
لعله يرعوى من فرط ايلام

من بعد يأس وكم أغروا بما عرفوا
من مغريات ومن ألوان اكرام

فقال والدمع من عينيه مبتدر
ما سجل الدهر فى مجد واعظام

لو انزلوا الشمس فى يمناى صاغرة
والبدر من أفقه .. لم تثن اقدامى

لن أترك الامر اما الله يظهره
أو ينتهى العمر فى صبر واعلام

ونال أصحابه ما نال محتسبا
ونار اعدائهم تضرى باضرام

فهاجروا — لا خزايا — بل لينطلقوا
بالنور كالشمس تمحو ليل نوام

وجاء جبريل للهادى يبلغه
ما أبرم الكفر من أحكام اعدام

رمى بكف رماد فوق ارؤسهم
وما رمى اذ رمى بل ربه الرامى

فراح كل شديد العزم منتصب
للشر .. من نومه فى بحر احلام !

يا أهل يثرب هذا البدر فابتدروا
سعد الحياة .. ونالوا غيثها الهامى

من داركم معشر الانصار منطلق
للوحى يحمى ببتار وصمصام

ومن هنا سوف يعلو الصوت منبعثا
من كل ليث أصيل العزم مقدام

قد باع لله أغلى ما له ثمنا
لما يؤمل من خير وانعام

يا هجرة الحق .. فى الذكرى لنا عظة
كم خلف غابك من جولات ضرغام

فعلمينا ثبات القلب ان لنا
على اليهود ليوما تاج أيام

اذ نرجع المسجد الاقصى لعزته
يزلزل الكفر فى تكبير احرام

سنملأ الجو نارا فوق أرؤسهم
ونزرع الارض فى حقد [بألغام]

مستلهمين دروس النصر فى ثقة
من كل ماض بأمر الله همام

يارب حقق لنا الآمال وامح بنا
ما أثقل الكون من ظلم واجرام

حتى يرانا هلال العام فى يدنا
ما يثلج الصدر من حل وابرام

واختم لنا برسول الله خاتمة
تعز دينك .. أنت الناصر الحامى

الأرض الثائرة

الشاعر أحمد عثمان المراغي

دارت على أرض الاباة رحاها
حرب يدثر باللهيب ثراها

مجنونة الاطماع تزعم غيلة
أن الربوع لها . لمن والاها

وتدق أجراس الفناء تحية
للموت اذ أن الفناء هواها

ظمآنة الاحساس يطمس عينها
حقد يكفن بالخداع حشاها

وتثاءبت لما تجسم بطشها
عجبا به . تيها . بمن قواها

خطت خطوط الظلم كف دعاتها
وترسمت نهج الذى ناداها

هى لعنة الاقدار تسحق عصبة
تبغى وتنشر فى الحياة أذاها

بسمومها تفنى ويهلك بعضها
بعضا ويحرق من يجور رحاها

فالارض ترفض أن تكون وسيلة
للجور والارجاء لن تخشاها

والخصب يجدب لو تملك أهلها
فيه وحاشا أن يكون غذاها

والنيل يرشق كل غر طامع
بنباله الهوجاء ما أقساها

فمياهه تنين يلقف غيرنا
. وسماؤه فوق العداة لظاها

والسائرون على دروب حقوقهم
آمالهم نور لهم وسناها

والمقسمون على المرابع بالفدى
هم قوة فى الحق ماأقواها

والزاحفون الى الخلود كواسرا
هم للبلاد مدى الزمان حماها

لا لن تضيع الارض من أبطالها
أبدا وكيف ونيل مصر سقاها

أهدى لها الاجيال تحرس مجدها
ويصون أهلوها الكرام مضاها

هى تربة الاحرار تنبت دائما
شم الرجال فيرفعون لواها

هى مصر أم المجد تنقش ذكرها
فى الخافقين ولن تلين قناها

كونوا كما شئتم فانا أمة
عربية الاصرار عز مداها

كونوا كما شئتم فليس لغاصب
أبدا يد فيما تقيم يداها

فشمالها ارث قديم خالد
وعلى الجديد تقدمت يمناها

تعطى بلا حد لكل مثابر
ويمد كل مناضل شطاها

واذا بغى باغ على آثارها
طحنت مطامع بغيه فكاها

الارض . نعم الارض ثائرة المدى
نعم الالى شبوا على مرعاها

نعم الليوث السود فى أرباضها
ومواكب عاشت على مغناها

الخلفاء الراشدون
و
أعلام الإسلام

مدرسة الرسول

علي ابن أبي طالب

الأستاذ عبد المنعم حمادة

الدعوة والمدرسة :

بعث النبى المصطفى رحمة للناس كافة بدليل قوله سبحانه : « وما ارسلناك الا رحمة للعالمين » .. ويعتز - صلوات الله وسلامه عليه - بما حباه الله به من نعمة ، وما كرمه به من رحمة امتدت الى ما وراء الحدود ، فعبرت البحار والانهار ، وجابت الفيافى والقفار ، وارتفعت فوق التلال والجبال ، وسارت على الاخضر واليابس حتى استقرت فى كثير من البلاد ، ووصلت الى ملايين الناس تدعوهم الى عبادة الله وحده ، وتنشر بينهم الحق والعدل ، وتدفعهم الى الاخاء والتعاون ، والى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر .. ولم تقتصر دعوة النبى الكريم على اناس دون اناس ، ولا قوم دون قوم ، وانما شملت البشرية كلها ، ذلك لان رسالته لم تكن لقوم معينين ، وانما كانت رسالة عالمية .. لم تكن كرسالة نوح الى قومه ، ولا كرسالة هود وصالح ، ولا كرسالة شعيب الى اهل مدين ، ولا كرسالة موسى الذى جاء قومه ليخرجهم من الظلمات الى النور ، ولا كرسالة عيسى الذى بعث الى بنى اسرائيل .. لم تكن رسالة محمد بن عبد الله كهذه الرسالات التى جاء بها الانبياء ، وانما كانت اعم واشمل بحيث رفرفت بجناحيها العريضتين على الناس جميعا سواء منهم العرب او العجم ، وسواء منهم الابيض او الاسود ، والله سبحانه وتعالى يقول : « وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لايعلمون »

ولقد اراد الله لرسوله ان يكون الداعية الى الحق ، الجامع الناس تحت راية واحدة هى راية الاسلام ، المؤلف بين قلوب البشر على عقيدة راسخة لا تبديل لها ولا تغيير ، بحيث يكونون جميعا امة واحدة ، لا تتميز واحدة على اخرى لاعتبارات الجنس واللون .. ولا يفرق بينهما اختلاف اللغات وتباين اللهجات ، ولا تحول دون تقاربها واخائها حضارة ، ولا يمنع من التقائها تاريخ او اقليم ، فيتحقق بذلك قول الله القوى العزيز : « ان هذه امتكم امة واحدة » .

ولقد كان العالم فى الوقت الذى بعث فيه الرسول الكريم - صلوات الله وسلامه عليه - يتخبط فى ظلمات الجهل والفساد ، ويعمه شرور الظلم والاستبداد ، وتنهكه عوامل الضعف فى العقيدة والخلق .. كان العالم يتخبط فى دياجير حالكة من الموبقات والاثام التى انغمس فيها اقوام .. ومن حب التعالى والسيطرة والتحكم التى اصيب بها اقوام اخرون .. ومن اسباب الضعف والهوان الذى انحدر اليه اقوام غير هؤلاء وهؤلاء .. عبدوا ما شاءوا وشاءت لهم شياطينهم ، فقادتهم هذه الشياطين الى الوان من الموبقات، وسلكت بهم فى دروب من الاثام جعلتهم اقرب الى البهيمية .. تنافسوا وتناحروا وتقاتلوا لاوهى الاسباب واضعفها حتى لم يعد هناك رباط يوحد بينهم ، ويؤلف بين قلوبهم على الرغم مما وصف به بعض آحاد الافراد ، وبعض القبائل كوحدات مستقلة ، وما نعتوا به من صفات الشجاعة والنبل والكرم .. لم يعد هناك الا قوى يحاول ان يأكل الضعيف ويعلو عليه ، وظالم يفخر بسطوته وجبروته ويتلذذ من تسخير غيره له ، وغنى يسعى للاثراء على حساب الفقير ويحلو له ان يبيع فيه ويشترى ..

« وامام هذا الاضطراب العقيدى والاجتماعى ، كان العالم فى حاجة ملحة الى دين ينظمه ، وينظمه كله ، فى سلك الحق والعدل والمساواة ، فكان ذلك الدين هو دين الاسلام ..

« ولهذا كان العالم متعطشا الى تلك الحضارة التى ترسم علاجا لمشكلات الانسانية كلها ، كان العالم متعطشا الى علاج يمر على تلك الادواء فتعود برءا وسلامة ، وكذلك كانت الحضارة التى جاء بها الاسلام ، وضعت لكل مشكلة علاجا ، ولكل داء دواء ، وحسمت الامر فى مشكلات الانسانية الكبرى حسما ليس فيه مجاملة طائفة على حساب طائفة ، وليس فيه تعقيد ، ولا مواربة ، ولا التواء ، واعلنت رأيها فى مشكلات الانسانية بصراحة الحق ووضوحه وقالت :

« ان صلة الانسان بربه اساسها الايمان والتقوى ..

«وان صلة الانسان باخيه اساسها البر والاخوة ..

«وان صلة الانسان بحاكمه اساسها السمع والطاعة فيما احل الله ..

«وان صلة الحاكم بالمحكومين اساسها العدل والمساواة» .

اتجاه جديد لم يعرف الخلق له مثيلا من قبل، ومبادىء جديدة لم يكن للناس بها عهد من قبل الدعوة المحمدية التى اخذ المصطفى - عليه الصلاة والسلام - يبشر بها، وينادى باتباعها، ويسعى جاهدا ليقنع بها خلق الله فى بيئته التى تحيط به، وفى البلاد التى استطاع ان يبعث اليها برسله سواء فى الشرق او فى الغرب ..

والذى حدث انه لم يمض غير وقت قليل حتى كانت الدعوة تتخطى الحواجز والسدود، وتفتح القلوب المغلقة، وتغزو العقول المظلمة، وتنير المسالك والدروب لمن اراد الخير فى الدنيا والاخره، وآثر النجاة بنفسه من عذاب يوم عظيم .. والذى حدث ان الدائرة اتسعت يوما بعد يوم . ودخل الناس فى دين الله افواجا، لانه الدين الذى ارتضاه الله سبحانه للناس كافة.. وكان النبى المصطفى هو رسول هذا الدين، وكان الناشر له، والداعى اليه، وكان هو معلمه الاول، وكان هو صاحب المدرسة الاولى التى بدأت بواحد، ثم راحت تكبر وتنمو وتتسع دائرتها حتى شملت ملايين البشر، وانشأت لها فروعا فى كل ركن من اركان العالم .

لقد كانت المدرسة الاولى للدعوة الاسلامية فى مكة يوم بدأ الرسول الكريم يبشر بالدين الخالد، ويدعو الناس الى الايمان به، وكان اول من تردد على هذه المدرسة والتصديق بصاحب الدعوة، والايمان بما اوحى الله به اليه، نفر من اهل بيته ومن المقربين اليه - صلوات الله وسلامه عليه - ولقد اختلفت الاراء فيمن كان اسبق هؤلاء جميعا الى هذه المدرسة، والى هذا التصديق وهذا الايمان، ففريق ينادى باسبقية ابى بكر الصديق، ويسبغ عليه فضل هذا السبق، بينما فريق آخر يعلن ان عليا كان هو السباق الى هذا الفضل الذى اسبغه عليه سبقه الى الايمان برسالة محمد - عليه الصلاة والسلام - والذى خلع عليه من الميزات لهذا السبب مالم يتوفر لغيره، بينما فريق ثالث يلبس هذا الفضل، ويضفى هذه الميزات على السيدة خديجة التى ارتبطت حياتها بحياة الرسول من قبل ان يبعث بالرسالة .

وسواء صح هذا القول أو ذاك، فمما لاشك فيه ان على بن ابى طالب كان احد الثلاثة الاول الذين سبقوا غيرهم الى الاسلام : والايمان بالدين الذى امر الله نبيه بالدعوة اليه .

مولد على ونسبه :

وفى هذه البقعة الطاهرة من شبه الجزيرة العربية، وعلى وجه التحديد، فى مكة المكرمة، وبجوار البيت العتيق الذى كان اول بيت وضع للناس وكرمه الله بقوله :

«ان اول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين» .. فى هذه البقعة، وفى هذه المدينة، وبجوار هذا البيت كان مولد «على» الذى ينتسب الى اصل عريق، ويتفرع من شجرة مباركة اصلها ثابت وفرعها فى السماء ..

«فابوه هو ابو طالب بن عبد المطلب بن هاشم، عم النبى وكافله بعد جده عبد المطلب .. وقد كان ابو طالب درعا حصينة للنبى، فلم تنل قريش منه منالا، الا بعد وفاة عمه ابى طالب ..

«وامه هى فاطمة بنت اسد بن هاشم، وهى اول هاشمية ولدت هاشميا، وقد اسلمت وتوفيت بالمدينة، وتولى النبى دفنها، واشعرها قميصه، واضجع فى قبرها .. وقال - صلى الله عليه وسلم - فيها : انها كانت احسن خلق الله صنيعا الى بعد ابى طالب .. وبكى، وقال : جزاك الله من ام خيرا، فقد كنت خير ام» .

ومما يدل على مقدار ما كان يحمله «محمد» فى قلبه من حب وتقدير واعزاز لفاطمة زوجة عمه ما قاله الطائى فى الاربعين من ان النبى : «نزع قميصه والبسها اياه، وتولى دفنها، واضجع فى قبرها، فلما سوى عليه التراب سئل عن ذلك فقال : ألبستها لتلبس من ثياب اهل الجنة .. واضجعت معها فى قبرها لا خفف عنها من ضغطة القبر» .

وبذلك جمع «على» بين النسب الكريم الذى لا يعلوه نسب آخر، وبين المولد الى جوار البيت الذى جعله الله مثابة للناس وأمنا : والذى امر الله ابراهيم - عليه السلام - ان يجعل منه مصلى، وان يطهره للطائفين، والعاكفين، والركع السجود، وبين ان يكون اول مولود يولد فى البيت الحرام .

ولم يكن اسم «على» من الاسماء المعروفة قبل الاسلام . ويقال ان امه اسمته «حيدرة» . وقيل بل اسمته «اسدا» والحيدرة اسم من اسماء الاسد .. ولم يكن ذلك غريبا من ام تنتسب الى بنى اسد، وتعتز بهذا النسب، وتريد ان يبقى ذكره مثارا على كل لسان، غير ان اباه - وكان غائبا ساعة التسميه - لم يرض عن هذا الاسم وسماه عليا .. ويقال ان عليا ذكر اسمه القديم مرة وهو يلقى اليهودى «مرحبا» فى يوم خيبر فقال موجها الخطاب الى ذلك اليهودى :

انا الذى سمتنى أمى حيدره
أضرب بالسيف رقاب الكفره

لب الظن الذى يكاد يكون من اليقين ، ان عليا لم يذكر اسمه القديم تعظيما له ، وتفاخرا به ، ولكنه ذكره فى موضع القوة والشجاعة اللتين يريد ان يرهب بهما عدوه ·· يريد ان يذكر له انه ذلك الاسد الذى لا يهاب ، القوى الذى لا يخاف ، الجسور الذى ينقض على اعدائه فيبطش بهم كما يبطش الاسد بالفريسة تحت اقدامه ، وبذلك يلقى الرعب فى نفس خصمه ، فيفقد الثقة فى هذه النفس ، وتخور قواه ، وتضعف عزيمته ·

وكنى على باسماء كثيرة ·· عرف بابى الحسن ، وسماه الرسول صديقا ·· عن ابى ليلى عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ انه قال : « الصديقون ثلاثة : حبيب بن مرى النجار مؤمن آل ياسين الذى قال يا قوم اتبعوا المرسلين ·· وحزقيل مؤمن آل فرعون الذى قال اتقتلون رجلا ان يقول ربى الله ، وعلى بن ابى طالب الثالث وهو افضلهم » ·

وكناه رسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ ابا الريحانتين ، وعن جابر بن عبد الله قال : « قال رسول الله لعلى بن ابى طالب : سلام عليكم يا ابا الريحانتين ، فعن قريب يذهب ركناك ·· والله خليفتى عليك » ·· فلما قبض رسول الله قال على هذا احد الركنين ، فلما ماتت فاطمة قال هذا الركن الاخر ..

وكناه النبى المصطفى ابا تراب ، وكان هذا من احب الاسماء اليه ·· روى البخارى فى الادب عن سهل بن سعد قال : ان كان احب اسماء على رضى الله عنه اليه « ابا تراب ! وان كان ليفرح ان يدعى به ، وما سماه ابا تراب الا النبى ـ صلى الله عليه واله وسلم ـ انه غاضب يوما فاطمة ، فخرج ، فاضجع الى الجدار فى المسجد ، فجاءه النبى ـ صلى الله عليه واله وسلم ـ وقد امتلا ظهره ترابا ، فجعل النبى ـ صلى الله عليه واله وسلم ـ يمسح التراب عن ظهره ويقول اجلس ابا تراب ·

● ● ●

ولقد كان من توفيق الله ، ذلك التوفيق الذى صاحب عليا منذ ولادته ، امور كثيرة يمكن ان يكون كل واحد منها موضوع حديث بذاته ، غير ان المجال لا يسمح بالتوسع والافاضة ، ولذلك نجمل هذه الامور فيما يأتى :

كان أبوه هو ابو طالب عم النبى وحصنه الحصين ·· كان العين التى ترعى محمدا ، والقلب الذى يحنو عليه ، كما ترعى وتحنو الام على وحيدها ، وكان يذود عنه ويحميه من أذى قريش الذين صمت آذانهم عن سماع صوت الحق ، وعميت أعينهم عن رؤية طريق الصواب ، وأغلقت عقولهم عن ادراك الحقيقة ، وتحجرت قلوبهم فلم تقو على الايمان ··

وكانت أمه هى فاطمة التى يتلاقى نسبها مع نسب النبى فى هاشم بن عبد مناف ، وبذلك اجتمعت له الصفات التى تميزت بها هذه الاسرة الكريمة ، وفى ذلك يقول الاستاذ العقاد : « المشهور عن على ـ كرم الله وجهه ـ أنه كان أول هاشمى من أبوين هاشميين ، فاجتمعت له خلاصة الصفات التى اشتهرت بها هذه الاسرة الكريمة وتقاربت سماتها وملامحها فى كثير من أعلامها المقدمين ، وهى فى جملتها النبل ، والايد ، والشجاعة ، والمروءة ، والذكاء ، عدا المأثورة فى سماتها الجسدية التى تلاقت أو تقاربت عدة من أولئك الاعلام . »

ـ ومن هذه التوفيقات أن ولادته كانت الى جانب البيت الحرام ، فكان بذلك أول مولود يحظى بهذا الشرف ، شرف أن يكون أول ما يقع عليه بصره من هذه الدنيا أركان هذا البيت العتيق الذى جعله الله ملاذا للناس ، وملجأ لكل من يفد اليه ، والذى أمر الله ابراهيم ـ عليه السلام ـ أن يجعل فيه مصلى يصونه ويحافظ عليه ، وأن يطهره مما لا يليق بحرمته للطائفين ، والعاكفين ، والركع السجود ·· لقد كانت ولادة على ـ كرم الله وجهه ـ الى جوار هذا البيت الذى رفع ابراهيم قواعده واسماعيل ، ودعوا الله السميع المجيب أن يتقبل منهما هذا العمل خالصا لوجهه ، وأن يجعل البلد الذى ينشأ من حوله طيبا آمنا من كل سوء ، وأن يحفظه على الايام مما يشين قدره ·

وليس من شك فى أن هذه الولادة الى رحاب هذا المكان الطاهر الذى أعلى الله سبحانه وتعالى ذكره ، خاصة وأنها كانت الحدث الاول والاخير من نوعه ، تضفى على صاحبها ذكرا يبقى خالدا فى سجلات التاريخ ، مشيرا الى صاحبه ، متحدثا عن مآثره ، ذاكرا أعماله ، متغنيا بفضائله ·

ـ ومنها أنه كان اول من أسماه أبواه فى الجاهلية عليا ، بعد أن أعرض عن الاسم الاول وهو حيدرة أو الاسد ، ورغبا أن يتحولا عما يشير الى القوة ، والسطوة ، والجبروت الى شىء آخر يدل على الرفعة ، والعلو .. لقد كان ذلك العمل من جانب أبى طالب خاصة ، ايذانا بتحول جديد سوف يطرأ على الناس ونفوسهم ، ويسيطر على الافكار والاتجاهات ، ويدفع الى السير فى طريق الجهاد والعمل ، ولم يكن ذلك بالشىء الذى لا تعرف له أسباب ودوافع ـ ان لم تكن ظاهرة ، فهى تعمل عملها فى النفس من حيث لا يشعر الانسان ، ذلك لان الفرد فى هذه الحالة يكون منقادا الى عمله وتصرفه ، منساقا الى تفكيره واتجاهه بقوة خافية عليه ، بقوة الله الذى يوحى الى هذا الفرد أن يعد لكل شىء عدته انتظارا للساعة التى يحسم فيها كل أمر ·

لقد كان والد على ـ كرم الله وجهه ـ هو عم النبى . وكانت امه هى فاطمة .. وفى بيت هذا العم الكريم وزوجته ، وبين أبناء عمه من بنين وبنات ، عاش الرسول الكريم فترة من حياته ، وقبل أن يتزوج ، يلقى فى كنف هذه الاسرة رعاية الوالد ، وحنان الام ، وحب الاخوة .. ولقد عوضه ذلك رعاية الوالد الذى فقده وهو لا يزال جنينا فى بطن أمه ، وحنان الام التى حرم منها ولما تشبع من رؤيتها عيناه ، وحب الاخوة الذين لم يسعد بوجودهم .. وكان عمه يحس احساس الرجل الملهم ، ويحس احساس الرجل الذى أثبتت الاقوال التى كان يسمعها من بحيرى الراهب ، والافعال والتصرفات والاخلاق التى كان يتحلى بها محمد الطفل صدق ما يحسه ويسمعه .. كان أبو طالب يحس أن ابن أخيه سوف يكون له شأن أى شأن ، ومكانة أى مكانة ، وفضل أى فضل ، فلا عجب أن يسمى ابنه من حيث لا يشعر ـ ولاول مرة فى تاريخ الجاهلية ـ عليا ، ليكون عالى القدر ، عالى الهمة ، وليكون متفقا مع اسم « محمد » المحمود بالذكر الكريم الطيب من كل من سمع به أو عرفه ، أو عاشره أو خالطه ، أو سمع حديثه أو رأى أفعاله .. ولعل الله أراد أن يكون ذلك توفيقا بين محمد ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ وبين على ـ كرم الله وجهه ـ حتى فى الاسماء ، مما كان له ذلك الاثر الفعال القوى الذى ظهر فى حياة على فيما بعد ، وفى ظهور شخصيته على النحو الذى عرفناه وعرفه العالم كله ، والذى سوف يتحدث عنه التاريخ مادامت هناك حياة .. وفى ذلك يقول الاستاذ عبد الكريم الخطيب :

« وليس اسم محمد من الاسماء التى كان الجاهليون يسمون به أبناءهم ، على ما فيه من لطف وحسن ، فى المبنى والمعنى ، حتى لتكاد الجاهلية كلها تخلو ممن يحمل اسم محمد .

« وقد ذكر المؤرخون بضعة أشخاص سموا بمحمد ، بين يدى البعثة النبوية ، وبعد أن ولد محمد ، ولعل تسمية النبى بهذا الاسم ، كانت أشبه بارهاص للعرب ، أن يتخففوا من الجاهلية ، وأن يستشرفوا مطالع الدعوة السماوية التى آذنت شمسها أن تطلع فيهم .

« نقول : هل لنا أن ننظر الى هذا التوفيق الربانى فى اختيار اسم النبى ، وتوافق هذا الاسم مع الرسالة السماوية التى أعده الله لها ، والتى يمكن أن يكون هذا الاسم عنوانا لها ، هل لنا أن نقول : أن اختيار هذا الاسم « لعلى » كان نفحة من نفحات النبوة ، ولمحة من لمحاتها ، حين نظر محمد الى وجه هذا الوليد وقع فى نفسه أنه فى الاعلين من عباد الله ، وأنه جدير بأن يكون فى المقام الاعلى فى الاسلام ؟

« فاسم « على » لم يكن مما تتسمى به العرب فى جاهليتها ، ولم يحفظ التاريخ الجاهلى من تسمى به قبل صاحبه ، على بن أبى طالب ، انه كان كاسم « محمد » فى لطفه وحسنه ، وفى غفلة الجاهلية وضلالها عن تداوله ، والتنادى به .

« فلعل « محمدا » هو الذى اختار لابن عمه الوليد هذا الاسم ، وأشار على عمه وزوج عمه أن يسميا وليدهما به .

« واسم » ، على » يلتقى مع اسم «محمد» لقاء اخاء ومعانقة ـ وهما معا يضبطان السمات البارزة التى تركها الاسلام فى الامة العربية ، حين تحولت من الجاهلية الى الاسلام .

وكان من توفيقات الله لعلى بن ابى طالب ، انتقاله الى دار النبى الكريم الذى تزوج من خديجة ـ رضوان الله عليها ـ وبعد ان انتقل الى دار الزوجية .. حقيقة ان « محمدا ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ لقى فى دار عمه ابى طالب كل رعاية وحنان وعطف ، لقى ذلك كله تعويضا له عن فقد ابويه قبل ان يشعر بحنو الابوة وعطف الامومة ، ولقى ذلك كله لان تصرفاته واعماله واخلاقه كانت تدعو الى حبه واعزازه ، ولكنه ككل انسان حينما يقوى عوده ، ويشتد ساعده ، ويبلغ مبلغ الرجال ، يحاول ان يكون له شأنه الخاص ، وبيته الذى يأوى اليه فيجد فيه الدفء والراحة والهدوء .وفكر الرسول الكريم فى هذا البيت ، وساعده على ذلك ارتياح السيدة خديجة له ـ وكانت من فضليات النساء فى مكة ، وكانت ذات شرف ومال ، وكانت امرأة تاجرة ـ وساعده على ذلك قبولها عمله لها فى التجارة ، ثم فرحتها به بعد ان عرفته ، وخبرت شمائله واخلاقه ، واطمأنت الى صدقه ونزاهته ، حتى انها ، وهى المرأة ذات المال والجاه ودت ان تتزوج من ذلك الشاب الذى نفذت كلماته الى اعماق قلبها فأحبته وهفت نفسها الى الزواج منه .. فلما تم الرضا والزواج ، انتقل الى دار الزوجية التى بدأت بها صفحة جديدة من حياة محمد .. صفحة انسته مرارة اليتم ، وقسوة الحرمان .

• فى هذه الدار التى بدأت تصفو فيها روحه الشفافة وتزداد صفاء والتى بدأت تهدأ فيها نفسه وتزداد هدوءا والتى بدأ يستقر فيها تفكيره ويزداد استقرارا استعدادا للحياة التى يريد الله له ان يحياها ، وان يكون هو صاحبها والداعى لها .. فى هذه الدار او بالاحرى فى هذه المدرسة التى كان يتنزل فيها الوحى من عند الله بالقرآن الكريم يعلمه الرسول ويذاكره اياه ، ثم يقرؤه عليه الرسول سائلا وطالبا للمزيد من العلم باسراره وماتضمنه من توجيه وارشاد فى هذا البيت او فى هذه المدرسة اقام الطفل على بن ابى

طالب فترة من حياته فى صحبة الرسول وكنفه وبره وعطفه كما سبق ان اقام الرسول نفسه فى بيت ابى طالب .

• • •

الانتقال لبيت الرسول :

وما اظن احدا من الناس نعم بصحبة رسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ واستمتع بجواره ، كما نعم واستمتع على بن ابى طالب ـ كرم الله وجهه ـ ولم يحدث ان انخرط فى سلك مدرسة الرسول ، وتتلمذ على من بعثه ربه ليهدى الناس الى طريق الحق والصواب ، ويبشر بنعيم الدنيا والاخرة اولئك الذين يؤمنون بالله واليوم الاخر ، والذين يعملون صالحا يرجون به وجهه سبحانه .. لم يحدث ان التحق بهذه المدرسة ، وتتلمذ على الداعى لهذا الدين الذى لا دين بعده ، احد غير على بن ابى طالب كان فى مثل عمره .. ولا نستطيع ان نحدد عمره يوم انتقل الى دار « محمد » عليه السلام على وجه الدقة فلم يذكر المؤرخون ـ على وجه التحديد ـ السنة التى ضم فيها على الى جناح محمد صلى الله عليه وسلم وسكن فيها الى بيت النبوة .

« ولكن المقطوع به » ان ذلك كان بعد أن تزوج النبى بالسيدة خديجة وانتقل من دار عمه ابى طالب الى بيت الزوجية الجديد » .

ولم يحدث ان لازم الرسول فى داره ، وجلس اليه ، ورآه عن قرب فى غدوه ورواحه .. ولم يحدث ان تامله فى كل حركة من حركاته وفى كل سكنة من سكناته احد كما فعل على بن ابى طالب الذى انضم الى دار المصطفى كواحد من افرادها . وهو لا يزال دون العاشرة من عمره فى كثير من الروايات .

وعن ابى الحجاج مجاهد بن جبر قال : كان من نعم الله على على بن ابى طالب ومما اراد الله به ان قريشا اصابتهم ازمة شديدة وكان ابوطالب ذا عيال كثيرة فقال رسول الله للعباس ، عم النبى ياعباس : ان اخاك ابا طالب كثير العيال وقد اصاب الناس ماترى من هذه الازمة فانطلق بنا اليه فلنخفف من عيانه فأخذ من بنيه رجلا وتاخذ رجلا فتكفيهما عنه .. فقال العباس : ـ نعم ـ فانطلقا حتى أتيا ابا طالب فقالا له : انا نريد ان نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ماهم فيه .. فقال لهم ابو طالب : اذا تركتما لى عقيلا فاصنعا ماشئتما ـ وفى رواية اذا تركتما لى عقيلا وطالبا فاصنعا ماشئتما فاخذ رسول الله عليا فضمه اليه ، فلم يزل على مع رسول الله حتى بعثه الله نبيا فتابعهوآمن به وصدقه، ولم يزل جعفر عند العباس » .

وهكذا عايش على بن ابى طالب النبى ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ وهكذا ضمهما بيت واحد ، وظللهما سقف واحد .. يؤاكله ويشاربه .. يحادثه ويحاكيه . يتخلق بخلقه .. ويتطبع بطبعه ..

وهكذا هبت على « على » منذ طفولته ريح النبوة الطاهرة ، وتنسم عبيرها الذكى ، وانطبعت فى ذهنه صورة لامعة وضاءة لذلك الانسان الكريم ، الرضى الخلق ، الهادىء الطبع ، اللين الجانب ، الحانى على اهله ، المحب لقومه وللبشرية جميعا ، الذى ادبه ربه فاحسن تأديبه وجعله على خلق كريم .. وهكذا تشبعت روحه بكل ماهو طيب ، وهكذا ارتوى عقله بالعلم السماوى الذى يتلقاه النبى المصطفى عن جبريل عليه السلام . وهكذا كان على بن ابى طالب ، بعد السيدة خديجة اول من تأثر بالرسول الكريم ، واستفاد من مدرسته .. وفى ذلك يقول على نفسه :

« وقد علمتم موضعى من رسول الله ـ صلى الله عليه وآله بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة وضعنى فى حجره وانا وليد يضمنى الى صدره ويكنفنى الى فراشه ، ويمسنى جسده ، ويشمنى عرقه ، وكان يمضغ الشىء ثم يلقمنيه .. ولقد كنت اتبعه اتباع الفصيل أثر أمه .. يرفع لى من اخلاقه كل يوم علما ويأمرنى بالاقتداء به ، ولقد كان يجاور فى كل سنة بحراء فأراه ولا يراه غيرى ولم يجمع بيت واحد يومئذ فى الاسلام غير رسول الله ـ صلوات الله عليه وآله وخديجه وانا ثالثهما ارى نور الوحى والرسالة واشم ريح النبوة » .

وبعد : فهذه اول **نفحات النبوة واضوائها المشعة** على على بن ابى طالب وهذه اول الخيرات والنعم تلازم ابن عم النبى واخيه فى الدنيا والاخرة فقد اخرج الترمذى عن ابن عمر قال : آخى رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بين اصحابه فجاء على تدمع عيناه فقال : يارسول الله ، آخيت بين اصحابك ولم تؤاخ بينى وبين احد فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ انت اخى فى الدنيا والاخرة

وهذه اول الانطباعات التى طبعها الرسول الكريم ومدرسته فى نفس ابن ابى طالب منذ طفولته .. وماأكثر هذه النفحات والاضواء .. وماأعظم هذه الخيرات والنعم وما اشد هذه الانطباعات التى تنقش فى نفس هذا الطفل يوما بعد يوم وسنة بعد سنة فيسير عليها وبها فى حياته طفلا وشابا ورجلا ، فى سعيه وكفاحه فى جهاده وتضحياته فى بذله وعطائه فى امره ونهيه ، فى مشاوراته يوم كان يستشار وفى امارته يوم ان نودى به خليفة على المسلمين .

والحديث عن المرحلة التالية يطول ـ فما احب الحديث عن الامام الشهيد ابى الشهداء ـ فالى العدد القادم ان شاء الله .

والله ولى التوفيق

صور من التاريخ الإسلامي

نسيبة الأنصارية

الأستاذ عبد المقصود حبيب

لم ينتشر الاسلام حيث انتشر ولاثبتت قواعده بين الناس ودانت به الملايين فى كل صوب وجدب · الا بما بذله المسلمون فى سبيله من جهاد وتضحيات وفداء حبا فى هذا الدين ونصرته وحبا فى الله وايمانا به لا يتزعزع وطاعة لاوامره وحبا فى رسول الله صلى الله عليه وسلم واقتداء به ·

فدين الاسلام يدعونا أساسا الى البذل والتضحية ويدعونا الى استشعار روح الفدائية والتمسك بدرع الثبات والاقدام فالقرآن الكريم وهو دستور الاسلام يدعونا لذلك ويطالبنا به مستمدين العون من ايماننا بالله حتى يأتينا سبحانه بالفتح الكبير ويكتب لنا النصر المبين ·

« يأيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون »

« يأيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار »

« ولاتهنوا فى ابتغاء القوم ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله مالا يرجون وكان الله عليما حكيما »

« يأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون »

« ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما »

وانبعاثا من تلك الاوامر الربانية واطاعة لها ولما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحث على الجهاد والتضحيات بذل المسلمون الاوائل أنفسهم وأموالهم وضحوا بأرواحهم وأبنائهم وأهليهم وكل ما يملكون فى سبيل الله ذودا عن دينه وحرصا عليه وحماية لكلمته حتى تعلو وتنتشر وتصبح هى الكلمة العليا على وجه الارض قاطبة ·

وما علينا الا ان نقرأ القرآن الكريم فنجد نماذج كثيرة قصها الله علينا فى كتابه أمثلة نادرة ورائعة للفداء والتضحية فى سبيله ·

وتاريخ الاسلام أيضا ملىء بنماذج كالنجوم الساطعة والمصابيح الهادية على طريق الجهاد والبذل ·· فى قمتها السيرة العطرة لجهاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ··

ولقد انتظم المسلمون الاوائل كلهم على طريق الجهاد فى سبيل الدعوة وبذلوا كل شىء فاستقام أمرها وعلا وصفقت أمامها كل القوى المعادية فانهزمت وانمحت ودالت دولها ·· ورفرفت على ربوعها راية الاسلام الزاهرة الشريفة الناصعة ·

وكان للمرأة نصيب كبير على ذلك الطريق فقد شاركت خلال مراحل النضال فى معارك كثيرة وبألوان مختلفة من ألوان الكفاح والفداء والتضحية وشاركت فيها مشاركة عملية فعالة وقوية الاثر ·

ويدلنا التاريخ الاسلامى على أسماء نساء مؤمنات بقيت ذكريات مشاركتهن للرجل الجهاد فى سبيل الدعوة نورا يهدى كل مسلمة تريد ان تجمع بين عزة الدنيا وثواب الاخرة **ومنهن الصحابية الجليلة أم عمارة « نسيبة بنت كعب بن عمرو » الانصارية ·· كانت امرأة من نساء المدينة ·· واصبحت فى طليعة اللواتى سارعن منهن الى الاسلام ·· فأسلمت هى وزوجها زين بن عاصم وولداها « حبيب » و « عبد الله » وذلك قبل هجرة النبى صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة وكان اسلامها فى بيعة العقبة الثالثة ·**

وعندما هاجر الرسول عليه الصلاة والسلام من مكة الى المدينة كانت «نسيبة» من أشد الانصار فرحا بهجرته عليه الصلاة والسلام وسرورا بمقدمة العظيم الى المدينة لانها كما عبرت عن ذلك تستطيع وهو فى المدينة ان ترى طلعته المثيرة وتستمع الى حديثه كل يوم وتستطلع نوره الشريف فى كل لحظة ·

ولما كانت موقعة « أحد » التزمت « نسيبة » بفرضية الجهاد على كل مسلم ومسلمة فقالت لزوجها وولديها :

ــ الان حق الجهاد لنصر دين الله

فقال زوجها : حق الجهاد يانسيبة فهيىء لى سلاحى

وقال ولدها حبيب وعبد الله : حق الجهاد ياأماه فهيىء لنا السلاح

فقالت نسيبة : قدهيأت لكم ولنفسى فان الجهاد فى سبيل الله فرض على كل مسلم ومسلمة ٠

وخرجت الاسرة كلها : نسيبة وزوجها وولداها ليؤدوا الواجب المقدس الذى يفرضه الجهاد على كل مسلم ومسلمة ورآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يحملون سلاحهم يغذون الطريق الى حيث تكون الحرب فقال لهم عليه الصلاة والسلام « **رحمكم الله أهل بيت ، بارك الله فيكم أهل بيت** »

فانتهزت « نسيبة » هذه الفرصة الطيبة وقالت « يارسول الله ادع الله أن نرافقك فى الجنة » فقال عليه الصلاة والسلام « **اللهم اجعلهم رفقائى فى الجنة** » فغمرها السرور وطار بها الفرح وقالت بعد دعاء النبى عليه الصلاة والسلام لها ولاسرتها برفقته فى الجنة « ماأبالى ما أصابنى من أمر الدنيا بعد ذلك »

ودارت رحى الحرب فوق جبل « أحد » بين المسلمين وأعدائهم الكافرين « ونسيبة » بين المحاربين المسلمين تتخلل صفوفهم وهى تحمل قربة الماء تسقى من يعطش منهم وتضمد جرح الذى تصيبه الجروح وتحمس للقتال وتشحذ همم الرجال على البذل والفناء فى سبيل الله ٠٠ وكانت كفة القتال حتى تلك اللحظة فى جانب المسلمين ٠٠ ولما تغير الامر وانهزم المسلمون وتفرقوا أشتاتا ولم يثبت فى المعركة الا النبى عليه الصلاة والسلام وقليل من أصحابه معه وعرف كفار قريش ذلك فأرادوا أن يهتبلوا الفرصة التى يترقبونها من زمن وقدسنحت لينالوا ثأرا من محمد صلى الله عليه وسلم .. فاتجهت جموعهم الى حيث كان يقف وحوله عدد قليل من أصحابه ٠

ونظرت نسيبة فاذا النبى فى مكانه يدافع ببسالة وعزم وسيوف الكفار تنوشه من كل جانب والسهام تنصب عليه من كل صوب ٠ فصاحت كالاسد الكاسر : وامحمداه ٠٠ وانحازت الى ناحيته صلى الله عليه تضرب بالسيف ثم تبتعد فتقذف بالنبل ٠ وتقول هى فى ذلك « خرجت من أول النهار أنظر الناس ومعى سقاء فيه ماء فانتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى أصحابه والدولة والريح للمسلمين فلما انهزم المسلمون انحزت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقمت أباشر القتال وأذب عنه بالسيف وأرمى بالقوس حتى خلصت الجراح الى »

أخذت نسيبة تدافع عن النبى بصدق واخلاص وحمية وتقاتل عنه أشد ما يكون القتال وهى لا تبالى ما يصيبها ٠ وكان النبى عليه الصلاة والسلام فى موقفه ذلك ينظر أمامه فيراها وينظر الى يمينه فيراها وينظر الى شماله فيراها . .فحيثما التفت رآها وفى يدها سيف تضرب به الكفار أوسهم ترميهم به ٠

وضاق بها الكفار ضيقا شديدا فقد عطلتهم براعتها فى ضرب السيف ورمى القوس عن هدفهم وردتهم همتها القتالية الشديدة الوطء عن التقدم لتحقيق غرضهم فشددوا عليها واتجهوا اليها يضيقون الخناق من حولها ليقتلوها .. وأصابتها منهم ضربة سيف فى كتفها فسقطت على الارض ودمها الذكى ينزف ٠

وتحكى نسيبة عن هذه الاصابة فتقول « لما ولى الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل « ابن قمئة » يقول « دلونى على محمد لانجوت ان نجا » فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير وأناس ممن ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فضربنى (ابن قمئة) هذه الضربة ولقد ضربته على ذلك ضربات ولكن عدو الله كان عليه درعان »

طعنت طعنات كثيرة ورأى الرسول صلى الله عليه وسلم دمها يسيل منها فنادى ابنها قائلا : « يا ابن أم عمارة أمك أمك اعصب جرحها بارك الله عليكم من أهل بيت مقام أمك خير من مقام فلان وفلان »

ثم انقشع غبار المعركة وعاد المسلمون يتفقدون القتلى والجرحى فرأوا نسيبة ملقاة على الارض ودمها ينزف وفيها رمق من الحياة وهتف بها هاتف من المسلمين ٠

– نسيبة ؟ كيف أنت ؟ وماذا أصابك ؟

قالت نسيبه : حدثونى أولا عن محمد هل رد الله عنه كيد العدو فنجا ؟

قالوا : رد الله عنه كيد العدو ونجا

قالت : ساعدونى أذهب اليه لاراه بعينى

قالوا ، هلا سألت عن زوجك زيد وعن ولديك حبيب وعبد الله ؟

قالت فى اصرار : لاتحدثونى عن غير محمد .

برىء جرح نسيبة ولكن أثره ظل غائرا فى كتفها تكشف عنه لكل من تسألها من نساء المسلمين عما فعلت يوم أحد ٠٠ وظلت تخدم الاسلام وتؤدى واجب الجهاد فى الحرب وواجب الدعوة الى الله فى وقت السلم وشهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان .. ثم انتقل الرسول الى جوار ربه وولى الصديق ابو بكر الخلافة فواجه أول ماواجهه انقضاض الردة على دين الله فى اطراف الدولة. . وظهر على مسرح الاحداث « مسيلمة » الكذاب بأرض اليمامة يزعم أنه نبى فأرسل اليه أبو بكر جيشا من المؤمنين يحاربه فقالت نسيبة مثلما قالت يوم حق الجهاد أيام موقعة أحد ٠

ـ الان حق الجهاد لنصر دين الله

فقال لها ولدها حبيب بن زيد : أذهب وتبقين يا أماه

وذهب حبيب مع جيش المسلمين يحارب لنصر الله فى أرض اليمامة ودارت الحرب الى أن وقع حبيب أسيرا فى يد مسيلمة الكذاب . فجعل مسيلمة يريده على الكفر بالله ورسوله ويقول له : أتشهد أن محمدا رسول الله

فيقول مسيلمة والضيق يأخذ به ، أتشهد أنى رسول الله

فيقـول حبيب فى ثبـات ويقيـن ، نعـم

فيقول حبيب : لا أسمع

فأخذ مسيلمة يعذبه عذابا مؤلما حتى يرده عن دينه « وحبيب » صابر على الاذى محتمل وقع التعذيب الشديد ثابت على الايمان بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ... فقطعة مسيلمة عضوا عضوا حتى مات وهو يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وخاتم رسله .. وبلغ النبأ نسيبة .. فلم تحزن على ولدها بل قالت :

ـ الان لا ينوب عنى أحد فى الجهاد لنصر دين الله .

ثم حملت سيفها وقوسها مرة أخرى وخرجت للقتال فى سبيل الله يصحبها ولدها الثانى « عبد الله » ونذرت لله ألا يصيبها غسل حتى يقتل مسيلمة .. وكان حرصها كل الحرص على أن تقتله بيدها .. وأعادت فى هذه الحرب سيرتها الشجاعة الباسلة التى كانت عليها فى موقعة أحد . وضاق بها أعوان مسيلمة فاتجهوا اليها ليقتلوها فأصابتها ضربة سيف بترت أحد ذراعيها .. فلم تتقاعس .. بل اضافت على ابنها عبد الله حماسا جديدا وثارا جديدا فقالت له :

ـ انت ذراعى ولا ذراع لى فاحمل على عدو الله حتى تقتله .

وحقق الله أملها فكان ابنها عبد الله هو أحد قاتلى مسيلمة الكذاب .

وتقول أم عمارة « تقطعت يدى يوم اليمامة وأنا أريد قتل مسيلمة وما كان لى ناهية حتى رأيت الخبيث مقتولا واذا عبد الله بن زيد يمسح سيفه بثيابه فقلت أقتلته ؟ قال . نعم . فسجدت لله شكرا .

وبعد انتصار دين الله على الردة فى أرض اليمامة .. عادت نسيبة بنت كعب بذراع من ذراعيها وولد من ولديها وقلب كبير لايكاد يسع فرحتها لانتصار دين الله .. وتبقى سيرتها ما بقيت الحياة تضرب للمرأة المسلمة مثلا يجتذى وقدوة تقتدى فى الجهاد فى سبيل الحق ونصرة الدين ونشر الدعوة فتجمع بجهادها الصادق وايمانها العميق القوى فروع النصر حتى تصبح شجرته باسقة سامقة « يايها الذين آمنوا أن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » صدق الله العظيم ●

« الاستخارة »

حض رسول الله [صلى الله عليه وسلم] على الاستخارة فقال : « ماخاب من استخار ، وما ندم من استشار » .

وابان [عليه الصلاة والسلام] كيفيتها فيما رواه البخارى عن جابر عنه [صلوات الله عليه] من قوله : ـ

« كان رسول الله [صلى الله عليه وسلم] يعلمنا الاستخارة فى الامور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن يقول : اذا هم أحدكم بالامر فليركع ركعتين من غير الفريضة ، ثم ليقل : اللهم انى استخيرك بعلمك ، واستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم فانت تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب ، اللهم ان كنت تعلم ان هذا الامر خير لى فى دينى ومعاشى وعاقبة امرى او فى عاجل امرى وآجله فاقدره لى ويسره لى ثم بارك لى فيه ، وان كنت تعلم ان هذا الامر شر لى فى دينى ومعاشى وعاقبة امرى او فى عاجل امرى وآجله فاصرفه عنى واصرفنى عنه واقدر لى الخير حيث كان ثم رضنى به » .

قال راوى الحديث الشريف : ويسمى حاجته

وليحذر كل من يريد الاستخارة مما يفعله البعض من عدم التقيد بما ورد فى الاستخارة السابقة الذكر من الالفاظ الجامعة للاسرار العلية فان فيه ما فيه من اختيار المرء نفسه غير ما اختار له من هو ارحم به واشفق عليه من نفسه السراج المنير المرشد لما فيه الخير والنجاح والفلاح [صلوات الله وسلامه عليه] .

من أعلام الصوفية

الإمام الشبلي
رضي الله عنه

الأستاذ جودة محمد أبو زيد المهدي

في رياض المحبة الالهية تتنزل النفحات القدسية والمعارف الربانية على قلوب العارفين الذين رفعت لهم ألوية الاصطفاء في سجل الازل فشربت ذواتهم من معين الحب احلى كاسات الوصال ، وهامت أرواحهم في محيط النور اللانهائي حتى صارت نورا محضا يسبح في النور واحتجبت عن عيون الاغيار بحجاب البشرية واستترت بغلاف هذه الترابية فالمظهر مع الخلق والجوهر مع الحق والمعنى في قول الشاعر : —

وما هو منهوبا لعيش فيهم

ولكن معدن الذهب الرغام

وفي ذرى المحبة الشامخة نلتقي بعارف من صفوة أولياء الله تعالى هو تاج الصوفية الامام الرباني سيدي أبو بكر الشبلي رضي الله عنه · قطب حلقت روحه بالافق الاعلى وارتفعت الى منازل الصديقين ، وولي أسكرته أنوار التجريد فنطق عن حقائق التوحيد بما يقطع اوهام الحائرين وينير دروب السالكين فلنلتمس زادا من النور المشع من قبس عرفانه عل جذبة من أشراق فيضه تستل من اعماقنا استار الحجب وتصل بنا الى ساحل الحقيقة والى أفق النور ولنأخذ أولا فيما لابد منه من ترجمته الشخصية بالقدر الموصل لمدخل شخصيته : — في تحقيق تسميته ذكر كثير من مؤرخي الصوفية أن اسمه دلف بن جحدر الشبلي · بينما ذهب آخرون الى أن اسمه جعفر بن يونس · وقد روى السلمي هذه التسمية الأخيرة في طبقاته عن أحد معاصريه ورأى ذلك مكتوبا على قبر الامام الشبلي ببغداد · وأيا كان : فالكل متفق على الكنية واللقب اللذين اشتهر بهما سيدي أبو بكر الشبلي · وقد ولد رضي الله عنه ببغداد سنة ٢٤٧ هـ ولحق بربه سنة ٣٣٤ عن سبع وثمانين سنة · وهو خراساني الاصل · وقد نشأ في بغداد · وكان والده حاجب الحجاب للخليفة الموفق · فتربى الشبلي في ظلال النعمة والمكرمة آخذا بنصيبه من الدين والدنيا · حيث تفقه على مذهب الامام مالك واشتغل بعلم الحديث وروى منه الكثير · ومن مروياته هذا الحديث الذي ذكره السلمي باسناده عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال : الق الله فقيرا ولا تلقه غنيا . قال يارسول الله كيف لي بذلك ؟ قال : ما سئلت فلا تمنع وما رزقت فلا تخبأ. قال يارسول الله كيف لي بذلك ؟ قال : هو ذاك والا فالنار · ومع روايته للحديث واشتغاله بالعلم فقد ترقى في مناصب الدولة حتى صار واليا بنهاوند والبصرة ، وأصبح مقربا من الخليفة واتسع مجده وشهرته ولكن المقادير كانت تدخر له من العناية مالم يدر بخلده · فكان بدء عهده بطريق القوم حينما هيأت له الاقدار ان يحضر الى مجلس الصوفي العارف سيدي خير النساج رضي الله عنه · فاستمع الى حديثه في علوم القوم ورأى ما أبداه الشيخ من عجائب أحواله وخوارقه · وأحس الشبلي بوقع كلمات الشيخ في أعماق نفسه ووجدانه تكشف له عن مدى تفريطه في حق مولاه واعراضه عن طاعة سيده · فانهمرت دموع ندمه وتوبته وقام من مجلس الشيخ وقد تفجرت في اعماقه ذرات الخشية والانابة · وعزم على المضي في طريق مولاه فترك مركزه ورمى بجاهه وشهرته حتى لقد ذهب الى مقاطعة (ودماوند) التي أقطعه أياها الخليفة وقال لاهلها كنت والي بلدكم فاجعلوني في حل وبدأ التحول الخطير في حياة العارف الشبلي · لقد صار يحس بتيار جارف من التعلق بالله يهز أركان نفسه ويقتطعه عن شواغل

المحدثات لمن بيده مقاليد الكائنات • وأخذ يتأمل فى مصير نفسه وماذا يساوى ملك الدنيا بأسرها بجانب نعيم لحظة يتصل فيها العبد بخالقه ؟ أليس منه البدء واليه المنتهى « فالام الفرار من الله ومتى الفرار اليه ؟ وأسرع الشبلى للقاء الامام الجنيد سيد الطائفة الصوفية ليتلقى عنه أصول الطريق الصوفى ولينخرط فى سلك أكرم طائفة • انها طائفة الربانيين من عباد الله • وعلى أهبة الاستمداد من محيط امدادات القوم جرى بينه وبين الامام الجنيد هذا الحوار الحافل بدرر المعانى وهو كما يذكره صاحب كتاب التبر المسبوك : أن الشبلى قال للجنيد : **(لقد حدثونى عنك ان عندك جوهرة العلم الربانى الذى لايضل صاحبه ولايشقى فاما ان تمنح واما ان تبيع • فقال الجنيد : لا أستطيع أن أبيعها لك فما عندك ثمنها • وان منحتها لك أخذتها رخيصة فلا تعرف قدرها • ولكن وقد رزقت هذا العزم فهو علامة الاذن ، وبشير التوفيق • فالق بنفسك غير هياب فى عباب هذا المحيط مثلما فعلت أنا • ولعلك ان صبرت وصاحبك التوفيق أن تظفر بها • واعلم أن طريقنا طريق المجاهدين الاخذين بقوله تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) (فاجعل هذه الاية نصب عينيك فهى معراجك الى ما تريد)** • ووضع الامام الشبلى قدمه على أول الطريق حيث تلقى نسبته الصوفية عن الامام الجنيد عن السرى السقطى عن معروف الكرخى الذى نهل من نبع آل البيت حيث أخذ عن سيدى على الرضا رضى الله عنه من جهة كما أخذ عن سيدى داود الطائى عن التابعين من جهة أخرى • وكان الارتباط بين سيدى أبى بكر الشبلى وسيدى أبى القاسم الجنيد رضى الله عنهما يفوق فى مدلوله حد التصور ، انها صحبة الولاية فى طريق الحق عز وجل ، وانها خلة الروح على صراط المحبة • ولقد كان كل منهما كبيرا فى عين الاخر شامخا فى منزلته سامقا فى رفعته • ولقد بلغ من تقدير الامام الجنيد لمكانة العارف الشبلى بين أقطاب الصوفية أنه قال **(لكل قوم تاج وتاج هؤلاء القوم الشبلى)** انها كلمة حق من سيد الطائفة • والامام الشبلى خليق بها وأهل لها • لاننا حينما نقلب صفحات الجهاد الروحى ونستطلع الجانب العلمى عند العارف الشبلى سنجد – ولاشك – سطورا من النور تشير الى سمو هذه الشخصية وعظم منزلتها . فمن الناحية العلمية – وقد أشرنا اليها بصدد الحديث عن نشأته – يروى صاحب كتاب تاريخ بغداد بسنده عن الشبلى انه قال : (كتبت الحديث عشرين سنة وجالست الفقهاء عشرين سنة] ومرة أخرى يقول الشبلى مشيرا الى نفسه : **(اعرف من لم يدخل فى هذا الشأن حتى أنفق جميع ملكه وغرق فى هذه الدجلة التى ترون سبعين قمطرا مكتوبا بخطه • وحفظ الموطأ وقرأ بكذا وكذا [قراءة]** • ويروى صاحب الرسالة القشيرية ان فقيها من أكابر الفقهاء كانت حلقته بجانب حلقة الشبلى فى جامع المنصور وكان يقال لذلك الفقيه (أبو عمران) وكانت تتعطل عليهم حلقتهم لكلام الشبلى . فسأل

أصحاب أبى عمران يوما الشبلى عن مسألة فى الحيض – وقصدوا اخجاله – فذكر مقالات الناس فى تلك المسألة والخلاف فيها • فقام أبو عمر ان وقبل رأس الشبلى وقال : يا أبا بكر : – استفدت فى هذه المسألة عشر مقالات لم أسمعها ، وكان عندى من جملة ما قلت ثلاثة أقاويل . ا هـ وكان للشبلى لسان عال فى الطريق ومحجة قوية فى الشريعة يشهد بهما كل من تصدى لجداله من الفقهاء فقد كان ابن بشار ينهى الناس عن الاجتماع للشبلى والاستماع لكلامه فجاءه ابن بشار يوما ممتحنا فقال له : كم فى خمس من الابل : فسكت الشبلى فاكثر عليه ابن بشار فقال له الشبلى **(فى واجب الشرع شاة وفيما يلزم أمثالنا كلها • فقال له ابن بشار هل لك فى ذلك امام ؟ قال نعم • قال : من ؟ قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه حيث أخرج ماله فقال له النبى (صلى الله عليه وسلم) : ما خلفت لعيالك ؟ قال الله ورسوله • فرجع ابن بشار ولم ينه بعد ذلك أحدا عن الاجتماع بالشبلى** • لقد كان وراء علم الشبلى بالشرع علم آخر أخذه عن الله الهاما بلا واسطة وكان يقول عن علم القوم (ما ظنك بعلم علم العلماء فيه تهمة) !! فالعلم المكتسب لا يقاس بعلم أهل الله وشتان بين علم أخذ عن الخالق وعلم أخذ عن المخلوق • وهذه صفحة أخرى من جهاد الشيخ فى عبادته وعلمه : لقد دخل عليه أبو بكر بن مجاهد فحادثه فسأله عن حاله فقال : **(ترجو الخير تختم فى كل يوم ختمتين أو ثلاثا ؟) فقال له الشبلى : (أيها الشيخ قد ختمت فى تلك الزاوية ثلاث عشرة الف ختمة • ان كان فيها شىء قبل فقد وهبته لك وانى فى درسه منذ ثلاث وأربعين سنة ما انتهيت الى ربع القرآن**) لقد قصد الشبلى بتلاوته للقرآن الكريم وجه الله اما الثواب فقد وهبه لمن يبتغيه . لقد كان حسبه ان يناجى مولاه بكلامه ثلاث عشرة ألف ختمة ولم يرد ثمنا لهذه المناجاة لانها خالصة لله • فأى نوع هذا من الاخلاص ؟ انه اخلاص الحب لذات الله بعيدا عن منطق الثواب والعقاب • ثم لنطل على جانب آخر من جوانب الجهاد الروحى عند الامام الشبلى حيث نرى جهاد النفس فى طاعة الله وحيث نشرف على مقام المحبة عند هذا الولى • ان الشبلى منذ عرف طريق القوم قد قطع على نفسه عهدا بالتجرد لمولاه • فالحب الذى غمر قلبه لله يأبى أدنى مشاركة • فاختط لنفسه طريق الجهاد الاكبر مع نفسه وهواه • وبلغ به الحد فى مجاهدته نفسه أنه كان يكتحل بالملح حتى لا ينام ويعتاد السهر • وحينما لامه أصحابه فى قلة النوم قال لهم : **(سمعت الحق يقول لى : من نام غفل ومن غفل حجب ، وكان هذا سبب اكتحالى بالملح حتى لا أنام)** • لقد كان يبيت الليل ساهرا يقطع أنفاس السحر فى قيام لربه ويسكب فى دياجى الليل أنات الخشية والانابة • انه الحب الالهى الذى لا يقاس به حب فى الوجود • واذا كان عشق المخلوق قد أفضى بقيس بنى عامر الى الجنون بليلاه فكيف بعشق الخالق ؟؟ • والمحبة الالهية لها وصف لا

يعرفه الا من ارتوى من سلافها . وقد وصفها الشبلى المحب قائلا (المحبة كأس لها وهج ان استقرت فى الحواس قتلت وان سكنت فى النفس اسكرت فهى سكرفى الظاهر ومحبة فى الباطن) ومرة أخرى يقول (المحبة بحار بلا شاطىء وليل بلا آخر وهم بلا فرح وعلة بلا طبيب وبلاء بلا صبر ويأس بلا رجاء) انها قمة المحبة التى تفنى المحب وتأخذه عن نفسه لمحبوبه وان الولى لا يصل الا باشراق شمسها فى قلبه فهى دليله ومنهاجه لذا يقول الشبلى (صراط الاولياء المحبة) ولكثرة ما بدا على الشبلى من لوائح هذه المحبة مع انه كان على بسطة فى الجسم فقد قال له أحد أصحابه يا أبا بكر : نراك جسيما بدينا والمحبة تضنى ؟ فانشد قائلا :ـ

أحب قلبى وما درى بدنى
ولو درى ما أقام فى السمن .

وللامام الشبلى معراج فى الحقيقة يسمو الى مراقى يضيق عنها حد العبارة . ولقد عبر عن تلك المراقى السامية فى مقام يسميه الصوفية مقام الاستطالة . حيث يؤذن للولى أن يتحدث بما أنعم الله به عليه . فلقد سئل مرة من انت ؟ فقال : (النقطة التى تحت الباء) . وهذه العبارة رمز لفنائه فى حقيقة الحقائق التى قامت بها العوالم كلها . ولقد حدث أن العارف الحلاج ـ وهو من أقرب أصحاب الشبلى وأحبهم اليه ـ قد صرح فى هذا المقام بما لا تطيقه عقول العامة واشباههم فكان من امره ما كان واذا قال العارف الشبلى (كنت أنا والحسين بن منصور شيئا واحدا الا أنه أظهر وكتمت) . ولقد تحدث الشبلى عن مفهوم التصوف والصوفية فأعطى لهذا المفهوم روحا جيدة من نفس مترعة فى الحب والتحقق . فهو يعرف التصوف قائلا : (هو العصمة عن رؤية الاكوان) أى عن الرؤية القلبية التى يحتجب فيها الانسان بالكون عن المكون . ثم يقول عن الصوفى : (الصوفى منقطع عن الخلق متصل بالحق كقوله تعالى (واصطنعتك لنفسى) . قطعه عن كل غير ثم قال له « لن ترانى ») .

وقيل له لم سميت الصوفية بهذا الاسم ؟ فقال : لبقية بقيت عليهم ولولا ذلك ما تعلقت بهم تسمية . ومرمى عبارته :ان الصوفى حين ينقطع عن نفسه لمولاه لا يتم له هذا الانقطاع تماما اذ يتبقى له جزء من انيته وحقيقته . وهذا الجزء هو متعلق التسمية ولولاه لكان عدما محضا والعدم لا تلحقه التسمية . أما عن المنهج الذى سار عليه الامام الشبلى فى تربية المريدين فهو ينحصر فى التعلق التام والدائم بالله تعالى . فان صفاء القلب يتعكر بادنى شاغل عن الله . ومن صور تطبيق هذا المنهج ما ذكره الامام الشعرانى من ان العارف الشبلى كان يقول لتلميذه الحصرى وهو فى بداية أمره بالطريق (ان خطر ببالك من الجمعة الى الجمعة الثانية غير الله فحرام عليك ان تحضرنى) انها تربية الرجال لولاية الله . فتفريغ القلب من الدنيا هو أول خطوة على طريق الوصول .

يقول الشبلى (ان الله لم يحتجب عن خلقه انما الخلق احتجبوا عنه بحب الدنيا) . وهو يسائل من ركن بقلبه الى الدنيا قائلا (كيف يصح لك شىء من التوحيد وكلما ملكت شيئا من الدنيا ملكك وكلما أبصرت شيئا صرت أسيره ؟) واذا ففلسفة الزهد عند الشبلى انما هى تحويل القلب من الاشياء الى رب الاشياء وعندئذ لا يضير الصوفى ان يملك الدنيا بأسرها لان قلبه ملك لله وحده . ومن اطرف ما يروى عن الشبلى ما يصور نظرته للدنيا أنه كان عنده جماعة من الفقراء فأصابتهم فاقة وشدة فكتب الى وزير الخليفة (بسم الله الرحمن الرحيم .

أما بعد : وجه لنا شيئا من دنياك . فكتب اليه الوزير على ظهر الرقعة : يا شبلى سل دنياك من مولاك فكتب اليه الشبلى (انما الدنيا شىء دنى ولا يسأل الدنى الا من الدنى . الدنيا هذه ولك منها عبرة فمن يريد العبرة فهو أقل من العبرة) فوجه اليه الوزير عشرة آلاف درهم . ان الشبلى لم يكن مقصده فى هذه الواقعة طلب الدنيا لنفسه وانما هو طلب حق الفقراء فى مال الامة . أما هو فما له وللدنيا انه عاكف فى حضرة مولاه يناجيه ويتقرب اليه ويقول (الهى ان هربت منك طلبتنى وان قصدتك أتعبتنى فليس لى معك راحة ولا مع غيرك انس . فالمستغاث منك اليك] . وقال له الامام الجنيد يوما (لو رددت أمرك الى الله لاسترحت) فقال له الشبلى (يا أبا القاسم لورد الله اليك أمرك لاسترحت) فقال الجنيد (سيوف الشبلى تقطر دما) . انه العارف المستغرق مع ربه وهو القائل (سهو طرفة عين لاهل المعرفة شرك بالله) . عارف يتحدث عن نفسه وعن حاله مع الله . وسئل متى يكون العارف بمشهد من الحق ؟ فقال (اذا بدا الشاهد وفنى الشواهد وذهب الحواس واضمحل الاحساس) .

وقال فى حقيقة الذكر : ليس من استأنس بالذكر كمن استأنس بالمذكور وانشد قائلا :

ذكرتك لا أنى نسيتك لمحة
وأيسر ما فى الذكر ذكر لسانى
وكدت بلا وجد أموت من الهوى
وهام على القلب بالخفقان
فلما أرانى الوجد انك حاضرى
شهدتك موجودا بكل مكان
فخاطبت موجودا بغير تكلم
ولاحظت معلوما بغير عيان

(وبعد) : فماذا نقول عن امام فى المعرفة ارتفعت فوق قمة المحبة الالهية أعلامه . وسرت عبر آماد الدهر اقباس أنواره لتوقد مصابيح القلوب وتحدو ركب السائرين الى نهاية المطاف . فمهما يخط القلم فلن يجف النبع ولن تتطاول الاعين لكى تحدق فى عين الشمس لتحيط بجوهرها . وانما هو شعاع من الضوء اقتبسناه لتنطلع الى أفق ملىء بالنور . فرضى الله عن الامام الشبلى فى الخالدين وجمعنا به فى مقعد صدق عند مليك مقتدر .

شيخ الإسلام المجتهد

محمّد ابن علي الشوكاني

الأستاذ قاسم غالب أحمد

١ ـ الشوكاني القاضي والوزير للمهدي
٢ ـ تغيير مجرى القضاء والركود العقائدي والفقهي
٣ ـ الشوكاني يرد على التساؤلات باعماله
٤ ـ وضوح الهدف والاخلاص في العمل سبب سلامته ونجاحه
٥ ـ الائمة الثلاثة الذين عمل معهم الشوكاني
٦ ـ كان يملك حق السكوت في مواضع وحق المعارضة والتنفيذ في حدود مسئوليته
٧ ـ الشوكاني وضع أساس المعارضة العقائدية والفكرية تاركا للاجيال القادمة مسئولية المعارضة السياسية والتصحيح

لقد وهب الشوكاني أفضل سنوات حياته للعلم والقضاء والتخطيط تاركا المعارضة السياسية الجانبية في بيئته التى كانت كلها صراع ومكاسب شخصية لقد كان مثال التحمل الشجاع أمام كل الاحتمالات متخذا الطريق التى اختارها لنفسه من حصيلة الاراء التى اكتسبها من تجارب المفكرين الذين سبقوه .

لقد اختار بالتحديد طابع المعركة التى خاضها واقتنع بالكسب الكبير الذى حازه لارائه الحرة .

لكل ذلك فقد نجح في اقامة مستويات عقائدية دينية اصلاحية اقامها معالم في طريق المهتدين السائرين من بعده .

قاضي القضاة

في عام سنة ١٢٠٦ هـ والشوكاني القاضي والوزير والمجتهد في سن السادسة والثلاثين من عمره يتوفى متولى القضاء الاكبر للامام المنصور على بن المهدى عباس وكان متولى القضاء الاكبر غالبا مرجع الخاصة والعامة أنذاك وعليه المعول في الرآى والاحكام ومستشار الامام والوزراء فيما ينوبهم او ينوب الدولة من أحداث وأمور باعتباره عالما بأسرار ورموز المذهب الحاكم .

سبب توليه القضاء

قال الشوكاني في البدر الطالع ـ فلما مات متولى القضاء في ذلك التاريخ وكنت اذ ذاك مشتغلا بالتدريس من علوم الاجتهاد والافتاء والتصنيف مبتعدا عن كثير من الناس لا سيما اهل الامر وارباب الدولة فاني لا اتصل باحد منهم كائنا من كان ولم يكن لى رغبة في سوى العلوم وكنت ادرس للطلبة في اليوم الواحد نحو ثلاثة عشر درسا منها ماهو في التفسير كالكشاف وغيره ومنها ماهو في الاصول كالغاية وحاشيتها وغيرها من كتب الاصول ومنها ماهو في النحو والمعاني والبيان والفقه وغير ذلك من العلوم مع ما يعرض لنا من تحرير الفتاوى ومن التصنيف .

مؤسس الافكار الدينية الحرة

وهكذا يسرد لنا الشوكاني حياته العلمية والاجتماعية واهتمامه بالدرس وأحوال مجتمعه الى اليوم التى طلب فيها لتولى القضاء وها نحن مع القراء نقرأه من قوله ـ فعزمت الى مقام الامام الذى

ذكر لى انه قد رجح قيامى مقام القاضى المتوفى فاعتذرت له بما كنت فيه من الاشتغال بالعلم فقال الامام ان القيام بالامرين ممكن وليس المراد الا القيام بفصل ما يصل من الخصومات الى ديوانه ٠

فاجبته بقولى لابد من الاستخارة واستشارة اهل الفضل من العلماء وما اختاره الله ففيه الخير فلما فارقت الامام كنت مترددا اقبل القضاء ام لا اقبله وهكذا عشت فى هذا التردد اسبوعا كاملا لكنه وفى هذه الاثناء وفدت الى وفود العلماء من مدينة صنعاء وغيرها من المدن - واجمعوا كلهم على ان الاجابة واجبة قائلين انهم يخشون ان يدخل فى هذا المنصب الذى اليه مرجع الاحكام الشرعية فى جميع اليمن من لا يوثق بدينه وعلمه واكثروا من هذا الالحاح وارسلوا بالرسائل المطولة بعد كل هذا قبلت القضاء مستعينا بالله ومتوكلا عليه ٠

تغيير مجرى التاريخ القضائى والفقهى فى اليمن تساؤلات

ويرد على الاذهان سؤالان من هذا الوطن هل أصاب الشوكانى بقبوله منصب القضاء وماذا استفاد الفقه والقضاء منه وماذا افادت الدولة منه فدفعها الى ان يتمسك به ثلاثة ائمة على التوالى من عام ١٢٠٩ الى عام وفاته ١٢٥٠ هـ ٠

الجواب

وغالب الظن ان الشوكانى راى فى منصب القضاء بعد الاستخارة والاستشارة فرصة متاحة له لنشر ارائه التحررية فى مدارسه التى يبنيها بعقله وكتبه ورسائله كما ان منصب القضاء يتيح له الفرصة العملية لتطبيق اجتهاداته وازالة الظلم الذى يتجرعه اليمنيون باسم الشريعة الامامية ولا خير فى علم يظل قولا بلا تطبيق ولا فى عالم لا يشارك فى بناء العدالة الاجتماعية بوحى من الدين الاسلامى الذى جاء رحمة للعالمين ٠

هذا من ناحية ومن ناحية اخرى فان منصب القضاء سيصد عنه كثيرا من التيارات المعادية التى تجمعت ضده لكل ماسبق نجح الشوكانى اكثر من غيره

سر النجاح

وكان سر نجاح الشوكانى يكمن فى وضوح الهدف الذى كرس حياته للوصول اليه لانه كان ظاهرا واضحا لكل من جالسه او قرأه من كتبه ورسائله وفتاويه المتحررة من قيود المذهب الهادوى الشيعى ٠

كان كأى عالم حر يمنى عانى من المذهبية الحاكمة مالم يعانه عالم بدرجته وفى أى شعب من الشعوب العربية أو الاسلامية لقد خالط الشوكانى الناس باختلاف طبقاتهم خالطهم مواطنا وعالما وحاكما ووزيرا ٠

خالط مواطنيه مخالطة جعلت الناس يفهمونه ويفهمهم فالتفوا حوله حيا وبكوا عليه وتتلمذوا على كتبه ووفوا لمبادئه ميتا ٠

ولئن ضر الشوكانى عند الرافضة تمسكه حتى الموت بالدعوة الى الاخوة والوحدة تحت كلمة الاجتهاد والرجوع الى كتاب الله وسنة رسوله وترك المذهبية المفرقة فلقد نفع الشوكانى عند المسلمين عامة وشعبه اليمنى خاصة تمسكه برايه الذى يدعو الى وجوب الاجتهاد والجهاد فى سبيل كتاب الله واعلاء كلمة الاسلام ومبادئه العادلة ٠

ان الشوكانى العالم عدو العبودية المتسترة تحت كلمة الوصية والتقية والتقديس والعصمة اختار طريقه المليئة بالاشواك انه العالم الثائر الذى اعطى مجتمعه اكثر مما اخذ منه وهكذا طبق القاعدة التى تقول بان المصلح يعطى ولا يأخذ ويبذل ولا يقتنى - لقد كان الشوكانى جندى العدالة الشجاع الذى حارب فى **الله كل الدعاة الذين يزعمون بأن الاسلام كل الاسلام** موجود فى مذهبهم غائب ومزور مكذوب فى مذاهب غيرهم لقد **انتصر حيا وانتصرت دعوته الى الاجتهاد أو الجهاد ميتا ٠**

اراد وأرادوا

اراد الائمة الحاكمون الدين عاصروا الشوكانى قاضى القضاة فى دولتهم ان يستتروا وراء شهرته وعلمه ونزاهته وان يشغلوا الناس بالرأى الذى ينادى به فى الاجتهاد بعد ان بلغ التزمت والارهاب المذهبى الشيعى ايام القاسم وابنائه القمة ٠

وما كان للشوكانى الذى أقام الشعور الدينى المتحرر فى اليمن واقعده بالكتب والاراء المتحررة الاسلامية والناس أكثرهم مؤيد واقلهم حاقد معارض ٠

وأراد الشوكانى من قبوله القضاء اصلاح القضاء وتصحيح العقيدة وتوحيد الامة الممزقة ٠

وتحقق لكل هدفه وخسرنا مكاسب كان من المنتظر تحققها لو بقى الشوكانى بعيدا عن الحكم والامامة الحاكمة ٠

وارتبط الشوكانى بتاريخ ثلاثة ائمة ربطه القضاء ببعضهم والوزارة بالبعض الاخر والثلاثة الائمة هم المنصور على وابنه وحفيده ولقد اسكت الشوكانى لسانه عن تصرفات هؤلاء الاشخاص حتى ضمن استمرار سكوتهم عنه ناشرا لدعوته وفى اثناء ذلك كان له انتاج علمى تطبيقى ٠

ومهما يكن من شىء فقد اعتبر نفسه فى محنة القضاء التى ابتلى بتوليه ٠

هنأه العلماء بقولهم له ٠

اقاضى قضاة المسلمين ومن لـه
اسانيد فضل دونه يذهل الذهل
وقول الانسى القاضى الشاعر
وانك عالم القطر اليمانى
ومجتهد الزمان بلا مراء
وان شريعة الدين استنارت
بما سميت فيها للقضاء
اصاب بك الخليفة فرض عين
عليك مضيقا وقت الاداء
فلو لم تقض بين الناس طوعا
أثمت بما جنحت الى الاباء

اما المطهر الحسن الهاشمى فقد كتب الى الامام قصيدة طويلة منها :

نظم الامام شريعة الديوان
بالحاكم العلامة الشوكانى

وتناسى أو نسى الشوكانى كل هذه التهنئات ذاكرا رسالة العلامة محمد بن حسن الحوثى الذى كتب للشوكانى تعزية بدلا من التهنئة فهو يقول لقد وقعت تعزيته لا تهنئتهم موقعا عظيما منى

الائمة الثلاثة

كان لكل واحد منهم مشاغله السياسية والادارية والشخصية جعلته يعتبر الشوكانى كنزا يحرص عليه ولا يفرط فيه ٠

اول الائمة المنصور على فقد تولى الامامة بعد وفاة ابيه عباس سنة ١١٨٩ هـ باعتباره ولى العهد ووريث القداسة والامامة ٠

قال المؤرخ الواسعى وكان داب الامام المنصور امير المؤمنين الاحتجاب والميل الى مجالسة النساء من الحرائر والاماء فبايامه سقطت تهامة فى يد الشريف حمود وبايامه ترك الحبل على الغارب للوزراء يتصرفون كيفما شاءوا حتى حدث الخلاف الشديد بين الامام وابنه احمد وتحركت القبائل على صنعاء تريد نهبها واباحتها وبايامه كما قال الواسعى فى ص ٢٢٥ كثر النهب والسلب والقتل وقطع الطرق وبلغ غلاء المعيشة اقصى غاية ومات من الجوع خلق كثير ٠

تدخل الشوكانى

لقد تدخل الشوكانى فى اثناء هذه المحنة التى اصابت المواطنين وسفكت فيها الدماء وانتهى الامر بفض النزاع بعد ان تنازل الاب للابن الذى استلم السلطة كاملة وسمى نفسه بالامام المتوكل احمد وقد تولى الامامة من سنة ١٢٢٤ هـ الى سنة ١٢٣١ واختط هذا الامام لنفسه سياسة أخرى فقد استطاع تحريض وتاليب القبائل وضرب بعضها ببعض يضرب المدن الآمنة بارسال العشائر اليها باسم الخطاط ثم فتح غزوات جديدة فى جنوب اليمن الطائع باسم التاديب الدينى ومن وراء كل ذلك جمع الاموال والنهب متعللا بالقاعدة المذهبية التى تقول لا يحل للمواطن من ماله الا ما تطيب به نفس امامه وكان الشعراء يرددون البيت الذى يستشهد الامام به فى قصائدهم ٠

للهدم مارفعوا والنهب ماجمعوا
والقتل ماولدوا والسبى مانكحوا

قال المؤرخ الواسعى فى ص ٢٢٦ ٠

ويكفى ان تعلم ان هذا الامام ملأبيتا من الذهب والفضة ومن جميع انواع الملبوسات والاحجار النفيسة من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت ومن آلة السلاح مايفوق عن العدومن الة الطيب ماتعجز عنه الملوك وغير ذلك مما يطول حصره ٠

ثالثة الاثافى الامام المهدى عبد الله بن الامام احمد تولى الامامة بعد موت ابيه سنة ١٢٣١ واستمر الى سنة ١٢٦٧ هـ وهو اول من فكر بمصادرة اموال وزراء أبيه واعيان البلاد وكان يولى الرجل اى عمل ثم يعزله ويصادر امواله فطريقته اذن طريقة جديدة لاخذ الأموال قال المؤرخ الواسعى فى ص ٢٢٧ كان الامام المهدى كثير الاصحاب والميل الى الشهوات واللذات وسماع اللهو والتغافل عن الملك وبهذه السيرة اخيفت السبل ونهبت الاموال مما جعل الامام السراجى يقوم بالمعارضة له وحاصرت القبائل صنعاء ولكن الامام المهدى استطاع ان يغرق هذه القبائل المحاصرة بالمال فانفضت القبائل من تبعية الامام السراجى وسلمته للامام المهدى اسيرا ٠

المعركة التى اختارها الشوكانى محددا هدفه الاصلاحى

هولاء هم الملوك او الائمة الثلاثة الذين تعامل معهم الشوكانى كل ما فى الامر انهم تركوا التعصب المذهبى الشيعى اما الانحراف فى الحكم فالائمة كلهم ابناء علات وباسلوب واحد يحكمون لا فرق بين امام وامام ٠

ومع كل ذلك فقد رأى الشوكانى حينما لم يكن له حول ولاقوة يستطيع بواسطتها تغيير الواقع اليمنى غير ما يستطيعه من تنفيذ الاحكام الشرعية التى هى من اختصاصه وغير ما يقدمه من التوجيه معتقدا ان المعارضة لصميم الامامة والحكم لن يتم الا اذا صححت المفاهيم الدينية ورفضت عصمة الامام ــ على ان الشوكانى كان يعرض ويوجه تلاميذه ببعض المصطلحات التى يعرفونها ٠

لقد ترك الشوكانى الائمة الذين واكبهم يحتفظون بسلطتهم ايام حياتهم كملوك ولكنه لم يترك لهم فرصة الحديث عن عصمتهم ومذهبهم الذى يعطيهم تكفير المسلمين وحق التصحيح بحكم عصمتهم ووجوب طاعتهم ــ لم يعط الفرصة حتى لاولئك الشعراء الذين يلغون فى اوانى الصحابة والتابعين وقادة المسلمين لقد حارب العقائد المضللة وترك المعارك السياسية التى خاضها ابن الامير والمقبلى وغيره من العلماء الذين طردوا واوذوا فى الله ٠

لماذا لايفر الشوكانى من المعارك السياسية مادام فساد اصله من العقائد المضللة لماذا لا يترك معارك السياسة ويخوض معركته العقائدية التى هو كفوء وناجح فيها ٠

لماذا يقحم نفسه فى حرب لاتكافؤ فيها وهو يعلم اصل الفساد وجرثومته وما دام باستطاعته ان يبنى العقول وان يعالج الافات المذهبية التى شاعت فى كل عصور الائمة والتى تنكمش تارة لتعود حكما مذهبيا باعنف مما كانت وبانصار جدد وبطامعين افسدوا بدجلهم ذهن العامة وارهبوا الخاصة

وما دام الشوكانى رائدا وقائدا ومبرزا فى مدرسة الاجتهاد والتحرير العقلى والمذهبى تحت لواء الكتاب والسنة ٠

ما دام الشوكانى قائدا ناجحا فى هذا الميدان يقارع الشديدة بالعقيدة العقلية الدينية المتحررة

فليمضى محاربا مع جنوده من طلبته فاتحا فى ميدان الفقه والاجتهاد والجهاد آفاقا جديدة مؤسسا عدالة اجتماعية اساسها المساواة والاخوة والكفاءة والاخلاص النزيه فى الاعمال لا فى الاقوال ٠

أبو على المحسن التنوخى

الدكتور عبده بدوى

كثيرا مانظلم حضارتنا ، ونصغى – ربما بشغف – الى من يجهر لها بالقول بل كثيرا ما نتبنى ما يذكره بصفة خاصة اعداء هذه الحضارة، دون ان ندرى اننا نسىء الى انفسنا مرتين : مرة حين قبلنا « قضايا مسبقة » دون مناقشة وتمحيص ، ومرة أخرى حين عجزنا عن التعرف الحقيقى لحضارتنا وتأصيلها وترشيدها .. ومن هذا يكون من الضرورى ان نتعرف بأنفسنا على ينابيع حضارتنا ، وان نجتهد فى خلق تصور حضارى خاص بنا ، وبهذا وحده نستطيع ان نتماسك حضاريا على رقعة كبيرة من التاريخ .

وعلى كل فما اكثر ما سمعنا ان القصة القصيرة – فضلا عن الطويلة – ابداع غربى وان العقلية العربية بحكم تكوينها عاجزة عن خلق هذا النوع المركب من الابداع .. وفى مواجهة هذه الدعوى نحاول الان التعرف على الحقيقة فى هذا المجال من خلال شخصية اسلامية شامخة هى شخصية القاضى « ابو على المحسن بن على بن محمد التنوخى » .

وحقيقة لقد اهتم المستشرقون اهتماما كبيرا بهذه الشخصية ، وكان فى مقدمة المهتمين ما سينون ، وماجليوث ، والمستشرق الهولندى الدكتور سنوك، وكما عرف كارل بروكلمان به شخصيا عرف بواحد من كتبه الهامة وهو كتاب (الفرج بعد الشدة) فلقد ذكر عنه أنه مجموعة من الاخبار والنوادر على نحو ماكتب المدائنى ، وابن أبى الدنيا ، ومن غريب ماذكر عن هذا الكتاب أن لوزن ربط فى مجلة الساميات الالمانية بين احدى القصص التى جاءت فى هذا الكتاب (٢ : ٥٢ وما بعدها) وبين رواية عروس كورنث للشاعر الالمانى جوته .

وكما اهتم به المستشرقون اهتم به كذلك الادباء والمؤرخون العرب مثل الثعالبى وابن خلكان ، وياقوت ، وابن قطلوبغا ، وابن تغرى بردى ، والخطيب البغدادى ، وابن عماد الحنبلى ، وقد اعتمد عليه بصفة خاصة الامام ابو الفرج عبد الرحمن الجوزى فى هذا النوع من القصص الذى ذكره فى كتابه « ذم الهوى » .. ومن المحدثين الذين اهتموا به محمد كرد على ، والدكتور زكى مبارك ، وصادق الملائكة .

ومن مجموع ماكتبه هؤلاء نعرف انه ولد بالبصره فى (٢٦ من ربيع الاول عام ٣٢٩ هـ – ٢٠ ديسمبر ٩٤٠ م) وهناك من يذهب الى انه ولد فى عام ٣٢٧ ، وان كان هناك اجماع على موته عام ٣٨٤ هـ .. ولقد تلقى العلم فى البصرة على ابى بكر الصولى ، وابى الفرج الاصفهانى ، والحسين بن محمد بن عثمان النسوى وغيرهم .. ثم انتقل الى بغداد ، وهناك تألق وعذبت الحياة على شفتيه الى حد ان الخليفة الطائع ارسله ليخطب له ابنة عضد الدولة البويهى ، كما انه تولى القضاء فى قصر بابل

ونواحيها (٣٤٩ هـ ـ ٩٦٠ م) ثم تولى نفس المنصب فى عسكر مكرم ، وايدج ، ورامهرمز ، وواسط ، واخيرا استقر به المقام فى بغداد ٠

وقد كانت حصيلة هذا العمر : ديوان شعر ، وكتاب نشوار المحاضرة واخبار المذاكر ، (والنشوار كلمة فارسية اصلها نشخوار بمعنى جرة الحيوانات المجترة واستعملها بمعنى حديث ، وكتاب المستجاد فى فعلات الاجداد ، وكتاب الفرج بعد الشدة ٠

وكل الذين كتبوا عنه مجمعون على انه كان من كبار الكتاب فى عصره ، ولعل هذا بالاضافة الى طبيعة كتبه السابقة وطريقة كتابتها ينفى ما ذكره ابن تغرى بردى فى النجوم الزاهرة من ان كتاب الفرج بعد الشدة ليس له وانما لوالده ٠

وعلى كل فمن كتبه نعرف ولعه بالتاريخ واهتمامه بالاحداث ، وبالحكايات المثيرة ونعرف كذلك عمق فهمه للعصر الذى كان يعيش فيه ، كما نعرف عنده محاولة ذكية لتخطى الاساليب وطرز الكتابة السابقة عليه ، بالاضافة الى ادراكه لكل جديد ومساندته ، وهو فى الوقت نفسه لا يدلل عصره ، ولا يكسر رقبته امام الملوك والامراء فهو يقول « ٠٠ فقد خرج فى أعمارنا وماقاربها من السنين من مكنون اسرار العلم ، وظهر من دقيق الخواطر والفهم ، ما لعله كان معتاصا على الماضين ، وممتنعا على كثير من المتقدمين » ٠ ويقول « ٠٠ والاشتغال من العامة بالمعاش قاطع ، ومن الرؤساء بلذاتهم البهيمية قانع » ويقول « ٠٠ فنحن حاصلون فيما روى من الخبر انه لا يزداد الزمان الا صعوبة » وقد اشار الى هذا الدكتور زكى مبارك فى قوله « لم يكن المؤلف راضيا عن الحكام والامراء من أهل زمانه ، فهو يراهم من المتخلفين فى طباعهم ومذاهبهم » ٠

ومهما يكن من شىء فقد حاول « ابو على المحسن التنوخى » ان يحدث فى اسلوب الكتاب شيئا جديدا ، وذلك حين رأيناه يقترب من اللغة المحكية ببساطة جميلة ، وهو نفسه يقول « ٠٠ وجعلت قصدى الى الايجاز ، والاختصار ، واسقاط الحشو ، وترك الاكثار ، وان كان المجتمع من ذلك جملة يستطيلها الملوك ، ولا يتفرغ لقراءتها المشغول » ولعل هذا هو الذى جعله يحتفظ بتلك النكهة المكثفة التى توجد فى بعض الكلمات العامية ، فقد اقتبس منها فى مواضع كان الاقتباس فيها ضروريا وملحا ٠

ومن خلال هذه البساطة المحببة والرفاقة ظهرت حقيقة مجتمعه ، وظهر فى الوقت نفسه موقفه منه ، فهو كثيرا ما يحتج على ما فيه ركود ، وهو كثيرا ما يتعمد اظهار المفاسد والمتناقضات التى تعيش فى الطبقة العليا من المجتمع ، فهناك العديد من الصفحات التى يذكر فيها ان الرشوة كان سلوكا طبيعيا فى مكاتب الوزراء ، وهو لا يفتأ يذكر أن العبث وضيق الافق وابتعاد الناس عن حضارتهم الاصيلة كان شارة معلقة على صدر الكثيرين فى زمنه ، وهو لا يقف عند حد الشخصيات التى يسوقها من الخارج ، لانا نراه يقلبها ــ ان صح التعبير ــ ليراها الناس من اقصى نقطة ، ليراها الناس من الاعماق ، ثم هو لا ينسى ابدا فى العديد من قصصه ان يؤكد على الجوانب الاخلاقية وعلى القيم الراسخة ، فهو مثلا فى احدى قصصه يجعل ابا يقول لابنه « لا تسرف فى مالك فتحتاج الى ما فى ايدى الناس ، ولا تجده ، واعلم ان القليل مع الاصلاح كثير ، والكثير مع الفساد قليل ، فالزم السوق وكن اول من يدخلها ، وآخر من يخرج منها ٠٠ الخ ٠

والقاضى التنوخى يقدم ـ فيما يقدم ـ منهجا جديدا للكتابة داخل اطار عصره ، فهو يقول « فانهم نسقوا ما أودعوه كتبهم جملة واحدة ، وربما صادفت مللا من سامعيها ، او وافقت سآمة من الناظرين فيها ، فرايت ان انوع الاخبار ، واجعلها ابوابا » ٠٠ والظاهرة التى تستحق التقدير عند القاضى التنوخى انه احس فى عصره انحلالا وانهيارا ، ورأى طمع الامم من حوله فى الامة الاسلامية ، بل راى بعض الاطراف تنتقص ، وبعض الجوانب تتداعى ، ومن هنا رأيناه يلتفت التفاتة عميقة ببحثه فيما هو ايجابى داخل حضارته ، فهو لم يعمل على اشاعة الخوف واليأس فى مجتمعه وانما راح ينقب ويستخرج كل ما هو ايجابى فى الحضارة الاسلامية ، كانه كان يريد ان يقول للناس ان فى حضارتكم عنصر صلابة لن ينتهى ابدا ، ولعل هذا كان وراء كتابه العظيم والرائد فى فن القصة العربية ٠٠ هذا الكتاب المسمى « الفرج بعد الشدة » فهو اراد ان يقول للناس بعد ان راى المصائب والمحن تتوالى كقطع الليل « ايها الناس لا تيأسوا من حضارتكم وأنفسكم فبعد الشدة فرج » اى فرج ! وهو اراد ان يقدم من خلال قصصه عددا من النماذج المستعصية على الموت والتى تقول حتى وهى تنكسر ان بعد الشدة فرجا .. اى فرج !

٠٠ من كل هذا نعتقد ان علينا الا نصغى الى اعدائنا ، والا يذهب بنا الشك الى فقدان الحقيقة ، وفى الوقت نفسه يجب ان نعتقد دائما ان الحضارة الاسلامية ليست حضارة الرعب واليأس والاستسلام ، وانما حضارة التماسك والتفاؤل رغم المحن والمصائب ، فبين ظلامها العاتى يولد فجر مبتسم ، ورغم شدتها ــ كما يقول ابو على المحسن التنوخى ــ يوجد فرج !

من أعلام الكفاح البحرى فى الإسلام

يحفل تاريخ الشعوب الاسلامية بكثير من معارك الكفاح ، التى خاضها آباؤنا البواسل ، فى سبيل الذود عن حرياتهم وأوطانهم ، والدفاع عن عقيدتهم .
وتعد المعارك البحرية التى خاضها أبناء الشواطىء الاسلامية ، فى البحر الابيض المتوسط فى أعقاب المذابح التى تعرض لها مسلمو الاندلس ، والحملات الضارية التى استهدفت لها الثغور العربية بشمال أفريقية ، من أروع ما ينبض به هذا التاريخ من مواقف البطولة والاستبسال .

وفى السطور الاتية ، سأقدم للقارىء بطلا من أعظم أبطال تلك المعارك ، وهو أمير البحر (طور غود) الذى لقبه بعض المؤرخين المسلمين [بسيف الاسلام المسلول] لما حققه من انتصارات بحرية متتابعة ، على أعداء الاسلام ، حتى حظى بالاستشهاد فى سبيل الله فى احدى المعارك البحرية التى اشترك فيها ، لغزو جزيرة مالطة فى سنة ١٥٦٦ م .

وبرغم ان [طورغود] كان ينتمى الى أسرة من الفلاحين الاتراك ، وقد نشأ لذلك فى بيئة ريفية ، تنعم بالعزلة والهدوء ، فقد كان يحن شوقا – منذ نعومة أظافره – الى الحياة البحرية ، برحلاتها ومغامراتها المثيرة . ولذلك فقد كان أول شىء اشتراه من ماله الخاص الذى جناه من احتراف المصارعة قاربا صغيرا ، وراح يتهادى به فى المياه القريبة من الشاطىء ، متطلعا الى ذلك اليوم الذى يستطيع أن يقود فيه سفينة كبرى ، تحمله الى الشواطىء النائية وتتيح له الاشتراك فى المعارك البحرية الطاحنة ، التى كانت تنشب فى البحر الابيض ، من آن الى آخر ، بين السفن الاسلامية والاوروبية .

وشاء حظه أن يلفت بحسن قيادته لذلك القارب ، وقوة تجديفه أنظار القائد البحرى العظيم [خير الدين بربروس] الذى كان يقود أسطولا يضم آلافا من المجاهدين المسلمين ، معظمهم من الاندلسيين المهاجرين ، والمغاربة والاتراك ، فحقق له أمنيته الغالية ، وضمه الى رجاله .

وبفضل ما كان يتمتع به (طور غود) من شجاعة خارقة ، وقوة جسدية فائقة ، وشخصية قوية غلابة ، وجلد على احتمال المشاق ، لا يؤلف من انسان عادى ، فقد استطاع أن يحظى بمكانة مرموقة بين أعوان خير الدين ، فاسند اليه بعد فترة وجيزة قيادة احدى مجموعات السفن ، التى كانت تعمل تحت قيادته ، فكان يهاجم السفن الاوروبية التى تجوب البحر المتوسط ، ويشن بها الغارات على الشواطىء الايطالية ، وبعض الجزر مثل صقلية ، وكورسكة ، وسردينية . ويعود مثقلا بالغنائم ، متوجا بأكاليل النصر .

وكان العيب الوحيد الذى يؤخذ عليه ، هو اندفاعه الجنونى ، وتماديه فى الحماس ، كلما اشتبك فى احدى المعارك ، ولو ادى به الامر الى خرق ما كان يصدر اليه من الاوامر . الى الحد الذى كان يعرضه ومن معه لكثير من المآزق ، التى لم تنقذه منها سوى العناية الالهية .

وكان أخطر مأزق مر به ذلك الذى تعرض له على شاطىء جزيرة [كورسكة] فى نحو سنة ١٥٤٠ م . عندما فاجأه القائد البحرى [جيوفانى دوريا] ابن أخى أمير البحر الايطالى [أندريا دوريا] قائد أسطول الملك [شارل الخامس] ملك اسبانيا ، أثناء قيامه بتقسيم الغنائم التى ظفر بها فى حملة بحرية موفقة ، فوقع [طور غود] فى أسره .

وأبى (طور غود) – عندما سيق بين يدى خصومه – أن يظهر خضوعه له بل أظهر استخفافه به واحتقاره له : فأمر رجاله أن يلهبوا ظهره بالسياط ، فضرب ضربا مبرحا ، وربط بأعلى صارى احدى السفن . ثم قيدو من معه من أسرى المسلمين فى سلسلة طويلة ، واستخدموا فى تسيير السفن الحربية الايطالية ، تحت ضربات السياط ، التى كان يهوى بها الحراس على ظهورهم العارية .

وقد تحمل [طورغود] تلك المحنة القاسية ، بكل ايمان وجلد ، ولم يفقد لحظة واحدة ، الامل فى رحمة الله . ويروى المؤرخ الامريكى [هارولد لامب] فى كتابه عن السلطان [سليمان القانونى] أنه كان فى أسره هذا دائم المرح برغم ما كان يعانيه من سوء المعاملة ، ولم يشك قط من وطأة السياط التى كانت

تلهب ظهره . وحدث ذات يوم أن نظر اليه (دولا فاليت) - أحد قادة فرسان مالطة المشهورين بعدائهم للاسلام والمسلمين - وهو مقيد فى السلاسل ، ويحرك المجاديف بساعديه ، فتذكر ما كان قد حل به ايضا عندما وقع ذات يوم فى أسر بعض الغزاة البحريين من المسلمين ، ثم قال له : « هذه شيمة الحرب يا سيد طور غود » فتذكر [طور غود] مشهد [دولافاليت] عندما كان فى مثل موقفه ، وابتسم ، وهو يقول فى مرح « نعم انها دورة الحظ » .

ولم يهنأ بال خير الدين حتى ارغم [أندريا دوريا] على اطلاق سراح [طور غود] ومعه أربعمائة من أسرى المسلمين، بعد أربع سنوات قضاها فى الاسر فرجع الى ميدان الجهاد البحرى ، اكثر مما كان عليه حماسا وجلدا ، وزاد على ذلك أيضا ، ماأصبح يتأجج بين جوانحه من لهيب الثأر .

وبفضل ما اكتسبه خلال أسره من الخبرة بطباع الاوربيين وأساليبهم البحرية والحربيه استطاع أن يستغل مواطن الضعف فيهم ، ويتقن وسائل خداعهم ، وكثيرا ما كانوا يستقبلون سفنه على انها سفن أوروبية ، ثم يفاجؤون بعد فوات الاوان بأنهم سقطوا بين براثن خصمهم اللدود .

وبعد اطلاق سراحه بوقت قصير استطاع أن يستولى على سفينه أوروبية كانت متجهة نحو جزيرة مالطه ، ويغنم ما بها من الذخائر والاموال ، ومنها ٧٠ ألف دوكات (وهى احدى العملات الذهبيه) . كما استطاع فى احدى المرات أن يرسو بسفنه على شاطىء جزيرة صقلية ، وأن يجتاحها برجاله ، على مرأى من نائب الملك فيها ، ويبحر منها محملا بالغنائم والاسرى فى أمان الله .

وقد بدأ طورغود غزواته الجديدة بأسطول صغير قوامه ١٤ سفينة ، راح يشن به غزواته المتلاحقة على الشواطىء والجزر الاوربية كما دفعه لطرد الحاميات الاسبانية من الثغور العربية التى كانت تحتلها بالشاطىء الافريقى .

وعندما توفى قائده العظيم [خير الدين بربروس] فى سنة ١٥٤٦ استطاع أن يحمل بعده راية الكفاح فتضاعفت سفنه ، والتف حوله آلاف من المتطوعين البحريين .

ومن أشد المآزق التى تعرض لها ، وكادت تقضى عليه قضاء مبرما ، تلك التى حدثت له فى سنة ١٥٥١ عندما اتخذ من جزيرة [جربة] عند الشاطىء التونسى ، مقرا له . فبينما هو مشغول ذات يوم باصلاح سفنه فيها ، اذا بمجموعة من السفن الحربية يقودها أمير البحر أندريا دوريا نفسه . تظهر فجأة عند المدخل الضيق المؤدى الى الميناء ، ويسده تماما عليه .

وعندما تأكد [أندريا دوريا] أن السفن التى يراها هى سفن [طور غود] تهلل فرحا ، وأيقن أنه أوقع خصمه العنيد فى شرك لا فكاك منه . وبرغم أنه كان لديه من السفن والقوات ، اكثر مما كان لدى خصمه ، فقد اكتفى بسد مدخل الميناء ، ثم بعث الى الحكام الاوروبيين، يطالبهم بأن يبعثوا اليه بأساطيلهم فبعثوا اليه بعدد وفير من سفنهم ، وقدم نائب الملك بصقلية [جوانى دى فيفا] بنفسه على رأس قوات ضخمة ، وأسطول عظيم . وعندما وجد (أندريا دوريا) أنه جمع من السفن والمقاتلين ، ما يفوق سفن المسلمين وقواتهم أضعافا مضاعفة ، مما يكفل له نصرا حاسما محققا ، بدأ يطلق نيران مدافعه المتلاحقة نحو الميناء ، الا أنه سرعان ما لاحظ أنها تخطىء فى المرمى ، وتكاد لا تبلغ الهدف المنشود . فأصدر الامر الى قواد سفنه بالاندفاع بكل سرعتهم وقوتهم نحو الميناء .

وأدهشتهم كثيرا أن مدافع أعدائهم لم تجاوبهم على طلقاتهم ، ثم أدهشهم أكثر من ذلك أنهم فوجئوا بخلو الميناء من أى أثر لسفن المسلمين .

وكان الامر محيرا حقا ، اذ كان من المؤكد أن تلك السفن لم تغادر ذلك الميناء ، لان سفن [أندريا دوريا] كانت تسده تماما ، ولا تسمح بمرور قارب صغير . وكان من المؤكد أيضا أنه لم يكن يوجد هنالك منفذ آخر الى ذلك الميناء فما الذى حدث اذن ؟

لم تطل دهشة أمير البحر الايطالى طويلا . فما ان بلغ الميناء ، حتى اكتشف أن أعداءه قد أقدموا على عمل لايخطر على بال بشر ، ولا يستطيع انجازه فى تلك الفترة الوجيزة رجال عاديون .

ففى خلال الفترة التى قضاها [أندريا دوريا] منتظرا عند مدخل الميناء ، حتى تأتيه النجدة من كل مكان ، وقد أدرك (طور غود) منذ البداية أنه لن يستطيع الصمود لذلك العدد الوفير من السفن الحربيه ، التى كانت تحمل من المدافع والمقاتلين أضعاف ما كان لديه منها ، وأن الصمود لخصمه ، وهو على هذا القدر من القوة ، لن يكون سوى مجرد عمل جنونى ، كما أن التسليم له ، أمر لايحتمل مجرد التفكير فيه ، فقد عقد العزم فورا على انجاز عمل جنونى آخر ، الا أنه يدخل على أى حال فى حدود المستطاع ، اذا أحسن تنفيذه ، وبذل فى سبيله أقصى ما يمكن بذله من الجهود .

فقد بدأ (طور غود) ورجاله يحفرون فى المياه الضحلة التى تفصل الجزيرة عن الشاطىء التونسى قناة تصل بين الخليج الذى يقع فيه الميناء ، وبين الجانب الاخر من البحر . وظلوا يعملون بكل طاقاتهم فى حفر تلك القناة طوال الليل والنهار ، ثم سحبوا السفن اليها ، وأخذ بعضهم يدفع تلك السفن فيها ، والبعض الاخر يجرها بالحبال حتى أدمت أيديهم واكتفاهم ، ووفقوا فى النهاية الى بلوغ الجانب الاخر ، وأصبحوا قادرين على الابحار ، فبسطوا

أشرعتهم ، وضربوا المياه بمجاذيفهم ، وما هو الا قليل حتى كانوا ينطلقون فى أمان الله الى عرض البحر الفسيح •

ولم يقف الامر عن ذلك الحد ، بل فاجؤوا اثر عبورهم تلك القناة بعض السفن التى كانت تترقب نتيجة المعركة عن كثب ، ولم يكن قائدها يتوقع تلك المفاجأة ، فاستولوا عليها •

ولم يملك (آندريا دوريا) الا أن يفك الحصار ، ويقلع عائدا الى ميناء (مسينا) بصقلية ، يجر أذيال الخيبة •

وقد أبلى (طور غود) أحسن البلاء فى حماية الثغور الاسلامية الافريقية ، ورد عنها كثيرا من الحملات التى شنها عباقرة القادة البحريين الاوروبيين ، أمثال [دوق بوربون] و [هنرى اوف بورفورث) وغيرها فعادوا الى بلادهم خائبين •

وكان من أكثر حملاتهم خيبة ، تلك التى بعث بها فيليب الثانى ملك اسبانيا ، الذى حل محل شارل الخامس ، لاستعادة مدينة طرابلس ، التى كان قد حررها (طور غود) من الاحتلال الاسبانى فى سنة ١٥٥٢ • وقد ضمت تلك الحملة كالعادة أساطيل الدول الاوروبية المتحالفة ، التى قدمت تحت لواء كبار القادة البحريين أمثال (الدوق مدنيا سيلى) و (جيوفانى دوريا) وغيرهما •

وشاءت ارادة الله التى تعلو كل ارادة ، أن يثور غضب الطبيعة على تلك الاساطيل الباغية ، ففاجأتها زوابع الشتاء العاتية ، فى طريقها الى ميناء طرابلس ، وبدأت الامراض تفتك برجالها • وقبل أن يقتربوا من ذلك الميناء ، كان قد أدركهم الوهن ، وشعروا بعجزهم عن مهاجمة الحامية الاسلامية المرابطة فيها ، فغيروا مسار سفنهم واتجهوا بها نحو جزيرة جربة ، التى كانت معقل [طور غود] ، فاكتفوا باحتلالها : منتهزين فرصة غيابه عنها •

وأثناء انغماسهم فى احتفالاتهم الفاسقة باحتلال الجزيرة ، ظهرت فى آفاق البحر فجأة أشرعة السفن الاسلامية ، تتقدمها سفينة [طور غود] • وأخذت تشق طريقها نحو الشاطىء فى بطء ، بين عواصف البحر الهائج •

أعد (طور غود) خطته ، بحيث يستغل ذلك الجو الشتوى العاصف ، وخبرته بمياه تلك الشواطىء ، وجهل أعدائه بها ، فتعمد أن يجمع سفنه عند جانب معين من مدخل الميناء ، وكان المقاتلون الاوروبيون قد أعتلوا سفنهم ، التى كانت تفوق عدد سفنه ، وبسطوا أشرعتها ، وأخذوا فى التقدم للقائه فى منتصف الطريق •

ولم تكد السفن الاوروبية تبتعد عن الشاطىء قليلا فى اتجاه سفن المسلمين ، حتى وجدت أنها سيقت الى مياه ضحلة ، فساد بينها الاضطراب • وعندما حاولت النكوص على أعقابها عاكستها الرياح الصاخبة ، فارتطمت السفن المتقدمة بالسفن المتأخرة ، وأسهمت الصخور الكامنة قرب سطح الماء فى تكسير بعضها ، بينما عجزت كثير من السفن القريبة من الشاطىء عن التحرك •

وعندئذ بدأت السفن الاسلامية تشق طريقها بقيادة (طور غود) نحو الشاطىء ، فى ثقة ودراية واطمئنان • واستغل المجاهدون المسلمون الذعر الذى أصاب الناجين من أعدائهم فأسروا منهم الالاف واستولوا على سفنهم العاجزة عن الحركة ، وغنموا ما عليها من المؤن والذخائر •

وقدر المؤرخ الامريكى (هارولد لامب) عدد من أسر فى تلك المعركة بأربعة عشر ألف أسير وقدر عدد ما استولى عليه المسلمون من السفن بست وخمسين سفينة •

وعندما بلغت أمير البحر [أندريا دوريا] أنباء تلك الكارثة ، أصيب بصدمة نفسية عنيفة ، لم يستطع احتمالها ، فأمر بأن يحمل الى الكنيسة للصلاة ، ولم يلبث أن توفى بعد ذلك بقليل •

وعندما قوى ساعد طور غود أخذ يلاحق بضرباته الموانىء الاوربية الكبرى ، وأصبح من المتبع أن يهاجم فى صيف كل عام ميناء نابلى واجتاح شواطىء جزيرة صقلية أكثر من مرة ، كما هاجم بعض الجزائر الاخرى •

وامتد ميدان نشاطه الى المحيط الاطلسى ، الذى استطاعت سفنه أن تنفذ اليه من بوغاز جبل طارق ، وتصدى لقوافل السفن الاسبانية والانجليزية الاتية من أمريكا محملة بالذهب ، وغنم الكثير منها ، حتى لقد **كتب عن ذلك سفير انجلترا فى اسبانيا الى الملكة اليزابيث ووصف كيف استولى المسلمون فى احدى** المرات على سفن تجارية عديدة ، قرب ميناء (قادس) الاسبانى ، ومنها ثلاث سفن انجليزية وقدر ماغنموه منها بأكثر من مائة ألف دوكات .

وقد قدر لطور غود أن تنتهى حياته على هذا النحو الذى يتلهف عليه أمثاله من المجاهدين الابطال ، وهو الاستشهاد فى سبيل الله .

فعندما أراد السلطان سليمان القانونى ، مهاجمة جزيرة مالطة وبعث اليها حملة بحرية بقيادة مصطفى باشا) سردار الجيش العثمانى ، و (بيالة باشا) قائد الاسطول كتب الى طور غود وهو فى طرابلس التى أصبح حاكما لها ، كى يلحق بتلك الحملة ، ويشترك فيها . وطلب من القائدين اللذين بعث بهما الى مالطة الا يقدما على شىء قبل وصول [طور غود .

وحدث ـ لسبب ما ـ أن بلغ الاسطول العثمانى

« البقية صفحة ٢٠١ »

جواد حسني

من أمثلة البطولات العربية الحديثة

الأستاذ عبد المغني المنشاوي

يقول المولى الحكيم فى محكم كتابه :

« ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ، ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ، ولذلك خلقهم »

انهـا لحكمـة بالغـة ، ومشيئة سماوية عاليـة ، ان ينتظم الناس نظام يتساوق مع ما خلقت له الدنيا من ألوان اختبار وابتلاء ، ومع ما كتب فيها على المخلوقين من مكابدة مشقة وعناء وكتاب الله يقول : لقد خلقنا الانسان فى كبد : ويقول : احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون .

والفتنة المكتوبة على الناس الوان والوان ، فتنة فى العقائد، وفتنة بالشدائد ، وفتنة بنقص الاموال والانفس والثمرات ، كما يقول كتاب الله :

« ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات ، وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون ، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ، وأولئك هم المهتدون :

وما سعار الحروب التى يشوى المتحاربين لظاها الالون من الوان اختبارات هذه الحياة ، يحاول القوى فيها ان يلتهم الضعيف وأن يستأثره وحده بما قد تضم الحياة من رغد ومتاع ، ان صح ان فى الحياة بعض الرغد وبعض المتاع .

واذا طوينـا الزمان القهقرى حتى نلتقى بآدم أبى البشر ، وجدنا الحروب بين ولديه والى يوم الناس هذا ، لا تسكن رحاها ولا يخبو لظاها ، حتى قال شاعر معاصر هو الاستاذ الجارم .

يا ارض ويحك قد رويت فاسترى
وكفـاك من تلك الدمـاء كفـاك
كاشـفتهم سر العناصر فانبروا
يتخيـرون أمضـاهـا لـرداك

وها نحن أولاء معشر العرب ، نخوضها حربا مسعورة شعواء ظالمة ، اضطرتنا الى خوضها اسرائيل ومن هم وراء اسرائيل من عصابات الشر الباغية العاتية ، ان هذه الحرب التى يريدنا الاعداء فيها ان نتخلى عن حرياتنا وكراماتنا ، وان نستسلم كما يستسلم الضعفاء الجبناء ، لنكون لهم معاذ الله تبعا واجراء —

أقول — هذه الحرب تتقاضانا ان نبذل النفس والنفيس ، فى سبيل الحفاظ على ما هو أنفس منهما حرياتنا وكراماتنا ، وأن نتأثر خطوات من شنفوا آذان الدنيا بالحان بطولاتهم من ابطالنا قدامى ومحدثين ، ومنهم الفتى البطل — جواد حسنى —

كان بطلنـا أكرم مولود لاكرم والد هو : السيد على زين العابدين : وقد تعالم أهل هذا الوليد انه لم يبك ساعة ولادته ، كانما كان هذا ايذانا بما سوف يتحلى به من الوان بطولته وشجاعته ، اختار له والده الجواد اسم : جواد تيمنا باسم ولد للسـيد على زين العابدين بن الحسـين ، وتتسم الشجرة التى كان جواد أحد فروعها الفينانة بسمات تاريخ مشرق وضاء يزدهى بمـا احتوى من مناهضة دءوب صبور ، اقضت مضاجع الاستعمار والانجليز المحتلين الباغين .

كان جد جواد المرحوم : محمد حسنى ، معروفا بنزعته الوطنية ومن رجالات الحزب الوطنى ، ينزع فى وطنيته الثائرة المتاججة ، نزعة الشيخ عبد العزيز جاويش عليهما الرحمات ، كما كان جده الاكبر المرحوم على شعبان ، من رجالات الثورة العرابية الذين اسهموا فى وضع خطط الهجوم والدفاع ، وقد اودع السجن حتى مرض ووهن جسده ، ثم كان هذا الجد البطل العالم ، ناظرا لدار العلوم ومدرسة الالسن ، وكان متبوئا مكانته الرفيعة اجلالا وقدرا من الدولة لسالف خدماته الوطنية ، نشا على زين العابدين فى بيئة وطنية تتحدث عن بطولة جده ، فشب ينزع هذا الجد البطل بطولة ووطنية وواسع تضحية ، وكانت ثورة ١٩١٩ ميدانا تجول فيه هذه المظاهر مجتمعة ، قام فيها على زين العابدين ، يخطب المتظاهرين ، ويصدر المنشورات الثورية حتى لقد قبض عليه وسجن وهو ما يزال طالبا بالمدرسة العباسية الثانوية بالاسكندرية ، فلم يزده الاعتقال الا صلابة واصرارا ، ثم سافر الى الخارج لاتمام دراسته فظل طوال مدة اقامته خارج بلاده ، ينافح عن قضية بـلاده فى الجـامعات والمؤتمرات .

عاد على والد جواد واشترك فى جميع المفاوضات بين مصر والمستعمرين حتى توقيع اتفاقية الجلاء فى سنة ١٩٥٤ وقد منحته الدولة التى تحميها الثورة : وسام الجمهورية .

كان لذلك كله ، ولا شك ، أثره العميق فى نشأة جواد ، وتعبئته بروح النضال ، تجاه المستعمرين وألاعيبهم والتواء أساليبهم ، ومما يتندر به عن نشأة جواد ، أنه كان عندما يلهو فى عهد طفولته ويقع على الارض يبكى شان جميع الاطفال ، ولكن والدته سرعان ما تردد على مسمعه : كن رجلا فان الرجال لا يصرخون .

نشا جواد رجلا ذا رجولية مبكرة ، فقد كانت تصرفاته تكبره باعوام ، اذ كان كامل الرجولية فى صدر شبابه وعند استشهاده

اشترك جواد وهو طالب فى نادى السلاح ، ونال الدربة الكافية على المبارزة بالسيف وقد تحدث والد جواد عنه وهو ما يزال في مرحلة شبابه الغض ، وما تزال المفاوضات قائمة بين مصر وانجلترا ، وكان والد جواد عضوا فى الجانب المصرى — يقول والد جواد .

كان جواد ينتظر عودتى حتى ولو كانت مع خيوط الفجر ، ثم يقبل على متفرسا ملامح وجهى ، محاولا أن يستشف ما وراء قسماته ، وكان يلح ويلحف فى السؤال ثم يقول :

سنجليهم ان شاء الله ، سنجليهم بقوة الله ، أنا واثق من ذلك ، يقول ذلك فى ثقة عجيبة وكان يقول لابيه — لابد من استعمال القوة ضد الغاصبين المستعمرين ، لانهم جميعا لا يؤمنون بغير القوة ، ولا يفهمون لغة غير لغة القوة — يرى فى ذلك ولا يرى فى سواه ، الوسيلة الفعالة لنيل الحريةوالاستقلال الكاملين .

ومما يكشف عن مدى ما بلغت أهداف هذا البطل الشاب وهو ما يزال رطب العود ، ما سجل فى احدى مذكراته :

ما أهدافى فى الحياة ؟

اولا — لا اتخلى عن مبادئى ، واتمسك بكل ما أومن به — ثانيا — لا اخشى فى سبيل تحقيق مبادئى أى شىء — ثالثا — لا أخاف المستقبل وتبعاته — رابعا — لابد أن أكون وفيا لبلادى ما امتد بى حبل الحياة — خامسا — لابد أن أكون أمينا مع نفسى ومع غيرى .

ثم ختمها بقوله :

اشعر فى قرارة نفسى ، بانى استطيع ان أتحمل فى سبيل مبادئى أشد الالام ، بابتسامة على شفتى ، والدمع فى قلبى ، انى لا أهاب النضال ولا أخشى الموت .

انتظمت جوادا فى مرحلته الجامعية كلية الحقوق ، كما انتظمته فيها الكتيبة العسكرية ، حتى يتهيأ له أن يجمع بين ثلاثة أقانيم : أصول : السيف والقلم والقانون ، وليشبع رغبته الملحة أن يكون فى يوم ما جنديا كفيا مخلصا ، اذا دعاه داعى الوطن أسرع فلباه ، ولقد تحقق له هذا الامل المرجو والامنية المعسولة بعد أن لحق بوحدة تدريب المتطوعين تحت اشراف القيادة العامة للقوات المسلحة ، ثم زاول بعدها لونا من ألوان الدربة العنيفة الشاقة ، حتى اطمانت نفسه أن يكون فدائيا من الطراز الاول .

كان جواد بين لداته الجواد السمح العطوف على ذوىالحاجات منهم ، المسهم فى مشاطرتهم دفع نفقات دراستهم فى رقة ورفق وخفية — ولقد أعد جواد صحيفة حائط ، أطلق عليها اسم : الكرامة : اتخذ شعارا لها بيتا من الشعر يقول :

أنا ان عشت لست أعدم قوتا
وإذا مت لست أعدم قبرا

وهذا البيت يتلوه بيت آخر شامخ البنيان ، تطل الهمة والعزة من شرفاته ، يجدر بالقارىء الكريم أن يتمثل به ويتخذه دستورا لحياته هو :

همتى همة الملوك ونفسى
نفس حر ترى المذلة كفرا

صدر أول عدد من صحيفة الحائط فى ديسمبر ١٩٥٥ ،يحتوى المقالات الوطنية ، وأخبار الشباب ، وكتائب الحرس الوطنى ، الجامعى والبحوث الادبية .

ولقد عثر فى بعض مذكرات جواد على هذه الحكمة الغالية التالية :

« ان سبيل الرذيلة منحدر يسهل الانزلاق فيه على الضعفاء ، أما سبيل الفضيلة فمصعد فى جبل الحياة يتقاضانا جهدا ومشقة ، ولا يسلكه الا الاقوياء » .

هذا هو جواد حسنى ، انسان يتكلم بروحه وقلبه ، فتجد كلماته طريقها الى القلب ، تدخله بلا استئذان من الاذان .

وانى استأذن القارىء الكريم أن نعود فنلقى نظرة عجلى على بعض ما كان بين هذا الابن المثالى فى الابناء ، وبين أبيه المثالى فى الاباء لنرى هذا الوالد قد كتب لولده جواد يوم عيد ميلاده الحادى والعشرين ، وقد أهدى اليه ساعة ذهبية فى هذه المناسبة السعيدة .

ولدى العزيز جواد — أرجو أن تحمل لك كل دقيقة من دقائقها الهاما يحفزك الى عمل مجيد ، وأن تحقق لك كل ساعة من ساعاتها ، أملا يراود نفسك الكبيرة لخير وطنك ومواطنيك ، فانظر واعجب معى يرعاك الله الى هذه الروح المتوثبة الفياضة فى نواحى هذه الابوة المثالية ، وهى تشع نورا ووطنية فى نفس هذه البنوة السمحة الغيورة على وطنها ، المتوثبة فى ميدان الكفاح والنضال ، صيانا لكرامته وحفاظا على حريته واستقلاله .

ولكن لا عجب بعد أن كشفنا لك الغطاء عن ماعون هذه الاسرة الطاهرة ، وعن شغف أفرادها بحب الوطن ، وتمرسهم بأساليب الدربة والنضال فى سبيل تحرر أرضه وسمائه ،وهوائه ومائه ، فلقد وصل بطلنا جواد الى مرتبة قائد سرية للفدائيين ، واشترك فى أولى المعارك التى دارت رحاها بين الجيش المصرى والصهيونيين ، ثم عاد الى القاهرة من صحراء سيناء ليدخل على والده بملابس الميدان ، وعلى وجهه وملابسه آثار المعركة وجه معفر ، وثوب ممزق ، وأخذ الابن وأبوه يتجاذبان أطراف الحديث عن المعركة التى أشترك الابن فيها وعن مدى آثارها ، ثم قال البطل جواد لابيه بعد برهة استجمام : انه لن تسكن له نفس ، ولن تهدأ له بلابل [وساوس] حتى يقضى على اسرائيل ومن هم وراء اسرائيل .

وما وسع جواد بعد هذه القوة المتحمسة ، الا أن يعود أدراجه الى الميدان ، تاركا لوالده الرسالة الاتية :

أذكر منذ سنوات أن قد وعدتنى بيوم يرتفع فيه علم مصر على ثكنات مصطفى باشا بالاسكندرية ، ولقد رأينا هذا اليوم الخالد جميعا ، كما وعدتنى بيوم يرتفع فيه علم مصر على القناة ، وقد تحقق هذا الوعد لنفخر به جميعا ، أمانى وأحلام راودتك ، وكافحت من أجلها طول حياتك ، ولقد احتوتنى سعادة غامرة يوم تأميم القناة ، وكدت أطير من فرط المسرة حين ظهرت القومية العربية وقت الشدة لتساند مصر .

والدى : ان شعورى وكيانى ودمائى لتدفعنى أن أقف الى جانب بلادى ابان محنتها ، وعند أوبتى من القتال سأطلعك على كل ما يحتويه قلبى .

لقد افتقدتك كما لم أفتقد أحدا ، وهزنى اليك حنين غريب لم أحس مثله فى حياتى ، أنا فخور بك ، فخور بنبلك ووطنيتك ، وعمق معرفتك للطبيعة الانسانية ، حين تسامرنى وتبعث القوة الى دخيلة نفسى ، وانى أشعر انك لن تخذلنى أبدا وانى أعدك

بانى لن أخذلك مادامت الدماء تسرى فى عروقى ، لقد فكرت طويلا فى مبادئى وما أومن به ، وتساءلت ، هل أخلط أنا بين ما أريد أن يكون ، وبين ماهو كائن فعلا ، ولم أشعر بحاجتى لاحد فى حياتى ، ولكنى أشعر بعميق حاجتى اليك ، كنت أود أن أهنئك بالاحداث الاخيرة الرائعة ، ولكن تيار الوطنية والسعادة يجرفنا جميعا مع ٢٣ مليون مصرى ، لو عرفوا بتضحياتك فى سبيل بلادك ، لوصلت اليك ٢٣ مليون تهنئة ، انك تذكرنى بشمعة أذابت نفسها نورا ونبلا ووطنية ، لتنير الطريق للاخرين ، ابنك المحب .

وفى اليوم الثالث عشر من نوفمبر عاد والده بعد الظهر كعادته ليعلم أن ولده جواد قد حمل عتاده وسلاحه وولى وجهه شطر القتال ، لتكون هذه اللقاءة هى الاخيرة بينه وبين والده .

ذهب جواد الى معسكر القنطرة ، وهنالك كلفه قائد المعسكر الخروج فى دورات استطلاعية فى صحراء سيناء ، خرج جواد مع سريته وأوغلوا فى الصحراء حتى قابلتهم نكتة اسرائيلية أطلقت عليهم النار ، فاشتبك معهم جواد واندفع يطلق الرصاص من مدفعه الرشاش ، فأصاب فى غير واحد من الاسرائيليين مقتلا ، ثم أطلق الصهاينة عليه الرصاص فأصاب لغما اسرائيليا على مسافة قريبة منه فانفجر اللغم انفجارا شديدا ، واصابت ساق جواد اليمنى شظية منه واصابت اخرى صدره ، كما أصابت كتفه اليسرى رصاصة اسرائيلية ، وعندها أحاط به زملاؤه فى سريته وضمدوا جراحه ، وأشاروا عليه بالعودة معهم لنقله الى احد المستشفيات ولكنه رفض فى اصرار أن يزايل مكانه وصمم فى القتال وهو المثخن بالجراح .

زايل جواد زملاءه واوغل وحيدا الى الجنوب الشرقى من بورسعيد ، فقابلته ثلة من الجنود المعادية ، اشتبك معها جواد وقد أخذ لنفسه موقعا خلف هضبة ، كان مدفعه من أحدث طراز فاخذ يصلى بطلقاته السريعة الخاطفة أفراد الثلة المعادية ، حتى ادخل فى روعهم انهم لا يواجهون فردا واحدا بل يواجهون فرقة مصرية كاملة ، فاستنجدت بالقيادة الفرنسية التى انجدتها بجنود ودبابات ومصفحات لمواجهة هذا الهجوم المصرى العجيب — واجه جواد هذه القوات مجتمعة وحده واستمر مندفعا فى اطلاق قذائف مدفعه حتى كبد عدوه أفدح خسارة .

كانت جروح جواد تنضح بدمائه واذا ذخيرته تنفد وقد أوهت جروحه قواه فسقط مغشيا عليه ، وصمت مدفعه كما صمت هو نفسه .

ارتابت القوات المعادية وحاصرت الهضبة ثم اخذت تضيق الحصار شيئا فشيئا لتجد شابا صغيرا ملقى وسط بركة من الدماء مغشيا عليه ، وقد أكب بجسده على مدفعه ، فحملوه الى معسكر الاسرى واخذوا يستجوبونه ، وقد أحاط به الجنود المدججون باسلحتهم وسألوه من كان معك ؟ — لا أحد ، كنت وحيدا ، وعبثا حاولوا حمله على الاقرار وهو ينظر اليهم فى سخرية واستهزاء ، ثم سأله أحد قادتهم .

هل تحب جمال عبد الناصر ؟ — فاجاب جواد — اننا نحب مبادئه وأعماله — تركه المحققون ليسلموه الى ألوان من التعذيب البشعة ليلة كاملة ، ثم قامت مشادة بينه وبين ضابط لطمه على وجهه فرد عليه جواد الجريح الاسير لطمته ، فقاده الحراس ليلقوه فى حجرة رطبة تحت الارض بلا فراش ولا غطاء ، وعلى الرغم من تعذيبهم اياه ظل جواد يكتب ويهتف : تحيا مصر ، كما ظل ممتنعا عن الاجابة فى وطنية صادقة كانها الصخرة الصماء تتكسر على أديمها آلاف السهام ، وما راع القائد وقد خذله جواد بامتناعه ، وأمر القائد بانتزاع الاربطة من فوق جراحاته الا أن يغمس جواد يده فى دماء هذه الجراحات ، ليكتب بها على الحائط ، وعلى عين القائد : تحيا مصر ، فما وسع القائد الا أن يدس عليه من يطلق عليه النار غيلة ليخمد انفاسه الطاهرة ، بهذه الطريقة الوحشية الغادرة ، وقد أمر اولو الامر فينا باقامة تمثال لجواد ، عند مدخل مدينة بورفؤاد كما أمروا أن يقدس المكان الذى قضى فيه ويصان ، ليكون مقصد الزوار وكعبة الاحرار ، يرحم الله جوادا ومن ترسم ويترسم خطوات جواد ويخلع الرحمن عليه وعليهم ثياب سندس أخضر فى فسيح الجنات .

من أعلام الكفاح البحرى فى الاسلام (بقية)

مياه مالطة ، قبل وصول (طور غود) وعندما اقترب [طور غود] من مياه الجزيرة ، شهد سفن ذلك الاسطول وقد نجحت فى الرسو على الشاطىء وعندما اجتاز مدخل الميناء وجد القائدين العثمانيين قد أنزلا رجالهما بالفعل ، فراحوا يطلقون نيران مدافعهم صوب قلعة [القديس ألمو] القائمة فوق مرتفعها الحصين ، وبدؤوا يزحفون نحوها .

واعترض (طورغود) منذ البداية على تلك الخطة التى أعدها القائدان فقد كان من رأيه أن تستولى الحملة على سائر أنحاء الجزيرة أولا ، وترجىء مهاجمة تلك القلعة الى ما بعد سقوط الجزيرة . ولكنهما صمما على تنفيذ خطتهما ، واستمرت قواتهما فى الزحف صعدا نحو القلعة ، ولم يجد [طور غود] بدا من المشاركة فى ذلك الزحف .

ولم تلبث أن أثبتت الاحداث بعد نظره ، وحسن تقديره ، اذ استطاع الاعداء أن يفتكوا — من معقلهم الحصين — بالالاف من الجنود الزاحفين فى العراء ، ودون أن يسترهم ساتر . وأثناء احتدام المعركة اصيبت رأس (طور غود) بشظية صخرية ، حطمت جمجمته ، فسقط على الفور . وأسرع السردار العثمانى اليه ، وحاول الاطباء انقاذ حياته ، ولكن جهودهم ذهبت عبثا . فقد أراد الله أن يتوج جهاده بتلك الخاتمة الكريمة ، وان يضاف اسمه الى سجل الشهداء من أبطال الاسلام . فلفظ أنفاسه بين دوى المدافع ، وهدير الموج ، وتكبير الجنود .

وعندما اضطرت الحملة الى الجلاء عن الجزيرة ، حملت جثمانه الى الشاطىء الافريقى ، الذى أسهم فى تحريره من أقدام الغزاة الاوروبيين ، فدفن فيه ، وترك وراءه صفحة من أروع الكفاح البحرى فى تاريخ الاسلام .

وكان ذلك فى سنة ٩٧٣ هجرية الموافقة لسنة ١٥٦٦ للميلاد .

مع أديب العروبة والإسلام

علي أحمد باكثير

الاستاذ علي الجميلاطي

لقد انتهى بنا المطاف فى مقالنا السابق عن اديب العروبة والاسلام [على أحمد باكثير] ، عند تقديم متوالية تاريخية عن حياته وعن انتاجه الضخم ، وما اسند اليه من خطير مهام ، ووقفنا طويلا عند ابراز السمات الواضحة للعروبة والاسلام فى تراثه المذخور ، وما أفادت منه أمتنا العربية فى جميع أقطارها ، وما أفادت منه الانسانية على وجه أعم وأوسع ، وقد برزت لنا فيما قدمنا شخصية [باكثير] واضحة المعالم كاديب ملتزم صاحب قلم رفيع ورسالة اصلاحية كبرى حملها قصصه ومسرحياته الكثيرة ، وسحملها هنا شعره القليل . كما تبدى لنا جوهر نفسه ، فاذا هو ثمرة ناضجة من ثمار المدرسة الوسطى الاسلامية العربية التى استطاعت ان تجمع بين العروبة الاصيلة والتراث الاسلامى الخالد ، وبين الثقافة العصرية الحديثة بمزج بينها مزجا خليقا بالاعجاب والتقدير ، دعمه وقواه الايمان بالعروبة والاسلام معا ، والالتزام بقضاياهما والمواجهة لتحدياتهما .

ولعلنا فى هذا المقال نستطيع استجلاء ذلك كله فيما نظمته من شعر عمودى ترى فيه النغمة تتردد من لحن قديم أو شعر مرسل منطلق ، كان هو رائد المجددين الناهضين به ، ولكنه تجديد المحافظ لا تجديد المضيع .. وقصة الشعر عند [باكثير] يرويها لنا فى قوله [كانت نشأتى فى حضرموت ، حيث بدات أنظم الشعر منذ بلغت الثالثة عشرة من عمرى ، وكان جل اهتمامى بالشعر ، ومبلغ اجتهادى للتبريز فيه ، فلم أدع ديوانا لشاعر من الاقدمين أو الاحدثين وقع فى يدى الا قرأته التهاما ، وكان مثلى الاعلى فى الاقدمين أبو الطيب المتنبى ، وفى المحدثين أحمد شوقى ، غير انه لم يتح لى الاطلاع على شىء من مسرحياته الا بعد ان رحلت عن حضرموت ، فاقمتبرهة بالحجاز ، فكانت مسرحيات شوقى هى أول ما عرفت من هذا الفن المسرحى ، فكان عندى عجبا ان أرى الشعر الذى كنت أعرفه للتعبير عن ذات الشاعر أو الوصف ، شىء من الاشياء مهما يكن موضوعيا ، فلابد ان يشوبه شىء من بين اثنين أو اكثر على نحو يجعل كل شخصية تعبر عن رأيها ووجهة نظرها ، وتصفها فى صراع مع غيرها من الشخصيات ، ويدور كل ذلك حول قصة واحدة هى مادة العمل الشعرى الذى يؤلف ديوانا صغير الحجم يختلف عن الدواوين المألوفة من حيث انه ينتظم موضوعا واحدا] . وهذه نقطة التحول الاولى فى حياة [باكثير] الادبية الثرية ، اذ جعل من المسرحية الشعرية ميدانا للتعبير عن نفسه ، وتصوير بيئته والجهر بدعوته الاصلاحية ، وكان ذلك فى مسرحيته [همام أو فى عاصمة الاحقاف] ، التى عبر فيها عن نفسه بما نظمه فى حبه العارم وأزمته النفسية بفقد زوجته الحبيبة فى بواكير الشباب وقد أهدى اليها هذه الدرامة ، فقال : [الى مصدر الوحى الاول ، الى ملاكى الجميل الذى سبقنى الى عالم الخلود ، وكلما ذكرته أوحى الى] ، وصور فيها بيئته وما فيها من بدع فى الدين يجب أن تنكر وتزال ، وان فيها جهلا يجب ان ينار بمصباح العلم وان فيها جمودا يجب ان يدك صرحه ، وان فيها امتيازات ادبية وحقوقية للعلويين ولغيرهم أيضا ، يجب ان تبطل ، ومن هذه البدع النكراء ما نراه فى قول [باكثير] فى سخرية لاذعة من تلك الفئة التى تسيطر على الناس بتهويشها وخداعها باسم الدين والتصوف .

اما الجهل الذى يجب ان يبدده نور العلم ، فنراه فى شغلهم بالقباب والقبور ، وانها نسكهم ، فعند شيخهم التيسير واليه الملجا ، وهو كاشف الضر فاليه قربانهم ونذورهم ، وما نسمعه من الشاعر حين يصف ما كان يجازى به حين يبث فى قومه افكارا جديدة ، فلا يلاقى الا عنتا ، ولا يوصف الا بالكفر والالحاد ، فيقول على لسان احد المشايخ :

تصدى ناشىء عز ... بلاه الله من غر
تلقى من فنون العـ ... ـلم ما زاد على القدر

فاغـــــــواه وأرداه
رجاء النفع بالضر

يبث السم فى الجا
عل والعلامة الحبر

يسىء الظن بالاقطا
ب أهل المدد السرى

له اتباع سوء كلهـ
ـم يدعو الى الشر

ثم هو يرجع جهل شعبه الى جهل المرأة ويريدها متعلمة كشقيقاتها الشرقيات اللواتى كان لهن أكبر الاثر فى نهضة شعوبهن ولذا نراه يناشد أخته [زهراء] ان تقرأ على النساء كتاب [بلوغ المرام] وغيره من كتب الدين ، وما فيه من القرآن الكريم والحديث الشريف وأقوال مجتهدى الصحابة والائمة ، فيقول :

صـار فرضـا عليك أن تنشرى
هـذا الهدى فى جماعة النسوان

فهدى الشعب من هـدى امهات الشـعب فى كل موطن وزمـان

وبنـات الاحقـاف أولى بـأن
يحذقن شـتى العـلوم والعرفان

وبأن يطهرن من لـوث الاوهـا
م ممـا يخـل بالايمـان

فيرين الحيـاة فى غير معنى
غير تلك الحيـاة وهى معانى

أما الجمود الذى يجب ان يدك صرحه ، فيتضح فى ايمانه بالدعوة الى الاصلاح والقضاء على الصراع بين القديم الذى يجب أن يموت ، والجديد الذى يجب ان يحيا ، فيقول :

فلا سلمت كتب الجامدين
ولا فـاز قارئهـا بالوطر

صحائف لا روح فيها ولا
يجول بها ذكر خير البشر

تصور فيها مجال الامور
ويترك فيها مهم الصـور

فتلك الجواهر ، أين الرما
لمنها؟وأين خسيس الحجر؟

اما الحزبية والعصبية التى تعج بها البلاد ، والمنافسة بينهما على النفوذ الروحى ، فيجب ان يبطل كل ذلك وتتوحد الجهود تحت راية الاسلام لاصلاح الوطن وتحريره ، كما دعا الى ذلك موقظ الشرق [جمال الدين الافغانى] وتلميذه المصلح [محمد عبده] ، فيقول :

أنـا لا أعرف الا دعـوة
[لجمال الدين] شقت غلفا

تندب النـاس الى دين الهدى
مثلما كان بعهـد المصطفى

ولقـد أيدها تلميـذه
[عبده] فيمـا دعا أو الفا

بث روح الحـق فى أتبـاعه
فغدوا فينـا غيـوثا وكفى

وهكذا يكشف شاعرنا الملهم فى هـذه المسرحية الشعرية عن جوهر تلك النفس الموهوبة لرفعة الاسلام ، كما تكشف عن عروبته الاصيلة ، فانه لا عروبة بغير اسلام ، ثم نسمع منه صوت العروبة والاسلام جهيرا فى ختام هـذه الدرامة حين خرج الى المسجد الحرام وقصد ماء زمزم ليكرع منه ثم ميتوجه الى المطاف ليطوف ثم يقف تجاه الملتزم ويبتهل الى الله بهذا الدعاء :

يـا رب وارفع أمـة الاسلام
وابعث بها الى المقام السامى

حتى ترى خفـاقة الاعـلام
على جميع الكون بالسـلام

ووحـد العـرب فان الوحـدة
تحمى لهـا ماضيها وعهده

تعيد بعـد الاندراس مجده
والله لا يخلف يوما وعـده

وهنا يجب أن نشير الى أن هـذه المسرحية قد نظمها دون المام سابق بفن المسرحية فكانت عبارة عن قصائد ومقطعات من الشعر بين رقيق وجزل يجمعها موضوع واحد ولا يجوز لنـا أن نسميها مسرحية الا على سبيل التجوز ، لافتقادها للمقومات الاساسية للمسرحية من بناء وحركة وحوار ورسم شخصيات .

كما لابد ان نشير الى ان هـذه الدرامة قد استوحى كما رأينا موضوعها من الحياة الاجتماعية بحضرموت وكتبها بمدينة الطائف ثم نشرها بالقاهرة عام ١٩٣٤ ، وهى وثيقة أدبية لمرحلة من مراحل التطور فى حياة المجتمع الحضرمى وبطلها [الشاعر المصلح] ، وهو كما لمسنا عن يقين [شاعرنا على باكثير] ، الذى يحمل بين جنبيه قلبا خفاقا ينزع الى الحرية ، ولذا رحل الى مصر رسـولا من مستقبل حضرموت الى حاضر مصر لينقل الى وطنه قبسا من نور بهى ، وهو شعلة من الحياة التى تعرف حقها فى الوجود ، وشاب مخلص لوطنه ، ثار على حالته ، وكانت ثورته العارمة كما أسلفنا رغبة فى الاصلاح لا يقصد بها الا ارضاء الحق واغضاب الباطل ، وخدمة الامة الحضرمية وغيرها من الناطقين بالضاد فى الاقطار العربية الشقيقة ليعرفوا شيئا عن أحوال اخوانهم فى العروبة والاسلام . ولقد عاش [باكثير] حتى رأى وطنه العربى الاصيل [حضرموت] الذى يعد فى الشعب اليمانى ، وتجرى فى عروقه دماء قريش وهمزان وحمير وكنده ومزحج ، رأى وطنه قد تحرر وسادته حياة واثبة جديدة ، فقد اتيح له فى العام الماضى ان يزور جمهورية اليمن الشعبية الجنوبية ، وقد أخذ أبناؤها فى بناء الوطن العربى الجديد ، وهناك وعلى مشارف وطنه العزيز وقف [باكثير] ينشد بمناسبة مولده الجديد نشيده [دولة الجنوب] ، وفيه يقول :

يـا دولة الجنـوب
يا بلسم الجراح

فى ظلمة الخطـوب
أشرقت كالصباح

فى حـومة الجهـاد
والحرب والضرم

ولـدت فى مهـاد
العـز والشمم

وافى بك القضـاء
لامـة العـرب

بشـرى من السـماء
للنصـر والغلب

عيشى مـع اليمن
فى دارة الشـرف

والوحـدة الثمن
والسـؤدد الهـدف

لواؤك الجـديد
يمن على العـرب

فاليمن السـعيد
ميـلاده اقتـرب

وحين نستهدف الحديث عن عروبة الشاعر الوثيقة واسلامه المتين ، اللذين تمثلا فى شعره الخالد لا ندحة لنا من ان نعرج على تلك القصيدة العصماء التى بلغت عدة أبياتها ثمانية وخمسين ومائتى بيت ، وعنوانها [ذكرى محمد صلى الله عليه وسلم] ، وقد نظمها بمكة المكرمة قبيل زيارته المدينة المنورة فى أوائل عام ١٩٤٣ ، ونهج فيها نظام [البردة] ، والتزم فيها وزنها ورويها وفى ختام هذه المطولة الشامخة التى أهداها الى روح والده الكريم ، يشير شاعرنا المؤمن الى مجاراته لقصيدة البردة للامام

البوصيرى ، ونهج البردة لامير الشعراء شوقى رحمهما الله ، فيقول :

واختم بمسك تحيا تفوح على
[محمد] خير مبدوء ومختتم
ما أومض البرق فى الظلماء من اضم
وما عطا الريم بين البان والعلم

وفى هذه الملحمة التى نظمها فى شبابه ، حيث كانت سنة خمسة وعشرين عاما يتناول حل القضايا التى تعرض لها فى مسرحيته [همام] ، لانه كان يؤمن بانها أدواء يجب أن نتلمس لها الدواء ، فعرض لنا أحوال [الاحقاف] وما فيها من جهل وفوضى وتفنن فى الملاذ وخلف ممزق يذوب له قلب الكريم ، ثم ينتقل بنا فى مسيرته بين البطحاء وطيبة والمسجد الميمون ، حتى يصل به الطواف الى الروضة الشريفة مثوى الجدث الطاهر ، فيقول :

واعمد الى الروضة الفنا فحى بها
خير الخلائق من عرب ومن عجم
قل السلام على فخر الوجود على
خير النبيين [طه] المفرد العلم
واستجلى سيرته قدام روضته
تر الكمال بلا زيغ ولا وهم
كان الرسول هنا يملى هدايته
على الانام بلا عى ولا لسم
كان الرسول هنا يلقى نصائحه
فيطربون لها أشجى من النغم
وكان يقضى هنا ما بين الورى حكما
أكرم [باحمد] من قاض ومن حكم
وكان من ها هنا تزجى كتائبه
لنصرة الدين من أصحابه البهم
ويستشيرهم فى المشكلات به
وفيه يستقبل العافين بالنعم
وفيه يلقى وفود الناس آتية
من كل صوب بثغر منه مبتسم
ومنه يبعث بالذكرى رسائله
ورسله لملوك العرب والعجم
هنا ثوى رجل الدنيا وواحدها
هنا ثوى خير من يسعى على قدم

ولعلنا نستطيع أن نستجلى فى غير تردد من الابيات السابقة رسالة المسجد كما كانت فى عهد النبوة ، وكما يجب ان تكون فى هذا المعهد الناهض المؤمن .

ولقد حدثنا الشاعر بالقرآن الكريم فى مقالنا السابق ، وانه قد أقام دولة اسلامية عظمى وهو الكتاب المعجز الخالد ، ونستكمل ما قدمناه له بهذا الذى قاله ، بما يتفق ونظرتنا العلمية الحديثة الى هذا الكتاب المكنون وما يضمه من أسرار ومبادىء وقيم عليا خالدة ، فيقول :

وكم جلا [العلم] فى العصر الحديث له
عجائبا لم تبن يوما لذى فهم
فى الدين فى الخلق فى علم الطبيعة
فى طبائع النفس فى التاريخ فى الحكم
يعلو الاماكن والازمان متفقا
مع الحضارات فيها غير مصطدم
يسن أرقى قوانين الحياة على
أتم ما يعرف الامكان من نظم

وبعد ، فقد بقى علينا أن نوضح المرحلة الشعرية الثانية والاخيرة فى حياة أديب العروبة والاسلام ، فالى مقال تال ان شاء الله ، وهو سبحانه من وراء قصدنا .

« المرء مع من احب »

روى الترمزى عن انس قال : « جاء رجل الى رسول الله [صلى الله عليه وسلم] فقال : يارسول الله متى قيام الساعة ؟ قال : فقام نبى الله [صلى الله عليه وسلم] الى الصلاة فلما قضي صلاته قال: اين السائل عن قيام الساعة ؟ فقال الرجل : انايا رسول الله فقال : ما اعددت لها ؟ فقال : يارسول الله ما اعددت لها كثير صلاة ولا صوم الا انى احب الله ورسوله فقال رسول الله [صلى الله عليه وسلم] : « المرء مع من احب ، وانت مع من احببت » فما رأيت فرح المسلمين بعد الاسلام كفرحهم بهذا الحديث ..

ولا يظن ظان ان هذا معارض لقوله [عليه الصلاة والسلام] للسائل حين ساله مرافقته فى الجنة ، فقال له [عليه الصلاة والسلام] : او غيرذلك ؟ فقال : هو ذلك يا رسول الله . فقال [عليه الصلاة والسلام] : اعنى على نفسك بكثرة السجود لان هذا طلب منصبا عظيما فارشده [عليه الصلاة والسلام] الى الاسباب الموصلة اليه لقوله [عليه الصلاة والسلام] : اقرب ما يكون العبد فى الصلاة واقرب ما يكون فى الصلاة اذا كان ساجدا فارشده [عليه الصلاة والسلام] لذلك . وطالب المعية تشمله الدار وهى واحدة وان كانت المنازل تتفاوت فيها ولكن قد جعلت السعادة لمن نالها لقوله [عليه الصلاة السلام] : لموضع قدم فى الجنة خير من الدنيا وما فيها .

المكتبة الاسلامية

الانسان في القرآن الكريم

تأليف : عباس محمود العقاد

عرض وتلخيص : الاستاذ رمضان عطية

طالما تساءل الانسان ولا يزال يتساءل منذ بدء الخليقة .. اسئلة تصاعدت اعدادها ، وتشعبت مسالكها فى القرن العشرين .. القرن الذى تجمعت فيه الاسئلة عن كل نسبة من نسب الانسان ..

ما مكانه .. الانسان .. فى هذا الكون كله ؟

ما مكانه من هذه السيارة الارضية بين خلائقها الاحياء ؟

ثم .. ما مكانه بين ابناء نوعه البشرى ؟ .. وبين كل جماعة من هذا النوع الواحد ؟ او هذا النوع الذى يتالف من جملة انواع يضمها عنوان الانسان ؟ ..

بهذه الاسئلة التى طالما راودت الانسان .. ولا تزال تراوده .. يقدم عباس محمود العقاد .. كاتبنا ومفكرنا الكبير الراحل .. لكتابه القيم « الانسان فى القرآن الكريم » .. احد شوامخه الشديدة التى صنعها على مدى خمسين عاما .. بالعرق ، والجهد ، والفكر ، والارادة الدءوب التى لاتعرف الكلل ..

والجواب ؟

يقدمه العقاد على صفحات الكتاب التى اربت على المائتين .. يستهلها ببيان خلاصة فلسفته ورأيه :

« ان هذه الاسئلة اسئلة لا جواب لها فى غير « عقيدة دينية » .. عقيدة تجمع للانسان صفوة عرفانه بدنياه ، وصفوة ايمانه بغيبها المجهول ! .. عقيدة تجمع له زبدة الثقة بعقله ، وزبدة الثقة بالحياة .. حياته وحياة سائر الاحياء والاكوان ..

هذه العقيدة الدينية ـ كما يقول ـ لا توجد اليوم لتنبذ غدا ، ولا توجد على الايام للعارفين دون الجاهلين ، وللعاملين دون الخاملين ، ولمن يطلبون الخير للناس دون من يطلبون الخير لانفسهم ، ولمن يعتقدون دراية ومحبة دون من يعتقدون تسليما ورهبة .. ولمن يسعون سعيهم الى العلم والايمان دون من يقعدون فى مواطنهم منتظرين ..

هذه العقيدة بنية حية .. قوامها دهور وأمم ، ومعايش وآمال ، ونفوس خلقت ونفوس لم تخلق .. سبيلها جميعا ان تتهدى الى قبلة واحدة تنظر اليها فتمضى قدما ، او تفقدها فى الافق فهى اشلاء ممزقة كأنها اشلاء الجسم المشدود بين مفارق الطريق ؟ ..

والعقيدة الدينية التى يراها العقاد جديرة بالرد على كل هذه الاسئلة والاستفسارات هى عقيدة القرآن ..

فالقرن العشرين منذ مطلعه ، يعرض العقيدة بعد العقيدة على الانسان وعلى الانسانية ، الا انه لم يعرض عليها حتى اليوم ، قديما معادا او جديدا مبتدعا هو اوفق من عقيدة القرآن .. وهى عقيدة باقية خالدة .. بعظمتها واحكامها وشمولها .. ما بقيت الحياة ..

فقد استمع الناس الى **المادية التاريخية** فوجدوها تنزل بالانسان الى مستوى العملة الاقتصادية فى

سوق التجارة والصناعة .. تعلو وتهبط بمعايير العرض والطلب ..

واستمعوا الى الفاشية فهالهم ما تزعمه من أن الانسان .. الواحد .. من عنصر سيد او عنصر مسود ..

واستمعوا الى « العقلية » فوجدوها تنكر انسانيتهم وتقول انها شيء لا وجود له ، ووهم من الاوهام ، وان الشيء الموجود حقا هو الفرد الواحد ! .. وبرهان وجوده حقا ان يفعل ما استطاع من نفع او اذى ، كلما أمن المغبة من سائر الافراد والاحداث .. !

وغيرها كثير من النظريات .. سمعها الناس من اهل العقائد الالهية .. نظريات عن مكان هذا الانسان من الارض والسماء ، ومكانه من اخوته فى آدم وحواء .. بيد انها لم تشف بدورها غليلهم او ترشدهم الى حيث تهدأ نفوسهم الحائرة المتسائلة ..

ثم سمع الناس من القران الكريم غير ذلك ..

« الانسان فى عقيدة القرآن هو الخليقة المسئول بين جميع ما خلق الله .. يدين بعقله فيما رأى وسمع ، ويدين بوجدانه فيما طواه الغيب ، فلا تدركه الابصار والاسماع .. والانسانية من اسلافها الى اعقابها اسرة واحدة لها نسب واحد واله واحد .. افضلها من عمل حسنا واتقى سيئا ، وصدق النية فيما احسنه واتقاه ..

هذه الحقيقة التى صدر بها المرحوم عباس العقاد كتابه القيم تحتاج الى اثبات قائم على البحث والنقاش العلمى .. اثبات يهتدى به الباحثون عن الرشاد ، وتسكت به السنة المعارضين : افتئاتا .. بغير حق .

والعقاد بلا مراء من اخير من يتصدون لهذه المهمة .. تراه يسوق حججه حجة وراء حجة، فى عمق واصالة ، على صفحات الكتاب الذى قسمه الى كتابين رئيسيين .. الاول عن الانسان فى القران الكريم .. وفيه عرض اجابة القرآن على كل الاسئلة التى تدور حول الانسان فى هذا القرن وما سبقه من القرون .. موضحا من خلالها كيف وضعه الاسلام - دين القرآن - فى موضعه الصحيح الذى يتطلبه فلا تسعده عقيدة اخرى اصح له واصلح من هذه العقيدة .. عقيدة القرآن فى الانسان والانسانية .

وفى الكتاب الثانى .. تحت عنوان الانسان فى مذاهب العلم والفكر .. ومن خلال عشرة فصول متتالية .. يورد المؤلف عرضا طريفا .. شائقا وعميقا .. لنشاة الانسان وموضعه فى مذاهب الفكر والعلم ، او مذاهب الحدس والخيال .. ليعود فى النهاية الى حيث بدأ .. مقارنا .. فى براعة العالم واقتداره .. بين ما تقرره هذه المذاهب وتسوقه .. على اختلافها .. وما تقره العقيدة القرآنية حول هذا الكائن الحى .. مكانه فى هذا الكون .. ومكانه على هذه الارض بين كل ما يدب عليها من الاحياء .. ثم مكانه بين نوعه البشرى ، وبين كل جماعة من هذا النوع .

والمخلوق المسئول - كما يوضح العقاد - هو صفوة الصفات التى ذكرها القرآن عن الانسان ، اما خاصة بالتكليف او عامة فى معارض الحمد والذم من طباعه وفعاله .

فالانسان قد ذكر فى بعض مواضع آيات الكتاب الكريم بغاية الحمد ، وفى مواضع اخرى بغاية الذم .. بل ذكر بهذا وذاك فى الاية الواحدة ..

يقول جل شأنه :

« ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » .

« لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين » .

« ان الانسان لظلوم كفار » .

« ان الانسان لفى خسر » .

.. صدق الله العظيم ..

وليس معنى ذلك ان الانسان يحمد ويذم فى آن واحد .. وانما معناه - كما يبين العقاد فى اول فصول الكتاب الاول - ان الانسان اهل للكمال والنقص بما فطر عليه .. واهل للخير والشر لانه اهل للتكليف .. والانسان بهذا الاستعداد المتفرد بين مخلوقات الارض ومخلوقات السماء هو اكرمهما جميعا ... واذا كان قد وصف فى القرآن بمساوىء لم يوصف بها غيره فانها مساوىء لا يوصف بها الا مخلوق مسئول .. فالسيئة والحسنة لا ينعت بها غير المسئول لانه غير اهل للقدح او المدح .

والانسان فى عقيدة القرآن .. مسئول عن عمله .. لايؤخذ واحد بوزر آخر ، ولا امة بوزر امة اخرى ..

« كل امرىء بما كسب رهين » .

« تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون » .

صدق الله العظيم ..

ومناط المسئولية فى القرآن جامع لكل اركانها المتفق عليها بين الباحثين المتعمقين فى حكمة التشريع الدينى او التشريع الوضعى ..

فهى بنصوص الكتاب قائمة على اركانها المجملة : تبليغ ، وعلم ، وعمل ..

فلا تحق التبعة على احد لم تبلغه الدعوة ..

« وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » .

والعلم اول ما أقر به المصطفى عليه الصلاة والسلام فى اول ما نزل من الايات الكريمة ..

« اقرأ وربك الاكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم » .

اما العمل فهو مشروط فى القرآن بالتكليف الذى تسعه الطاقة .. وبالسعى الذى يسعاه المكلف لربه ونفسه .

« لا يكلف الله نفسا الا وسعها » .

« فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » .

« فشريعة الاسلام لا تسأل الانسان عما يجهل ، ولكنها تسأله عما علم وعما وسعه ان يعلم ٠٠ وما من شيء فى عالم الغيب او عالم الشهادة هو محجوب كله عن علم الانسان ٠٠ فما وسعه من علم فانه محاسب عليه » ٠

« والقرآن الكريم كتاب تبليغ واقناع وتبيين ٠٠ وقوام هذه الفضيلة فيه التوافق التام بين اركانه واحكامه ، وبين عقائده وعاداته ، وبين حجته ومقصده ٠٠ فكل ركن من اركانه يتنزل فيه بأقداره ، ويوافق فى تفصيله سائر اركانه التى تتم به او يتم بها ، على قدر مبين » ٠

وامثلة ذلك فى الكتاب الكريم عديدة واضحة ٠٠ قاطعة فى بيانها واحكامها ٠٠

فالتكليف - بداهة - يرتبط بالمسئولية ، ويستند عليها ٠ والمسئولية لا تقوم بغير عقل يتلقى التبليغ والعلم ويهيىء النفس - بذلك - للعمل بما تكلف به ٠٠

ولذلك ٠٠

ليس أتم ولا اعجب فى القرآن من هذا التوافق التام فيه بين تمييز الانسان بالتكليف ، وبين خطاب العقل بكل وصف من أوصافه ، وكل وظيفة من وظائفه وملكة من ملكاته ٠٠ فالعقل بكل المعانى التى عرفت له موصول فى الكتاب المبين بكل حجة من حجج التكليف وكل امر بمعروف او نهى عن منكر ٠٠ افلا يعقلون ؟ افلا يتفكرون ؟ افلا يبصرون ؟ أفلا يتدبرون ؟ افلا تتذكرون ؟

وخليق بالمسلم ، وبكل دارس للاديان ، ان يتنبه الى هذه الفضيلة التى لا تراها فى غير القرآن من كتب الاديان ٠٠

فالبشرية لم تعرف قط قبل الاسلام تمييز الانسان بخاصة التكاليف واعداده لخطاب العقل وتبيان الاقناع ٠٠ وكانت الامم قبل البعثة المحمدية تفهم النبوة على انها استطلاع للغيب وكشف للاسرار والمخبآت ٠٠ كان منهم من يحسبها مجرد وساطة بين المعبود وعباده للتشفع اليه بالهدايا والقرابين ٠٠

ثم جاء الاسلام ليضع الانسان فى اشرف مكان له فى ميزان الفكر وميزان الخليقة ٠٠ فهو الكائن المكلف .. يخاطب فيه صفته الباقية .. وهى خاصة النفس الناطقة والضمير المسئول ٠٠ الضمير الذى يحمل تبعته .. لا تغنيه عنها شفاعة ولا كفارة من سواه ٠٠

انها نبوة فهم وهداية ، وليست نبوة استطلاع وتنجيم ٠ هداية بالتأمل والنظر والتفكير ، وليست بالخوارق والاهوال التى تروع البصر والبصيرة وتفزع الضمائر بالتخويف والارهاب ٠٠ فهى نبوة مبشرة منذرة لا تملك لهم نفعا ولا ضرا الا ما يعملونه من خير او شر بمشيئتهم ٠٠

« قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ماشاء الله ، ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء ٠٠ ان انا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون » ٠

لذلك عندما جاءت سمعة المعجزة سهلة ميسرة لصاحب هذه النبوة ، يوم مات ابنه ابراهيم وكسفت الشمس ، وظن الناس انها كسفت لموته ، ابى محمد الصادق الامين ان يسكت عليها ، واعلمهم ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا تخسفان لموت احد ولا لحياته ٠٠

وقد اختتم سلطان الاحبار بقيام نبوة الاسلام على اقناع العقل المسئول بآيات الكون ٠٠ كما اسدل الستار على سلطان النبوات بالمعجزات وخوارق العادات ٠٠

لذلك

لا يسقط التكليف عن العاقل ان يطيع المتحكمين بطغيان الحكم او طغيان الكهانة ٠٠ ولا يمنعه التكليف ان يسأل من يعلم اذا غاب عنه العلم ، لان طلب العلم يحقق واجب التكليف ولا يعطله او يلغيه ٠٠

والروح احدى العقائد الغيبية فى القرآن ٠٠

والعقائد الغيبية اساس عميق من اسس التدين ، تقوم عليه كل ديانة يطمئن اليها ضمير الانسان .. ولكن الفضيلة الكبرى فى عقائد القرآن الغيبية انها لا تعطل عقول المؤمنين بها ، ولا تبطل التكليف بخطاب العقل المسئول ٠٠

وعقيدة الروح ٠٠ فى القرآن ٠٠ هى احدى العقائد « الغيبية » التى تلمس فيها هذه الفضيلة ٠٠ ذلك بأن الايمان بالروح لم يفرض على العقل البشرى فى هذا الكتاب بصورة تنفصم بها النفس البشرية بفاصم من الحيرة بين خلق الانسان روحا وخلقه جسدا ..

فالروح والجسد فى القرآن الكريم .. ملاك الذات الانسانية .. تتم بهما الحياة ، ولا غناء فى احداهما عن الاخر .. لكلاهما حقه فى عقيدة الاسلام .. عقيدة على هداية واحدة تحسن بالروح كما تحسن بالجسد ٠

وقد كثر جدل حكماء اليونان وفلاسفته من قديم حول العقل والروح والجسد ٠٠ ورتبوها على حسب صفائها وعلو جوهرها ٠٠ فكان العقل عندهم اولها واشرفها ، لان جوهر العقل المطلق هو الله جل شأنه ، والعقل الالهى هو العقل الفعال المنزه عن المادة ، ثم تاتى الروح والنفس بعد ذلك ٠٠ الروح اقرب الى عنصر النور ، والنفس اقرب الى عنصر الهواء والتراب ٠٠

اما كمال هذه القوى فى لغة القرآن فانه مقيس الى كمال الله عز وجل ٠٠ ارفعها واشرفها ما كان اقربها الى الصفات الالهية ، وادناها ما كان ابعدها عن تلك الصفات ..

والمقابلة بين هذه القوى فى القرآن توحى بأن الروح ٠٠ وهو الجانب الذى استأثر الله سبحانه وتعالى بعلمه ٠٠ هو اقربها الى الحياة الباقية ، واخفاها عن المدارك الحسية ، لانه سر الوجود المطلق ٠

« ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا » .

اما العقل ، والنفس .. فالراجح فى بيان القرآن ان النفس اقربهما الى الطبع والقوة الحيوية التى تشمل الارادة كما تشمل الغريزة ، وتعمل واعية كما تعمل غير واعية ..

والعقل .. يتوسط بين القوتين .. الروح ، والنفس ، فهو وازع للغريزة ، ومستلهم لهداية الروح ..

فالانسان يعلو على نفسه بعقله ، ويعلو على عقله بروحه ، فيتصل من جانب النفس بقوى الغرائز الحيوانية ودوافع الحياة الجسدية ، ويتصل من جانب الروح بعالم البقاء وسر الوجود الدائم ، وعلمه عند الله .. وحق العقل ان يدرك ما فى وسعه وطاقته من جانبه المحدود ، ولكنه لا يدرك الحقيقة كلها من جانبها المطلق الا بايمان والهام ..

وفى القرآن الكريم خطاب متكرر الى العقل .. وبيان متكرر لحساب الانسان العاقل على الخير والشر ، مع اسناد الارادة اليه .. وهناك آيات اخرى صريحة تسند الارادة الى الله الخالق الفعال لما يريد . . فكيف تجد مسئولية الانسان طريقها المبنى على الارادة من خلال ذلك ؟

يقول العقاد

ان من شروط التكليف طاعة وحرية .. وهذه بديهية يغفل عنها كثير من المجادلين فى قضية القدر وقضية الايمان ، وفى قضية التكليف والجزاء ، فيقصرون النظر على شرط الحرية ، ويهملون شرط الطاعة ، كأنه مناقض للجزاء ، وكأنه من اللازم عقلا ان يكون الجزاء مقرونا بالحرية المطلقة ..

فالحرية المطلقة .. لكل مخلوق .. استحالة عقلية .. والارادة الوحيدة المطلقة هى ارادته جل شأنه .. أما ارادة الانسان فليست مطلقة من كل القيود ، ولا يمكن ان تكون كذلك .. لان ارادة هذا شأنها هى فى حقيقتها قيد على كل انسان سواه ..

لا يمكن اذن تصور الناس اجمعين ارادة مطلقة لكل منهم ..

ولا يمكن ايضا ان يكون الحكيم الخبير قد خلق الناس مكلفين بغير ارادة لهم على الاطلاق ..

هى اذن الارادة المخلوقة التى يودعها الخالق فى الانسان كما ينبغى ان تودع .. ارادة ولكنها ليست مطلقة من كل القيود .

والحرية المخلوقة حرية صحيحة .. ولا يقال انها ليست بحرية .. لانه لا معنى للحرية من وراء ارادة الخالق وارادة المخلوق .

ومن خلال هذه المعانى البارزة تجد ارادة الانسان وحريته ، طريقها .. ارادة مخلوقة وحرية مخلوقة بالقدر الذى يجعلها اهل للمسئولية والتكليف .

وقضية الخلق .. خلق الانسان ومكانه بين ابناء نوعه البشرى .. آخر القضايا التى يعرض لها العقاد فى عقيدة القرآن الكريم .. ليخلص فى نهاية بحثه — بعد بيان واف وشائق لما قالته مذاهب الفكر والعلم ، والتطور والنشوء فى هذه القضايا — الى كمال عقيدة القرآن ، وكيف يجد الانسان فى رحابها مكانته اللائقة التى هى اشرف مكانة لمخلوق فى ميزان الفكر وميزان الخليقة .

فهى عقيدة لا تنزل بالانسان الى مستوى العملة الاقتصادية فى سوق التجارة والصناعة .. تعلو وتهبط بمعايير العرض أو الطلب .

وهى عقيدة لا تزعم ان الانسان من عنصر سيد ، وآخر مسود ..

وهى لا تنكر الانسانية وتدعى انها شىء لا وجود له ، ووهم من الاوهام ، وان الموجود حقا هو الفرد الواحد ! ..

لقد وضع القرآن الانسان — علما ودينا — فى موضعه الصحيح حين جعل تقسيمه الحق انه ابن ذكر وانثى ، وانه ينتمى بشعوبه وقبائله الى الاسرة البشرية التى لا تفاضل بين الاخوة فيها بغير التقوى والعمل الصالح ..

فالانسانية من اسلافها الى اعقابها اسرة واحدة لها نسب واحد واله واحد .. لا عصبية ولا عنصرية ..

« يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير » .

وهذه الوحدة فى صلة الانسان بالانسان ، مشدودة الازر بالوحدة بين الناس كافة فى الصلة بالله .. ربهم ورب العالمين .. الذى يسوى بينهم ، ويدينهم بالرحمة والانصاف ، ثم لا يقضى بينهم فيما اختلفوا فيه الا بقسطاس العدل ، ايهم احسن عملا واقرب الى التقوى واستباق الخيرات :

« قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا » .

ولقد كان من الحق فى ذمة العلم — كما يقول العقاد — ان يتريث علماء المقابلة بين الاديان طويلا عند هذه المرحلة العظمى فى تاريخ العقيدة وفى تاريخ الفكر ، وفى تاريخ القيم الاخلاقية ، بل فى تاريخ الحياة الانسانية من مطلعها فى ظلمات الماضى المجهول الى هذا الاوج السامق الذى ارتفعت اليه بعد ألوف السنين ، وما كانت لترتفع اليه بعمل ولا عقيدة غير العقيدة فى رب واحد هو رب العالمين .. العقيدة التى تركت جميع موازين المفاضلة بين بنى الانسان وفاضلت بينهم بميزان التقوى والعمل الصالح :

« ان اكرمكم عند الله اتقاكم »

وليس اكرم ولا احكم للانسان من هذه العقيدة .. عقيدة القرآن .. التى تضعه فى موضعه الذى يتطلبه ، مقدمة للقرن العشرين انسانه الذى ليس من انسان اصح منه واصلح لزمانه .

"لأن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس"
حديث شريف

وثيقة تأمين

معاشات إضافية

للعاملين فى القطاع العام
وأصحاب المهن الحرة
والراغبين فى زيادة معاشاتهم
والتأمين على حياتهم

- يصرف المعاش ابتداء من سن التقاعد .
- تمتد مزاياه إلى أسرة المتعاقد .
- يجوز استبدال المعاش بمبلغ نقدى
- يصرف مبلغ تأمين إذا حدثت الوفاة قبل الانتفاع بالمعاش .

شركة الشرق للتأمين

إحدى شركات المؤسسة المصرية العامة للتأمين
المركز الرئيسى ١٥ شارع قصر النيل القاهرة

الافتاء
المرأة المسلمة
الرياضة
بريد القراء
بريد التعارف

أنت تسأل و المفتي يجيب

فضيلة الإمام الأكبر
الدكتور محمد محمد الفحام
شيخ الأزهر

س١ : من سناء محمد سعيد ــ س٠م٠س

تقول : انها رضعت مع قريب لها من والدته ويريد أخوه الاكبر الزواج بها وتسأل ان كانت تحل له أم لا تحل : ولماذا لاتحل لمن يرضع معها ؟

الجواب :

يقول الله سبحانه وتعالى : « **حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة** »

ويقول صلى الله عليه وسلم (يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب) ٠ وبرضاع السائلة من والدة قريبها أصبحت بنتا لها من الرضاع كما أصبحت أختا من الرضاع لجميع أولاد هذه السيدة التى أرضعتها سواء فى ذلك من رضعت معه ومن لم ترضع معه وبذلك لا يحل زواجها من أحد أبناء هذه السيدة لانها ــ كما قلنا ــ اخت من الرضاع لهم جميعا والاخت من الرضاع لا يحل الزواج بها ٠ فاذا كانت السائلة قد رضعت خمس رضعات فاكثر فالحكم ما قلنا باجماع الفقهاء ٠ وأما اذا كان عدد الرضعات اقل من خمس فلا يثبت التحريم عند الامام الشافعى رضى الله عنه وفى احدى الروايات عن الامام أحمد رضى الله عنه ويثبت التحريم عند الامام أبى حنيفة رضى الله عنه فان الرضعة الواحدة تكفى عنده فى حصول الرضاع وثبوت التحريم والرأى المختار للفتوى هو رأى الامام الشافعى رضى الله عنه ٠ والله أعلم ٠

●●●

س٢ : من حسنين احمد زغلول ــ الرملة مركز بنها

يقول : انه يرغب الزواج من فتاة رضع والدها من والدته على أخيه الاكبر ٠ وقد سأل بعض أئمة المساجد عما اذا كانت تحل له أو لاتحل فاختلفوا ويرجو بيان رأى الشرع حتى تزول شكوكه ٠

الجواب :

اذا كان الامر كما ورد فى السؤال فقد أصبح والد الفتاة التى يرغب السائل الزواج منها أخا له من الرضاع وبالتالى تكون هذه الفتاة بنت أخ للسائل فلا يحل زواجه بها قال تعالى ، **حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة** • وقال صلى الله عليه وسلم (يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب) وبنت الاخ نسبا لا يحل الزواج بها فكذا بنت الاخ رضاعا لا يحل الزواج بها •

• • •

س٣ : من رضا يوسف محمد ــ شارع المأمون محرم بك ــ الاسكندرية

يقول : ان رجلا تقدم لخطبة فتاة من أمها الارملة ، غير أن الام أقنعته بالزواج منها هى فتزوجها وبعد عدة أشهر طلقها ولم ينجب منها ثم تقدم بعد فترة للزواج من بنتها وتزوجها فعلا • فهل هذا جائز شرعا ؟

الجواب :

المنصوص عليه شرعا أن الدخول بالامهات يحرم الزواج بالبنات قال تعالى : » **حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم ••• الى أن قال وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم** » •

ومفهوم من السؤال أن الرجل دخل بزوجه « الام » بدليل ما جاء فى السؤال من أنه طلقها ولم ينجب منها • فاذا كان الامر كذلك وكان الرجل قد دخل بهذه الزوجة فانه لا يحل له أن يتزوج ابنتها • فان كان قد تزوجها ــ فعلا ــ كما ورد فى السؤال فعليه أن يفارقها فورا فان لم يفترقا فعلى السائل أو غيره أن يرفع الامر الى القضاء ليتولى التفريق بينهما بقوة القانون • أما اذا كان الزوج لم يدخل بزوجته « الام » وطلقها قبل الدخول بها فان زواجه بابنتها جائز ــ والله أعلم •

• • •

س٤ : من السيدة س • م • ع ــ حلوان

تقول : انها سيدة مسنة ومريضة ولا تستطيع لضعفها ومرضها الدائم أن تؤدى الصلاة فى أوقاتها وانها لذلك تصلى الاوقات الخمسة مرة واحدة كل صباح لعدم امكان وضوئها عند كل وقت من الاوقات الخمسة ولانها غير راضية نفسيا لو تيممت ، وترجو الافادة عما اذا كان هذا العمل كافيا فى أداء ما عليها من الواجبات نحو الصلاة ؟

الجواب :

فرض الله على المسلمين المكلفين خمس صلوات فى اليوم والليلة وجعلها موقوتة بأوقاتها الخاصة بها قال تعالى : « **ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا** » ومن شروط صحة الصلاة دخول الوقت فما لم يدخل الوقت لاتجب الصلاة ولا يصح أداؤها قبل دخول وقتها • فصلاة الظهر مثلا لا تجب ولا تصح الا اذا دخل وقت الظهر وصلاة العصر لا تجب ولا تصح الا اذا دخل وقت العصر وكذلك الحكم فى باقى الاوقات •

والطريقة التى تؤدى بها السائلة الصلوات الخمسة كلها فى وقت الصبح لا تسقط عنها الا صلاة الصبح فقط ، فاذا دخل وقت الظهر ، فعليها صلاة الظهر ، وكذلك الامر اذا دخل وقت العصر أو المغرب أو العشاء • وما أدته من هذه الصلوات صباحا لا يعفيها من وجوب قضاء هذه الاوقات لانها أدتها قبل وجوبها ، فلا تسقط عنها الا بأدائها بعد وجوبها ، والله سبحانه وتعالى قد يسر على المسلمين ولم يكلفهم ما يشق عليهم قال تعالى : » **ما جعل عليكم فى الدين من حرج** » وقال تعالى : « **يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر** » وتيسيرا على المسلم اباحت الشريعة الاسلامية للمصلى أن يؤدى الصلاة قاعدا ان لم يستطع القيام وموميا يشير برأسه الى الركوع والى السجود ان لم يستطع الركوع او السجود وان لم يستطع الايماء قائما أو قاعدا صلى مستلقيا او على أحد جنبيه موميا برأسه بقدر ما يستطيع بلا تكلف ولا حرج •

كما أن الاسلام شرع التيمم بالتراب عند العجز عن استعمال الماء لمرض أو غيره من الاعذار ، فاذا كان استعمال الماء لمرض أو غيره من الاعذار ، وان لم تستطع الصلاة من قيام صلت قاعدة بركوع وسجود ،

فان لم تستطع الركوع والسجود صلت بالايماء قاعدة ان استطاعت ومستلقية ان لم تستطع على أن يكون ذلك بعد دخول الوقت لا قبل دخوله . والله أعلم وهو المستعان .

• • •

س ٥ : من المواطن رفيق محمد عبدالرحمن — الجمالية دقهلية وحاليا بالجبهة .

يقول : انه قرأ فى عدد مجلة منبر الاسلام الصادر فى شهر رمضان ١٣٨٦ ان الاموال المودعة فى صندوق التوفير اموال نامية تقديرا ويجب فيها الزكاة . يقول السائل ويبرركم هذا قد احللتم وضع المال فى صندوق التوفير او غيره بفائدة أليست هذه الفائدة والزائدة عن راس المال تعتبر ربا وقد حرم الله الربا ؟

الجواب :

نعم أيها السائل الكريم ان الفائدة التى يعطيها صندوق التوفير أو غيره من المصارف زيادة عن رأس المال المودع ربا ، وقد حرم الله الربا بصريح القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، قال تعالى : « ان **الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا** » وقال سبحانه : « **ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون** » وقال صلى الله عليه وسلم فى خطبة الوداع : « قضى الله أنه لا ربا وأن كل ربا موضوع ولكم رءوس أموالكم » .

ونحن يا أخى السائل : لم نقل بجواز أخذ الفائدة على الاموال المودعة بصندوق التوفير وانما قلنا بوجوب دفع الزكاة عن المال المودع فى صندوق التوفير اذا توفرت شروط الزكاة . وجواز الايداع بصندوق التوفير لا يلزم منه جواز أخذ الفائدة ، فلك أن تودع أموالك فى صندوق التوفير ولا تقبل أخذ الفائدة وتكون بذلك قد أسهمت فى المشروعات البناءة التى تقام بالاموال المودعة ، وهذا تعاون طيب حث الاسلام عليه . قال تعالى : « **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان** » .

• • •

س ٦ : من السيد — سليمان سليمان يونس — معاون جمعية أبو مصطفى الزراعية — كفر الشيخ . وآخر

يقولان ، اننا افتينا بتحريم فوائد الادخار بصندوق التوفير لانها ربا ، وأن المودع آثم فيما يأخذه من هذه الفوائد وذلك فى الاجابة على السؤال رقم ١٠ فى عدد مجلة منبر الاسلام شهر شوال ١٣٨٩ . وفى الاجابة عن السؤال التالى له مباشرة فى نفس العدد قلنا بأن ما تصرفه المؤسسات أو الهيئات أو الحكومة للافراد العاملين بها بعد الوفاة أو الخروج الى المعاش زائدا عما استقطع منه من ادخار هو نظام تعاونى . ويسألان الفرق بين الحالتين ؟

الجواب :

هناك فرق بين النظامين — كما نرى — فصندوق التوفير يتقدم اليه المودع برغبته فيودع فيه أمواله ويحرر عقدا بينه وبين هيئة الصندوق أو غيره من المصارف وينص على قبوله الفوائد المقررة أو عدم قبوله لها ، ويصبح بمقتضى هذا العقد من حقه أن يطالب بهذه الفوائد كل عام مثلا ، وله أن يسترد ما أودعه فى أى وقت يشاء .

وأما نظام الادخار بين العاملين والحكومة أو المؤسسات فان العامل يستقطع من مرتبه طبقا لنظام الدولة قسط التأمين أو الادخار وليس من حقه أن يطالب بصرفه فى أى وقت يشاء ولا يصرف مع حصة الحكومة أو المؤسسة الا فى حالة الوفاة أو الخروج الى المعاش ، ولو رجعنا الى السؤال موضوع الملاحظة لرأينا السائل يقول بالحرف الواحد : « وحين يخرج الى المعاش أو يموت يصرف له أو لورثته المبلغ المستقطع مدة عمله مضافا اليه ٤ فى المائة (أربعة فى المائة) من هذا المبلغ علما بأنه ليس من حقه أثناء عمله أن يطالب بالاربعة فى المائة من المبلغ المستقطع ولا يملك التصرف فيه .. الخ » ومن هنا يتضح الفرق بين الادخار بصندوق التوفير وغيره من المصارف وبين نظام التأمين والادخار بين العامل والحكومة أو المؤسسات المختلفة . ومن أجل ذلك قلنا أن الفوائد التى يعطيها صندوق التوفير ربا وأما المبلغ الذى تعطيه الحكومة أو المؤسسة للعامل أو لورثته بعد وفاته فانه منحة منها تعين العامل أو ورثته على أعباء الحياة . والله أعلم .

• • •

س٧ : من السيد — عثمان عبدالموجود مقبل — كفر الدوار طريق كوم أشو — عزبه الحاج عبد الموجود الخولى

سيدة تسأل عن كيفية توزيع تركتها بعد وفاتها على ورثتها الموجودين حاليا وهم : اربع بنات . بنت ابن متوفى ، أخوة وأخوات اشقاء ، اخوة من الاب فقط . فاذا ماتت وتركت هؤلاء فما نصيب كل فى تركتها ؟

الجواب :

اذا كان الامر كما ورد فى السؤال وتوفيت السائلة وتركت ورثتها المذكورين فان التركه توزع على افتراض ان ابنها موجود حين وفاتها وما يحصه من هذه التركه لو كان حيا تأخذه ابنته ، وصيه واجبة بشرط ألا يزيد عن ثلث التركة ، ولما كان لها ٤ بنات وبنت ابن فيفترض الابن حيا وتقسم التركة بين الابن والبنات الاربع فيخص الابن ثلث التركه تأخذه ابنته عملا بقانون الوصيه رقم ٧١ لسنة ١٩٤٦ والباقى بعد الوصيه الواجبة يعتبر تركه مستقلة ، ويورث بين الورثة على الوجه الآتى : للبنات الاربع الثلثان فرضا بالتسويه بينهن والباقى للاخوة والاخوات الاشقاء للذكر ضعف نصيب الانثى ولا شىء للاخوه لاب لحجبهم بالاخوة الاشقاء . والله أعلم .

• • •

س٨ : من حسن سليمان ابراهيم — كفر الاحرش شربين

يقول : توفيت زوجتى قبل وفاة أمها ثم توفيت أمها تاركة أولادها وأولاد أولادها . فهل لاولادى وهم أولاد زوجتى المتوفاة قبل وفاة أمها حق فى ميراث جدتهم وما مقدار نصيبهم !

الجواب :

لاولاد الاولاد فى مثل هذه الحالة ومنهم أولاد السائل من زوجته المتوفاة قبل وفاة أمها وصية واجبة بمقدار ماكان يعطى لاولاد المتوفاة المتوفين قبلها لو كانوا أحياء ، ومنهم أولاد زوجته المتوفاة بشرط أن لا يزيد ما يأخذه أولاد الاولاد عن ثلث التركة، فان كان نصيب الاولاد المتوفين أقل من ثلث التركة أخذه أولادهم وان زاد عن ثلث التركة فليس لهم جميعا الا الثلث وصية واجبة .

ونظرا لان السؤال لم يبين فيه الورثة وعددهم بيانا واضحا فانه لا يمكن معرفة نصيب أصحاب الوصية وغيرهم ممن ورد ذكرهم فى السؤال .

• • •

س٩ : من محمد على ابوالسعود — وكيل حسابات الزراعة قسم رابع بمصلحة الزراعة بالجيزة

يقول : توفى أبو العلا أحمد سلامة سنة ١٩٦٤ وكان له بنت توفيت قبله ولم يترك احدا وورثته الموجودون على قيد الحياة حين وفاته هم :

أخت تدعى مبروكة وأبناء ابن عم وهم ربيع وحلمى أبناء حافظ ابن عم المتوفى وعبد المعطى وعبد الحميد أبناء بيومى ابن عم المتوفى ، وبنت ابن عم .

الجواب :

لم يبين السائل ما اذا كانت أخت المتوفى شقيقة أو لاب أو لام . فان كانت شقيقة أو لاب فلها نصف تركة المتوفى أبو العلا فرضا وان كانت لام فلها السدس فقط والباقى بعد النصف أو السدس لابناء ابنى العم ربيع وحلمى ابنى حافظ ابن عم المتوفى وعبد المعطى وعبد الحميد ابنى بيومى ابن عم المتوفى بالتساوى بينهم جميعا تعصيبا ولا شىء لبنت ابن العم لانها من ذوى الارحام ولا شىء لذوى الارحام فى مثل هذه الحالة . والله أعلم .

• • •

س ١٠ : من حسين منصور الريان — مدرسة خلوصى الابتدائية بالفيوم

الجواب ،

المشكلة التى عرضتها فى سؤالك اذا لم تريدوا عرضها على القضاء ليتولى الفصل فيها بمقتضى القانون فان فى استطاعتكم الاحتكام الى مجلس عرفى ممن لهم مكانة خاصة تجمع الافراد المتنازعين وتفض

النزاع بينهم باعطاء كل ذى حق حقه فان تعذر ذلك فلا شىء غير القضاء يفصل فى مشكلتكم ٠

• • •

س١١ : من السيد احمد لقمان – الطرقاية مركز البدرشين

يقول ، توفى رجل عن ،

زوجة ، ٤ أربع أبناء ، وبنتان ، وبنت ابن توفى قبل وفاة والده ٠ وكان قبل وفاته كتب لبنت الابن المتوفى عدد ٦ نخلات وعدد ٢ قيراط

ويسأل عن نصيب كل من المذكورين وهل تأخذ بنت الابن ماكان يخص والدها لو كان حيا فقط ، أم تأخذه هو وما كتبه لها جدها قبل وفاته ؟

الجواب :

اذا كان المتوفى قد أعطى لبنت المتوفى قبل وفاته ما أعطاه لها على سبيل الوصية أو الهبة بدون عوض فانها تأخذ من التركة ما يكمل لها ماكان يخص والدها لو كان حيا وصية واجبة على أن يكون ذلك كله فى حدود الثلث عملا بقانون الوصية رقم ٧١ لسنة ١٩٤٦ ٠ أما اذا كان المتوفى كتب لبنت ابنه هذا المقدار بعوض فانها تأخذ من التركة ماكان يخص أباها فى حدود الثلث أى لا يزيد ذلك عن ثلث التركة طبقا لقانون الوصية المذكور والباقى بعد ذلك يوزع كالاتى :

للزوجة الثمن فرضا ، والباقى للابناء الاربعة والبنتين تعصيبا للذكر مثل حظ الانثيين ٠ والله سبحانه وتعالى أعلم ٠

يتقدم العاملون
بالمؤسسة الى
الأمة الإسلامية
بخالص التهانى
بحلول
عيد رأس
السنة الهجرية
سائلين الله أن
يعيد هذه الأعياد
على الأمة الإسلامية
وقد تحقق لها
النصر على المعتدى
الغاشم

المؤسسة المصرية العامة
للمصانع الحربية والطيران

إدارة التسويق : ٣ش طلعت حرب ت ٤٤١٥٨/٤٤١٨٩
العلاقات العامة والتوجيه المعنوى : ٨ ش جميعى جاردن سيتى ت ٢١٢١٤

مواقيت الصلاة

الأيام	محرم ١٣٩٠	مارس ١٩٧٠	فجر ق	فجر ت	شروق ق	شروق ت	ظهر ق	ظهر ت	عصر ق	عصر ت	مغرب ق	مغرب ت	عشاء ق	عشاء ت
الاثنين	١	٩	٤٦	٤	١٣	٦	٦	١٢	٢٧	٣	٥٩	٥	١٦	٧
الثلاثاء	٢	١٠	٤٥		١٢		٦		٢٨		٥٩		١٦	
الأربعاء	٣	١١	٤٤		١١		٥		٢٨		٠٠	٦	١٧	
الخميس	٤	١٢	٤٣		١٠		٥		٢٨		١		١٨	
الجمعة	٥	١٣	٤٢		٩		٥		٢٩		١		١٨	
السبت	٦	١٤	٤٠		٧		٤		٢٩		٢		١٩	
الأحد	٧	١٥	٣٩		٦		٤		٢٩		٣		٢٠	
الاثنين	٨	١٦	٣٨		٥		٤		٢٩		٤		٢١	
الثلاثاء	٩	١٧	٣٧		٤		٤		٢٩		٤		٢١	
الأربعاء	١٠	١٨	٣٥		٢		٣		٢٩		٥		٢٢	
الخميس	١١	١٩	٣٤		١		٣		٣٠		٦		٢٣	
الجمعة	١٢	٢٠	٣٣		٠٠	٦	٣		٣٠		٦		٢٣	
السبت	١٣	٢١	٣٢		٥٩	٥	٢		٣٠		٧		٢٤	
الأحد	١٤	٢٢	٣١		٥٨		٢		٣٠		٧		٢٥	
الاثنين	١٥	٢٣	٢٩		٥٦		٢		٣٠		٨		٢٦	
الثلاثاء	١٦	٢٤	٢٨		٥٥		٢		٣٠		٨		٢٦	
الأربعاء	١٧	٢٥	٢٦		٥٣		١		٣٠		٩		٢٧	
الخميس	١٨	٢٦	٢٥		٥٢		١		٣٠		١٠		٢٨	
الجمعة	١٩	٢٧	٢٤		٥١		١		٣٠		١١		٢٩	
السبت	٢٠	٢٨	٢٣		٥٠		١		٣٠		١١		٢٩	
الأحد	٢١	٢٩	٢١		٤٩		٠٠	١٢	٣٠		١١		٣٠	
الاثنين	٢٢	٣٠	١٩		٤٨		٠٠	١٢	٣٠		١٢		٣١	
الثلاثاء	٢٣	٣١	١٨		٤٧		٠٠	١٢	٣٠		١٢		٣١	
الأربعاء	٢٤	١ أبريل	١٧		٤٥		٥٩	١١	٣٠		١٣		٣٢	
الخميس	٢٥	٢	١٦		٤٤		٥٩		٣٠		١٤		٣٣	
الجمعة	٢٦	٣	١٥		٤٣		٥٩		٣٠		١٤		٣٣	
السبت	٢٧	٤	١٣		٤١		٥٨		٣٠		١٥		٣٤	
الأحد	٢٨	٥	١٢		٤٠		٥٨		٣٠		١٦		٣٥	
الاثنين	٢٩	٦	١١		٣٩		٥٨		٣٠		١٦		٣٥	

المرأة المسلمة

لقاء مع الدكتورة إيفا ديفترى

المستشرقة الفرنسية ومديرة الأبحاث بالمجلس القومى الفرنسى

إعداد : نجاة الزنيرى

.. لقائى هذا الشهر خارج حدود العالم العربى .. وهل للاسلام حدود أو وطن واحد .. ! ؟ .. الاسلام دين الانسانية .. يوجد حيث يوجد الانسان فى كل أنحاء العالم ... الاسلام دين لا يعرف الجمود ، ولا يألف الاستكانة ، ولا يعترف بلغة الامتار والاميال ..

الاسلام اذا دخل قلبا يسرى منه الى باقى الكيان يسكب عليه من نوره ، ويفيض عليه من اشراقه ..

• • •

لقائى هذا الشهر مع سيدة فرنسية .. متزوجة .. ولها ولدان .. أحدهما طبيب والاخر يعد للدكتوراه فى القانون ..

هذه السيدة حصلت على دكتوراه الدولة فى الفلسفة من فرنسا .. وتخصصت فى دراسة الحضارة الاسلامية ..

وهى فوق كل هذا قد أسلمت عن يقين ودراسة وتعمق واقتناع ..

جاءت الى القاهرة استاذة زائرة فى كلية البنات بجامعة الازهر ..

ومكثت ثلاثة أشهر من ١٤ نوفمبر سنة ١٩٦٩ الى ٣٠ يناير سنة ١٩٧٠ ، فى ضيافة المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ..

والتقيت بالدكتورة ايفا دبفترى .. وفى ذهنى عدة أسئلة أريد ان أعرف اجابتها : ماهى الظروف التى أدت الى اسلامها .. ولماذا اختارت الحضارة الاسلامية للدراسة والتخصص وما هى طبيعة عملها الحالى ..

وما هى المهمة التى جاءت من اجلها الى القاهرة .. وما الذى استفادته من هذه الزيارة .. وما هى مشروعات المستقبل بالنسبة لها بعد عودتها الى فرنسا وطنها ...

أسئلة كثيرة تدافعت الى ذهنى وأنا التقى بها ..

استطعت أن التقى بها فى اللحظات الاخيرة قبل سفرها .. فقد كان وقتها طوال الشهور الثلاثة التى أمضتها فى القاهرة مشحونا باللقاءات والزيارات والاجتماعات والمحاضرات ..

ووجدتها سيدة وقورة ، صورة الام فيها تطغى على صورة الباحثة أو المستشرقة ، لكنها عندما تحدثت معى وجدت نفسى أمام دائرة معارف اسلامية ثقافية انسانية خصبة وفيرة عظيمة ... قالت لى :

لماذا أسلمت ؟

تعرفت على الدين الاسلامى بطريقة أكاديمية فى بادىء الامر .. ودرست مؤلفات الشاعر الباكستانى اقبال دراسة عميقة .. ودرست ما يتخلل شريعة الاسلام والسنة من أمور مبهمة على الفهم العادى ، لكى أتعرف على حقيقته .. فقرأت للفيلسوف الغزالى مثلا وغيره كثيرين .. واكتشفت ان الاسلام دين حى .. وقد كنت أحب دائما تعريف البيضاوى وتفسيره .. [وهو أحد الائمة قام بتفسير القرآن الكريم ، ويمتاز تفسيره بانه مختصر ومركز ..] ، عندما يتحدث عن الايمان فيقول فيه ان الانسان يتقبل شيئا على انه حقيقى مع سلامة القلب والعقل ..

وقد آمنت بأن الاسلام هو وحده الكفيل بأن يحقق لى هذا الايمان .

فديانتى كانت تمنحنى سلام القلب ، ولكنها لم تمنحنى سلام العقل .. وهكذا اعتنقت الدين الاسلامى بعد دراسة وبحث وتعمق وفهم واقتناع عقلى تام ..

وقبل أن أدخل دين الاسلام كنت قد تزوجت قبل الحرب العالمية الثانية ، وقد حارب زوجى الى جانب ديجول .. وعندى الان ولدان ، أحدهما يعمل طبيبا ، والثانى يعد للدكتوراه فى القانون ..

الدراسة والعمل .. ؟

وقد كنت عقب الحرب العالمية الثانية عضوا فى مركز الابحاث العلمية ، وكنت على رأس ادارة العلوم الانسانية .. وقد حصلت على دكتوراه الدولة فى الفلسفة ، كما حصلت على عدة دبلومات فى الفلسفة الاسلامية والدراسات الاسلامية والفارسية ..

وعندما حصلت على دكتوراه الدولة فى الفلسفة ، طلبت أن اعفى من مهام وظيفتى الادارية لكى أتفرغ للابحاث وحدها .. ولكى أقوم بجانب أبحاثى الخاصة بادارة أبحاث تلاميذى .. وأقوم حاليا بادارة الابحاث فى المركز القومى الفرنسى ..

وقد تخصصت فى الابحاث المتعلقة بالفلسفة الاسلامية ؟ ولا سيما باللغة الفارسية ، وان كنت أعرف حاليا قليلا من اللغة العربية ، الا ان هذا القدر لا يكفى للدراسة . وكنت أبحث دائما عن المخطوطات التى تتصل بدراستى وهوايتى ، ولا سيما فى الدول الاجنبية ، وكنت أصورها وأدرسها وألخصها وأترجمها ..

المؤلفات والابحاث :

وقد تمكنت بعد ذلك من تاليف عدة كتب فى الدراسات الاسلامية والفلسفة ، كما نشرت لى مقالات كثيرة فى الصحف فى هذا المجال — خاصة الصحف العلمية — ويضيق المجال هنا للحديث عن كتبى ومقالاتى وابحاثى بالتفصيل .. ولكنى أعد بأن أفرد مقالا خاصا عنها للمجلة عندما أعود الى القاهرة فى آخر هذا العام ان شاء الله .

البعثات الدراسية :

وقد أرسلتنى الحكومة الفرنسية فى بعثات الى المغرب وتركيا ولبنان والجمهورية العربية المتحدة ، وقد سبق لى ان زرت القاهرة بمناسبة الاحتفال بالفية القاهرة . وجئت هذه المرة أستاذة زائرة لكى أقوم بالتدريس فى كلية البنات جامعة الازهر .

المستشرقة الفرنسية الدكتورة ايفاديفترى في حفل جمعية نساء الاسلام وهى تقف بجوار الاستاذة مفيدة عبد الرحمن

انطباعاتها عن القاهرة .. والشخصيات التى التقت بها .. ونشاطها :

اننى أعتز بالقاهرة كل الاعتزاز .. وقد زاد تعلقى بها فى هذه المرة الثانية ، ورغم اننى أجنبية ، لكنى أشعر أنها بلدى وأشعر منذ الان وقبل الرحيل عنها بالحنين اليها .. وقد التقيت هنا بعدة شخصيات هامة ومسئولة ، وتباحثت معهم فى كل الشئون الاسلامية والدراسات والابحاث الاسلامية ..

فالتقيت بالدكتور عبد العزيز كامل وزير الاوقاف .. والتقيت بشيخ الجامع الازهر فضيلة الدكتور محمد محمد الفحام .. والتقيت بمدير جامعة الازهر الدكتور بدوى عبد اللطيف .. والدكتورة زينب راشد عميدة كلية البنات جامعة الازهر .. ومديرى جامعتى القاهرة وعين شمس .. وألقيت هناك عدة محاضرات .. وقابلت الدكتور طه حسين .. والاستاذ توفيق عويضة سكرتير عام المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ، وقد تفضل سيادته وأهدانى مكتبة اسلامية كاملة .. وأعطانى منحة دراسية مدتها ستة أشهر لعمل أبحاث اسلامية ، بالاضافة الى اننى اصبحت عضوا بالمجلس الاعلى للشئون الاسلامية ، وسوف اكتب بصفة مستمرة مقالات اسلامية باللغة الفرنسية فى مجلة « منبر الاسلام » التى تصدر باللغة الفرنسية .

وأنا اقدم الشكر الجزيل على كل هذا الذى حصلت عليه من المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ..

وفى كلية البنات جامعة الازهر ، القيت عدة محاضرات تحدثت فيها عن العامل المشترك بين الحضارة والثقافة الاسلامية .. أما فى المركز الثقافى الفرنسى فقد القيت هناك محاضرة عن التصوف فى شعر اقبال .. وفى جمعية نساء الاسلام القيت محاضرة أخرى عن التصوف أيضا

وعندما أعود الى القاهرة فى هذا العام ، آمل ان شاء الله ان استأنف التدريس فى كلية البنات جامعة الازهر .. وان أتعاون مع المجلس الاعلى للشئون الاسلامية فى مشروعاته الثقافية العديدة .. وأنوى ايضا عمل ابحاث تتصل بعلم النفس كما ورد فى القرآن الكريم .. كما أود ان أتمكن من اتقان اللغة العربية هنا ..

ومن مشروعات المستقبل أيضا :

أما فى فرنسا ، فاننى أنوى ان شاء الله ان أهتم بانشاء [الجمعية الفرنسية الاسلامية] ، التى يرجع الفضل فى التفكير فى انشائها الى الاستاذ محمد توفيق عويضه سكرتير عام المجلس الاعلى للشئون الاسلامية .. وذلك بترتيب تبادل الابحاث الاسلامية بين فرنسا والمجلس الاعلى للشئون الاسلامية ..

وأود أيضا ان أعرف الشعب الفرنسى بحقيقة شريعة الاسلام وكذلك جميع الدول الناطقة باللغة الفرنسية ..

أما بالنسبة للدراسات الاسلامية فى فرنسا :

فيوجد فى جامعة السربون معهدا للدراسات الاسلامية ، حيث تدرس الشريعة الاسلامية والفلسفة والتاريخ والجغرافيا الاسلامية وغيرها من العلوم ..

وتوجد أيضا محاضرات اسلامية منتظمة [كوليج دو فرانسى] .. وبها كراسى لعلم الاجتماع .. هذا فى مجال التعليم الجامعى ..

كما توجد مدرسة للغات الشرقية ، حيث تدرس من بين موادها اللغة العربية المستعملة فى الحديث بجميع لهجاتها .. وهذه الدراسات مهيئة فى أغلب الاحيان لرجال السلك الدبلوماسى ، ويرجع تاريخها الى القرن الثامن عشر ..

وأحب ان أقول هنا ان أول كرسى للغة العربية انشىء فى فرنسا فى عهد فرنسواز الاول فى القرن السادس عشر .

أما فى المجال الدينى ، فمعظم المسلمين فى فرنسا من رعايا شمال افريقيا وهم يعيشون ويعملون فى فرنسا .. كما يصل الى فرنسا دائما عدد كبير من الطلبة المسلمين من تركيا ومصر وسوريا ولبنان وغيرها من البلاد الاسلامية .

وفى المدينة الجامعية فى باريس توجد أجنحة خاصة لطلبة هذه الدول .

أما الاقلية المسلمون فى فرنسا فهم أولئك الذين يرجع أصلهم الى الجنسية الفرنسية ، وقد اعتنقوا الاسلام ، وهؤلاء يزيد عددهم تدريجيا ، وهم يشهرون اسلامهم فى جامع باريس .. وهم جميعا مثقفون اعتنقوا الاسلام عن اقتناع .

وهناك قصص كثيرة طويلة لا يتسع المجال هنا لذكرها عن هؤلاء الذين يشهرون اسلامهم فى فرنسا .. ويبلغ عددهم حوالى مليون مسلم يزيد باستمرار ، ويعتبر المسجد الاسلامى فى باريس تحفة من تحف الفن الاسلامى ، وقد أنشأت الحكومة الفرنسية هذا المسجد سنة ١٩٢١ ، وتم افتتاحه سنة ١٩٢٦ ، وقد أهدت القاهرة المنبر الموجود به حتى الان .. وقد أقيم على مساحة واسعة بجوار جامعة السربون ، وعلى مقربة من نهر السين ، ووسط حديقة واسعة ، ويضم معهدا للدراسات الاسلامية ومكتبة ضخمة ، وبه استراحة يقضى بها المسلمون سهرات رمضان .. والمسجد دائما عامر بالمصلين فى الاوقات الخمسة .. فترى يوميا العربى والهندى والفرنسى .. مسلمين من افريقيا ومن آسيا ومن أوربا بمختلف ملابسهم التقليدية الوطنية ، يؤدون فرائض الصلاة ، وتدخل المسجد ايضا السيدات المسلمات الفرنسيات وغير الفرنسيات للصلاة ، حيث يخصص مكان لهن . وقد اولته الحكومة عناية خاصة ، فعينت لجنة لادارته ، وتعتبره الحكومة من الاماكن الهامة فى باريس ، لذلك وضعته فى الخريطة التى تضم أهم معالم باريس السياحية والاثرية والدينية ..

مع الشباب

مكانة رجل الدين

الاستاذ ناصف سليم

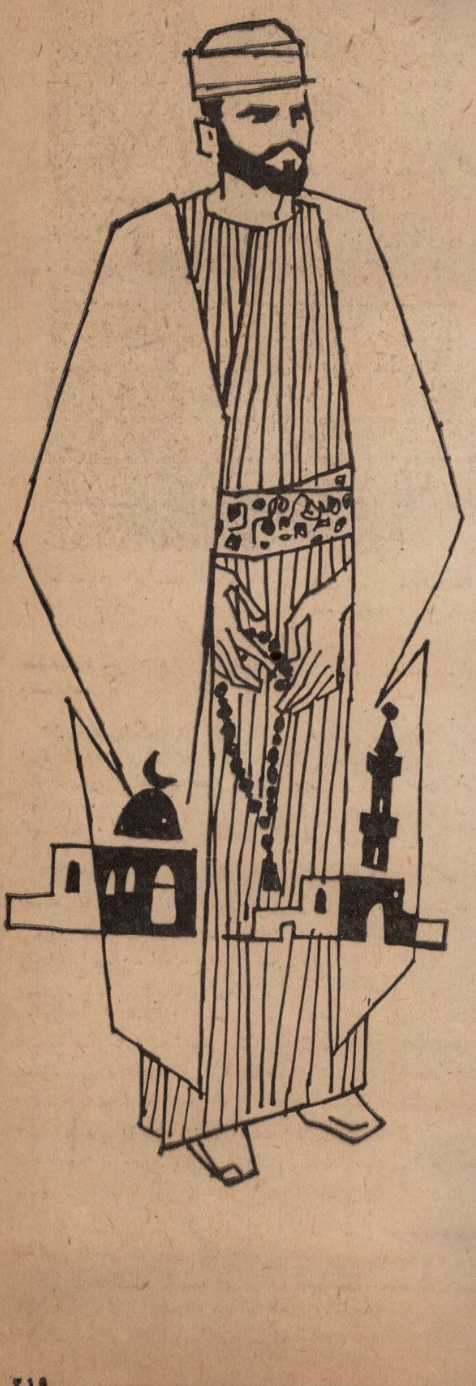

نحن .. وغيرنا .. المسلمون وغير المسلمين ، من عاش فى هذا القرن من الزمان ومن عاش فى ازمان مضت ، الجميع يدرك أن الرسالة الاسلامية ، بدون شك هى أعظم ثورة فكرية انسانية عاش الانسان فى ظل فلسفتها هى الرسالة الاسلامية التى جاء بها نبينا الكريم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

وقد حمل هذه الرسالة الانسانية العظيمة بعد عهد الرسول عليه الصلاة والسلام وصحابته وتابعيه علماء كرسوا حياتهم لخدمة الدين .. لم يكونوا موظفين فى دولة أو من رجال الدواوين - ولكنهم خصصوا انفسهم فى علوم الدين الاسلامى وعاشوا من أعمالهم الاخرى ، التى كان يغلب عليها التجارة ، و الصناعات اليدوية الخفيفة .. هؤلاء هم ورثة الانبياء حقا ، حيث علموا انفسهم بانفسهم ، وأعطوا كل أوقاتهم لدراسة علوم الدين والاجتهاد فيها ..

وكانت لهؤلاء الرجال قداسة ومكانة محترمة فى نفوس عامة الشعب المسلم فى كل بقاع الارض .. ولم يكتسبوا هذه الصفة ، ولم يحتلوا هذه المكانة فى نفوس الناس ، الا لانهم كانوا وعاء علوم الدين .. حملوها فى قلوبهم وطبقوها فى تصرفاتهم وأعمالهم .

وزاد من هذه المكانة قدرا أن الثقافة الدينية كانت متيسرة للجميع عن طريق هؤلاء العلماء فى المساجد وهى المدارس الشعبية التى أسسها الاسلام لتثقيف الشعوب من مختلف الطبقات والاعمار على حد سواء .

وعن طريق هذه المدارس عرف عامة الناس قدر العلماء .. سمعوا قول الرسول عليه الصلاة والسلام :

العلماء ورثة الانبياء .

وقرأوا قول الله تعالى :
« انما يخشى الله من عباده العلماء »
وفهموا جيدا معنى الحديث القائل :
« اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية ، أو ولد صالح يدعو له ، أو علم ينتفع به » .

ومن هنا كان اقبال الناس على دراسة علوم الدين .. وقد كنا نرى الاثرياء من أهل القرى يبعثون بأبنائهم الى الازهر ليكونوا علماء .. وليكون لهم الولد الصالح والعالم الذى يقتدى به الناس .. لم يكن هدفهم البحث عن وظيفة .. وانما الاستزادة من علوم الاسلام .. التزود من هذه الثروة العظيمة الانسانية الهائلة التى جاء بها الاسلام ..

وظلت مكانة رجل الدين هى . هى .. فى نفوس الناس ، لا تتغير الى يومنا هذا .. ظل كثير من الناس ومن عامة الشعب يكبرون العالم المتفقه المتزود بعلوم الدين على وجه الخصوص .. ليس اكبار تدخل فيه الشبهات ، بحيث يظن ان لرجل الدين عند الله شفاعة ، أو أنه أقرب من غيره الى الله ..

فالمسلم العادى يدرك قول الله تعالى :
« واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداعى اذا دعان » .

ويعلم أن الله اقرب الينا من حبل الوريد .. وما رجل الدين - اذا كان فى الاسلام رجل دين بالمعنى الموجود فى الاديان الاخرى - الا انسان عادى تخصص وكرس جهده لدراسة علوم الدين وما تقتضيه من دراسة وفهم لاسرار اللغة العربية .

وأخيرا .. فليس هناك ما يمنع أن يكون بين من يحملون رسالة التوعية الدينية ممن يخطئون .. أو ينحرفون عن رسالتهم ، فكلنا بشر ، ولكن أن ننتقى نماذج شاذة لنعتبر تصرفها حكما عاما على طائفة لها قداستها .. ولها رسالتها ، فنقدم هذه النماذج الشاذة فى السينما حيث يبقى الفيلم زمنا يعكس هذا التصرف .. فهو الخطأ بعينه ، خاصة اذا علمنا أن رجال الدين خاصة فى العشرينات وهى الفترة التى خرجت منها كانت لهم رسالة تعليمية وتثقيفية وسياسية سجلها لهم التاريخ فى صفحاته البيضاء ..

عزيزى القارىء :

يطالعنا العام الهجرى الجديد والامة الاسلامية أحوج ما تكون الى استلهام مواقف الهجرة البطولية الخالدة والفدائية المبكرة ، والمثل العليا الرائدة فى مجال الجهاد انتصارا للحق واعلاء لكلمة الله واباء للضيم .

فهاهى فئة قليلة آمنت بالدعـوة المحـمدية ، وسارت فى ركاب الحق ؟ يحـدوها الايمان بنصر الله، ويزكيها الرضا الالهى عقدت العزم على مواصلة الكفاح ، ومواجهة قلاع الكفر والضـلال ، ومالها من سلطة البطش ومرارة الحقد على الدعوة الجديدة ... فكانت المحالفات والمكائد المضادة للدعوة .. والحصار الاقتصادى لفرض شروط الاستسلام على صاحب الدعوة ، ولكن هيهات لكلمة الحق ان تنزوى، ولحملة لواء الحرية أن يستسلموا، فاشتعلت الحروب ، ودارت المعارك ، وتعددت الغزوات ، التى أظهرت أصالة الدعوة ، وصـدق دعاتها ، واصرارهم على الجهاد حتى النصر.. فكان أن خارت أمام ضرباتهم السديدة قوى الشر وتحطمت تحت سنابك خيلهم قلاع الكفر، واستسلمت لارادتهم وعزيمتهم جيوش الافك والطغيان ، وتحقق وعـد الله لرسوله وللمسلمين فكان الفتح العظيم والنصر المبين ، وارتفاع صوت الحق عاليا فى البيت الحرام، بعد مسيرة شاقة وكفاح مرير . وهجـرة مبـاركة جديرة باتخاذها مبدأ لتاريخنا الهجرى الجـديد اعاده الله على الامة الاسلامية بالنصر العظيم

تحية وتقدير واجلال

يبعث بها السيد / هاشم محمد السعدنى بمعهد شبين الكوم قائلا :

انه لمن دواعى سرورى وابتهاجى اليوم بعد أن قضيت بعض الوقت بين صفحات مجلتكم الحبيبة التى لمست فيها جوهر العلم وروح الامل فى مستقبل بسام لشباب العالم العربى والاسلامى حيث توثيق عرى الصداقة والاخوة الحقة المبنية على أسـاس الدين المقدس الذى يربط أبناء الشعب العربى والاسلامى برباط أخوى صادق ومتين على مر العصور وتوالى الايام .. وبعد أسأل الله أن يوفقنا الى ما فيه خير الامة وتحقيق الوحدة الكبرى ووحدة الصف وهو تحرير القدس الحبيبة مهبط الوحى ومسرى الرسول الكريم ، وملتقى جميع الديانات واسترجاع كل شبر مغتصب من أرضنا العربية وحتى يحق الحق ويبطل الباطل ، وكل عام وانتم بخير .

المنبر ونشر الدعوة الاسلامية :

لا يسعنا أمام خدماتكم الجليلة وجهودكم الموفقة فى خدمة الدين والقرآن بطبع تفسيره الميسر وتوزيعه هدية مع المجلة القراء .. وعزمكم — باذن الله — على نشر المنتخب من السنة بعد الانتهاء من التفسير ، هذا مع تقديرنا الكبير بقيامكم باصدار كل ما من شأنه أن يسهم فى حركة نشر الوعى الاسلامى وعلى كافة المستويات ، ولا يسعنا أمام هذا كله ، وغيره مما يقوم به المجلس الاعلى للشئون الاسلامية الا أن ندعو الله لكم بالتوفيق والسداد ،والمجلة اذ تشكر لك هذا الشعور الطيب . نامل أن يكون هناك تفسير آخر أكثر تعرضا للالفاظ والاراء الجانبية .

محمد الهادى منصور الشريف — طالب بمدرسة دمياط الاعدادية للبنين

فريضة الجهاد على الامة الاسلامية

حول هذا المعنى الجليل يحدثنا ابراهيم أحمد ابراهيم هندى بالمحلة الكبرى قائلا :

الان وقد احتلت الصهيونية جزءا من الوطن العربى ودمروا المساجد واحرقوها ، واغتصبوا القبلة الاولى وقتلوا النسـاء والاطفال وشردوا مئات الالوف من العرب من أوطانهم فهم بعد ذلك كله لم يحن وقت الجهاد ؟ ! ان الاسلام يدعو المسلمين الى الجهاد متى وقع الاعتداء عليهم والان وقد وقع الاعتداء بالفعل أصبح من المفروض على الامة الاسلامية أن يكيلوا لعدوهم الصاع صاعين مصداقا لقوله تعالى « فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد » صدق الله العظيم.

المستشرقون والقضايا الاسلامية

ان الاسهاب والتغالى فى الاعتماد على ماذهب اليه المستشرقون فى الحضارة الاسلامية عامة والشريعة الاسلامية خاصة هو مزلق خطر ، لان أصول البحث العلمى الصريح تفرض قاعدة الشك أساس اليقين ولو اننا طبقنا هذه القاعدة ، لما سرنا وابهجنا كما أرى وألمس من الاسراف المتزايد فى الاستدلال على صحـة الدعوة الاسلامية وصدق رسولنا الامين خاصة وان الدعوة الاسـلامية مؤيدة بكتاب لا يأتيـه البـاطل من بين يديه ولا من خلفـه فما أحرانا أن يكون كتاب الله مرجعنا وأحاديث رسوله الصحاح سندنا فى الاستدلال على صحة كل ما نذهب اليه من آراء فى الشريعة الاسلامية ، هذه الكلمة الموجزة أثارتها فى نفسى رسالة الاديب عبد الفتاح الصحن رئيس الجماعة الادبية والدينية والمدرس بالباب الاخضر وشكرا والى اللقاء .

الاسم : لؤى عبد الحميد
البلد : الجمهورية العراقية
السن : ١٦ سنة
المهنة : طالب متوسط
الهواية : جمع وتبادل الطوابع
العنوان : الموصل — عقرة مدرسة عقرة الثانوية للبنين

الاسم : سيد هاشم حسن
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ٢١ سنة
المهنة : موظف بنيابة الظاهر
الهواية : المراسلة والرسم
العنوان : ٢٢ شارع الحمزية بالداودية — ميدان أحمد ماهر

الاسم : رشيد خشة
البلد : الجمهورية الجزائرية
السن : ١٨ سنة
المهنة : طالب ثانوى
الهواية : المراسلة وجمع الطوابع البريدية
العنوان : حى العناصر عمارة ب مدخل ٦ شقة ٦ — القبة

الاسم : عاطف محمود على النجار
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ١٧ سنة
المهنة : طالب بمدرسة الخديوى اسماعيل الثانوية
الهواية : المراسلة وتبادل الطوابع والصور والمناظر
العنوان : القلعة — السيدة عائشة درب عزبة ٣

الاسم : محمد حماد أبو سعودى
البلد : المملكة المغربية
السن : ١٨ سنة
المهنة : طالب
الهواية : تبادل الطوابع البريدية والمناظر
العنوان : شارع الحسن الثانى رقم ١٣ جبل اعرورى

الاسم : أحمد عرفة عبد الله
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ١٨ سنة
المهنة : طالب بمركز المعادن
الهواية : قراءة الكتب الدينية والمراسلة
العنوان : المساكن الشعبية بالمعزوزة قيارى ٣ بلوك ١ مدخل ٢ الاسكندرية

اقرأ فى هذا العدد :

معالم الطريق :

نص الخطاب الذى ألقاه السيد الرئيس جمال عبد الناصر فى مادبة العشاء التى اقامها سيادته تكريما للرئيس اليوجوسلافى تيتو ١٩٧٠/٢/٢٣		٤
حديث عن حريق المسجد الاقصى للسيد حسين الشافعى .. اعداد عبد العليم المهدى ..		٧
ضيوف القاهرة .. .. تحقيق : اعداد نرجس كامل وليلى عبد الباقى		١٠

الفقه ـ التشريع ـ الابحاث ـ الدراسات الصوفية فى الاسلام

اشارات علمية فى القرآن الكريم	تقرير من لجنة الخبراء بالمجلس الاعلى للشئون الاسلامية	١٤
رأى العلم فى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم	الاستاذ أحمد حسين	١٦
الكاسيات العاريات بين الحلال والحرام ..	الدكتور أحمد الحوفى	٢٢
انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون	فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى ..	٢٥
من قصص السنة المحمدية	فضيلة الشيخ محمود أحمد هاشم ..	٢٨
من أحكام الشريعة الاسلامية وآدابها	فضيلة المستشار محمد خاطر	٣٠
بنو اسرائيل فى ميزان القرآن	الاستاذ البهى الخولى	٣٢
براعة الاستهلال وروعة الاساليب فى فواتح سور القرآن	الدكتور عبدالغنى الراجحى	٣٦
الطريق الى الله	الاستاذ أحمد زين	٣٩
من أخلاق القرآن	الدكتور أحمد الشرباصى	٤١
الخمر	الدكتور جمال الدين حسين مهران ..	٤٤
دراسات فى فقه الحديث ومذهب المحدثين ..	الدكتور عبد المجيد محمود	٤٧
لقمان الحكيم وابنه فى كتاب الله تعالى	فضيلة الشيخ أحمد كامل الخضرى ..	٥٠
الكفارات عبادة من العبادات	الاستاذ محمد فاوى عمر	٥٣
الجهاد والجندية فى تعاليم الاسلام	سماحة الاستاذ بشر الطرازى الحسينى	٥٥
على بن أبى طالب القاضى والمفتى	المستشار عبد الستار آدم	٥٧
الصوفية فى الهامهم	الاستاذ حسن كامل الملطاوى	٥٨
مع القرآن الكريم	الدكتور عبد الله محمود شحاته	٦٢
التصوف فى الاسلام	الاستاذ طه رياض سيف النصر	٦٤
الطاعة كما فى كتاب الله	فضيلة الشيخ عبد الوهاب الساكت ..	٦٦
الاسرة العالمية الكبرى	فضيلة الشيخ حسن صالح	٦٨
على مشارف القرن الخامس عشر الهجرى ..	الاستاذ أنور الجندى	٧٠
الاسلام والحضارة العالمية	الاستاذ محمود أبو الفيض المنوفى ..	٧٣
حديث فى الحماس والجهاد	الاستاذ محمد الخضرى عبد الحميد	٧٥
على طريق الفلاح والنصر مع أولياء الله المتقين	فضيلة الشيخ محمد وهيب	٧٨
الدعوة الى الله	فضيلة الشيخ محمد أنيس عبادة ..	٨٠
فضائل الحمد والشكر	الاستاذ محمود السعيد الطنطاوى ..	٨٢
القناعة	الاستاذ عبد السلام الشاذلى القوصى	٨٤
المسجد الذى بارك الله حوله	فضيلة الشيخ عطية صقر	٨٦
فى رحاب القرآن	فضيلة الشيخ محمود الحصرى	٨٨

الهجرة النبوية الشريفة :

الهجرة النبوية وأثرها فى صنع المجتمع المثالى	فضيلة الشيخ ابراهيم الدسوقى	٩١
طلائع الهجرة	الاستاذ عبد الحكيم النجار	٩٤
من ذكريات الهجرة	الاستاذ أحمد وافى	٩٦
الفتح المبين	الاستاذ الرفاعى الباز	١٠٠
من كفاح الرسول	فضيلة الشيخ عبد الحكيم سرور ..	١٠١
الهجرة درس تلقيه علينا الايام	فضيلة الشيخ عبد الحميد بلبع	١٠٤
الا تنصروه فقد نصره الله	فضيلة الشيخ محمد حافظ سليمان ..	١٠٦
هجرة الجهاد والفتح	الاستاذ محمد دياب	١١٠
فى ذكرى الهجرة	فضيلة الشيخ محمد على الطعمى ..	١١٢
الهجرة ثورة على الضعف	الاستاذ محمد حسن عبد العزيز	١١٤
من وحى الهجرة	الاستاذ عبد الرحمن السحترى	١١٦
لماذا هاجر ؟	الاستاذ محمد محمد السباعى	١١٩
مواقف بطولية رائعة	الاستاذ مهدى عبد الحميد مصطفى ..	١٢١
الهجرة النبوية المباركة	فضيلة الشيخ بسيونى رسلان	١٢٣

	الهجرة مبدأ الانطلاق	الاستاذ محمد كمال الدين عز الدين	١٢٨
	فى الهجرة نصر وفتح	الاستاذ أحمد عمر هاشم	١٣٠
	أول هجرة فى الاسلام	الاستاذ حامد محمود اسماعيل	١٣٢
	العام الهجرى الجديد	الاستاذ حسن الشبخه	١٣٣
	ليست هجرة بل فتحا	الاستاذ فتحى أحمد مصطفى	١٣٤
التاريخ الاسلامى :	ماذا تعرف عن العالم الاسلامى	الدكتورة عنايات الطحاوى	١٣٨
	قضية فلسطين من بدايتها الى ذروتها	الاستاذ عثمان عبد السميع العدل	١٤٣
فكر وفن :	اثر الدين فى بناء الفرد والمجتمع	فضيلة الشيخ الصاوى شعلان	١٤٦
	قطوف	الاستاذ على الجندى	١٤٨
	لا عذر فى ترك الجهاد [قصيدة]	الشاعر الشيخ محمد خليل الخطيب	١٥١
	القناص [قصة العدد]	الاستاذ حسين القبانى	١٥٢
	حقائق عن فلسطين	الاستاذ ظفر الاسلام خان	١٥٤
	دين ودنيا	الاستاذ محمد المتولى النظامى	١٥٨
	وحى الهجرة [قصيدة]	الشاعر على سيد عاشور	١٦٠
	اعرف عدوك	الاستاذ اسماعيل السوسى	١٦٢
	مبدأ توازن القوى	الاستاذ محمود كمال	١٦٥
	يا هلال المحرم [قصيدة]	الشاعر محمد حليم حامد غالى	١٦٨
	رجال صنعوا التاريخ	الاستاذ محمود الهجرسى	١٧٠
	الامة الاسلامية ورسالتها الحضارية	الاستاذ محيى الدين الالوائى	١٧٢
	لماذا الامة العربية	الاستاذ عبد السميع البطل	١٧٣
	معجم ألفاظ المصطلحات العلمية الحديثة	الاستاذ محمد عبد الجواد الاصمعى	١٧٤
	العام الجديد [قصيدة]	الشاعر حسين جبالى منشاوى	١٧٦
	الهجرة وهلال المحرم [قصيدة]	الشاعر عز الدين على السيد	١٧٧
	الارض الثائرة [قصيدة]	الشاعر أحمد عثمان المراغى	١٧٨
اعلام الاسلام	مدرسة الرسول	الاستاذ عبد المنعم حماده	١٨٠
	نسيبة الانصارية	الاستاذ عبد المقصود حبيب	١٨٥
	الامام الشبلى	الاستاذ جوده محمد أبويزيد المهدى	١٨٨
	الامام محمد بن على الشوكانى	الاستاذ قاسم غالب أحمد	١٩١
	أبو على المحسن التنوخى	الدكتور عبده بدوى	١٩٤
	أمير البحر طورغود	الاستاذ ابراهيم الفحام	١٩٦
	الشهيد جواد حسنى	الاستاذ عبد المغنى المنشاوى	١٩٩
	على أحمد باكثير	الاستاذ على الجمبلاطى	٢٠٢
المكتبة الاسلامية :	الانسان فى القرآن الكريم	عرض وتقديم الاستاذ رجائى عطيه	٢٠٦
الافتاء ـ المرأة المسلمة ـ الرياضة ـ مع القراء ـ بريد التعارف	انت تسأل والمفتى يجيب	فضيلة الامام الاكبر الدكتور محمد الفحام	٢١٢
	المرأة المسلمة	اعداد نجاة الزنيرى	٢١٧
	مع الشباب	الاستاذ ناصف سليم	٢١٩
	مع القراء	اعداد الاستاذ فؤاد هيبه	٢٢١
	بريد التعارف		٢٢٢

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

لجنة القرآن المرتل

نزولا على رغبة المواطنين واستجابة للآلاف الطلبات والخطابات التي وردت للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية من السفارات والهيئات المختلفة والجمعيات الإسلامية في قارتي إفريقيا وآسيا وبعض دول أوربا وأمريكا اللاتينية

يسر لجنة القرآن المرتل أن تعلن عن بيع:

اسطوانات القرآن المرتل

رواية حفص عن عاصم

٤٤ اسطوانة سرعة ٣٣⅓ لفة في الدقيقة

ترتيل الشيخ محمود خليل الحصري

	مليم	جنيه
بالغلاف الفاخر	٧٩٦	٢٣
بالغلاف العادي	٣٢٢	١٩

رواية ورش عن نافع

٦٨ اسطوانة سرعة ٣٣⅓ لفة في الدقيقة

ترتيل الشيخ محمود خليل الحصري

الثمن: ١٥٠ مليم ٣٥ جنيه

كما يسر اللجنة أيضا أن تعلن عن بيع مجموعة اسطوانات تعليم الصلاة باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية والأوردية والسواحلية

المجموعة تحتوى على ٧ سبع اسطوانات

الاسطوانة الأولى: شاملة الأذان
الاسطوانة الثانية: تشمل كيفية الوضوء
والخمس اسطوانات الأخرى:
على كل اسطوانة صلاة من الصلوات الخمس وأمام كل اسطوانة كتيب يشرح كل فريضة بالكلمة والصورة

الثمن ٥٠ خمسون قرشا

العنوان: القاهرة: مخازن القرآن المرتل ٧٦ ش الجمهورية ت ٩١١٧٠٨
الاسكندرية: فرع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ٤٢ ش سعد زغلول ت ٣٨٦٦٢

مواعيد البيع: من الساعة ٩ صباحا - ٢ مساء ومن الساعة ٥ - ٩ مساء ماعدا أيام الجمع والعطلات الرسمية

كما يسر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية أن يعلن عن بيع

مطبوعاته باللغة العربية واللغات الأجنبية

١ مطبوعات لجنة القرآن والسنة
٢ مطبوعات لجنة موسوعة الفقه الإسلامي
٣ مطبوعات لجنة إحياء التراث الإسلامي
٤ مطبوعات لجنة إحياء أمهات كتب السنة
٥ مطبوعات لجنة التعريف بالإسلام

خصم خاص للمؤسسات والهيئات والمكتبات

مقر البيع الوحيد بالقاهرة: ٣ شارع الأمير قدادار: خلف عمارة جروبي بميدان التحرير
مواعيد العمل: من ٩ صباحا الى ٢ ظهرا ومن ٦ مساء الى ٨ مساء

مطابع الأهرام التجارية